

فى الخطبة (١) وَ خَلَفَ فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا - إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ وَ لَا عِلْمٍ قَائِمٍ - كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيَّنًّا حَلَالَهُ وَ حَرَامَهُ - وَ فَرَائِضَهُ وَ فَضَائِلَهُ وَ نَاسِيخَهُ وَ مَنْسُوخَهُ - وَ رُخْصَهُ وَ عَزَائِمَهُ وَ خَاصَّهُ وَ عَامَّهُ - وَ عِبْرَهُ وَ أَمْثَالَهُ وَ مُرْسَلَهُ وَ مَحْدُودَهُ - وَ مُحْكَمَهُ وَ مُتَشَابِهَهُ مُفَسَّرًا مُجْمَلَهُ وَ مُبَيَّنًّا غَوَامِضَهُ - بَيْنَ مَا خُوِذَ مِيثَاقُ عِلْمِهِ وَ مُوسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ - وَ بَيْنَ مُثَبَّتٍ فِي الْكِتَابِ فَرَضُهُ - وَ مَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ - وَ وَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ اخْذُهُ - وَ مُرْخَصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ - وَ بَيْنَ وَاجِبٍ بَوَقْتِهِ وَ زَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ - وَ مُبَايِنٍ بَيْنَ مَحَارِمِهِ مِنْ كَبِيرٍ أَوْ عَدٍّ عَلَيْهِ نِيرَانُهُ - أَوْ صَغِيرٍ أُرْصَدَ لَهُ غُفْرَانُهُ - وَ بَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَذْنَاهُ مُوسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ «و خلف» نَبِيَّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ.

«فِيكُمْ مَا خَلَفَتِ الْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا» ما يتم به الحجّة عليهم.

«إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا» أى: سدى كدابة تركوها ترعى ليلا و نهارا بلا راع.

«بَغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ» ليسلكوه.

«و لا علم» أى: رايه.

«قَائِمٍ» لِيُؤْمَوْه فلم يخلفهم كباقي الأنبياء بغير علم لكن كثيرا منهم لم يتركوا غير وصى و نبينا صلى الله عليه و آله خلف فى امته كتابا و أوصياء.

روى مسلم فى (صحيحه)، عن زيد بن أرقم قال: قام فينا النبى صلى الله عليه و آله خطيبا بماء تدعى خما بين مكة و المدينة فحمد الله و أثنى و وعظ و ذكر - ثم قال: أيها الناس انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب، و أنا تارك فيكم الثقلين أولهما كتاب الله فيه النور فخذوا به و استمسكوا به - فحث على كتاب الله و رغب فيه - ثم قال: و أهل بيتى اذكركم الله فى أهل بيتى، اذكركم الله فى أهل بيتى.

«كتاب ربكم فيكم مبينا» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (كتاب ربكم مبينا) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة) و لأن (كتاب) بدل من (ما) فلا معنى لكلمة (فيكم) قال تعالى: «وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ»^١ - «وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ»^٢.

«حلاله و حرامه» «قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطْنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَ أَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَ أَنْ تَقُولُوا»

ص: ٥

«عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»^٣ «وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ»^٤ - «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^٥.

«و فرائضه و فضائله» من الصلاة و الصيام و الخمس و الزكاة و الحج و الجهاد و الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر و غيرها، و الانفاق و التفضل و العفو و غيرها.

«و ناسخه و منسوخه» قال القمى فى (تفسيره): كانت عدّة النساء فى الجاهلية فى الوفاة سنة فلما بعث النبى صلى الله عليه و آله تركهم على ذلك و انزل: «وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذُرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ» فكانت العدّة حولا فلما قوى الاسلام أنزل: «وَالَّذِينَ يَتُوفَوْنَ مِنْكُمْ وَ يَذُرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَ عَشْرًا»^٦ فنسخت الأولى - و مثله ان المرأة كانت فى الجاهلية إذا زنت تحبس فى بيتها حتى تموت، و الرجل يؤذى فأنزل تعالى فى ذلك: «وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاَسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةٌ مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا»^٧ - و فى الرجل: «وَالَّذَانِ يَأْتِيَانِيَا مِنْكُمْ فَأَذَوْهُمَا فَإِنْ تَابَا وَ أَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَحِيمًا»^٨ فلما قوى الاسلام أنزل تعالى فى ذلك:

ص: ٦

«الزَّانِيَةُ وَ الزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ»^٩ فنسخت هذه تلك و مثله كثير - و آية نصفها منسوخة و نصفها متروكة على حالها و ذلك ان المسلمين كانوا ينكحون نساء أهل الكتاب و ينكحونهم فأنزل تعالى «وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَ

^١ (١) النحل: ٨٩.

^٢ (٢) النحل: ٤٤.

^٣ (١) الاعراف: ٣٣.

^٤ (٢) الاعراف: ١٥٧.

^٥ (٣) الاعراف: ٣٢.

^٦ (٤) البقرة: ٢٤٠.

^٧ (٥) البقرة: ٢٣٤.

^٨ (٦) النساء: ١٥.

^٩ (٧) النساء: ١٦.

^{١٠} (١) النور: ٢.

وَلَا مَآءٌ مُّؤَمَّنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَا أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنَكِّحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُّشْرِكٍ وَلَا أَعْجَبَكُمْ^{١١}
فنهى الله أن ينكح المسلم المشركة أو ينكح المشرك المسلمة ثم نسخ (و لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا) بقوله فى المائدة:

«أَحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَ طَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَ طَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَ الْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ»^{١٢} و ترك «و لا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا»^{١٣} لم ينسخ لأنه لا يحل للمسلمة أن تنكح المشرك و يحل للمسلم أن يتزوج المشركة من اليهود و النصارى.

«و رخصه و عزائمه» قسم القمى فى (تفسيره) الرخصة إلى رخصة بعد عزيمة و رخصة مخير صاحبها بين الفعل و الترك، و رخصة باطنها خلاف ظاهرها- و قال فى الأولى: ان الله تعالى فرض الوضوء و الغسل بالماء فقال:

«إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ»... إلى - «وَ إِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا»^{١٤} ثم رخص لمن لم يجد الماء التيمم بالتراب فقال: «وَ إِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا»

ص: ٧

«مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوْهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ»^{١٥} و مثله قوله:

«حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَ قُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ»^{١٦} ثم رخص فقال «فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا»^{١٧} و قال: «فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ فَادْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِكُمْ»^{١٨} فقال العالم عليه السلام الصحيح يصلّى قائما، و المريض جالسا فمن لم يقدر فمضطجعا و هذه رخصة بعد العزيمة- و قال فى الثانية و اما الرخصة التى صاحبها فيها بالخيار ان شاء أخذ و ان شاء ترك فان الله تعالى رخص أن يعاقب الرجل الرجل على فعله به فقال «وَ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ»^{١٩} فهذا بالخيار ان شاء عاقب و ان شاء عفا- و قال فى الثالثة و اما الرخصة التى ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها و يدان بباطنها فانه تعالى نهى ان يتخذ المؤمن الكافر وليا فقال:

«لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ»^{٢٠} ثم رخص عند التقيّة ان يصلّى بصلاته و يصوم بصيامه و يعمل بعمله فى ظاهر و ان يدين الله فى باطنه بخلاف ذلك فقال: «إِلَّا أَنْ تَقُوا مِنْهُمْ تَقَاءً»^{٢١} فهذا تفسير الرخصة، و معنى قول الصادق عليه السلام ان الله تعالى يحب ان يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه.

^{١١} (٢) البقرة: ٢٢١.

^{١٢} (٣) المائدة: ٥.

^{١٣} (٤) البقرة: ٢٢١.

^{١٤} (٥) المائدة: ٦.

^{١٥} (١) المائدة: ٤٣.

^{١٦} (٢) البقرة: ٢٣٨.

^{١٧} (٣) البقرة: ٢٣٩.

^{١٨} (٤) النساء: ١٠٣.

^{١٩} (٥) الشورى: ٤٠.

^{٢٠} (٦) آل عمران: ٢٨.

«و خاصه و عامه» قسّم القمى فى (تفسيره) العام و الخاص بما لفظه عام

ص: ٨

و معناه خاص كقوله تعالى: «يا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَ أَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ»^{٢٢} قال: انما فضلهم على عالمى زمانهم بأشياء خصصهم بها و بالعكس كقوله تعالى: «مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا»^{٢٣} لفظه خاص فى بنى إسرائيل و معناه عام فى الناس كلهم.

«و عبره» قال (خو) كقوله تعالى: «فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَ الْأُولَى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى»^{٢٤} و كقوله تعالى: «يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ»^{٢٥} و كقوله تعالى «وَ إِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَ دَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ»^{٢٦}.

قلت و كقوله تعالى فى آخر قصة يوسف: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ»^{٢٧} و كقوله تعالى: «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَ قَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَ أَيْدَى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ»^{٢٨} و كقوله تعالى: «قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِتْنَتَيْنِ الَّتِي قَاتَلْتُمَا فَتَةُ تَقَاتُلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ أُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَهُمْ رَأَى الْعَيْنِ وَ اللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصَرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً»

ص: ٩

«لِأُولِي الْأَبْصَارِ»^{٢٩}.

«و أمثاله» قال الخوئى كقوله تعالى «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْإِمَارِ يُحْمِلُ أَسْفَارًا»^{٣٠} - «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ»^{٣١}.

^{٢١} (٧) آل عمران: ٢٨.

^{٢٢} (١) البقرة: ٤٧.

^{٢٣} (٢) المائدة: ٣٢.

^{٢٤} (٣) النازعات: ٢٥ - ٢٦.

^{٢٥} (٤) النور: ٤٤.

^{٢٦} (٥) النحل: ٦٦.

^{٢٧} (٦) يوسف: ١١١.

^{٢٨} (٧) الحشر: ٢.

^{٢٩} (١) آل عمران: ١٣.

^{٣٠} (٢) الجمعة: ٥.

^{٣١} (٣) البقرة: ٢٦١.

قلت و كقوله تعالى «وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَى أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا»^{٣٢} - و كقوله تعالى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^{٣٣}.

«وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بَرْبَوَّةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ»^{٣٤} «أَيُّودُ أَحَدَكُمُ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضِعْفًا فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ»^{٣٥}.

و كقوله تعالى مشيرا إلى المنافقين: «مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا»

ص: ١٠

«فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ»^{٣٦} «صُمُّ بَكْمٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ»^{٣٧} «أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ»^{٣٨} «يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»^{٣٩}.

و كقوله تعالى: «وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرَكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^{٤٠}.

و كقوله تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ»^{٤١}.

و كقوله تعالى «كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ»^{٤٢}.

^{٣٢} (٤) الاسراء: ٨٩.

^{٣٣} (٥) البقرة: ٢٦٤.

^{٣٤} (٦) البقرة: ٢٦٥.

^{٣٥} (٧) البقرة: ٢٦٦.

^{٣٦} (١) البقرة: ١٧.

^{٣٧} (٢) البقرة: ١٨.

^{٣٨} (٣) البقرة: ١٩.

^{٣٩} (٤) البقرة: ٢٠.

^{٤٠} (٥) الاعراف: ١٧٥ - ١٧٦.

^{٤١} (٦) العنكبوت: ٤١.

و كقوله تعالى: «لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا»

ص: ١١

«مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَ تِلْكَ الْأَمْثَالُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»^{٤٣} - «وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَ نِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْى فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»^{٤٤}.

و كقوله تعالى مشيراً إلى الكفار «مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ» «الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَ مَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَ لَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ»^{٤٥}.

و كقوله تعالى: «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَ لَهُوَ وَ زِينَةٌ وَ تَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَ تَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَ الْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَ مَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَ رِضْوَانٌ وَ مَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ»^{٤٦}.

و كقوله تعالى: «مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَ أَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَ أَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَ أَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَ لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِ الثَّمَرَاتِ وَ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَ سُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ»^{٤٧}.

«إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَ الْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَ ظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا» «لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنِ بِالْأَمْسِ»

ص: ١٢

«كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^{٤٨}.

«وَ اضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَّاحُ وَ كَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا»^{٤٩}، - «لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَ لِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى»^{٥٠}.

^{٤٢} (٧) الحشر: ١٦-١٧.

^{٤٣} (١) الحشر: ٢١.

^{٤٤} (٢) البقرة: ١٧١.

^{٤٥} (٣) آل عمران: ١١٧.

^{٤٦} (٤) الحديد: ٢٠.

^{٤٧} (٥) محمد: ١٥.

^{٤٨} (١) يونس: ٢٤.

^{٤٩} (٢) الكهف: ٤٥.

^{٥٠} (٣) النحل: ٦٠.

«مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا فَلَا تَذْكُرُون»^{٥١} - «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضَرْبٌ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ»^{٥٢}.

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^{٥٣}.

«و مرسله و محدوده» المرسل كقوله تعالى: «وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ»^{٥٤} و المحدود كقوله تعالى: «وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ»^{٥٥} و روى ان ابن مسعود أفتى بجواز نكاح أم غير المدخولة

ص: ١٣

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام من أين قلت ذلك؟ فقال: من قوله تعالى:

«وَرَبَائِكُمُ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ»^{٥٦} فقال عليه السلام: ان هذه الآية مستثناة و آية «وَأُمّهَاتُ نِسَائِكُمْ»^{٥٧} مرسله.

و من أمثلة المرسل قوله تعالى في كفارة اليمين: «أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ»^{٥٨} و في كفارة الظهار: «فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسَا»^{٥٩} - و من أمثلة المحدود قوله تعالى في دية القتل الخطأ في مواضع ثلاثة: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ»^{٦٠}.

«و محكمه» مثل القمى له بآية الوضوء و آية تحريم الميتة و الدم و لحم الخنزير و آية تحريم الامهات و باقى المحارم النسبية و الصهرية و الرضاعية و قال و مثله كثيرا مما استغنى بتنزيله عن تأويله.

^{٥١} (٤) هود: ٢٤.

^{٥٢} (٥) الحج: ٧٣.

^{٥٣} (٦) النور: ٣٥.

^{٥٤} (٧) النساء: ٢٣.

^{٥٥} (٨) النساء: ٢٣.

^{٥٦} (١) النساء: ٢٣.

^{٥٧} (٢) النساء: ٢٣.

^{٥٨} (٣) المائدة: ٨٩.

^{٥٩} (٤) المجادلة: ٣.

^{٦٠} (٥) النساء: ٩٢.

«و متشابهه» قال القمى: المتشابه ما لفظه واحد ومعناه مختلف، منه الفتنة التى ذكرها الله فى القرآن فمنها عذاب وهو قوله: «يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ»^{٦١} وقوله: «وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ»^{٦٢} وهى الكفر ومنه الحب

ص: ١٤

كقوله تعالى: «أَنَّمَا أَمْوَالُكُمُ وَأَوْلَادُكُمُ فِتْنَةٌ»^{٦٣} ومنه اختبار وهو قوله تعالى: «الْمُ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ»^{٦٤} - ومنه الحق وهو على وجوه كثيرة - ومنه الضلال وهو على وجوه كثيرة فهذا من المتشابه الذى لفظه واحد ومعناه مختلف.

هذا، ولم يكن أحد عالما بجميع ما فى الكتاب مما عدّه عليه السلام من حلاله وحرامه، وفرائضه وفوائده، وناسخه ومنسوخه، ورخصه وعزائمه، وخاصة وعامة، وعبره وأمثاله، ومرسله ومحدوده، ومحكمه ومتشابهه، غيره عليه السلام روى العياشى فى (تفسيره) عن الأصمغ قال: قدم على عليه السلام الكوفة فصلّى بهم أربعين صباحا يقرأ بهم «سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى»^{٦٥} فقال المنافقون: لا والله ما يحسن ابن أبى طالب أن يقرأ القرآن ولو أحسن لقرأ بنا غير هذه السورة فبلغه ذلك، فقال: ويل لهم انى لأعرف ناسخه من منسوخه، ومحكمه من متشابهه، وفصله من وصله، وحروفه من معانيه، والله ما من حرف نزل على محمد صلى الله عليه وآله إلا وأنا أعرف فى من نزل وفى أى موضع نزل! وعن سليم بن قيس قال: سمعت عليا عليه السلام يقول: ما نزلت آية على النبی صلى الله عليه وآله إلا أقرأنيها وأملأها على فكتبتها بخطى وعلمنى تأويلها وتفسيرها، وناسخها ومنسوخها، ومحكمها ومتشابهها، وما ترك شيئا علمه الله من حلال ولا حرام، ولا أمر ولا نهى كان أو يكون، من طاعة أو معصية إلا علمنيها وحفظته^{٦٦} - الخبر -

ص: ١٥

«مفسرا» حال من (كتاب ربكم) كقوله (مبيننا حلاله وحرامه).

«مجملة» هكذا فى (المصرية) والصواب: (جملة) كما فى (ابن أبى الحديد) والخطيب فتكون جمع الجملة بمعنى المجمع بقرينة (غوامضه) بعد.

«و مبيّن غوامضه» قال القمى: اما ما تأويله مع تنزيله فمثل قوله:

^{٦١} (٦) الذاريات: ١٣.

^{٦٢} (٧) البقرة: ٢١٧.

^{٦٣} (١) الانفال: ٢٨.

^{٦٤} (٢) العنكبوت: ٢.

^{٦٥} (٣) الاعلى: ١.

^{٦٦} (٤) تفسير العياشى، محمد بن مسعود ١: ١٤ باب علم الأئمة رقم (١ و ٢) المكتبة العلمية- قم.

«أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ»^{٦٧} فلم يستغن الناس بتنزيل الآية حتى فسر لهم النبي صلى الله عليه و آله من أولوا الأمر - و مثل قوله تعالى:

«اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^{٦٨} فلم يستغن الذين سمعوا هذا من النبي صلى الله عليه و آله بتنزيل الآية حتى عرفهم النبي صلى الله عليه و آله من الصادقون - و مثل قوله:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ»^{٦٩} فلم يستغن الناس الذين سمعوا هذا من النبي صلى الله عليه و آله حتى اخبرهم كم يصومون - و كقوله تعالى: «وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ»^{٧٠} فلم يستغن الناس بهذا حتى اخبرهم النبي صلى الله عليه و آله كم يصلون و كم يزكون.

«بين ماخوذ ميثاق في علمه» هكذا في (المصرية) و الصواب: (بين ماخوذ ميثاق علمه) كما في (ابن أبي الحديد و الخطيئة و ابن ميثم).

«أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ»^{٧١} «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَّسَ مَا يَشْتَرُونَ»^{٧٢} «وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ

ص: ١٦

«النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَ حِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَ لَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَ أَقْرَرْتُمْ وَ أَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَ أَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ»^{٧٣}.

«و موسع على العباد في جهله» أخذ جلّ و عزّ معرفته وجوده عليهم و وسّع عليهم جهلهم بكنه ذاته لقصورهم عن فهمه قال تعالى: «وَ أَنْ إِلَىٰ رَبِّكَ الْمُنْتَهَىٰ»^{٧٤} فسر في الخبر أنّه إذا انتهى الكلام إليه تعالى يجب الامسك و انّ قوما تكلّموا في ذاته تعالى فباهت عقولهم حتى كان الرجل ينادى من بين يديه فيجيب من خلفه و ينادى من خلفه فيجيب من بين يديه - و مثل (ابن أبي الحديد) له بفواتح السور و (الخوئي) بمتشابهات القرآن.

«و بين مثبت في الكتاب فرضه و معلوم في السنة نسخه» قال ابن أبي الحديد نسخ السنة في رجم الزّاني المحصن، الكتاب في قوله: «فَأَمْسِكُوهُمْ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ»^{٧٥} قد عرفت انّ آية «فَأَمْسِكُوهُمْ»^{٧٦} نسخت بآية «الزَّانِيَةُ»^{٧٧} و أنّما

^{٦٧} (١) النساء: ٥٩.

^{٦٨} (٢) التوبة: ١١٩.

^{٦٩} (٣) البقرة: ١٨٣.

^{٧٠} (٤) البقرة: ٤٣.

^{٧١} (٥) الاعراف: ١٦٩.

^{٧٢} (٦) آل عمران: ١٨٧.

^{٧٣} (١) آل عمران: ٨١-٨٢.

^{٧٤} (٢) النجم: ٤٢.

^{٧٥} (٣) النساء: ١٥.

^{٧٦} (٤) النساء: ١٥.

الرَّجْمِ غير مذكور في الكتاب بل في السنة و غاية ما يمكن ان يقال: انَّ السنة نسخت عموم «فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً»^{٧٨} إذا لم نقل بان المحصن عليه الجلد أيضا.

«و واجب في السنة اخذه و مرخص في الكتاب تركه» قال ابن أبي

ص: ١٧

الحديد مثل صوم يوم عاشورا كان واجبا بالسنة ثم نسخة صوم شهر رمضان الواجب بنص الكتاب.

و قال الخوئي كالتوجه في الصلاة اولا إلى بيت المقدس بالسنة المنسوخ بقوله تعالى: «فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ»^{٧٩} و كحرمة مباشرة النساء في الليل على الصائمين المنسوخ بقوله تعالى: «فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ»^{٨٠}.

قلت و كحرمة الاكل بعد صلاة العشاء إذا نام في ليل شهر رمضان في السنة، المنسوخة بقوله تعالى: «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ»^{٨١}.

«و بين واجب بوقته» و في (ابن أبي الحديد) (لوقته).

«و زائل في مستقبله» كزكاة الفطرة تسقط إذا لم تؤد في وقتها - و اما صلاة الجمعة فبدل بعد وقتها بصلاة الظهر.

ثم الظاهر. ان في الكلام سقطا لان المقام مقام التفضيل بين شيئين الا ان يقال ان الشق الاخر و هو الواجب في الوقت و خارجه كالصلوات اليومية لم يذكر لمعلوميته.

«و مبين بين محارمه» قال ابن أبي الحديد: يجب رفع (مباين) خبرا لمحذوف و لا يجوز جره بالعطف على ما قبله لانه ليس في القرآن مبين و غير مبين.

و قال ابن ميثم: عطف على المجزورات السابقة و في معنى الكلام

ص: ١٨

و تقديره لطف فان المحارم لما كانت هي محال الحكم المسمى بالحرمة صار المعنى (و بين حكم مبين بين محاله).

^{٧٧} (٥) النور النور: ٢.

^{٧٨} (٦): ٢.

^{٧٩} (١) البقرة: ١٤٤.

^{٨٠} (٢) البقرة: ١٨٧.

^{٨١} (٣) البقرة: ١٨٧.

و قال الخوئي: انه مجرور لجواز اضافة بين إلى (شيء) يقوم مقام شيئين كقوله تعالى: «عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ»^{٨٢} و كقول امرئ القيس (بين الدخول فحومل) لكون الدخول اسم مواضع.

قلت اما ما قاله ابن ميثم: ففيه تكلف لا تطف، و اما ما قاله الخوئي فخبط، لان ما قاله صحيح جواز اضافة (بين) إلى (محارمه) بدون عطف عليه و اما (مباين) فيجب اما رفعه كما قال ابن أبي الحديد و اما تقدير بين له حتى يصح جره كما قال ابن ميثم و حيث ما قاله ابن ميثم تكلف لا يناسب كلامه عليه السلام يتعين رفعه الا ان الظن انه وقع في الكلام تبديل، و ان قوله (و مباين)- إلخ- كان بعد قوله (و بين مقبول في ادناه) إلخ كما لا يخفى.

«من كبير اوعد عليه نيرانه» روى (الكافي) في باب الكبائر عن الجواد عن ابيه عن ابيه عليهم السلام قال: دخل عمرو بن عبيد على ابي عبد الله عليه السلام فلما سلم و جلس تلا قوله «الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ»^{٨٣} ثم امسك، فقال عليه السلام له: ما اسكتك؟ قال احب ان اعرف الكبائر من كتاب الله تعالى فقال:

نعم يا عمرو اكبر الكبائر الشرك «مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ»^{٨٤} ثم اليأس من روح الله «لَا يَيْئَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ»^{٨٥} ثم الامن من مكر الله تعالى «فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ»

ص: ١٩

«الْخَاسِرُونَ»^{٨٦} و عقوب الوالدين فجعل تعالى العاق «جَبَّارًا شَقِيًّا»^{٨٧} في حكايته عن عيسى عليه السلام «وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا»^{٨٨} و قتل النفس بغير الحق «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا»^{٨٩} و قذف المحصنات «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ»^{٩٠} و اكل مال اليتيم «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصْلُونَ سَعِيرًا»^{٩١} و الفرار من الزحف «وَمَنْ يُؤْلَمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَ بُئْسَ الْمَصِيرُ»^{٩٢} و اكل الربا «الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ»^{٩٣} و السحر «وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ»^{٩٤} و الزنا «وَمَنْ

^{٨٢} (١) البقرة: ٦٨.

^{٨٣} (٢) الشورى: ٣٧.

^{٨٤} (٣) المائدة: ٧٢.

^{٨٥} (٤) يوسف: ٨٧.

^{٨٦} (١) الاعراف: ٩٩.

^{٨٧} (٢) مريم: ٣٢.

^{٨٨} (٣) مريم: ٣٢.

^{٨٩} (٤) النساء: ٩٣.

^{٩٠} (٥) النور: ٢٣.

^{٩١} (٦) النساء: ١٠.

^{٩٢} (٧) الانفال: ١٦.

^{٩٣} (٨) البقرة: ٢٧٥.

^{٩٤} (٩) البقرة: ١٠٢.

يَفْعَلُ ذَلِكَ يَلْقَى أَثَامًا يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ» وَ«يَخْلُدُ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ»^{٩٥} وَالْيَمِينِ الْغَمُوسِ «إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ»^{٩٦} وَالْغُلُولِ «وَمَنْ يَعْلُلْ يَأْتِ بِمَا غُلٌّ يَوْمَ»

ص: ٢٠

«الْقِيَامَةِ»^{٩٧} وَمَنْعَ الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ «يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ»^{٩٨} وَشَهَادَةَ الزُّورِ «وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ»^{٩٩} وَشَرْبَ الْخَمْرِ لِأَنَّهُ تَعَالَى عَدْلٌ بِهِ عِبَادَةُ الْاَوْثَانِ - وَتَرْكَ الصَّلَاةِ مَتَعَمِدًا أَوْ شَيْئًا مِمَّا فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: مَنْ تَرَكَ الصَّلَاةَ مَتَعَمِدًا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ فَقَدْ بَرِءَ مِنْ ذِمَّةِ اللَّهِ وَذِمَّةِ رَسُولِهِ وَنَقَضَ الْعَهْدَ وَقَطِيعَةَ الرَّحِمِ لِأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ» فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ وَ لَهُ صَرْخَةٌ مِنْ بَكَائِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: هَلَكَ وَاللَّهِ مَنْ قَالَ بِرَايِهِ وَنَازَعَكُمْ فِي الْفَضْلِ وَالْعِلْمِ.

«أَوْ صَغِيرٍ ارْصُدْ لَهُ غَفْرَانَهُ» «إِنْ تَجْتَنَّبُوا كِبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلَكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا»^{١٠٠}.

«وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي ادْنَاهُ مَوْسَعٍ فِي اقْصَاهُ» كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ تَقْبَلُ فِي ادْنَاهَا بِالْاِقْتِصَارِ عَلَى وَاجِبَاتِهَا، وَ مَوْسَعٍ فِي اقْصَاهَا بِالْاِتِّْيَانِ بِهَا بِأَدَائِهَا وَ نَوَافِلِهَا، وَقَدْ ذَكَرَ (المقنع) و (المقنعة) و (النهاية) آدَابَ الصَّلَوَاتِ الْوَاحِدَةِ وَ الْخَمْسِينَ رَكْعَةً.

٢

فِي الْخُطْبَةِ (١٢٩) (وَمِنْهَا):

وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ - نَاطِقٌ لَا يَعْيَا لِسَانُهُ - وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ - وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ

ص: ٢١

«وَكِتَابُ اللَّهِ بَيْنَ أَظْهَرِكُمْ» قَالَ الْجَزْرِيُّ: (أَقَامُوا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ) أَيْ: أَقَامُوا بَيْنَهُمْ عَلَى سَبِيلِ الْإِظْهَارِ وَ الْاسْتِظْهَارِ وَ الْاسْتِنَادِ إِلَيْهِمْ^{١٠١}، ثُمَّ كَثُرَ حَتَّى اسْتَعْمَلَ فِي الْإِقَامَةِ بَيْنَ الْقَوْمِ مُطْلَقًا.

«نَاطِقٌ لَا يَعْيَا» أَيْ: لَا يَعْجُزُ.

^{٩٥} (١٠) الْفَرْقَانُ: ٦٨ - ٧٠.

^{٩٦} (١١) آلِ عِمْرَانَ: ٧٧.

^{٩٧} (١) آلِ عِمْرَانَ: ١٦١.

^{٩٨} (٢) التَّوْبَةِ: ٣٥.

^{٩٩} (٣) الْبَقَرَةِ: ٢٨٣.

^{١٠٠} (٤) النَّسَاءِ: ٣١.

^{١٠١} (١) الْنَهَايَةُ لِابْنِ الْأَثِيرِ ٣: ١٦٦، مَادَّةُ (ظَهَرَ): إِسْمَاعِيلِيَانُ: قَم.

«لسانه» بخلاف باقى الناطقين فيعيا لسانهم - و فى (السير): سمع الوليد بن المغيرة من النبىّ صلى الله عليه وآله قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ»^{١٠٢} فقال: و الله ان له لحلاوة، و ان عليه لطلاوة، و ان اعلاه لثمر، و ان اسفله لمغدق، و ما يقول هذا بشر.

«و بيت لا تهدم اركانه» بخلاف باقى البيوت روى ابن بابويه ان رجلا سأل الصادق عليه السلام ما بال القرآن لا يزداد عند النشر و الدرس الاغضاضة؟

فقال: ان الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، و لا لناس دون ناس، فهو فى كل زمان جديد، و عند كل قوم غرض إلى يوم القيامة.

«و عز» بالفتح أى: عزيز كما يفهم من المصباح.

«لا تهزم اعوانه» بخلاف باقى الاعزة و عن الثعلبى فى تفسير قوله تعالى:

«وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا»^{١٠٣} عن أبى سعيد الخدرى، قال:

قال النبىّ صلى الله عليه وآله: ايها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين، ان اخذتم بهما لن تضلوا بعدى احدهما اكبر من الاخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الارض، و عترتى أهل بيتى و انهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض^{١٠٤}.

و عن علىّ عليه السلام: اعلموا ان القرآن هدى الليل و النهار، و نور الليل المظلم

ص: ٢٢

على ما كان من جهد فإذا حضرت بلية فاجعلوا اموالكم دون انفسكم، و إذا نزلت نازلة فاجعلوا انفسكم دون دينكم، و اعلموا ان الهالك من هلك دينه و الحريب من حرب دينه، الا و انه لا فقر بعد الجنة، و انه لا غنى بعد النار، لا يفك اسرها و لا يبرأ جريرها.

هذا، و فى (القاموس): العزيز الملك لغلبيته على أهل مملكته و لقب من ملك مصر مع الإسكندرية.

هذا، و فى (الأغانى) عن بصرى قال: نزلنا فى ظل حصن من حصون الروم فإذا بقائل من فوق الحصن ينشد ابياتا بالعربية، و يبكى فناديته ايها المنشد فاشرف فقلت من أنت؟ قال: من العرب نزلت مكانك هذا فأشرفت على جارية فعشقتها فقالت ان دخلت فى دينى فعلب على الشيطان فقبلت، فقلت اكنت تقرأ القرآن؟ قال: أى و الله لقد حفظته قلت فما تحفظ اليوم منه؟ قال:

^{١٠٢} (٢) النحل: ٩٠.

^{١٠٣} (٣) آل عمران: ١٠٣.

^{١٠٤} (٤) الطوائف لابن طائوس: ١٢٨، و نقله المجلسي فى «بحار الأنوار» ٢٣: ١١٧ ح ٣٣.

لا شيء الا قوله تعالى: «رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ»^{١٠٥} قلت: فهل لك ان تعطيتهم فداء و تخرج؟ ففكر ساعة ثم قال انطلق صبحك الله.

٣

الخطبة (١٢٩) أيضا (و منها):

وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ - إِلَّا وَ يَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ - وَ يَمْلَهُ إِلَّا الْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي الْمَوْتِ رَاحَةً - وَ إِنَّمَا ذَلِكَ بِمَنْزِلَةِ الْحِكْمَةِ - الَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ الْمَيِّتِ - وَ بَصَرٌ لِلْعَيْنِ الْعَمِيَاءِ - وَ سَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَاءِ - وَ رِىٌّ لِلظَّمْآنِ وَ فِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَ السَّلَامَةُ - كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ - وَ تَنْطِقُونَ بِهِ وَ تَسْمَعُونَ بِهِ - وَ يَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ - وَ يَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى

ص: ٢٣

بَعْضٍ - وَ لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ - وَ لَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ - قَدْ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ - وَ نَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمْنِكُمْ - وَ تَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْأَمَالِ - وَ تَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ - لَقَدْ اسْتَهَامَ بِكُمْ الْخَبِيثُ وَ تَاهَ بِكُمْ الْغُرُورُ - وَ اللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَ أَنْفُسِكُمْ أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد هذا الفصل من فصول أربعة: الاولى من اوله إلى قوله (راحة) الثانى إلى قوله (و السلامة) و الثالث من قوله (كتاب الله) إلى (عن الله) و الرابع من (قد اصطلحتم) - إلخ - التقطها الرضى على عادته فى التقاط ما يستفصحه من كلامه عليه السلام.

قلت: قد عرفت فى اول الكتاب ما فى رايه فى التقاط الرضى رضى الله عنه و قلنا بطلان رايه و ممّا يوضع بطلان نظره هذا العنوان فلو كان يلتقط و لا يتقيد بان يرتبط لم قال فى هذا العنوان - أى ١٢٩ - أربع مرات (منها) (منها) منها هذا العنوان و منها سابقه، و كيف يصح ما قال و لا يحصل فصاحة و لا بلاغة الا بربط المعنى، و اما عدم ربط مواضع الفصل الأربعة فقد قال المصنف (و منها) و لم ينقل سابق العنوان حتى نفسهم الربط و لعله فى النسخة تصحيف او كانت نسخة ما نقل عن المصنف مصحفه و بعضهم تكلف للربط.

«و اعلموا ان ليس من شيء الا و يكاد صاحبه ان يشبع منه و يمله الا الحياة» و هو امر وجدانى لا يحتاج إلى برهان، و قد قال تعالى «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ»^{١٠٦}.

و حتى ان الانبياء كانوا محبين الحياة، فروى (الكافى) عن الصادق عليه السلام ان آدم لما عرض عليه ولده نظر إلى داود فاعجبه فزاده خمسين سنة من عمره فنزل عليه جبرئيل و ميكائيل فكتب عليه ملك الموت صكا بالخمسين

ص: ٢٤

^{١٠٥} (١) الحجر: ٢.
^{١٠٦} (١) الجمعة: ٨.

سنة فلما حضرته الوفاة نزل عليه ملك الموت فقال آدم: قد بقي من عمري خمسون سنة، فقال فاين الخمسون التي جعلتها لابنك داود فاما ان يكون نسيها او انكرها فنزل عليه جبرئيل و ميكائيل و شهدا عليه فقبضه ملك الموت قال عليه السلام كان اول صك كتب في الدنيا.

و روى (الاكمال) و (الأمالى) عنه عليه السلام ان ملك الموت لما جاء إلى موسى عليه السلام لقبض روحه قال من اين تقبض روحي؟ قال: من فمك، قال:

كيف؟ و قد كلمت ربّي جلّ جلاله، قال: فمن يديك، قال: كيف؟ و قد حملت بهما التوراة قال: فمن رجلك، قال: كيف؟ و قد وطأت بهما إلى طور سيناء قال: فمن عينيك قال: كيف؟ و لم تزل إلى ربّي بالرجاء ممدودة قال فمن اذنيك قال:

كيف؟ و قد سمعت بهما كلام ربّي جلّ و عزّ فاوحى تعالى إليه لا تقبض روحه حتى يكون هو الذى يريد، فخرج و مكث موسى ما شاء الله ان يمكث و دعا يوشعا فاوصى إليه و امره بكتمان امره و بان يوصى بعده إلى من يقوم بالامر و غاب عن قومه فمر برجل و هو يحفر قبراً فقال له: ألا اعينك؟ فقال:

بلى فاعانه حتى حفر و سوّى اللحد ثم اضطجع فيه موسى لينظر كيف هو فكشف له عن الغطا فرأى مكانه من الجنة فقال يا رب اقبضنى إليك فقبض و سوى عليه التراب و كان الذى يحفر القبر ملك فى صورة آدمى و كان ذلك فى التيه (فصاح صائح من السماء مات موسى كليم الله فای نفس لا تموت) بل ورد ان المؤمن أيضا لا يكره على قبض روحه و لكن يرى درجته حتى يرغب هو.

و اما قول لبيد و كان بلغ مائة و اربعين سنة.

و سؤال هذا الناس كيف لبيد

و لقد سئمت من الحياة و طولها

و قول اكثم بن صيفى و قالوا عاش مائة و تسعين سنة.

ص: ٢٥

إلى مائة لم يسام العيش جاهل

و ان امراً قد عاش تسعين حجة

^{١٠٧} كما فى (الاكمال) و قول المستوغر و كان بقى بقاء طويلا.

و عمرت من عدد السنين مانيا

و لقد سئمت من الحياة و طولها

^{١٠٧} (١) كمال الدين و تمام النعمة للصدوق: ٥٦٥.

و ازددت من عدد الشهور سنينا

مائة ات من بعدها مائتان لى

يوم يكرّ و ليلة تحدونا

هل ما بقى الا كما قد فاتنا

^{١٠٨} و قول زهير بن جناب حين مضت له مائتان من عمره.

احتفى فى صباحى أم مسائى

لقد عمرت حتى لا أبالى

عليه ان يمل من الثواء

و حق لمن ات مائتان عاما

^{١٠٩} كما فى (الغرر) فمرادهم السائمة من شدائد الشيخوخة لا اصل الحياة قال النابغة الجعدى و كان عمره.

و افنيت بعد اناس اناسا

لبست اناسا فافنيتهم

^{١١٠} و قال هو كما فى (الغرر) لأبى العتاهية كما قال ابن أبى الحديد.

تفنى بشاشته و يبقى بعد حلو العين مرء

المرء يهوى ان يعيش و طول عيش ما يضره

كم شامت لى أن هلكت و قائل لله دره

و تتابع الأيام حتى ما يرى شيئا يسره

و سمع زهير بن جناب بعض نسائه تتكلم بما لا ينبغي لامرأة ان تتكلم عند زوجها فنهاها فقالت له: اسكت عني، و الا ضربتك بهذا العمود فو الله ما كنت اراك تسمع شيئا او تعقله فقال:

ص: ٢٦

مع الظعن لا يأتى المحلّ لحين

فللموت خير من حجاج موطا

«فانه لا يجد له فى الموت راحة» فى (شعراء ابن قتيبة)، قال الحطيئة حين موته: احملونى على حمار لعلى انجو، فانه لم يمت عليه كريم ثم قال:

^{١٠٨} (٢) غرر الفوائد (الأمالى) للشريف المرتضى ١: ٢٣٤، تحقيق محمد أبو الفضل، طبع القاهرة.

^{١٠٩} (٣) المصدر نفسه ١: ٢٤١.

^{١١٠} (٤) المصدر نفسه ١: ٢٦٤.

لكل جديد لذة غير أنني

وجدت جديد ف الموت غير لذيد

له خبطة في الحلق ليس بسكر

و لا طعم راح يشتهي و نبيذ

^{١١١} و مات مكانه.

«و انما ذلك بمنزلة الحكمة» في (المجمع): الحكمة، هي العلم الذي يعمل عليه في ما يجتبي او يجتنب من امور الدين و الدنيا^{١١٢}.

«التي هي حياة للقلب الميت» قال تعالى: «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ»^{١١٣} - «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ»^{١١٤}.

«و بصر للعين العمياء» فيجعلها ذات قيمة.

«و سمع للاذن الصماء» فيجعلها مفيدة «و رى للظمان» فيبقى به حياته.

«و فيها الغنى كله و السلامة» من بلاء الدنيا و الاخرة.

في (تفسير القمي) في قوله تعالى: «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ»^{١١٥} «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا»^{١١٦}.

ص: ٢٧

عن الصادق عليه السلام كان لقمان رجلا قويا في امر الله، متورعا في الله ساكتا سكيئا عميق النظر، طويل الفكر، حديد النظر، مستغن بالعبر، لم ينم نهارا قط، و لم يره احد من الناس على بول و لا غائط و لا اغتسال لشدة تستره، و لم يضحك من شيء مخافة الاثم، و لم يغضب قط، و لم يمزح قط، و لم يفرح بشيء من الدنيا، و لا حزن منها على شيء، و قدم اكثر اولاده فرطا، فما بكى على موت احد، و لم يمر برجلين يختصمان او يقتتلان الا اصلح بينهما، و لم يسمع من احد قولا استحسنة الا سألته عن تفسيره و عن اخذه، و كان يكثر مجالسة الفقهاء و الحكماء، و كان يغشى القضاة و الملوك، فيرثي للقضاة بما ابتلوا به، و يرحم للملوك لغرتهم بالله، و يتعلم ما يغلب به نفسه و يجاهد هواه، و يحترز به من الشيطان، و كان لا يظعن الا في ما يعنيه، فبذلك اوتي الحكمة، و منح العصمة، فان الله تعالى امر طوائف الملائكة حين انتصف النهار، و هدأت العيون بالقائلة فنادوا لقمان حيث يسمع و لا يراهم، فقالوا هل لك ان يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس؟ فقال: ان امرني ربي بذلك

^{١١١} (١) الشعر و الشعراء لابن قتيبة: ١٨١، طبع ليدن (١٩٠٢ م).

^{١١٢} (٢) ذكر الطبرسي في «مجمع البيان»: الحكمة العلم الذي يمكن به، الأفعال المستقيمة ١: ٢٣٣، و ذكر البحراني في «مجمع البحرين» الحكمة: العلم الذي يرفع الإنسان عن فصل القبيح ٦: ١٤٥، المكتبة المرتضوية.

^{١١٣} (٣) الانفال: ٢٤.

^{١١٤} (٤) الجمعة: ٢.

^{١١٥} (٥) لقمان: ١٢.

^{١١٦} (٦) البقرة: ٢٦٩.

فالسمع والطاعة و ان فعل بى ذلك اعاننى عليه و علمنى، و ان هو خيرنى قبلت العافية، فقالت الملائكة: لم؟ قال لان الحكم بين الناس باشد المنازل من الدين و اكثر فتنا و بلاء يخذل و يغشاه الظلمة من كل مكان و صاحبه فيه بين امرين ان اصاب فيه الحق فبالحرى ان يسلم و ان اخطأ طريق الجنة فتعجبت الملائكة من حكمته فلما اخذ مضجعه من الليل انزل الله عليه الحكمة فغشاه بها من قرنه إلى قدمه و هو نائم فغطاه بالحكمة فاستيقظ و هو احكم الناس فى زمانه فلما أوتى الحكمة و لم يقبل الخلافة امر الله الملائكة فنادت داود بالخلافة فقبلها و لم يشترط فيها كشرط لقمان فاعطاه الله الخلافة فى الأرض و ابتلى فيها غير مرة- و كان داود يقول له: طوبى لك يا لقمان، أوتيت الحكمة

ص: ٢٨

و صرفت عنك البلية و ما أوتى لقمان الحكمة بحسب و مال و لا بسط جسم و لا جمال.

«كتاب الله تبصرون به» ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين».

فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام قال خطب النبى صلى الله عليه و آله بمنى فقال: ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فانا قلته، ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم اقله ان على كل حق حقيقة، و على كل صواب نورا فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله، فدعوه و قال عليه السلام ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف.

«و تنطقون به» «هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين»^{١١٧} و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام قال إذا حدثتكم بشيء فاسألونى أين هو من كتاب الله، ثم قال فى بعض حديثه: ان النبى صلى الله عليه و آله نهى عن القيل و القال، و فساد المال و كثرة السؤال فقل له اين هذا من كتاب الله؟ قال تعالى «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ»^{١١٨} - و قال تعالى «وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا»^{١١٩} - و قال تعالى: «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ»^{١٢٠}.

«و تسمعون به» «كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير»^{١٢١}.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: انزل تعالى فى القرآن تبيان كل شيء ما ترك شيئا يحتاج إليه العباد الا و قد انزله فيه حتى لا يستطيع عبد يقول لو

ص: ٢٩

^{١١٧} (١) آل عمران: ١٣٨.

^{١١٨} (٢) النساء: ١١٤.

^{١١٩} (٣) النساء: ٥.

^{١٢٠} (٤) المائدة: ١٠١.

^{١٢١} (٥) هود: ١.

كان هذا انزل في القرآن و ما خلق الله حالاً و لا حراماً ما إلا و له حد كحد الدار، فما كان من الطريق فهو من الطريق و ما كان من الدار فهو من الدار حتى ارش الخدش فما سواه و الجلدة أو نصف الجلدة.

هذا، و فيه عن الاصبع عن امير المؤمنين عليه السلام و الذي بعث محمداً صلى الله عليه و آله بالحق و اكرم أهل بيته ما من شيء يطلبونه من حرق او غرق او سرق او فلاة دابة من صاحبها او ضالة او آبق الا هو في القرآن فمن اراد ان يسألني عنه فقام إليه رجل فقال: اخبرني عما يؤمن من الحرق و الغرق فقال اقرأ: «اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»^{١٢٢} «وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»^{١٢٣} ...

«سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»^{١٢٣} فمن قرأها امن من الحرق و الغرق فقرأها رجل و اضطربت النار في بيوت جيرانه و بيته و سطحها فلم يصبه شيء ثم قام رجل آخر و قال: استصعبت على دابتي و انا منها على وجل فقال: اقرأ في اذنها اليمنى: «وَ لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ»^{١٢٤} فقرأها فذلت له دابته و قام إليه آخر، فقال: ان ارضى ارض مسبعة و ان السباع تغشى منزلي و لا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال اقرأ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^{١٢٥} فقرأها فاحتشمه السباع ثم قام آخر فقال: ان في بطني ماء اصفر فهل من شفاء بلا درهم و لا دينار؟ فقال: نعم اكتب على بطنك آية الكرسي و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيرة في بطنك فتبرأ باذن الله تعالى،

ص: ٣٠

ففعل الرجل فبرى، ثم قام آخر فقال اخبرني عن الضالة قال: اقرأ (يس) في الركعتين و قل (يا هادي الضالة رد على ضالتي) ففعل فردها الله عليه ثم قام آخر فقال: اخبرني عن الابق فقال اقرأ «أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ» ... «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»^{١٢٦} فقالها الرجل فرجع إليه الا بق، ثم قام آخر فقال اخبرني عن السرقة فانه لا يزال يسرق لى الشيء بعد الشيء ليلا فقال له: اقرأ إذا آويت إلى فراشك «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ» ... «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيرًا»^{١٢٧}.

ثم قال عليه السلام من بات بارض قفر فقرأ «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» «تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»^{١٢٨} حرسه الملائكة و تباعدت عنه الشياطين، فمضى الرجل فإذا بقرية خراب فبات فيها و لم يذكر هذه الآية فتغشاه الشيطان فإذا هو آخذ بلحيته فقال له صاحبه انظره فاستيقظ الرجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه ارغم الله انك احرسه الان حتى يصبح، فلما اصبح الرجل رجع إليه عليه السلام فاخبره و قال:

^{١٢٢} (١) الاعراف: ١٩٦.

^{١٢٣} (٢) الانعام: ٩١.

^{١٢٤} (٣) آل عمران: ٨٣.

^{١٢٥} (٤) التوبة: ١٢٨-١٢٩.

^{١٢٦} (١) النور: ٤٠.

^{١٢٧} (٢) الاسراء: ١١٠-١١١.

^{١٢٨} (٣) يونس النساء: ٣-١٠.

رايت فى كلامك الشفاء و الصدق، و مضى بعد طلوع الشمس فإذا هو باثر شعر الشيطان مجتمعاً فى الأرض.

«و ينطق بعضه ببعض و يشهد بعضه على بعض» «أ فلا يتدبرون القرآن و لو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً»^{١٢٩}. و هو المعيار لسليم الاخبار من سقيمها فما خالفه زخرف يضرب به الجدار كما مر فى خطبة النبى صلى الله عليه و آله بمنى.

ص: ٣١

«و لا يختلف فى الله و لا يخالف بصاحبه عن الله» «و إنه لتنزىل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين»^{١٣٠} «و ما تنزلت به الشياطين و ما ينبغى لهم و ما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون»^{١٣١} - «و ما كان هذا القرآن أن يفترى من دُون الله و لكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دُون الله إن كنتم صادقين»^{١٣٢} «ما كان حديثاً يفترى و لكن تصديق الذى بين يديه و تفصيل كل شئ و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»^{١٣٣}.

«قد اصطلحتم على الغل» أى: الغش.

«فى ما بينكم» قد عرفت ان ابن أبى الحديد حكم بان هذا الكلام فصل عما قبله لكن يمكن وصله بان المراد صلحهم على الغش بينهم فى ترك القرآن و اكبابهم على ما افتعلوا من الاحاديث وصولاً إلى اغراضهم و ترويجاً لمكاسدهم، روى الكشى عن الباقر عليه السلام ان سلمان كان يقول للناس هربتم من القرآن إلى الاحاديث وجدتم كتاباً دقيقاً حوسبتم فيه على التقير و القطمير و الفتيل و حبة خردل فضاقت عليكم ذلك و هربتم إلى الاحاديث التى اتسعت عليكم^{١٣٤}.

«و نبت المرعى على دمنكم» قال المصنف فى (مجازاته) بعد قول النبى صلى الله عليه و آله «ياكم و خضراء الدمن» فى تأويله قولان الاول نهى صلى الله عليه و آله عن نكاح

ص: ٣٢

المرأة على ظاهر الحسن فى المنبت السوء و البيت السوء، شبه المرأة الحسناء بالروضة الخضراء لجمال ظاهرها، و شبه منبتها السوء بالدمنة لقباحة باطنها و الدمنة هى الابعار المجتمعة تركبها السوابى فإذا اصابها المطر انبتت نباتاً خضراً يروق منظره و يسوء مخبره و الثانى ان النبى صلى الله عليه و آله نهى ان يتلقى اخاه بالظاهر الجميل و ينطوى على الباطن الذميم قال الشاعر:

^{١٢٩} (٤): ٨٢.
^{١٣٠} (١) الشعراء: ١٩٢-١٩٤.
^{١٣١} (٢) الشعراء: ٢١٠-٢١٢.
^{١٣٢} (٣) يونس: ٣٧-٣٨.
^{١٣٣} (٤) يوسف: ١١١.
^{١٣٤} (٥) رجال الكشى للطوسي: ١٨، حديث- قم ٤٢.

و قد ينبت المرعى على دمن الثرى

و تبقى حزازات النفوس كماهيا

كأن الشاعر أراد إنّا و ان لقيناكم بظاهر الطلاقة و البشر فانا نضمركم على باطن الغش و الغمر.

قلت: بل يتعين فى قول النبىّ صلى الله عليه و آله التأويل الاول فان المعانى رواه و زاد قيل: يا رسول الله ما خضراء الدمن؟ قال: (المرأة الحسناء فى منبت السوء) و انما كلامه عليه السلام هنا كبيت الشاعر بقرينه قبله و بعده.

«و تصافيتم على حب الامال و تعاديتم فى كسب الاموال» كما هو حال أهل الدنيا من اتفاقهم على حب آمال الدنيا حتى ييغضون من كان لا يراها و يختلفون و يتعاركون فى تحصيل اموالها و لذا كان الناس فى جميع الادوار من بعد نبيهم صلى الله عليه و آله مع اختلاف مشاربها متفقين على عداوة أهل بيته صلى الله عليه و آله.

«لقد استهام بكم» أى: جعلكم هائمين ذاهبين فى الارض.

«الخبيث» صفة الشيطان.

«و تاء بكم» أى: جعلكم تائهين متحيرين.

«الغرور» بفتح الغين و هو أيضا وصف الشيطان، قال تعالى: «وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ»^{١٣٥}.

«و الله المستعان على نفسى و انفسكم» حتى يعيننا و الاصل فيه قوله

ص: ٣٣

تعالى: «وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ»^{١٣٦}.

٤

فى الخطبة (١٤٨) إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَصَّكُمْ بِالْإِسْلَامِ وَ اسْتَخْلَصَكُمْ لَهُ- وَ ذَلِكَ لِأَنَّهُ اسْمُ سَلَامَةٍ وَ جَمَاعُ كَرَامَةٍ- اصْطَفَى اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُجَهُ وَ بَيَّنَّ حُجَجَهُ- مِنْ ظَاهِرِ عِلْمٍ وَ بَاطِنِ حُكْمٍ- لَا تَفْنَى غَرَائِبُهُ وَ لَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ- فِيهِ مَرَايِعُ النِّعَمِ وَ مَصَابِيحُ الظُّلَمِ- لَا تُفْتَحُ الْخَيْرَاتُ إِلَّا بِمِفَاتِيحِهِ- وَ لَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِمَصَابِيحِهِ- قَدْ أَحْمَى حِمَاهُ وَ أَرْعَى مَرْعَاهُ- فِيهِ شِفَاءُ الْمُسْتَشْفَى وَ كِفَايَةُ الْمُكْتَافَى «ان الله تعالى خصكم بالاسلام و استخلصكم له» «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَ أَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا»^{١٣٧}.

^{١٣٥} (١) لقمان: ٣٣.

^{١٣٦} (١) يوسف: ١٨.

^{١٣٧} (٢) المائدة: ٣.

«وذلك لانه اسم سلامه» «يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين»^{١٣٨}.

«و جماع» بالكسر.

«كرامة» تاوى إليه.

«اصطفى الله» أى: اختار.

«منهجه» أى: طريقه الواضح.

«و بين حججه» أى: براهينه و المراد بكتاب انزله و كانه سقط من النسخة و كيف كان قال تعالى: «لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي»^{١٣٩}

ص: ٣٤

«من ظاهر علم» الظاهر ان المراد علم انباء غيب القرآن الظاهر لكل احد كونها علما.

«و باطن حكم» اسرار ما تضمنه القرآن من الاحكام و من المصالح و المفسد في ما بين من الحلال و الحرام.

«لا تفنى غرائبه و لا تنقضى عجائبه» فى الخبر قيل لأبى عبد الله عليه السلام: ما بال القرآن لا يزداد على النشر و الدرس الاغضاضة؟ فقال: لان الله تعالى لم يجعله لزمان دون زمان، و لا لناس دون ناس فهو فى كل زمان جديد، و عند كل قوم غرض إلى يوم القيامة.

«فيه مرايع النعم» أى: النعم الدائمة المقيمة من (مربع القوم) محل اقامتهم او من (الارض المربعة) أى: مطرت فى الربيع.

«و مصاييح الظلم» أى: سرجها، قال تعالى: «كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^{١٤٠}.

«لا تفتح الخيرات الا بمفاتيحه» «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا» «آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يَعْلَمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^{١٤١}.

«و لا تكشف الظلمات الا بمصاييحه» «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ»^{١٤٢} «قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَ لَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا»^{١٤٣}.

^{١٣٨} (٣) البقرة: ٢٠٨.

^{١٣٩} (٤) البقرة: ٢٥٦.

^{١٤٠} (١) ابراهيم: ١.

^{١٤١} (٢) آل عمران: ١٦٤.

«قد احمى حماه» من (مكان حمى) محظور لا يقرب و المراد انه بين فى

ص: ٣٥

القرآن ما اريد ترك الناس لها من المحرمات كقوله تعالى: «وَلَا تَقْرُبُوا الزَّنى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا»^{١٤٤} «وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ»^{١٤٥} - «وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ»^{١٤٦} و «لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى»^{١٤٧}.

«و ارعى مرعاه» (الظاهر انه كناية عن بيان المحللات التى ابيع للناس التمتع بها، فى قبال احماء الحمى كناية عن المحرمات) قال تعالى: «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^{١٤٨} «قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعُمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنْزِيرٍ فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ»^{١٤٩}.

«فيه شفاء المشتفى» «وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^{١٥٠}.

«و كفاية المكتفى» «و هذا كتاب أنزلناه مبارك فاتبعوه و اتقوا لعلكم ترحمون»^{١٥١} «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا»^{١٥٢} «مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا»^{١٥٣} «إِنَّ هَذَا»

ص: ٣٦

«الْقُرْآنَ يَقْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ وَإِنَّهُ لَهْدَى وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^{١٥٤}.

هذا، و فى فضل حامل قرآن (الكافى)- عن حفص بن غياث سمعت موسى بن جعفر عليه السلام يقول لرجل أ تحب البقاء فى الدنيا؟ فقال: نعم، فقال و لم قال لقراءة (قل هو الله أحد) فسكت عنه فقال لى بعد ساعة يا حفص من مات من اوليائنا و شيعتنا و لم يحسن القرآن علم فى قبره ليرفع الله به درجته فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن يقال له اقرأ و ارق فيقرأ ثم يرقا إلى أن قال حفص: و كانت قراءته عليه السلام حزنا فإذا قرأ فكأنه يخاطب انسانا.

٥

- ^{١٤٢} (٣) الطور: ٣٤.
^{١٤٣} (٤) الاسراء: ٨٨.
^{١٤٤} (١) الاسراء: ٣٢.
^{١٤٥} (٢) الاسراء: ٣٤.
^{١٤٦} (٣) الانعام: ١٥١.
^{١٤٧} (٤) النساء: ٤٣.
^{١٤٨} (٥) الاعراف: ٣٢.
^{١٤٩} (٦) الانعام: ١٤٥.
^{١٥٠} (٧) الاسراء: ٨٢.
^{١٥١} (٨) الانعام: ١٥٥.
^{١٥٢} (٩) الاسراء: ٩.
^{١٥٣} (١٠) الكهف: ٣.
^{١٥٤} (١) النمل: ٧٦-٧٧.

في الخطبة (١٧١) وَاعْلَمُوا أَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ؟ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يُغْشُ - وَ الْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ وَ الْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ - وَ مَا جَالَسَ هَذَا الْقُرْآنَ؟ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَزِيَادَةٌ أَوْ نُقْصَانٌ - زِيَادَةٌ فِي هُدًى أَوْ نُقْصَانٌ مِنْ عَمَى - وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ؟ مِنْ فَاقَةٍ - وَ لَا لِأَحَدٍ قَبْلُ الْقُرْآنِ؟ مِنْ غِنًى - فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَانِكُمْ - وَ اسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأَوَائِكُمْ - فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ - وَ هُوَ الْكُفْرُ وَ النَّفَاقُ وَ الْغَى وَ الضَّلَالُ - فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ وَ تَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ - وَ لَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ - إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِمِثْلِهِ - وَ اعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَ قَائِلٌ مُصَدِّقٌ - وَ أَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ؟ الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفَعَ فِيهِ - وَ مَنْ مَحَلَّ بِهِ؟ الْقُرْآنُ؟ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَّقَ عَلَيْهِ - فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ - أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَ عَاقِبَةُ عَمَلِهِ - غَيْرَ حَرِثَةٍ الْقُرْآنِ؟ - فَكُونُوا مِنْ حَرِثَتِهِ وَ اتَّبَاعِهِ - وَ اسْتَدِلُّوهُ

ص: ٣٧

عَلَى رَبِّكُمْ وَ اسْتَصْحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ - وَ اتَّهَمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ وَ اسْتَغْشَوْا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ «وَ اعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذي لا يغش» بخلاف باقي الناصحين فقد يغشون، قال الشاعر: «و مؤتمن بالغيب غير امين».

و في (المروج) استشعار مروان بن محمد، إسماعيل بن عبد الله القشيري لما انهزم من المسودة بحران أن يلحق بالروم مكاتبا لصاحبها معاهدا له حتى يحصل له استعداد و كان هو الرأي فغشه و قال له اعيزك بالله من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك و حرمك و لكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام إلى أن قال بعد ذكر و ثوب أهل البلاد عليه فعلم مروان ان اسماعيل غشه في الرأي و انه فرط في مشورته إذ شاور رجلا من قحطان موترا متعصبا من قومه على اضدادهم من نزار، و ان الرأي الذي هم بفعله من قطع الدرب و نزول بعض حصون الروم و مكاتبه ملكها إلى أن يرتأى في أمره كان اولى - إلخ - قال تعالى في كتابه: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ»^{١٥٥}.

«وَ الْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ» «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^{١٥٦} «وَ يُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنْتُمْ فِيهِ أَبَدًا»^{١٥٧}.

«وَ الْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ» «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^{١٥٨} - و في (الاسد) عن أبي وداعة الحميدى قال: كنت

ص: ٣٨

إلى جنب مالك بن عبادَةَ أَبِي موسى الغافقي و عقبه بن عامر يحدث عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فَقَالَ أَبُو موسى: ان صاحبكم لحافظ أو هالك ان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ خطبنا في حجة الوداع، فقال: عليكم بالقرآن فانكم ترجعون إلى قوم يشتهون الحديث فمن عقل شيئا فليحدث به و من افترى على فليتبوأ مقعده من النار.

^{١٥٥} (١) الواقعة: ٧٧ - ٨٠.

^{١٥٦} (٢) الاسراء: ٩.

^{١٥٧} (٣) الكهف: ٢ - ٣.

^{١٥٨} (٤) فصلت: ٤٢.

و كل حديث لا يوافقه كذب- فروى العياشى عن الصادق عليه السلام قال: ما جاءك فى رواية من برّ أو فاجر يوافق القرآن فخذ به، و ما جاءك فى رواية من برّ أو فاجر يخالف القرآن فلا تأخذ به.

«و ما جالس هذا القرآن أحد» إذا لم يكن من أهل العناد و الطغيان.

«إِلَّا قَامَ عَنْهُ بَزِيَادَةٌ أَوْ نَقْصَانٌ زِيَادَةٌ فِي هُدًى أَوْ نَقْصَانٌ مِنْ عَمَى» و أما من كان من أهل اللجاج فلا يزيده إلا عمى، قال تعالى: «وَ إِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَيْكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيْمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَ هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَ أَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَ مَاتُوا وَ هُمْ كَافِرُونَ أَوْ لَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَ لَا هُمْ يَذْكُرُونَ»^{١٥٩} - «قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءٌ وَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَ هُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ»^{١٦٠} - و قال فى المؤمنين: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَ إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَ عَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ»^{١٦١} - و قال فى غيرهم:

«وَ إِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوءًا»^{١٦٢}.

ص: ٣٩

«و اعلموا انه ليس على أحد بعد القرآن من فاقة» «تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ»^{١٦٣} «وَ لَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَ لَا رَطْبٍ وَ لَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^{١٦٤}.

«وَ لَا لَاحِدَ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غَنًى» «هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ»^{١٦٥}.

«فاستشفوه من ادوائكم» روى العياشى عن الصادق عليه السلام: عليكم بالقرآن فما وجدتم آية نجاها من كان قبلكم فاعملوا به، و ما وجدتموه ممّا هلك من كان قبلكم فاجتنبوه.

«و استعينوا به على لأوائكم» أى: شدّتكم- و فى (الكافى) عن الزهرى، قال على بن الحسين عليه السلام لو مات من بالشرق و المغرب ما توحشت بعد ما كان القرآن معى، و كان عليه السلام إذا قرأ «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ»^{١٦٦} يكررها حتى كاد أن يموت.

١٥٩ (١) التوبة: ١٢٤-١٢٦.
١٦٠ (٢) فصلت: ٤٤.
١٦١ (٣) الانفال: ٢.
١٦٢ (٤) الجاثية: ٩.
١٦٣ (١) النحل: ٨٩.
١٦٤ (٢) الانعام: ٥٩.
١٦٥ (٣) الجمعة: ٢.
١٦٦ (٤) الفاتحة: ٢.

«فان فيه الشفاء من أكبر الداء و هو الكفر و النفاق و الغي و الضلال» «قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا»^{١٦٧} - «يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَ شِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ»^{١٦٨}.

«فاسألوا الله به و توجهوا إليه بحبه» في (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله: ان أهل

ص: ٤٠

القرآن في أعلى درجة من الادميين ما خلا النبيين من المرسلين، و لا تستضعفوا أهل القرآن حقوقهم فان لهم من الله العزيز الجبار لمكانا عليا.

«و لا تسألوا به خلقه أنه ما توجه العباد إلى الله بمثله» في (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله ان أحق الناس بالتخشع في السرّ و العلانية لحامل القرآن و ان أحقّ الناس في السرّ و العلانية بالصلاة و الصوم لحامل القرآن - ثم نادى بأعلى صوته: يا حامل القرآن، تواضع به يرفعك الله، و لا تعزز به فيذلّك الله، يا حامل القرآن تزيّن به لله يزينك الله به، و لا تزيّن به للناس فيشينك الله به - إلى أن قال: - و من أوتي القرآن فظن أن أحداً من الناس أوتي أفضل ممّا أوتي فقد عظم ما حقر الله و حقر ما عظم الله.

«و اعلموا أنه شافع و مشفع و قائل و مصدق» هكذا في (المصرية)، و الصواب: (شافع مشفع و قائل مصدق) بدون و او في الموضوعين كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

قال ابن أبي الحديد قال ابن ميثم استعار عليه السلام لفظي (الشافع) و (المشفع) و وجه الاستعارة كون تدبره و العمل بما فيه ماحيا لما يعرض للنفس من الهيات الرديئة من المعاصي و ذلك مستلزم لمحو غضبه كما يمحو الشفيع المشفع أثر الذنب عن قلب المشفوع إليه، و كذلك لفظ (القائل المصدق) و وجه الاستعارة كونه ذا ألفاظ إذا نطق بها لا يمكن تكذيبها.

ثم قال الخوئي لا يجوز حمل الكلام على المجاز ما دام إمكان الحمل على الحقيقة و يدلّ على كونه على الحقيقة ما في (الكافي) عن سعد الخفاف عن أبي جعفر عليه السلام قال: تعلّموا القرآن فان القرآن يأتي يوم القيامة في أحسن صورة نظر إليها الخلق و الناس عشرون و مائة ألف صف، ثمانون ألف من أمة محمّد صلى الله عليه و آله و أربعون ألف من سائر الأمم، فيأتي على صف المسلمين في

ص: ٤١

صورة رجل مسلم فينظرون إليه ثم يقولون لا إله إلاّ الله الحليم الكريم، ان هذا الرجل من المسلمين نعرفه بنعته و صفته غير أنه كان أشدّ اجتهادا منّا في القرآن - الخبر.

^{١٦٧} (٥) الجن: ١ - ٢.

^{١٦٨} (٦) يونس: ٥٧.

و عن يونس بن عمار عن الصادق عليه السلام قال ان الدواوين يوم القيامة ثلاثة: ديوان فيه النعم، و ديوان فيه الحسنات، و ديوان فيه السيئات، فيقابل بين ديوان النعم و ديوان الحسنات فيستغرق النعم عامة الحسنات، و يبقى ديوان السيئات فيدعى بآدم المؤمن للحساب فيتقدم القرآن أمامه في أحسن صورة فيقول: يا ربّ أنا القرآن و هذا عبدك المؤمن قد كان يتعب نفسه بتلاوتي و يطيل ليله بترتيلي و تفيض عيناه إذا تهجد، فارضه كما أرضاني فيقول تعالى: ابسط يمينك فيملاها من رضوان الله و يملأ شماله من رحمة الله، ثم يقال: هذه الجنة مباحة لك فاقراً و اصعد درجة.

و عن إسحاق بن غالب عنه عليه السلام قال إذا جمع الله تعالى الأولين و الآخرين هم بشخص لم يرقط أحسن صورة منه، فإذا نظر إليه المؤمنون و هو القرآن قالوا: هذا منا هذا أحسن شيء رأيناه، حتى إذا انتهى إليهم جازهم ثم ينظر إليه الشهداء حتى إذا انتهى إلى آخرهم جازهم فيجوزهم كلّهم حتى إذا انتهى إلى المرسلين فيقولون: هذا القرآن فيجوزهم حتى ينتهي إلى الملائكة فيقولون هذا القرآن فيجوزهم ثم ينتهي حتى يقف عن يمين العرش فيقول الجبار و عزتي و جلالتي، و ارتفاع مكاني لأكرمن اليوم من أكرمك و لأهينن من أهانك.

و عن الفضيل بن يسار عنه عليه السلام قال النبي صلى الله عليه و آله: تعلموا القرآن فإنه يأتي صاحبه يوم القيامة في صورة شاب جميل شاحب اللون، فيقول له: أنا القرآن الذي كنت أسهرت ليلك، و أظمأت هو اجرک، و أجففت ريقك، و أسلت

ص: ٤٢

دمعتك - الخبر - قلت حمل الأخبار الأربعة على الاستعارة أيضاً جائزة و ان كان خلاف الظاهر، و يشهد له ما في آخر الأول قال سعد: قلت يا أبا جعفر، و هل يتكلم القرآن؟ فتبسّم عليه السلام ثم قال: رحم الله الضعفاء من شيعتنا أنهم أهل تسليم، ثم قال نعم و الصلاة تتكلم، و لها صورة و خلق تأمر و تنهى.

قال سعد: فتغيّر لذلك لوني، و قلت هذا شيء لا أستطيع التكلم به في الناس فقال عليه السلام: و هل الناس إلّا شيعتنا فمن لم يعرف الصلاة فقد أنكر حقنا ثم قال: يا سعد اسمع كلام القرآن؟ فقلت بلى فقال: «إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»^{١٦٩} فالنهي كلام و الفحشاء رجال و نحن ذكر الله و نحن أكبر.

و كذلك ما مر في آخر الثاني (يقول تعالى: ابسط يمينك فيملاها من رضوان الله) فإنه معلوم كون هذا استعارة - و الحمل على لسان الحال كما في قوله تعالى: «فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^{١٧٠} غير بعيد.

«فأنه من شفع له القرآن يوم القيامة شفع فيه و من محل به القرآن» من (محل به إلى السلطان) إذا سعى به إليه.

«يوم القيامة صدق عليه» و شفاعته القرآن شفاعته صاحبه و محله محله.

«وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا»^{١٧١}.

^{١٦٩} (١) العنكبوت: ٤٥.
^{١٧٠} (٢) فصلت: ١١.

و فى (تاريخ بغداد)، كتب منصور السلمى إلى بشر المرسى الكلام فى

ص: ٤٣

القرآن خالق أو مخلوق بدعة اشترك فيها السائل والمجيب، فتعاطى السائل ما ليس له و تكلف المجيب ما ليس عليه و ما أعلم خالقا إلا الله، و ما دونه مخلوق و لو كان القرآن خالقا لم يكن للذين دعوه إلى الله شافعا و لا بالذين ضيعوه ما حلا- فأنته فى القرآن إلى أسمائه التى سمّاه الله بها و لا تسم القرآن باسم من عندك.

«فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى فى حرثه و عاقبة عمله غير حرثه القرآن فكونوا من حرثه و اتباعه» اما ابتلاء غير حرثه القرآن فواضح حتى بالنسبة إلى نكاح النساء للأولاد فقال تعالى «نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأَتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ»^{١٧٢} و قال: «إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ»^{١٧٣} و قال: «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»^{١٧٤} * - و اما حرثه القرآن فهم حرثه الآخرة و فى سورة الشورى الآية «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ»^{١٧٥}.

و من حرث الدنيا الحرث و باقى مستمتعاتها، قال تعالى: «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ»^{١٧٦} - و من حرث القرآن، ما قال تعالى بعده: «قُلْ أَ تُبْنِيكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكَمُ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ

ص: ٤٤

«مُطَهَّرَةٌ وَ رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ»^{١٧٧}.

هذا و فى (الأغانى)، قال ابن عياش كان الشعبى زوج اخت أعشى همدان و كان أعشى زوج اخت الشعبى فأتاه أعشى يوما- و كان أحد القراء للقرآن- فقال له: انى رأيت كائى أدخلت بيتا فيه حنطة و شعير، و قيل لى: خذ أيهما شئت فأخذت الشعير، فقال: ان صدقت رؤياك تركت القرآن و قراءته، و قلت الشعر- فكان كما قال.

«و استدلوه» أى: اجعلوه دليلا.

«على ربكم و استنصحوه» أى: اجعلوه ناصحا.

^{١٧١} (٣) الفرقان: ٣٠.

^{١٧٢} (١) البقرة: ٢٢٣.

^{١٧٣} (٢) التغابن: ١٤.

^{١٧٤} (٣) التغابن: ١٥.

^{١٧٥} (٤) الشورى: ٢٠.

^{١٧٦} (٥) آل عمران: ١٤.

^{١٧٧} (١) آل عمران: ١٥.

«على أنفسكم و اتهموا عليه اراءكم» فى قبالة.

روى العياشى عن أبى جعفر عليه السلام: ليس شىء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن ان الآية ينزل أولها فى شىء و آخرها فى شىء- و زاد فى خبر آخر- و هو كلام متصل ينصرف على وجوه.

«و استغشوا فيه أهواءكم» أى: احكموا على أهوائكم المخالفة لها بالغش.

روى الصدوق عن النبى صلى الله عليه و آله: لعن الله المجاهدين فى دين الله على لسان سبعين نبيا و من جادل فى آيات الله فقد كفر، قال عز و جل: «ما يُجادِلُ فى آياتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فى الْبِلَادِ»^{١٧٨} و من فسر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب- إلى أن قال الراوى عبد الرحمن بن سمره- فقلت: يا رسول الله ارشدنى إلى النجاة فقال: يا ابن سمره إذا اختلفت الأهواء و تفرقت الآراء فعليك بعلى بن أبى طالب^{١٧٩}- الخبر-.

ص: ٤٥

٤

الخطبة (١٧١) قال فى تلك الخطبة: و إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هَذَا؟ الْقُرْآن؟- فَإِنَّهُ حَبَلُ اللَّهِ الْمَتِينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ- وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَاجِيْعُ الْعِلْمِ- وَ مَا لِلْقَلْبِ جَلَاءٌ غَيْرُهُ مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ الْمُتَذَكِّرُونَ- وَ بَقِيَ النَّاسُونَ أَوْ الْمُتَنَاسُونَ «و ان الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن» «لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْنَاهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ»^{١٨٠}.

«فأنه حبل الله المتين» روى أحمد بن حنبل فى مسنده، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال النبى صلى الله عليه و آله: انى تارك فيكم ما ان تمسكتكم به لن تضلوا بعدى، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض و عترتى أهل بيتى، و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض»^{١٨١}.

و روى الثعلبى فى تفسير قوله تعالى: «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا»^{١٨٢} عن أبى سعيد عن النبى صلى الله عليه و آله قال: أيها الناس قد تركت فيكم الثقليين خليفتي ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدى، أحدهما أكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض^{١٨٣}- الخبر-.

«و سببه» أى: واسطته.

^{١٧٨} (٢) المؤمن: ٤.

^{١٧٩} (٣) ذكره المجلسي في بحار الأنوار رواية ٣٦: ٢٢٧. ٣.

^{١٨٠} (١) الحشر: ٢١.

^{١٨١} (٢) مسند الامام أحمد بن حنبل ٣: ١٤، دار صادر- بيروت.

^{١٨٢} (٣) آل عمران: ١٠٣.

^{١٨٣} (٤) تكرر الكلام فى الصفحة (٢١).

«الأمين وفيه ربيع القلب» «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَنَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ»

ص: ٤٦

«إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ»^{١٨٤}.

«و ينابيع العلم» «ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^{١٨٥} «تَبَيَّنَا لِكُلِّ شَيْءٍ» «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^{١٨٦}.

«و ما للقلب جلاء غيره» و ما ورد عنهم عليهم السلام من أن أحاديثنا جلاء لقلوبكم لا ينافي كلامه عليه السلام إذ جميع أحاديثهم مأخوذة من القرآن قال الباقر عليه السلام لأبي الجارود: إذا حدثتكم بشيء - فاسألوني أين هو من كتاب الله - ثم قال في بعض حديثه: ان النبي صلى الله عليه وآله نهى عن القيل و القال، و فساد المال و كثرة السؤال فقليل له أين هذا من كتاب الله؟ قال: قال عز و جل: «لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ»^{١٨٧} - «و لَا تَوَدُّ السُّفَهَاءُ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً»^{١٨٨} - «لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسْأَلُكُمْ»^{١٨٩}.

«مع أنه قد ذهب المتذكرون» «وَلَقَدْ يَسْرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ»^{١٩٠} *.

«و بقى الناسون أو المتناسون» «و لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ»^{١٩١}.

ص: ٤٧

٧

في الخطبة (١٧٨) منها في ذكر القرآن:

؟ فَالْقُرْآنُ؟ أَمْرٌ زَاجِرٌ وَ صَامِتٌ نَاطِقٌ - حُجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ أَخَذَ عَلَيْهِ مِيثَاقَهُ - وَ ارْتَهَنَ عَلَيْهِمْ أَنْفُسَهُمْ أَتَمَّ نُورُهُ - وَ اكْمَلَ بِهِ دِينَهُ وَ قَبَضَ نَبِيَّهُ ص - وَ قَدْ فَرَعَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ «فَالْقُرْآنُ أَمْرٌ» بالمعروف.

«زاجر» عن المنكر.

^{١٨٤} (١) الزمر: ٢٣.

^{١٨٥} (٢) الانعام: ٣٨.

^{١٨٦} (٣) الاسراء: ٨٨.

^{١٨٧} (٤) النساء: ١١٤.

^{١٨٨} (٥) النساء: ٥.

^{١٨٩} (٦) المائدة: ١٠١.

^{١٩٠} (٧) القمر: ١٧.

^{١٩١} (٨) الحشر: ١٩.

«كِتَابٌ فَصَّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا»^{١٩٢} - «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قِيمًا لِيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِمَّنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»^{١٩٣}.

«صامت ناطق» «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ»^{١٩٤}.

قال ابن أبي الحديد جعله عليه السلام صامتا ناطقا لأنه من حيث هو حروف و أصوات صامت إذ كان الغرض يستحيل أن يكون ناطقا لأن النطق حركة الأداة بالكلام، و الكلام يستحيل أن يكون ذا أداة ينطق بالكلام و هو من حيث انه يتضمن الأخبار و الأمر و النهى و النداء و غير ذلك من أقسام الكلام كالناطق لأن الفهم يقع عنده، و هذا من باب المجاز كما تقول هذه الربوع

ص: ٤٨

الناطق و اخبرتنى الديار بعد رحيلهم بكذا و تبعه الخوئي.

قلت ما ذكره خبط، فانما مراده عليه السلام بالقرآن المصحف و المصحف خط و الخط صامت و من قرأه ينطق عنه فكانه هو الناطق - و يشهد له قوله عليه السلام فى الاحتجاج على الخوارج.

فى ١٢١- ١ «أنا لم نحكم الرجال و انما حكّمنا القرآن، و هذا القرآن انما هو خط مسطور بين الدفتين، لا ينطق بلسان و لا بد له من ترجمان و انما ينطق عنه الرجال».

كما ان تمثيله بقولهم (الربوع الناطقة) و مثله أيضا بلا ربط، لأن ذلك لسان الحال و القرآن لسان القائل.

«حَجَّةُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ» «وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَ اتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ أَنْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِنْ قَبْلِنَا وَ إِنْ كُنَّا عَنْ دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّا أَنْزَلْنَا الْكِتَابَ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ»^{١٩٥} «أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ» «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرَثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَى وَ يَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَ إِنْ يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَ دَرَسُوا مَا فِيهِ»^{١٩٦}.

«وَ إِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبَيَسَ مَا يَشْتَرُونَ»^{١٩٧}.

«و ارتهن عليه أنفسهم» حيث ألزمهم العمل به.

^{١٩٢} (١) فصلت: ٣- ٤.

^{١٩٣} (٢) الكهف: ١- ٤.

^{١٩٤} (٣) النمل: ٧٦.

^{١٩٥} (١) الانعام: ١٥٥- ١٥٦.

^{١٩٦} (٢) الاعراف: ١٦٩.

^{١٩٧} (٣) آل عمران: ١٨٧.

ص: ٤٩

«أَتَمَّ نوره» هكذا فى النسخ، و عليه فالمعنى (أَتَمَّ الله نور القرآن) و لكن الظاهر ان الأصل (أَتَمَّ به نوره) أى أَتَمَّ الله به نور نفسه بقرينة ما بعده - قال تعالى: «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^{١٩٨}.

«و أكمل» هكذا فى (المصرية)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (و أكرم).

«به دينه» «فَإِنَّهُ نَزَلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ هُدًى وَ بَشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ»^{١٩٩}.

«و قبض نبيه صلى الله عليه و آله و قد فرغ إلى الخلق من أحكام» بالكسر.

«الهدى به» أى: جعل الهدى محكماً بالقرآن.

روى ابن سعد فى (طبقاته) عن عايشة قالت: كنت جالسة عند النبى صلى الله عليه و آله فجاءت فاطمة تمشى كأن مشيتها مشية النبى صلى الله عليه و آله فقال مرحبا بابنتى فأجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم أسرَّ إليها شيئاً فبكت، ثم أسرَّ إليها فضحكت، قالت قلت ما رأيت ضحكا أقرب من بكاء استخصك النبى بحديثه ثم تبكين، قلت: أى شىء أسرَّ إليك؟ فقالت ما كنت لأفشى سره فلما قبض صلى الله عليه و آله سألتها، فقالت قال: ان جبرئيل كان يأتينى كل عام فيعارضنى بالقرآن مرة و أنه أتانى اليوم فعارضنى مرتين، و لا أظنَّ إلَّا أجلى قد حضر و نعم السلف أنا لك.

قال ابن أبى الحديد ذكر عليه السلام ان الله قبض رسوله و قد فرغ إلى الخلق

ص: ٥٠

بالقرآن من الاكمال و الاتمام لقوله تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ»^{٢٠٠} قلت انما يتم هذا الكلام على مذهب الامامية القائلين بكون الامام قيم القرآن، و إلَّا فكيف فرغ بالقرآن مع الاكمال مع هذه الاختلافات و تفسير كل فرقة للقرآن على مشربها.

٨

فى الخطبة (١٥١) وَ عَلَيْكُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ - فَإِنَّهُ الْحَبْلُ الْمَتِينُ وَ النُّورُ الْمُبِينُ - وَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ وَ الرِّىُّ النَّافِعُ - وَ الْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَ النِّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ - لَا يَعْوجُّ فِيقَامَ وَ لَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ - وَ لَا يُخْلِقُهُ كَثْرَةُ الرَّدِّ وَ وُلُوجُ السَّمْعِ - مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَ مَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ «و عليكم بكتاب الله فإنه الحبل المتين» روى الثعلبى فى تفسير:

«وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَ لَا تَفَرَّقُوا»^{٢٠١} بأسانيد عن النبى صلى الله عليه و آله قال:

^{١٩٨} (١) التوبة: ٣٢.

^{١٩٩} (٢) البقرة: ٩٧.

^{٢٠٠} (١) المائدة: ٣.

أيها الناس قد تركت فيكم الثقيلين خليفتين، ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدى أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، و عترتي أهل بيتي ألا و انهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض^{٢٠٢}.

«و النور المبين» «كِتَابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^{٢٠٣}.

و روى الحميدى فى الجمع بين الصحيحين عن زيد بن أرقم، قال قام النبى صلى الله عليه و آله فينا خطيبا بماء يدعى خمأ بين مكة و المدينة- ثم قال: أيها الناس

ص: ٥١

انما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربى فأجيب و انى تارك فيكم الثقيلين أولهما كتاب الله فيه الهدى و النور فخذوا بكتاب الله و استمسكوا به- فحث على كتاب الله و رغب- ثم قال: و أهل بيتى أذكركم الله فى أهل بيتى^{٢٠٤}.

«و الشفاء النافع» لمريض عالج به، فقال تعالى: «قُلْ هُوَ الَّذِي آمَنُوا هُدًى وَ شِفَاءً»^{٢٠٥} «و الرى» و هو ضد العطش.

«النافع» من (نقع الماء العطش) إذا سكنه.

«و العصمة» عن الضلال.

«للمتمسك» به فقد قال النبى صلى الله عليه و آله فيه و فى عترته. (ان تمسكتم بهما لن تضلوا أبدا).

«و النجاة» من المهالك.

«للمتعلق» به قال تعالى: «وَ كَذَلِكَ نُنْجِي الْمُؤْمِنِينَ»^{٢٠٦}.

«لا يعوج» ككثير من الخلق.

«فيقام» أى: يجعل مستقيما قال تعالى: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَ يُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا مَا كُنَّ فِيهِ أَبَدًا وَ يُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا»^{٢٠٧}.

«و لا يزيغ» أى: يميل إلى الباطل.

^{٢٠١} (٢) آل عمران: ١٠٣.

^{٢٠٢} (٣) مَرَّ الْكَلَامِ فِي الصَّفْحَةِ (٢١).

^{٢٠٣} (٤) إبراهيم: ١.

^{٢٠٤} (١) ذكره المجلسي في «بحار الأنوار» ٢٢: ١١٧ رواية ٣٤ باب ٧ نقلا عن «الطرائف» لابن طاوس: ١٢٢ حديث ١٨٦ مطبعة الخيام- قم.

^{٢٠٥} (٢) فصلت: ٤٤.

^{٢٠٦} (٣) الانبياء: ٨٨.

^{٢٠٧} (٤) الكهف: ١- ٤.

«فيستعجب» أى: يطلب منه الرجوع إلى الحق.

«و لا يخلقه» افعال من (خلق التوب) بالضم إذا بلى.

«كثرة الرد» «لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^{٢٠٨}.

و لقد ردوا عليه من يوم نزل إلّا أنّه لا أثر لردودهم لوضوح بطلانها، و لصدورها من أهل الزيع و الأهواء، و لأنّ كلّ رد أورده أحد من أهل الباطل أجاب عنه أهل الحق بأجوبة متعددة- و أوّل من أجاب عن شبهات أهل الشبهة فى القرآن هو عليه السلام من أراد الوقوف عليها راجع (توحيد) ابن بابويه.

«و ولوج» بالجر.

«السمع» أى: لا يخلقه كثرة دخوله السمع بتلاوة الانسان له ليلا و نهارا و استماعه من غيره بخلاف غيره من الكتب فتخلق بسماعها مرتين.

«من قال به صدق» لأنه الحق.

«و من عمل به سبق» غير العامل به إلى الدرجات.

هذا، و روى (سنن أبى داود) عن أنس عن النبى صلى الله عليه و آله: مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة ريحها طيب، و طعمها طيب، و مثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل التمرة طعمها طيب و لا ريح لها، مثل الفاجر الذى يقرأ القرآن كمثل الريحانة ريحها طيب و طعمها مر، و مثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة طعمها مر و لا ريح لها^{٢٠٩}.

فى الخطبة (١٩٣) ثُمَّ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الْكِتَابُ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ- وَ سِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ وَ بَحْرًا لَا يُدْرِكُ قَعْرُهُ- وَ مِنْهَا جَاءَ لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ وَ شُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْؤُهُ- وَ فِرْقَانًا لَا يُخْمدُ بُرْهَانُهُ وَ تَبَيَّنَا لَا تُهْدمُ أَرْكَانُهُ- وَ شِفَاءٌ لَا تُخْشى أَسْقَامُهُ- وَ عِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ وَ حَقًّا لَا تُخْذلُ أَعْوَانُهُ- فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَ بُحْبُوحَتُهُ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَ بُحُورُهُ- وَ رِيَاضُ الْعَدْلِ وَ غُدْرَانُهُ وَ أَثَافِيُ الْإِسْلَامِ وَ بُنْيَانُهُ- وَ أَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَ غِيْطَانُهُ وَ بَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُتَنَزِّفُونَ- وَ عُيُونٌ لَا يُنْضِيبُهَا الْمَاتِحُونَ- وَ مَنَاهِلٌ لَا يَغِيْضُهَا الْوَارِدُونَ- وَ مَنَازِلٌ لَا يُضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ- وَ أَعْلَامٌ لَا يَغْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ- وَ آكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا الْقَاصِدُونَ جَعَلَهُ اللَّهُ رِيًّا لِعَظَمَةِ الْعُلَمَاءِ

^{٢٠٨} (١) فصلت: ٤٢.

^{٢٠٩} (٢) سنن أبى داود ٤: ٢٥٩ حديث ٤٨٢٩ طبع مصر.

وَرَبِيعاً لِقُلُوبِ الْفُقَهَاءِ - وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ الصُّلَحَاءِ وَ دَوَاءَ لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ - وَ نُوراً لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَ حَبْلاً وَثِيقاً عُرْوَتُهُ - وَ مَعْقِلاً مَنِيحاً ذُرْوَتُهُ وَ عِزّاً لِمَنْ تَوَلَّاهُ - وَ سِلْماً لِمَنْ دَخَلَهُ وَ هُدًى لِمَنْ اتَّيَمَّ بِهِ - وَ عُذْراً لِمَنْ انْتَحَلَهُ وَ بُرْهَاناً لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ - وَ شَاهِداً لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ وَ فُلْجاً لِمَنْ حَاجَّ بِهِ - وَ حَامِلاً لِمَنْ حَمَلَهُ وَ مَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ - وَ آيَةً لِمَنْ تَوَسَّسَ وَ جُنَّةً لِمَنْ اسْتَنَامَ - وَ عِلْماً لِمَنْ وَعَى وَ حَدِيثاً لِمَنْ رَوَى وَ حُكْماً لِمَنْ قَضَى «ثم أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحہ» «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَ يَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^{٢١٠}.

«و سراجا لا يخبو» أى: لا يطفأ.

ص: ٥٤

«توقده و بحرا لا يدرك قعره» «و ما يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ»^{٢١١} «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَ لَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»^{٢١٢}.

«و منهاجا» أى: طريقا واضحا.

«لا يضل نهجه» «وَ إِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ»^{٢١٣} «وَ مَا تَنْزَلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ»^{٢١٤}.

«و شعاعا لا يظلم ضوءه» «وَ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبِينَاتٍ»^{٢١٥} - «وَ كَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ»^{٢١٦}.

«و فرقانا» قال الجوهري: كل ما فرق به بين الحق و الباطل فهو فرقان.

«لا يخمد» من (خمدت النار) إذا سكن لهبها و لم يطفأ جمرها.

«برهانه» فى الأساس (البرهان بيان الحجّة و ايضاحها مشتق من البرهره و هى البيضاء من الجوارى كما اشتق السلطان من السليط) و هو كما ترى.

«و تبياناً» هكذا فى (المصرية)، و لا معنى له و الصواب: (و بنيانا) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«لا تهدم أركانه» «إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ»^{٢١٧}.

^{٢١٠} (١) التوبة: ٣٢.

^{٢١١} (١) آل عمران: ٧.

^{٢١٢} (٢) الكهف: ١٠٩.

^{٢١٣} (٣) الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

^{٢١٤} (٤) الشعراء: ٢١٠.

^{٢١٥} (٥) النور: ٣٤.

^{٢١٦} (٦) الحج: ١٦.

«و شفاء لا تخشى أسقامه» ... «و يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»^{٢١٨} «و شِفاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ»^{٢١٩}.

«و عزاً لا تهزم أنصاره» «أَتُنَوِّنِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{٢٢٠}.

«و حقاً لا تخذل أعوانه» «وَ إِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَ آمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَ يُجْرِكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ»^{٢٢١}.

«فهو معدن الايمان و بحبوحته» أى: وسطه، لأن الايمان يحصل بعد شهود المعجز، و القرآن أكبر معجز - و ذكر الكراچكى فى اعجازه طرقاً منها عجز بلغاء العرب عن الاتيان بمثله فى فصاحته و نظمه، مع علمهم بأن النبى صلى الله عليه و آله قد جعله علماً على صدقه و سماعهم للتحدى فيه على ان يأتوا بسورة من مثله هذا مع اجتهدهم فى دفع ما أتى به.

و توفر دواعيهم على إبطال أمره، و استفراغ مقدورهم فى أذيته، و تعذيب أصحابه، و طرد المؤمنين به، ثم ما فعلوه بعد ذلك من بذل النفوس و الأموال فى حربه و الحرص على اهلاكه مع علمهم بأن ذلك لا يشهد بكذبه، و لا فيه إبطال الحجّة و لا يقوم مقام معارضة فى ما جعله دلالة على صدقه، و تحداهم على الاتيان بمثله، و قد كانوا قوماً فصحاء حكماء عقلاء لا يصبرون

على التقرير، و لا يتفاضون عن التعجيز، و عاداتهم معروفة إلى الافتخار، و تحدّى بعضهم لبعض بالخطب و الأشعار، و فى انصرافهم عن المعارضة دلالة على أنّها كانت متعذرة عليهم، و فى التجائهم إلى الحروب الشاقةً دونها بيان أنّها الأيسر عندهم و أى عاقل يطلب أمراً بما فيه هلاك ماله و التنغير بنفسه، و هو يقدر على كلام يغنيه بذلك، و ينال به أمله و مراده فلا يفعل، هذا ما لا يتصور فى العقل و لا يتثبت فى الوهم، و فى عجزهم الذى ذكرناه حجّة فى معجز القرآن فى صحّة نبوة نبينا.

«و ينابيع العلم و بحوره» «ما فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ»^{٢٢٢} «وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ»^{٢٢٣}.

قال الكراچكى: و من اعجاز القرآن، ما تضمنه من أخبار الدهور الماضية، و أحوال القرون الخالية، و أنباء الأمم الغابرة، و وصف الديار الدائرة، و قصص الأنبياء المتقدمين، و شرح أحكام أهل الكتابين. ممّا لا يقدر عليه إلّا من اختص بهم، و انقطع إلى الاطلاع فى كتبهم، و سافر فى لقاء علمائهم و صحب رؤساءهم، و لمّا كان نبينا صلى الله عليه و آله معلوم المولد و الدار و

^{٢١٧} (٧) الحجر: ٩.

^{٢١٨} (١) التوبة: ١٤.

^{٢١٩} (٢) يونس: ٥٧.

^{٢٢٠} (٣) الاحقاف: ٤.

^{٢٢١} (٤) الاحقاف: ٢٩ - ٣١.

^{٢٢٢} (١) الانعام: ٣٨.

^{٢٢٣} (٢) الانعام: ٥٩.

المنشأ والقرار لا تخفى أحواله، ولا تستتر أفعاله، لم يلف قط قبل بعثته مدارساً لكتاب، ولا رؤى مخالطاً لأهل الكتاب، ولم يزل معروفاً بالانفراد عنهم، غير مختص بأحد منهم، ولا سافر لاتباع عالم سرّاً ولا جهراً، ولا احتمال في نيل ذلك أولاً ولا آخر، علم أنه لم يأخذ ذلك إلّا عن ربّ العالمين، وثبت اعجاز القرآن الوارد على يده و كان قوله تعالى: «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ»

ص: ٥٧

«وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ»^{٢٢٤} «وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَتَاهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»^{٢٢٥} - يعضد ما ذكرناه.

قال: و من ذلك أيضاً ما ثبت في القرآن من الاخبار بالكائنات قبل كونها و اعلام ما في القلوب و ضمائرها كقوله تعالى في يهود خبير: «لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ فَأُذِبُوا عَنْهُمْ أَصْحَابَهُمْ وَهُمْ لَسَوْفَ يَكُونُونَ غَنَاقًا»^{٢٢٦} و كان الأمر في هزيمتهم و خذلانهم كما قال سبحانه - و قال في قصة بدر تشجيعاً للمسلمين و اخباراً لهم عن عاقبة أمرهم و أمر المشركين: «سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ»^{٢٢٧} فكان ذلك يقيناً كما قال سبحانه - و قال فيهم: «الَّذِينَ» «يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ»^{٢٢٨} فكان الظفر قريباً كما قال سبحانه - و قال تعالى: «وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطُوهَا»^{٢٢٩} يعنى العراق و فارس، و كان الأمر كما قال سبحانه - و قال تعالى: «الْمُ غَلِبَتِ الرُّومُ فِي أَذْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ»^{٢٣٠} فأخبر تعالى عن ظفرهم بعد غلبهم، و حدّد زمانه و حصره فكان

ص: ٥٨

الأمر فيه حسب ما قال - و قال عز و جل: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَ لَا يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»^{٢٣١} فقطع على بغيهم و اعلم أنهم لا يتمنون الموت، فلم يقدر أحد منهم على دفعه و كان الأمر في ذلك موافقاً لما قال سبحانه - و قال تعالى: «وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ»^{٢٣٢} فأخبر عن ضمائرهم بما في سرائرهم و كان الأمر كما قال سبحانه - و قال تعالى في أبى لهب و هو حى متوقع منه الايمان و البصيرة و الاسلام «تَبَّتْ يُدَى أَبِي لَهَبٍ وَ تَبَّ»^{٢٣٣} فمات على كفره و لم يصر إلى الاسلام - و قال لنبيه صلى الله عليه

٢٢٤ (١) القصص: ٤٤.

٢٢٥ (٢) القصص: ٤٦.

٢٢٦ (٣) آل عمران: ١١١.

٢٢٧ (٤) القمر: ٤٥.

٢٢٨ (٥) الانفال: ٣٦.

٢٢٩ (٦) الاحزاب: ٢٧.

٢٣٠ (٧) الروم: ١-٥.

٢٣١ (١) الجمعة: ٦-٧.

٢٣٢ (٢) المجادلة: ٨.

٢٣٣ (٣) تبت: ١.

و آله «إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ»^{٢٣٤} و كلهم يومئذ حى عزيز فى قومه، فأهلكهم الله أجمعين و كفاه أمرهم على ما أخبر به سبحانه - و أمثال ذلك كثيرة يطول بها الكتاب و قد ذكرها أهل العلم، و هذا طرف منها يدل على معجزة القرآن و صدق من أتى به.

«و رياض» جمع الروضة.

«العدل و غدرانه» جمع الغدير، القطعة من الماء غادرها السيل - «إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ وَ لَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ تَنْزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ»^{٢٣٥}.

«و اثافى الاسلام» استعاره من اثافى القدر الأحجار التى يوضع عليها.

«و بنيانه» و الأصل فيه بنیان البيت.

ص: ٥٩

قال هشام بن الحكم: اجتمع ابن أبى العوجاء و أبو شاعر الديصانى و عبد الملك البصرى، و ابن المقفع عند بيت الله الحرام يستهزئون بالحاج، و يطعنون على القرآن - فقال ابن أبى العوجاء لهم: تعالوا ينقض كل واحد منّا ربع القرآن، و ميعادنا من قابل فى هذا الموضع نجتمع فيه، و قد نقضنا القرآن كله، و ان فى نقض القرآن إبطال نبوة محمد، و فى إبطال نبوته إبطال الاسلام و اثبات ما نحن فيه، فاتفقوا على ذلك و افترقوا على ذلك، فلما كان من قابل اجتمعوا ثمة، فقال لهم ابن أبى العوجاء: أما أنا فمتفكر منذ افترقنا فى هذه الآية: «فَلَمَّا اسْتِئْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًّا»^{٢٣٦} فما أقدر أن أضم إليها فى فصاحتها، و جمع معانيها، فشعلتنى هذه الآية عن التفكير فى ما سواها - فقال عبد الملك: أنا متفكر فى هذه الآية «يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَ لَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَ إِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَ الْمَطْلُوبُ»^{٢٣٧} فلم أقدر على الاتيان بمثلها.

فقال أبو شاعر و أنا منذ فارقتكم متفكر فى هذه الآية: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا»^{٢٣٨} فلم أقدر على الاتيان بمثلها فقال ابن المقفع: يا قوم ان هذا القرآن ليس من جنس كلام البشر و أنا منذ فارقتكم مفكر فى هذه الآية:

«وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَ يَا سَمَاءُ أَقْلِعِي»^{٢٣٩} فلم أبلغ غاية معرفتها و لم أقدر على الاتيان بمثلها - فبيناهم فى ذلك إذ مر بهم جعفر بن محمد الصادق عليه السلام فقال: «قُلْ لِّئِنْ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَ الْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا»

^{٢٣٤} (٤) الحجز: ٩٥.
^{٢٣٥} (٥) الحاقة: ٤٠ - ٤٢.
^{٢٣٦} (١) يوسف: ٨٠.
^{٢٣٧} (٢) الحج: ٧٣.
^{٢٣٨} (٣) الانبياء: ٢٢.
^{٢٣٩} (٤) هود: ٤٤.

ص: ٦٠

«الْقُرْآنَ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً»^{٢٤٠} فنظر القوم بعضهم إلى بعض و قالوا: لئن كان للاسلام حقيقة لما انتهت وصية محمد إلاً إلى هذا، و الله ما رأينا قط إلا هبنا و اقشعرت جلودنا لهيبته ثم تفرقوا مقرين بالعجز.

«و بحر لا ينزفه» قال الجوهرى: يقال (نزفت ماء البئر) إذا نزحته كله و (نزفت هى) يتعدى و لا يتعدى.

«و عيون لا ينضبها» بضم المضارعة من (نضب الماء) غار فى الأرض و سفل.

«الماتحون» أى: المستقون.

فى خصائص المصنف باسناده إلى الباقر عليه السلام: قدم اسقف نجران على عمر، فقال: ان أرضنا أرض باردة شديدة المؤنة لا تحتل الجيش، و انا ضامن لخراج أرضى، أحمله إليك فى كل عام كاملاً- فكان يقوم هو بالمال بنفسه، و معه أعوان له حتى يوفيه بيت المال و يكتب له عمر البراءة، فقدم ذات عام- و كان شيخاً جميلاً- فدعاه عمر إلى الاسلام- و أنشأ يذكر فضل الاسلام و ما يصير إليه المسلمون من النعيم و الكرامة فقال الأسقف: يا عمر أنتم تقرأون فى كتابكم ان لله جنّة عرضها كعرض السماء و الأرض، فأين تكون النار؟

فسكت عمر و نكس رأسه!- فقال له أمير المؤمنين عليه السلام:- و كان حاضراً- أنا أجيبك، إذا جاء النهار أين يكون الليل؟ و إذا جاء الليل أين يكون النهار؟- فقال الأسقف: ما كنت أرى أن أحدا يجيبنى عن هذه المسألة من هذا الفتى، قال عمر هذا ختن النبى صلى الله عليه و آله و ابن عمّه و أول مؤمن به، هذا أبو الحسن و الحسين عليهما السلام- إلى أن قال- قال الأسقف: أخبرنى يا عمر عن شىء فى أيدي أهل الدنيا شبيهة بثمار أهل الجنّة فقال: سل الفتى فقال عليه السلام: هو القرآن يجتمع أهل الدنيا عليه الاسراء

ص: ٦١

فيأخذون منه حاجتهم، و لا ينقص منه شىء، و كذلك ثمار أهل الجنّة فقال الأسقف: صدقت يا فتى^{٢٤١}.

«و مناهل» قال الجوهرى: المنهل: المورد و هو عين ماء ترده الابل فى المراعى و تسمى المنازل التى فى المفاوز على طرق السفار مناهل لأن فيها ماء.

«لا يغيضها» قال الجوهرى: (غاض الماء يغيض) أى: قلّ و نضب و غاضه الله، يتعدى و لا يتعدى، و أغاظه الله أيضاً.

^{٢٤٠} (١) : ٨٨.
^{٢٤١} (١) خصائص الأئمة للشيخ الرضى: ٩٠ - ٩١ تحقيق الأمينى، مشهد المقدسة.

«الواردون» قال الرضا عليه السلام: القرآن لا يخلق على الأزمنة، ولا يغث على الألسنة، لأنه لم يجعل لزمان، بل جعل الدليل البرهان، و حجة على الإنسان، و قال فيه الله تعالى: «لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ لَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ»^{٢٤٢}.

«و منازل لا يضل نهجها» أى: طريقها.

«المسافرون» «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^{٢٤٣} «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا»^{٢٤٤}.

«و اعلام» أى: علائم.

«لا يعمى عنها السائرون» قيل لا برهه بن الحارث من ملوك اليمن ذو المنار لأنه أول من ضرب المنار على طريقه فى مغازيها ليهتدى بها إذا رجع.

«و آكام» جمع أكمة بالتحريك، قال الفيروز آبادى: التل من التفف من حجارة واحدة، أو هى دون الجبال.

«لا يجوز عنها القاصدون» بل يكتفون بها.

ص: ٦٢

فى (تفسير) القمى: اجتمعت قريش إلى الوليد بن المغيرة، و قالوا له: يا أبا عبد شمس ما قرآن محمد أشعر أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعونى أسمع كلامه، فدنا منه فقال: يا محمد انشدنى من شعرك، قال: ما هو شعر و لكن كلام الله الذى ارتضاه ملائكته و أنبياءه و رسله، فقال: أمل على شيئا منه فقرأ النبى صلى الله عليه و آله «حم السجدة» «حم تنزيل من الرحمن الرحيم»^{٢٤٥} - فلما بلغ إلى قوله - «فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَ ثَمُودَ»^{٢٤٦} - اقشعر الوليد، و قامت كل شعرة فى رأسه و لحيته و مر إلى بيته، و لم يرجع إلى قريش فمشوا إلى أبى جهل، و قالوا: يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد أما تراه لا يرجع إلينا، فعدا أبو جهل إلى الوليد، فقال: يا عم نكست رءوسنا، و أشمت بنا عدونا، و صبت إلى دين محمد - قال: ما صبت إلى دينه، و لكنى سمعت كلاما صعبا تقشعر منه الجلود - فقال له أبو جهل: اخطب هو؟

قال: لا ان الخطب كلام متصل و هذا لا يشبه بعضه بعضا - قال أ ف شعر هو؟

^{٢٤٢} (٢) فصلت: ٤٢.

^{٢٤٣} (٣) الاسراء: ٩.

^{٢٤٤} (٤) الكهف: ١.

^{٢٤٥} (١) فصلت: ١ - ٢.

^{٢٤٦} (٢) فصلت: ٣١.

قال: لا أما انى لقد سمعت أشعار العرب بسيطها و مديدها و رملها و رجزها ما هو بشعر قال: فما هو؟ قال: دعنى أفكر فيه - فلما كان من الغد قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول فى ما قلناه؟ قال: قولوا: هو سحر!! فإنه آخذ بقلوب الناس فأنزل الله تعالى فيه: «ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا»^{٢٤٧} - الآيات.

«جعله الله رياء» بالكسر و الفتح.

«لعطش العلماء» و طالب العلم و ان كان لا يشيع و لا يروى من تحصيل العلم إلا أنه لما كان القرآن بحرا و فيه تبيان كل شيء ينقع غليله به.

ص: ٦٣

«و ربيعا لقلوب الفقهاء» المراد بالربيع فصله الموجد للازهار و الأنوار و المدرك للأقوات و الغلات - و قال ابن أبى الحديد الربيع هنا الجدول و يجوز إرادة المطر فى الربيع - و هو كما ترى.

«و محاج» جمع المحجة جادة الطريق.

«لطرق الصلحاء» «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا»^{٢٤٨} «و دواء ليس بعده داء» «فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ»^{٢٤٩}.

«و نورا ليس معه ظلمة» «الرَّكِتابُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^{٢٥٠}.

«و حبلا وثيقا عروته» «إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى»^{٢٥١}.

«و معقلا» أى: ملجأ.

«منيعاً ذروته» أى: أعلاه.

«و عزاً لمن تولاه» روى (ثواب الأعمال) عن النبى صلى الله عليه و آله قال: ان أهل القرآن فى أعلى درجة من الآدميين ما خلا النبيين و المرسلين و لا تستضعفوا أهل القرآن و حقوقهم فان لهم من الله لمكانا.

و روى (الأمالى) عنه صلى الله عليه و آله قال: اشراف أمتى حملة القرآن و أصحاب الليل^{٢٥٢}.

^{٢٤٧} (٣) المدثر: ١١.

^{٢٤٨} (١) الاسراء: ٩.

^{٢٤٩} (٢) الانعام: ١٥٧.

^{٢٥٠} (٣) ابراهيم: ١.

^{٢٥١} (٤) النجم: ٤ - ٥.

^{٢٥٢} (٥) الأمالى للصدوق: ١٤١. نقله المجلسي في «البحار» ٨٩: ١٧٧ رواية ٢.

ص: ٦٤

«و سلما لمن دخله» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: يعجبني أن يكون في البيت مصحف يطرد الله به الشيطان.

«و هدى لمن أئتم به» أى: اقتدى.

«و عذرا لمن انتحلله» انتسب إليه.

«و برهانا لمن تكلم به» «وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ»^{٢٥٣}.

«و شاهدا لمن خاصم به» فى (تاريخ اليعقوبى): فى ما نقم الناس على عثمان أنه رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها فولدت لسته أشهر فأمر عثمان برجمها فلما أخرجت دخل عليه على عليه السلام فقال: ان الله تعالى يقول:

«وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا»^{٢٥٤} و قال فى رضاعه: «وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ»^{٢٥٥} فأرسل عثمان فى أثر المرأة فوجدت قد رجمت و ماتت!! و اعترف الرجل بالولد.

«و فلجا لمن حاج به» أى: ظفرا له.

روى (الإرشاد) عن قيس بن الربيع قال: سألت أبا إسحاق عن المسح على الخفين، قال: قال محمد بن على عليه السلام: لم يكن أمير المؤمنين عليه السلام يمسح على الخفين، و كان يقول: سبق الكتاب المسح على الخفين، قال أبو إسحاق:

فما مسحت منذ نهانى.

«و حاملا لمن حملة» فكل من كان حاملا لكتب الله تكون هى أيضا حامله له، قال تعالى: «وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلَ إِلَهُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ»

ص: ٦٥

«لَأَكُلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ»^{٢٥٦} و اما من لم يكن حاملا لها فكما قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^{٢٥٧}.

^{٢٥٣} (١) الرعد: ٣١.

^{٢٥٤} (٢) الاحقاف: ١٥.

^{٢٥٥} (٣) البقرة: ٢٣٣.

^{٢٥٦} (١) المائدة: ٦٦.

^{٢٥٧} (٢) الجمعة: ٥.

«و مطيئة لمن أعمله» فى (تفسير القمى) عن السجاد عليه السلام: عليك بالقرآن، فان الله تعالى خلق بيده الجنة لبننة من ذهب و لبننة من فضة، و جعل ملاطها المسك و ترابها الزعفران و حصاها اللؤلؤ، و جعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن قال له ارق^{٢٥٨} - الخبر -.

«و آية لمن توسم» أى: تفرس، قال تعالى - بعد ذكر أخذ الصيحة لقوم لوط مشرقين و جعل على مدينتهم سافلها و أمطار حجارة من سجيل عليهم - «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ»^{٢٥٩}.

و المراد ان من كان متوسما يكون القرآن آية و علامة له بآنه ليس من عند غير الله - و لما قال النجاشى ملك الحبشة لجعفر الطيار: هل تحفظ ممّا أنزل الله تعالى على نبيك شيئاً؟ قال: نعم فقرأ عليه سورة مريم: «كِهَيْصَ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدُهُ زَكْرِيَّا»^{٢٦٠} فلما بلغ إلى قوله: «و هُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي وَ اشْرَبِي وَ قَرِّي عَيْنًا»^{٢٦١} فلما سمع النجاشى بهذا بكى بكاء شديداً و قال: هذا و الله هو الحق، و فيه انزل: «وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ»

ص: ٦٦

«رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ»^{٢٦٢}.

«و جنة لمن استلأم» أى: لبس اللأمة و هى الدرع.

«و علما لمن وعى» أى: حفظ بجعل اذنه و عاء له.

«و حديثنا لمن روى» قال ابن أبى الحديد سمّاه الله تعالى حديثنا فى قوله «اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا»^{٢٦٣} و استدلل أصحابنا به على كون القرآن غير قديم، ألا ترى إلى قول عمر و لمعاوية: قد مللت كل شيء إلا الحديث فقال انما يمل العتيق.

قلت و كذا فى قوله تعالى: «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ»^{٢٦٤} و فى قوله تعالى فى الأعراف و المرسلات: «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ»^{٢٦٥} و فى قوله تعالى: «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَ آيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ»^{٢٦٦} و فى قوله تعالى:

«فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا»^{٢٦٧}.

٢٥٨ (٣) تفسير القمى ٢: ٢٥٩.
٢٥٩ (٤) الحجر: ٧٥.
٢٦٠ (٥) مريم: ١-٢.
٢٦١ (٦) مريم: ٢٥-٢٦.
٢٦٢ (١) المائدة: ٨٣.
٢٦٣ (٢) الزمر: ٢٣.
٢٦٤ (٣) الطور: ٣٤.
٢٦٥ (٤) المرسلات: ٥٠.
٢٦٦ (٥) الجاثية: ٦.

هذا، و في (تاريخ بغداد)، قال سلمة بن عمرو القاضي على المنبر: لا رحم الله أبا حنيفة فإنه أول من زعم ان القرآن مخلوق.

«و حكما لمن قضى» «إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً»^{٢٦٨}.

ص: ٦٧

١٠

الحكمة (٣١٣) و قال عليه السلام:

وَفِي؟ الْقُرْآنِ؟ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ- وَ خَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَ حُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ أَقُول: رواه المسعودي المسعودي - مروج الذهب - و العياشي العياشي - تفسير العياشي - و ابن قتيبة ابن قتيبة - عيون الأخبار -، و ابن عبد ربه ابن عبد ربه - العقد الفريد - ج ٣ ص ٢٣٩، طبع دار الكتاب العربي، بيروت مع زيادات^{٢٦٩}.

قال الأول: توفي الحارث الأعور صاحب علي عليه السلام في أيام عبد الملك و هو الذي دخل علي عليه السلام فقال له: ألا ترى إلى الناس قد أقبلوا على هذه الأحاديث، و تركوا كتاب الله - قال عليه السلام: و قد فعلوا قال: نعم - قال: أما اني سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: ستكون فتنة، قلت فما المخرج منها؟ قال: كتاب الله، فيه نبأ ما كان قبلكم، و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، و من أراد الهدى في غيره أضله الله، و هو حبل الله المتين، و هو الذكر الحكيم و الصراط المستقيم، و هو الذي لا تزيغ عنه العقول، و لا تلتبس به الألسن، و لا تنقض عجائبه، و لا يعلم علم مثله و هو الذي لما سمعته الجن «فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ»^{٢٧٠} و من قال به صدق، و من زلّ عنه عدا، و من عمل به اجر، و من تمسك به هدى إلى صراط مستقيم، خذها إليك يا أعور.

و قال الثاني في (تفسيره): «يوسف بن عبد الرحمن رفعه إلى الحارث الأعور، قال سمعنا أشياء مغموسة مختلفة لا ندرى ما هي قال: أو قد فعلوها؟

قلت: نعم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: أتانى جبرئيل. فقال ستكون في

ص: ٦٨

أمتك فتنة، فقلت فما المخرج منها فقال: كتاب الله فيه بيان ما قبلكم من خبر و خبر ما بعدكم، و حكم ما بينكم» - إلى آخر ما في (المروج) مع أدنى اختلاف.

^{٢٦٧} (٦) الكهف: ٦.

^{٢٦٨} (٧) النساء: ١٠٥.

^{٢٦٩} (١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣: ٢٣٩، طبع دار الكتاب العربي- بيروت.

^{٢٧٠} (٢) الجن: ١ - ٢.

و قال الثالث فى (عيونه) روى الحارث الأعور عن على عليه السلام قال: كتاب الله فيه خبر ما قبلكم، و نبأ ما بعدكم و حكم ما بينكم، و هو الفصل ليس بالهزل و هو الذى لا تزيع به الأهواء، و لا يشبع منه العلماء، و لا يخلق عنه كثرة الرد، و لا تنقضى عجائبه - إلخ مع أدنى اختلاف.

و مثله الرابع فى (عقده) و من الأصل فيه يظهر ان الأصل فى كلامه عليه السلام النبى صلى الله عليه و آله.

«و فى القرآن» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (فى القرآن) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«نبأ ما قبلكم» قال تعالى فى أصحاب الكهف: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ»^{٢٧١} - و قال فى قصة يوسف عليه السلام: «نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَ إِن كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»^{٢٧٢} - و قال فى قصة باقى الأنبياء إجمالاً: «وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ»^{٢٧٣} - و قال فى سورة القصص: «تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»^{٢٧٤} - و نصف السورة فى قصة موسى كما ان سورة يوسف عليه السلام أكثرها فى قصته - و قصص آدم و إدريس و نوح و هود و صالح و إبراهيم و اسحاق و يعقوب و لوط و شعيب و سليمان و داود و موسى و عيسى عليهم السلام ماثلة فى مطاويه - و كثير منها قبل

ص: ٦٩

نزول القرآن كان غير معلوم لأحد و منها قصة يوسف عليه السلام فقال تعالى فيها:

«ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ»^{٢٧٥} - هذا ان اريد بقوله: «ما قبلكم» أنبياء السلف و يمكن أن يراد به الصانع جل اسمه و يمكن أن يراد به الأعم منهما.

و من آيات القرآن فى أنباء ما قبلنا اخباره عن ذكر النبى صلى الله عليه و آله فى كتب اليهود و النصارى قال تعالى: «الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ»^{٢٧٦}.

فلو لا كان اسمه مذكوراً فيهما لكذبوه، و لو كانوا كذّبوا لما خفى ذلك مع توفر الدواعى و لارتد عنه اتباعه، بل قال: «الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ»^{٢٧٧} فدل على ان ذكره صلى الله عليه و آله فى كتبهم و نعتها له صلى الله عليه و آله بعد صار الأمر به من البديهيات.

٢٧١ (١) الكهف: ١٣.
٢٧٢ (٢) يوسف: ٣.
٢٧٣ (٣) المؤمن: ٧٨.
٢٧٤ (٤) القصص: ٣.
٢٧٥ (١) آل عمران: ٤٤.
٢٧٦ (٢) الأنعام: ٢٠.
٢٧٧ (٣) الأنعام: ٢٠.

و من آياته اشتماله على عدم جرأه اليهود تمنى الموت فى قبالة، و عدم جرأه النصارى على المباهلة فى مقابلته - قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ»^{٢٧٨} - «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَابْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^{٢٧٩} - و الثانى و ان لم يصرح فيه بعدم مباہلتهم إلا أنه معلوم التواتر و بالدراية، فلو كانوا ابتهلوا و لم يصيبهم شيء لصار ذلك سبباً لظعن الكفار و المنافقين فى الاسلام بل

ص: ٧٠

ارتداد المسلمين عنه، و معلوم بالضرورة عدم حصول شيء من ذلك.

«و خبر ما بعدكم» يمكن أن يراد به أخبار القيامة و المعاد و الثواب و العقاب، و الجنة و النار، فالقرآن مشحون من أخبارها - و يمكن أن يراد به أخباره عما يأتى كإخباره عن مغلوبية فارس عن الروم بعد غلبتها عليها - قال تعالى: «الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلِبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بَضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَ مِنْ بَعْدُ وَ يَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ»^{٢٨٠}.

و كإخباره عن مغلوبية قريش فى بدر، قال تعالى: «وَ إِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَ تَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَ يَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَ يُبْطِلَ الْبَاطِلَ»^{٢٨١}.

و كإخباره عن مغلوبية يهود خيبر، قال تعالى: «وَ إِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤْلُوكُمْ الْأَذْبَارُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ»^{٢٨٢} - و يمكن إرادة الأعم.

«و حكم ما بينكم» من مسائل الحلال و الحرام، و لقد صنفوا كتباً فى آيات أحكامه، و من اصول الاسلام ففيه ولاية أمير المؤمنين عليه السلام و المعصومين من عترته فى قوله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^{٢٨٣} - كما فى قول النبى صلى الله عليه و آله: «من كنت مولاه فعلى مولاه».

و فى قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ»

ص: ٧١

^{٢٧٨} (٤) الجمعة: ٦ - ٧.
^{٢٧٩} (٥) آل عمران: ٦١.
^{٢٨٠} (١) الروم: ١ - ٥.
^{٢٨١} (٢) الانفال: ٧ - ٨.
^{٢٨٢} (٣) آل عمران: ١١١.
^{٢٨٣} (٤) المائدة: ٥٥ - ٥٦.

«وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً»^{٢٨٤} - و في قوله تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ»^{٢٨٥}.

و روى محمد بن يعقوب مسندا عن الأصبع قال: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: نزل القرآن اثلاثا، ثلث فينا و في عدونا، و ثلث سنن و أمثال، و ثلث فرائض و أحكام.

و روى ابن المغازلي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه و آله قال: ان القرآن أربعة أرباع، فربع فينا أهل البيت خاصة، و ربع حلال، و ربع حرام، و ربع فرائض و أحكام، و الله أنزل فينا كرائم القرآن^{٢٨٦}.

١١

من الخطبة (١٥٣) فجاءهم بتصديق الذي بين يديه - و النور المقتدى به ذلك؟ القرآن؟

فَاسْتَنْطَقُوهُ - وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أَخْبَرُكُمْ عَنْهُ - أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمٌ مَا يَأْتِي - وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي - وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ أَقُول: رواه (الكافي الكليني - الكافي - باب الرد إلى الكتاب و السنة) في باب الرد إلى الكتاب و السنة عن محمد بن يحيى عن بعض أصحابه عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيها الناس ان الله تبارك و تعالى أرسل إليكم الرسول و أنزل عليه الكتاب بالحق و أنتم أُميون عن الكتاب و من أنزله و عن الرسول و من أرسله - إلى أن قال - فجاءهم بنسخة ما في الصحف

ص: ٧٢

الأولى و تصديق الذي بين يديه و تفصيل الحلال من ريب الحرام ذلك القرآن فاستنطقوه و لن ينطق لكم أخبركم عنه، ان فيه علم ما مضى، و علم ما يأتي إلى يوم القيامة، و حكم ما بينكم، و بيان ما أصبحتم فيه تختلفون فلو سألتهموني عنه لعلمتكم.

«فجاءهم بتصديق الذي بين يديه» أي: التوراة و الإنجيل و الأصل فيه قوله تعالى: «نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَ أَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَ أَنْزَلَ الْفُرْقَانَ»^{٢٨٧}.

«وَ مَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَ لَكِنْ تَصْدِيقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ تَفْصِيلُ الْكِتَابِ»^{٢٨٨} «وَ هُدًى وَ رَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ»^{٢٨٩} «وَ هَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَ لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَ مَنْ حَوْلَهَا»^{٢٩٠}.

^{٢٨٤} (١) الاحزاب: ٣٣.

^{٢٨٥} (٢) آل عمران: ٦١.

^{٢٨٦} (٣) لا جود له في كتاب «مناقب علي بن أبي طالب» لابن المغازلي، المكتبة الإسلامية- طهران. نقله المجلسي في «البحار» ٢٤: ٣٠٥ رواية ٢ باب ٦٧ عن «كنز الفوائد».

^{٢٨٧} (١) آل عمران: ٣.

^{٢٨٨} (٢) يونس: ٣٧.

^{٢٨٩} (٣) الجاثية: ٢٠.

^{٢٩٠} (٤) الانعام: ٩٢.

«قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ»^{٢٩١}.

«وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ»^{٢٩٢} - «إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ»^{٢٩٣} «وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ»^{٢٩٤}.

ص: ٧٣

و أما نسخه لبعض ما فيهما فلا ينافي تصديقه لما فيهما. فالقرآن ينسخ بعضه بعضا و النسخ أيضا نوع تصديق - كما ان نسخ النبي صلى الله عليه و آله لشرائع من تقدم عليه من الرسل لا ينافي تصديقه لهم - و كيف لا و الكافر بموسى و عيسى كافر به.

«و النور» عطف على (تصديق).

«المقتدى به» هكذا فى النسخ و الظاهر كونه تصحيف (المهتدى به) فالنور يهتدى به لا يقتدى به.

«ذلك» مبتدأ.

«القرآن» خبره.

«فاستنطقوه» بالنطق المعنوى.

«و لن ينطق» نطقا ظاهرا كبشر ينطق.

«و لكن أخبركم عنه» كان عليه السلام يخبر عن التوراة و الانجيل و الزبور كما يخبر عن القرآن ذكر الثعلبى فى تفسير قوله تعالى: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^{٢٩٥} عن زاذان قال: قال على عليه السلام: و الذى فلق الحبة و برأ النسمة لو ثنيت لى الوسادة لحكمت بين أهل التوراة بتوراتهم و بين أهل الانجيل بإنجيلهم و بين أهل الزبور بزبورهم و بين أهل الفرقان بفرقانههم - و الذى نفسى بيده ما من رجل من قريش جرت عليه المواسى إلّا و أنا أعرف له آية تسوقه إلى الجنة أو تقوده إلى النار، فقال له رجل: يا أمير المؤمنين فما آيتك التى أنزلت فيك؟ فقال: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَ يُتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ»^{٢٩٦} فالنبي صلى الله عليه و آله على بَيِّنَةٍ و أنا شاهد منه^{٢٩٧}.

ص: ٧٤

^{٢٩١} (٥) البقرة: ٩٧.

^{٢٩٢} (٦) فاطر: ٣١.

^{٢٩٣} (٧) الاحقاف: ٣٠.

^{٢٩٤} (٨) المائدة: ٤٨.

^{٢٩٥} (١) هود: ١٧.

^{٢٩٦} (٢) هود: ١٧.

^{٢٩٧} (٣) ذكر الطوسي ما يشابهه في «الأمالي» في المجلس الثالث عن رقم ٨٠٠.

«ألا ان فيه علم ما يأتي و الحديث عن الماضي» كقوله عليه السلام (فى سابقه و فى القرآن نبأ ما قبلكم و خبر ما بعدكم).

«و دواء دائكم» قالوا لاشتماله على الفضائل العلمية و العملية التى بها يحصل اصلاح النفوس و الشفاء من الأمراض النفسانية.

«و نظم ما بينكم» «و تفصيل كل شىء و هدى و رحمة لقوم يؤمنون»^{٢٩٨}.

هذا، و روى فضل قرآن الكافى قبل نواته باسناده ضعيف عن الأصبع عنه عليه السلام و الذى بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق نبيا و أكرم أهل بيته، ما من شىء تطلبونه من حرق أو غرق أو شرق أو افلات دابة من صاحبها أو ضالة أو آبق إلا و هو فى القرآن فمن أراد ذلك فليسألنى عنه، فقام رجل فقال: اخبرنى عما يؤمن من الحرق و الغرق فقال: اقرأ «اللَّهُ الَّذِي نَزَلَ الْكِتَابَ وَ هُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ»^{٢٩٩} «وَ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»*- إلى - «وَ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ»*-^{٣٠٠} فقرأها رجل و اضطربت النار فى بيوت جيرانه و بيته وسطها فلم يصبه شىء- ثم قام إليه آخر فقال: ان دابتى استصعبت على و أنا منها على وجل، فقال:

اقرأ فى اذنها اليمنى «و لَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ طَوْعاً وَ كَرْهاً وَ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ»^{٣٠١} فقرأها فذلت له دابته- و قام إليه آخر فقال: ان أرضى مسبعة و ان السباع تغشى منزلى و لا تجوز حتى تأخذ فريستها فقال: اقرأ «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ»

ص: ٧٥

«رَوْفٌ رَحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ»^{٣٠٢} فقرأها الرجل فاجتنبته السباع- ثم قام إليه آخر فقال، ان فى بطنى ماء أصفر فهل من شفاء؟ فقال: اكتب على بطنك آية الكرسي و تغسلها و تشربها و تجعلها ذخيرة فى بطنك، ففعل الرجل فبرى باذن الله تعالى- ثم قام إليه آخر فقال: اخبرنى عن الضالة فقال اقرأ (يس) فى ركعتين و قل (يا هادى الضالة رد علىّ ضالتى) ففعل فرد الله عليه ضالته- ثم قام إليه آخر فقال اخبرنى عن الآبق فقال اقرأ:

«أَوْ كُظِّلِمَاتٍ فِى بَحْرِ لُجْبَى»- إلى - «وَ مَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ»^{٣٠٣} فقالها الرجل فرجع إليه الابق- ثم قام إليه آخر فقال: اخبرنى عن السرقة فأنه لا يزال قد يسرق لى الشىء بعد الشىء ليلا، فقال: اقرأ إذا آويت إلى فراشك «قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ»- إلى - «وَ كَبِّرْهُ تَكْبِيرًا»^{٣٠٤} ثم قال عليه السلام:

من بات بأرض قفر فقرأ «إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ»*- إلى - «تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ»*-^{٣٠٥} حرسه الملائكة و تباعدت عنه الشياطين، فمضى الرجل فاذا هو بقريه خراب فبات فيها و لم يقرأ

^{٢٩٨} (١) يوسف: ١١١.

^{٢٩٩} (٢) الاعراف: ١٩٦.

^{٣٠٠} (٣) الزمر: ٩٧.

^{٣٠١} (٤) آل عمران: ٨٣.

^{٣٠٢} (١) التوبة: ١٢٨-١٢٩.

^{٣٠٣} (٢) النور: ٤٠.

^{٣٠٤} (٣) الاسراء: ١١٠-١١١.

الآية فتغشاه الشيطان فاذا هو آخذ بخطمه، فقال له صاحبه انظره فاستيقظ الرجل فقرأ الآية فقال الشيطان لصاحبه ارغم الله أنفك أحرسه الآن حتى يصبح، فلما أصبح الرجل رجع إليه عليه السلام وقال له: رأيت في كلامك الشفاء والصدق - (و مضى بعد طلوع الشمس فاذا هو بأثر شعر الشيطان مجتمعاً في الأرض).

ص: ٧٦

١٢

الخطبة (١٤٣) من خطبة له عليه السلام:

فَبَعَثَ اللَّهُ؟ مُحَمَّدًا ص؟ بِالْحَقِّ - لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ - وَ مِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ -؟ بِقُرْآنٍ؟ قَدْ بَيَّنَّهُ وَأَحْكَمَهُ - لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ - وَلِيَقْرُوا بِهِ بَعْدَ إِذْ جَحَدُوهُ - وَلِيُثَبِّتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ - فَتَجَلَّى لَهُمْ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ - مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ - وَ خَوْفَهُمْ مِنْ سَطَوْتِهِ - وَ كَيْفَ مَحَقَّ مَنْ مَحَقَّ بِالْمَثَلَاتِ - وَ احْتَصَدَ مَنْ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ وَ إِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ - لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ - وَ لَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ - وَ لَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ وَ رَسُولِهِ - وَ لَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ ذَلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ - إِذَا تَلَّى حَقَّ تِلَاوَتِهِ - وَ لَا أَنْفَقَ مِنْهُ إِذَا حُرِفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ - وَ لَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرَ مِنَ الْمَعْرُوفِ - وَ لَا أَعْرَفَ مِنَ الْمُنْكَرِ - فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ وَ تَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ - فَالْكِتَابُ يَوْمُئِذٍ وَ أَهْلُهُ طَرِيدَانِ مُنْفِيَانِ - وَ صَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُوْءٌ - فَالْكِتَابُ وَ أَهْلُهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَ لَيْسَا فِيهِمْ - وَ مَعَهُمْ وَ لَيْسَا مَعَهُمْ - لَأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تَوَافِقُ الْهُدَى وَ إِنْ اجْتَمَعَا - فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفِرْقَةِ - وَ افْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ كَانَتْهُمْ أَيْمَةُ الْكِتَابِ - وَ لَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ - فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ - وَ لَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطِيئَةَ وَ زِبْرَهُ - وَ مِنْ قَبْلُ مَا مَثَلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلِّ مَثَلَةٍ - وَ سَمَوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللَّهِ فَرِيَةً وَ جَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ - وَ إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَ تَغَيُّبِ آجَالِهِمْ - حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ الَّذِي تَرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ -

ص: ٧٧

و تَرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ وَ تَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَ النَّقْمَةُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ مَنْ اسْتَنْصَحَ اللَّهَ وَفَّقَ - وَ مَنْ اتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدًى لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ - فَإِنَّ جَارَ اللَّهِ آمِنٌ وَ عَدُوُّهُ خَائِفٌ - وَ إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ اللَّهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ - فَإِنَّ رِفْعَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ - وَ سَلَامَةَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ - فَلَا تَنْفَرُوا مِنَ الْحَقِّ نِفَارَ الصَّحِيحِ مِنَ الْأَجْرَبِ - وَ الْبَارِئِ مِنَ ذِي السَّقَمِ أَقُولُ رَوَاهُ آخِرُ (الروضة الكليني - الكافي - الروضة ح ٥٨٦) فِي خَبَرِهِ (٥٨٦) عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ الْمَنْذَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: خُطِبَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ - وَ رَوَاهَا غَيْرُهُ، وَ ذَكَرَ أَنَّهُ خُطِبَ بِذِي قَارٍ - إلخ - وَ مِنْهُ يَظْهَرُ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خُطِبَ بِهِ فِي خُرُوجِهِ إِلَى الْجَمَلِ.

«فبعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان» جمع الوثن، قال الجوهرى: الوثن كل ما له جثة معمولة من جواهر الأرض، أو من الخشب و الحجاره كصورة الآدمي يعمل و ينصب فيعبد، و الصنم الصورة بلا جثة، و منهم من

لم يفرّق بينهما، و قد يطلق الوثن على غير الصورة، و منه حديث عدى بن حاتم، قدمت على النبي صلى الله عليه و آله و فى عنقى صليب من ذهب، فقال لى القى هذا الوثن عنك.

«إلى عبادته» «أمر ألا تعبدوا إلّا إياه»^{٣٠٦}.

«و من طاعة الشيطان إلى طاعته» «أ لم أعهد إليكم يا بنى آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين» و أن اعبدوني هذا صراط مستقيم»^{٣٠٧}.

«بقرآن قد بينه و أحكمه» أى: جعله محكما.

ص: ٧٨

«قد جاءكم من الله نور و كتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبيل السلام و يخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه و يهديهم إلى صراط مستقيم»^{٣٠٨}.

«ليعلم العباد ربهم إذ جهلوه، و ليقرأوا به إذ جحدوه، و ليثبتوه بعد إذ أنكروه» «و إن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله و ادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا و لن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس و الحجاره أعدت للكافرين»^{٣٠٩}.

«أم يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله و ادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين»^{٣١٠}.

«فتجلى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رأوه بما أراهم من قدرته و خوفهم من سطوته» فى (تفسير) القمى فى «ذرى و من خلقت وحيداً»^{٣١١} - كان الوليد بن المغيرة شيخا كبيرا من دهاة العرب و كان من المستهزئين بالنبي صلى الله عليه و آله و كان صلى الله عليه و آله يقعد فى الحجرة و يقرأ القرآن، فاجتمعت قريش إلى الوليد و قالوا يا أبا عبد شمس ما هذا الذى يقول محمد، أشعر هو أم كهانة أم خطب؟ فقال: دعونى اسمع كلامه فدنا من النبي صلى الله عليه و آله و قال له انشدنى من شعر قال: ما هو بشعر و لكن كلام الله الذى ارتضاه ملائكته و أنبيأوه و رسله و قال اتل على منه شيئا فقرأ النبي صلى الله عليه و آله «حم السجدة» فلما بلغ إلى قوله: «فإن أغرضوا قل أنذرتم صاعقه مثل صاعقه عاد و ثمود»^{٣١٢}

ص: ٧٩

^{٣٠٦} (١) يوسف: ٤٠.

^{٣٠٧} (٢) يس: ٦٠ - ٦١.

^{٣٠٨} (١) المائدة: ١٥ - ١٦.

^{٣٠٩} (٢) البقرة: ٢٣ - ٢٤.

^{٣١٠} (٣) يونس: ٣٨.

^{٣١١} (٤) المدثر: ١١.

^{٣١٢} (٥) فصلت: ١٣.

فاقشعر الوليد، و قامت كل شعرة في رأسه و لحيته، و مر إلى بيته و لم يرجع إلى قريش فمشوا إلى أبي جهل فقالوا يا أبا الحكم ان أبا عبد شمس صبا إلى دين محمد أما تراه لا يرجع إلينا فعدا أبو جهل إلى الوليد فقال: يا عم نكست رؤوسنا، و أشمت بنا عدونا، و صبوت إلى دين محمد؟ قال: ما صبوت إلى دينه و لكني سمعت كلاما صعبا تقشعر منه الجلود فقال له أبو جهل اخطب هو؟ قال لا، ان الخطب كلام متصل و هذا كلام منشور لا يشبه بعضه بعضا.

قال أ فشعر؟ قال لا أما اني لقد سمعت أشعار العرب بسيطها و مديدها و رملها و رجزها و ما هو بشعر قال فما هو؟ قال دعني افكر فيه فلما كان من الغد. قالوا يا أبا عبد شمس ما تقول فيه قال قولوا هو سحر فانه آخذ بقلوب الناس فانزل تعالى «ذَرْنِي وَ مَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً»^{٣١٣} إلخ.

«و كيف محق» أي: ابطال و محا.

«من محق بالمثلث» أي: العقوبات.

قال تعالى «وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْسَيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلَاتُ»^{٣١٤}.

«و احتصد من احتصد بالنقمات» و قال تعالى «وَ لَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَاَنْتَقَمْنَا مِنْ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَ كَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ»^{٣١٥} «وَ كَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَ أَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسَاسِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ لَا تَرْكُضُوا وَ ارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَ مَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْتَلُونَ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ»

ص: ٨٠

«فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيداً خَامِدينَ»^{٣١٦}.

«أ لَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ». - إلى - «فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ»^{٣١٧}.

«و انه سيأتى عليكم من بعدى زمان ليس فيه شيء أخفى من الحق و لا أظهر من الباطل و لا أكثر من الكذب على رسوله صلى الله عليه و آله» في (تفسير القمي) في قوله تعالى: «فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا»^{٣١٨} - عن ابن عباس، قال: حججنا مع النبي صلى الله عليه و آله حجة الوداع فأخذ بحلقه باب الكعبة ثم أقبل علينا بوجهه، فقال ألا أخبركم بأشراط الساعة - و كان أدنى الناس منه يومئذ سلمان - فقال بلى فقال: ان من أشراطها إضاعة الصلوات، و اتباع الشهوات، و الميل مع الأهواء، و تعظيم أصحاب المال، و بيع الدين بالدنيا، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح

^{٣١٣} (١) المذثر: ١١.

^{٣١٤} (٢) الرعد: ٦.

^{٣١٥} (٣) الروم: ٤٧.

^{٣١٦} (١) الانبياء: ١١ - ١٥.

^{٣١٧} (٢) الفيل: ١ - ٥.

^{٣١٨} (٣) محمد: ١٨.

فى الماء ممّا يرى من المنكر، و لا يستطيع أن يغيّر - قال: و ان هذا لكائن؟ قال: بلى ان عندها يليهم امراء جوراء و وزراء فسقة، و عرفاء ظلمة، و امناء خونة - قال ان هذا لكائن؟

قال بلى، ان عندها يكون المنكر معروفا، و المعروف منكرا، و يؤتمن الخائن، و يخون الأمين، و يصدق الكاذب، و يكذب الصادق، - قال و ان هذا لكائن؟ قال أى: و الذى نفسى بيده فعندها امارة النساء، و مشاورة الاماء، و قعود الصبيان على المنابر، و يكون الكذب ظرفا و الزكاة مغرما، و الفىء مغنما، و يجفو الرجل و الديه، و يبرّ صديقه، و يطلع الكوكب المذنب.

قال و ان هذا لكائن؟ قال: بلى و عندها تشارك المرأة زوجها فى التجارة،

ص: ٨١

و يكون المطر قيظا (و يفيض ط اللثام فيضا) و يغيض الكرام غيظا، و يحتقر الرجل المعسر، و عندها تقارب الأسواق، إذ قال هذا لم أبع شيئا، و قال هذا لم أربح شيئا فلا ترى إلّا ذاما لله - و عندها يليهم أقوام ان تكلموا قتلوهم، و ان سكتوا استباحوهم - و عندها يؤتى بشيء من المشرق، و شيء من المغرب، و جثثهم جثث الآدميين، قلوبهم قلوب الشياطين - و عندها يكتفى الرجال بالرجال، و النساء بالنساء، و يغار على الغلمان كما على الجارية - و يشبه الرجال بالنساء، و النساء بالرجال، و عندها تزخرف المساجد، كما تزخرف البيع و الكنائس، و يحلّى المصاحف، و يطول المنارات و تكثر الصفوف بقلوب متباغضة - إلى أن قال - و عندها تتكلم الروبيضة - قال سلمان و ما الروبيضة؟

قال يتكلم فى أمر العامة من لم يكن يتكلم.

و قال ابن أبى الحديد فالشعبة: امام المحدثين تسعة أعشار الحديث كذب - و قال الدار قطنى: ما الحديث الصحيح فى الكذب إلّا كالشعره البيضاء فى الثور الأسود.

«و ليس عند أهل ذلك الزمان سلعة» أى: متاع.

«أبور» أى: أكسد.

«من الكتاب إذا تلى حق تلاوته» و كما ينبغى.

«و لا أنفق» أى: أروج.

«إذا حرف» أى: غيّر.

«عن مواضعه» و الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ»^{٣١٩} - «وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ»

ص: ٨٢

«سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ»^{٣٢٠}.

روى سليم بن قيس ان معاوية قدم المدينة فى خلافته فقال لابن عباس انا كتبنا فى الآفاق نهى عن ذكر مناقب على و آله فكف لسانك، فقال: يا معاوية أ تنهانا عن قراءة القرآن؟ قال لا قال أ فتنهانا عن تأويله؟ قال نعم قال فنقرأه، و لا نسأل عما عنى الله به قال: سل عن ذلك من يتأوله غير ما يتأوله أنت و أهل بيتك قال: انما أنزل القرآن على أهل بيتى فاسأل عنه آل أبى سفيان أ تنهانا يا معاوية أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال و حرام فلا تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم فتهلك، قال: أقرءوا القرآن و لا تؤلوه و لا ترووا شيئا مما أنزل الله فيكم و ارووا ما سوى ذلك، قال ابن عباس ان الله تعالى يقول «يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نَوْرَ اللَّهِ بِأَفْوَهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»^{٣٢١} قال يا ابن عباس أربع على نفسك، و كف لسانك و ان كنت لا بد فاعلا و ليكن ذلك سرا لا تسمعه أحدا علانية.

«و لا فى البلاد شيء أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر» روى (الكافى) عن الصادق عليه السلام قال: قال النبى صلى الله عليه و آله: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، و فسق شبانكم و لم تأمروا بمعروف، و لم تنهوا عن المنكر - فليل له و يكون ذلك؟

قال: نعم و شر من ذلك كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف، فليل له و يكون ذلك؟ قال نعم و شر من ذلك كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفا و المعروف منكرا، هذا و قوله عليه السلام «و ليس عند أهل ذلك الزمان».

- إلى - هنا مر فى العنوان الثالث من الفصل الثامن عشر بلفظ (ليس فيهم سلعة أبور من الكتاب إذا تلى حق تلاوته و لا سلعة أنفق بيعا و لا أغلى

ص: ٨٣

ثما من الكتاب إذا حرّف عن موضعه و لا عندهم أنكر من المعروف و لا أعرف من المنكر).

«فقد نبذ» أى: القى.

^{٣١٩} (١) النساء: ٤٦.

^{٣٢٠} (١) المائدة التوبة: ٤١.

^{٣٢١} (٢): ٣٢.

«الكتاب حملته و تناساه حفظته» «وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ»^{٣٢٢}.

«فالكاتب يومئذ و أهله طريدان منفيان» هكذا فى (المصرية) و الصواب:

(منفيان طريدان) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة.

فى (المروج) أمر المتوكل فى سنة (٢٣٦) بهدم قبر الحسين عليه السلام و إزالة أثره، و ان يعاقب من وجد به، و منع الناس من زيارته و زيارة أبيه.

«و صاحبان مصطحبان» قال النبى صلى الله عليه و آله: فى (المستفيض) عنه انى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى، و انهما لا يفترقان حتى يردا على الحوض.

«لا يؤويهما مؤو» من آويته إذا أنزلته بك و أما (أويته) فبمعنى نزلت قال تعالى: «سَآوِي إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ»^{٣٢٣} و وهم الجوهرى فنسب إلى أبى زيدان اوى و آوى بمعنى.

و عدم أيواء مؤولهما لانهما لا يراعيان غير الحق و الناس فارون من الحق فرار المعز من الذئب.

«فالكاتب و أهله فى ذلك الزمان فى الناس» بالجسم.

«و ليسا فيهم و معهم» هكذا فى (المصرية)، و لكن فى ابن أبى الحديد

ص: ٨٤

و الخطبة (و ليسا فيهم و معهم و ليسا معهم) و كذا ابن ميثم على ما يفهم من تفسيره و ان كانت نسخه بلفظ (و ليسا معهم) و عليه فقوله (و معهم) عطف على (فى الناس) فيكون المعنى (فالكاتب و أهله فى الناس و ليسا فيهم و الكتاب و أهله مع الناس و ليسا معهم).

«لأن الضلالة لا توافق الهدى» علّة لعدم كون الكتاب فى الناس و معهم.

«و ان اجتماعا» صورة لاستحالة اجتماع الضدين حقيقة.

«فاجتمع القوم» أى: ناس ليسوا أهله.

^{٣٢٢} (١) البقرة: ١٠١.

^{٣٢٣} (٢) هود: ٤٣.

«على الفرقة» عن الهدى و الحق الذى فى الكتاب.

«و افترقوا عن الجماعة» مع أهله.

«كأنهم أئمة الكتاب و ليس الكتاب امامهم» «و قال الرسولُ يا ربَّ إنَّ قومى اتَّخذُوا هذا القرآنَ مهجوراً»^{٣٢٤}.

«فلم يبق عندهم منه إلّا اسمه» دون معناه.

«و لا يعرفون إلّا خطّه و زبره» بالفتح أى: كتابته و المزبر القلم قال: «قد قضى الأمر و جف المزبر».

روى (الروضة) عن النبى صلى الله عليه و آله قال: سيأتى على الناس زمان لا يبقى من القرآن إلّا رسمه، و من الاسلام إلّا اسمه، يسمّون به و هم أبعد الناس منه، مساجدهم عامرة و هى خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظلّ السماء، منهم خرجت الفتنة، و إليهم تعود.

«و من قبل ما مثلوا» قيل (ما مثلوا) فى تأويل المصدر مبتدأ لقوله (و من قبل).

«بالصالحين كلّ مثله» إشارة إلى زمن عثمان و عمله مع أبى ذر و عمّار

ص: ٨٥

و الأشر و غيرهم كلّ شرّ من الضرب و النفى و غيرهما، و فى الخلفاء فى ما كتب عليه السلام لأهل العراق لمّا سألوه عن الثلاثة مشيراً إلى عثمان و خواصه - و هؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب و الفخر و التسلّط بالجبروت، و ما حكموا بالرشاد^{٣٢٥}.

«و سموا صدقهم على الله» فى حديثهم عن رسوله صلى الله عليه و آله.

«فريّة» أى: افتراء.

و فى رواية الجاحظ و الواقدي و غيرهما ان أبا ذر لمّا أرجع به معاوية من الشام إلى المدينة قال له عثمان: يا جنيد لا أنعم الله بك عينا، فقال أبو ذر:

أنا جندب و سمّانى النبى صلى الله عليه و آله عبد الله فاخترت اسم النبى صلى الله عليه و آله على اسمى^{٣٢٦}.

^{٣٢٤} (١) الفرقان: ٣٠.

^{٣٢٥} (١) الإمامة و السياسة لابن قتيبة: ١٥٨، مصطفى البابي الحلبي ١٩٦٩ م.

^{٣٢٦} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٥٥ باب (٤٣). اما رواية الواقدي فذكرها ابن أبي الحديد فى «شرح» ٨: ٢٥٨ باب ١٣٠.

فقال له عثمان أنت الذى تزعم أنا نقول يد الله مغلولة و ان الله فقير و نحن أغنياء فقال أبو ذر لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده و لكننى اشهد سمعت النبی صلی الله عليه و آله يقول إذا بلغ بنو أبی العاص ثلاثين رجلا جعلوا مال الله دولا و عباده خولا^{٣٢٧} - فقال عثمان لمن حضرا سمعتموها من النبی؟ قالوا لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذر أتكذب على رسول الله - فقال أبو ذر لمن حضر أما تدررون انى صدقت قالوا لا و الله ما ندرى، فقال عثمان ادعوا لى عليا فلما جاء قال عثمان لأبى ذر أقصص عليه حديثك فى بنى العاص فأعاده - فقال عثمان لعلی عليه السلام سمعت هذا من النبی؟ قال لا و صدق أبو ذر فقال كيف عرفت صدقه قال لأننى سمعت النبی صلی الله عليه و آله يقول: (ما آلت الخضراء و لا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر). فقال من حضر أما هذا فسمعناه كلنا من

ص: ٨٦

النبی صلی الله عليه و آله فقال: أبو ذر أحدثكم انى سمعت هذا من النبی صلی الله عليه و آله فتتهمونى ما كنت أظن انى أعيش حتى أسمع هذا من أصحاب محمد صلی الله عليه و آله - و رواه المسعودى فى (مروجه)^{٣٢٨}.

«و جعلوا فى الحسنه عقوبة السيئه» كما قال تعالى فى أصحاب الاخدود - «و ما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»^{٣٢٩} و ما نَقَمُوا من هؤلاء الذين مثلوا بهم إِلَّا أَنَّهُمْ تَوَلَّوْا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ الذى هو أصل الحسنات قال تعالى: «وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا»^{٣٣٠} ففى مقاتل أبى الفرج فى خطبة الحسن عليه السلام بعد أبيه - (إننا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا و الذين افترض الله مودتهم فى كتابه إذ يقول:

«وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا»^{٣٣١} فاقتراف الحسنه مودتنا أهل البيت).

«و انما هلك من كان قبلكم بطول آمالهم، و تغيب آجالهم حتى نزل بهم الموعود» «يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ»^{٣٣٢}.

«الذى ترد عنه المَعذْرَةُ» «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذِرَتُهُمْ وَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^{٣٣٣}.

«و ترفع عنه التوبة» «و لَيْسَتْ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا»

ص: ٨٧

«حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ الْآنَ»^{٣٣٤}.

^{٣٢٧} (٣) نقله المجلسي فى «بحار الأنوار» ٢٢: ٤١٦ رواية ٣٠.
^{٣٢٨} (١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥١. دار المعروفة- بيروت.
^{٣٢٩} (٢) البروج: ٨.
^{٣٣٠} (٣) الشورى: ٢٣.
^{٣٣١} (٤) الشورى: ٢٣.
^{٣٣٢} (٥) الحديد: ١٤.
^{٣٣٣} (٦) المؤمن: ٥٢.

«و تحل معه القارعة» أى: الداهية المهلكة و الأصل فيها مقارعة الكتائب بأسلحتهم قال (بهن فلول من قراع الكتائب).

«و النعمة» أى: الانتقام «وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ»^{٣٣٥}.

«أيها الناس من استنصح الله» بقبول مواعظ رسله و حكم كتبه.

«وفق» لرشده.

«و من اتخذ قوله دليلا هدى للتي» أى: للطريقة التى.

«هى أقوم» و الأصل فيه قوله تعالى: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»^{٣٣٦}.

«فان جار الله آمن» «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأُبَشِّرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ»^{٣٣٧}.

«و عدوا لله» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (و عدوه) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«خائف» «وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ»^{٣٣٨} - الآية -.

«و أنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله» فقال «إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ»

ص: ٨٨

«جديد و ما ذلك على الله بعزيز»^{٣٣٩} «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُدْلِلُ مَنْ تَشَاءُ بِبَيْدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^{٣٤٠} «قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِكَلِمَاتِ رَبِّى لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا»^{٣٤١}.

«أن يتعظم» فإنه ابن آدم المسكين مكتوم الأجل، مكنون العلل، محفوظ العمل، تولمه البقعة، و تقتله الشرقة، و تنتنه العرقعة.

^{٣٣٤} (١) النساء: ١٨.

^{٣٣٥} (٢) الانعام: ٩٣.

^{٣٣٦} (٣) الاسراء: ٩.

^{٣٣٧} (٤) فصلت: ٣٠.

^{٣٣٨} (٥) فصلت: ١٩.

^{٣٣٩} (١) ابراهيم: ١٩ - ٢٠.

^{٣٤٠} (٢) آل عمران: ٢٦ - ٢٧.

^{٣٤١} (٣) الكهف: ١٠٩.

«فان رفعة الذين يعرفون ما عظمتهم ان يتواضعوا له» قال ابن أبي الحديد قال النبي صلى الله عليه وآله: ان الله قد اذهب عنكم حمية الجاهلية، و فخر بالآباء، الناس بنو آدم، و آدم من تراب، مؤمن تقى، و فاجر شقى، لينتهين أقوام يفتخرون برجال انما هم فحم من فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من جعلات تدفع التتن بأنفها.

«و سلامة الذين يعلمون ما قدرته ان يستسلموا له» عن الزهرى قال: دخلت مع السجّاد عليه السلام على عبد الملك فلمّا رأى أثر السجود بين عينيه، قال: لقد بين عليك الاجتهاد و لقد سبق لك من الله الحسنى، و أنت بضعة من النبى، قريب النسب و كيد السبب، و انك لذو فضل عظيم على أهل بيتك، و ذوى عصرك، و لقد أوتيت من الفضل و العلم و الورع و الدين ما لم يؤته أحد إلّا من مضى من سلفك - و أقبل يطريه -.

ص: ٨٩

فقال عليه السلام: كلّ ما وصفته من فضل الله و تأييده و توفيقه فأين شكره على ما أنعم، و الله لو تقطعت أعضائي و سالت مقلتناى على صدرى لم أشكر عشر العشير من نعمة واحدة من نعمه التى لا تحصى لا و الله، لا يرانى الله يشغلنى شىء عن شكره و ذكره فى ليل و لانهار، و لا سرّ و لا علانية، و لو لا ان لأهلى علىّ حقاً و ان لسائر الناس من خاصّهم و عامهم علىّ حقوقاً لا يسعنى إلّا القيام بها حسب الوسع حتى أؤديها إليهم، لرميت بطرفى إلى السماء، و بقلبي إلى الله ثم لم أرددهما حتى يقضى الله على نفسى.

«فلا تنفروا من الحق نفار الصحيح من الأجرب» لثلا يسرى الجرب إليه، و فى الصحاح الأجر بان عبس و ذبيان تحوموا لقوتهم كما تتحامى الجرب.

«و البارئ» أى: السالم من الداء.

«من ذى القسم» و فى الخبر (فرّ من المجذوم فرارك من الأسد).

١٣

فى الخطبة (١٤٩) إنّ من عزائم الله فى الذكر الحكيم - التى عليها يثيب و يعاقب و لها يرضى و يسخط - أنّه لا ينفع عبداً - و إنّ أجهد نفسه و أخلص فعله - أن يخرج من الدنيا لاقياً ربّه - بخصلة من هذه الخصال لم يثب منها - أن يشرك بالله فيما افترض عليه من عبادته - أو يشفى غيظه بهلاك نفس - أو يعرّ بأمر فعله غيره - أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة فى دينه - أو يلقي الناس بوجهين أو يمشى فيهم بلسانين أقول: رواه اجمال طلب معيشة (الكافى الكلينى - الكافى - اجمال طلب معيشة) عن أبى عبد الله عليه السلام قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام كثيراً ما يقول: اعلّموا علماً يقينا ان الله جلّ و عز لم يجعل العبد و ان اشتدّ جهده، و عظمت حيلته، و كثرت مكائده، ان يسبق ما سمى له

ص: ٩٠

فى الذكر الحكيم، و لم يخل من العبد فى ضعفه و قلة حيلته، ان يبلغ ما سمى له فى الذكر الحكيم، أيها الناس أنه لن يزداد امرؤ تقيرا بحذقه، و لم ينتقص امرؤ تقيرا لحمقه، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة فى منفعتة و العالم بهذا التارك له أعظم الناس شغلا فى مضرتة، و رب منعم عليه مستدرج بالاحسان إليه، و رب مغرور فى الناس مصنوع له، فاتق الله أيها الساعى من سعيك، و قصر من عجلتك، و انتبه من سنة غفلتك، و تفكر فى ما جاء عن الله عز و جل على لسان نبيه صلى الله عليه و آله، و احتفظوا بهذه الحروف السبعة، فانها من قول أهل الحجى، و من عزائم الله فى الذكر الحكيم، أنه ليس لأحد أن يلقى الله جلّ و عزّ بخلة من هذه الخلال، الشرك بالله جلّ و عزّ فى ما افترض عليه، أو اشفاء غيظ بهلاك نفسه، أو اقرار بأمر يفعله غيره، أو يستنجح إلى مخلوق باظهار بدعة فى دينه، أو يسره ان يحمده الناس بما لم يفعل، و المتجبر المختال، و صاحب الابهة و الزهو.

و رواه (تحف عقول ابن أبى شعبة الحلبي - تحف العقول -) ابن أبى شعبة الحلبي، مرفوعا عنه عليه السلام هكذا: «ان من عزائم الله فى الذكر الحكيم التى لها يرضى و لها يسخط، و لها يثيب و عليها يعاقب، أنه ليس بمؤمن و ان حسن قوله، و زين وصفه غيره، إذا خرج من الدنيا فلقى الله بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها الشرك بالله فى ما افترض عليه من عبادته، أو شفاء غيظ بهلاك نفسه، أو يقر بعمل فعله غيره، أو يستنجح حاجة إلى الناس بإظهار بدعة فى دينه، أو سره ان يحمده الناس بما لم يفعل من خير أو مشى فى الناس بوجهين و لسانين و التجبر و الابهة «ان من عزائم الله» العزائم فى قبال الرخص كقوله لقمان فى ما حكى الله تعالى عنه: «يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَ أْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَ أَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ اصْبِرْ عَلَى»

ص: ٩١

«مَا أَصَابَكَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ»^{٣٤٢}.

و عزائم القرآن معروفة، و عزائم السجود أربعة و أولوا العزم من الرسل خمسة.

«فى الذكر الحكيم» أى: القرآن قال تعالى: «ذَلِكَ تَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ»^{٣٤٣}.

«التي عليها يثيب و يعاقب» فى الواجبات و المحرمات.

«و لها يرضى و يسخط» عطف على (عليها يثيب و يعاقب) و قد عرفت ان التحف قدم الثانى هو الأنسب.

«أنه لا ينفع عبدا و ان أجهد» أى: ألقى فى المشقة.

«نفسه و أخلص فعله» و صار فعالا.

^{٣٤٢} (١) لقمان: ١٧.
^{٣٤٣} (٢) آل عمران: ٥٨.

«ان يخرج من الدنيا لاقيا ربه بخصلة من هذه الخصال لم يتب منها» (هذه الخصال) اشارة إلى خصال ذكرها بعد، إلا ان المتن عدّها أربعة أو خمسة و عدّها (التحف) سبعة، و صرح خبر (الكافي) بكونها سبعة.

«أن يشرك بالله في ما افترض عليه من عبادته» «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ»^{٣٤٤}.

«وَ إِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَ هُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ وَ وَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَ فِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَ لَوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ وَ إِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا»^{٣٤٥}.

ص: ٩٢

«أو يشفى غيظه بهلاك نفس» «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا»^{٣٤٦}.

«أو يعر» في (الصحيح) (عره بشر) لطحه به و في نسخ ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب (أو يقر) بالقاف إلا ان الأول فسره باللطخ و هو معنى العر لا القر.

«بأمر فعله» الفاعل ضمير (عبدا).

«غيره» مفعول (يعر) و الأصل: (يعر غيره بأمر فعله هو) قال تعالى:

«وَ مَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا»^{٣٤٧}.

«أو يستنجد حاجة إلى الناس باظهار بدعة في دينه» «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ»^{٣٤٨} - «وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَ لَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ»^{٣٤٩} «فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ»^{٣٥٠}.

و في (عقاب أعمال) الصدوق عن الصادق عليه السلام: من مشى إلى صاحب بدعة فوقره فقد مشى في هدم الاسلام.

«أو يلقي الناس بوجهين أو يمشى فيهم بلسانين» قد عرفت ان (التحف) جعلهما شيئاً واحداً فقال: (أو مشى في الناس بوجهين و لسانين) و هو الأصح فالوجهان انما باللسانين كما ان المراد باللسانين التكلّم بكيفيتين فالظاهر ان (أو يمشى) محرّف (و يمشى).

^{٣٤٤} (٣) النساء: ٤٨.

^{٣٤٥} (٤) لقمان: ١٣-١٥.

^{٣٤٦} (١) النساء: ٩٣.

^{٣٤٧} (٢) النساء: ١١٢.

^{٣٤٨} (٣) الزمر: ٣٢.

^{٣٤٩} (٤) الانعام: ٩٣.

^{٣٥٠} (٥) الانعام: ١٤٤.

ص: ٩٣

و كيف كان فروى (الكافى) فى باب ذى اللسانين عن الصادق عليه السلام: قال من لقي المسلمين بوجهين و لسانين جاء يوم القيامة و له لسانان من نار.

و حكى تعالى عن المنافقين: «وَ إِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَ إِذَا خَلَوْا إِلَىٰ شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِؤْنَ»^{٣٥١}.

هذا، و قد عرفت ان (الكافى) (و التحف) زادا فى الخصال على ما فى (النهج) «أو يسره أن يحمدہ الناس بما لم يفعل»- و حينئذ فالأصل فيه قوله:

«لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسِبْنَهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^{٣٥٢} - و زادا (صاحب التجبر و الابهة) كما مر.

ص: ٩٥

الفصل الثانى و الاربعون فى ما بينه عليه السلام من العبادات و المعاملات و الخير و الشر

ص: ٩٧

١

الخطبة (١٠٦) و من خطبة له عليه السلام:

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ - إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى - الْإِيمَانُ بِهِ وَ بَرَسُولُهُ وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ - فَإِنَّهُ ذَرَوُهُ الْإِسْلَامُ - وَ كَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ - وَ إِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ - وَ إِيْتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ - وَ صَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ - وَ حَجُّ الْبَيْتِ؟

وَ اعْتِمَارُهُ - فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَ يَرْحَضَانِ الذَّنْبَ - وَ صَلَاةُ الرَّحِمِ - فَإِنَّهَا مَثْرَاءٌ فِي الْمَالِ وَ مَنْسَاءٌ فِي الْأَجَلِ - وَ صَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ - وَ صَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ - وَ صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ - أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ - وَ ارْغَبُوا فِيْمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ - وَ اقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ - وَ اسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ وَ تَعَلَّمُوا؟

ص: ٩٨

^{٣٥١} (١) البقرة: ١٤.

^{٣٥٢} (٢) آل عمران: ١٨٨.

الْقُرْآنَ؟ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ - وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رِبْعُ الْقُلُوبِ - وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ - وَاحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَنْفَعُ الْقَصَصِ - وَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْمِهِ - كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ - بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ - وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ أَقُولُ: وَرَوَاهُ (أَمَالِي الشَّيْخِ الطُّوسِيِّ - الْأَمَالِي -) الشَّيْخُ، (وَعَلَّلَ الشَّيْخُ الصَّدُوقُ - عَلَّلَ الشَّرَائِعَ -) الصَّدُوقُ (وَتَحْفَ ابْنُ أَبِي شُعْبَةَ - تَحْفَ الْعُقُولِ -) ابْنُ أَبِي شُعْبَةَ، وَكَذَا (الْكَافِي الْكَلِينِي - الْكَافِي -)، وَنَقَلَ عَنْ كِتَابِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَهْوَازِيِّ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ الْأَهْوَازِيِّ - الزَّهْدُ - ص ١٣ تَحْقِيقَ عِرْفَانِيَانِ ط ٢، ق ٣٥٣، أَمَّا الْأَوَّلُ فَرَوَى مُسْنَدًا عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَفْضَلُ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَانْهَاجُ الْفِطْرَةِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ فَانْهَاجُ الْمَلَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَانْهَاجُ مَنَافِعِ اللَّهِ، وَصِيَامُ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَانْهَاجُ جَنَّةٍ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، وَحَجُّ الْبَيْتِ فَانْهَاجُ مَنَافَةِ الْفَقْرِ، وَمَدْحُضَةُ لِلذَّنْبِ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ، فَانْهَاجُ مَثَرَةٍ لِلْمَالِ. وَنَسَائَةُ فِي الْأَجْلِ، وَالْصَّدَقَةُ فِي السَّرِّ فَانْهَاجُ تَذَهَبِ الْخَطِيئَةِ، وَتَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، فَانْهَاجُ تَدْفِيعِ مِيتَةِ السُّوءِ، وَتَقِي مَصَارِعَ الْهُوَانِ، إِلَّا فَاصْدُقُوا، فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ مَنْ صَدَقَ، وَجَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّ الْكَذِبَ مَجَانِبُ الْإِيمَانِ. أَلَا وَانِ الصَّادِقَ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ، أَلَا وَانِ الْكَاذِبَ عَلَى شَفَا مَنْجَاةٍ وَهَلَكَةٍ، أَلَا وَقُولُوا خَيْرًا تَعْرِفُوا بِهِ، وَاعْمَلُوا بِهِ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهِ، وَأَدُوا الْأَمَانَةَ إِلَى مَنْ ائْتَمَنَكُمْ، وَصَلُوا مِنْ قِطْعَتِكُمْ، وَاعْمَلُوا بِالْفَضْلِ عَلَى مَنْ سَالَمَكُمْ.

وَرَوَاهُ (الْعَلَلُ) بِإِسْنَادِهِ عَنْ حَمَادِ بْنِ عِيسَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَمْرٍو يَرْفَعُهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِثْلَهُ وَمِثْلَهُ عَنْ كِتَابِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ.

وَنَقَلَهُ (تَحْفَ الْحَلْبِيِّ) مَعَ إِضَافَاتٍ وَنَقَلَهُ عَنْهُ (الْخَوَثِيُّ) أَيْضًا فَقَالَ (خَطْبَتُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَعْرُوفَةُ بِالْإِيْبَاجِ) - (الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ الْخَلْقِ، وَفَالِقِ الْأَصْبَاحِ،

ص: ٩٩

وَمَنْشَرِ الْمَوْتَى، وَبَاعَثَ مِنْ فِي الْقُبُورِ، وَاشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَانِ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ. عِبَادَ اللَّهِ أَنْ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ، الْإِيمَانَ بِنَبِيِّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَا جَاءَتْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ، فَانْهَاجُ ذُرْوَةِ الْإِسْلَامِ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ، فَانْهَاجُ الْفِطْرَةِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ فَانْهَاجُ الْمَلَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَانْهَاجُ فَرِيضَةِ، وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَانْهَاجُ جَنَّةٍ حَصِينَةٍ، وَحَجُّ الْبَيْتِ وَالْعَمْرَةَ، فَانْهَاجُ يَنْفِيَانِ الْفَقْرِ وَيَكْفِرَانِ الذَّنْبَ، وَيُوجِبَانِ الْجَنَّةَ، وَصَلَةُ الرَّحِمِ فَانْهَاجُ ثَرْوَةٍ فِي الْمَالِ، وَنَسَائَةُ فِي الْأَجْلِ، وَتَكْثِيرُ لِلْعَدَدِ، وَالْصَّدَقَةُ فِي السَّرِّ فَانْهَاجُ تَكْفِيرِ الْخَطَا، وَتَطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَصَدَقَةُ فِي الْعِلَانِيَةِ، فَانْهَاجُ تَدْفِيعِ مِيتَةِ السُّوءِ، وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ، فَانْهَاجُ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَأَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ جَلَّ ذِكْرُهُ فَانْهَاجُ أَحْسَنِ الذِّكْرِ، وَهُوَ أَمَانٌ مِنَ النِّفَاقِ، وَبِرَاءَةٌ مِنَ النَّارِ وَتَذَكِيرٌ لِمُصَاحِبِهِ، عِنْدَ كُلِّ خَيْرٍ يَقْسِمُهُ اللَّهُ جَلَّ وَعِزُّهُ وَهُوَ دَوَى تَحْتَ الْعَرْشِ، وَارْغَبُوا فِي مَا وَعَدَ الْمُتَّقُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ أَصْدَقُ الْوَعْدِ، وَكُلُّ مَا وَعَدَ فَهُوَ آتٍ كَمَا وَعَدَ، فَاقْتَدُوا بِهَدْيِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَانْهَاجُ أَفْضَلِ الْهُدَى وَاسْتَنْوَا بِسُنَّتِهِ، فَانْهَاجُ أَشْرَفِ السُّنَنِ، وَتَعَلَّمُوا كِتَابَ اللَّهِ تَعَالَى فَانْهَاجُ أَحْسَنِ الْحَدِيثِ، وَأَبْلَغِ الْمَوْعِظَةِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَانْهَاجُ رِبْعِ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ، فَانْهَاجُ شِفَاءٍ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَاحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَانْهَاجُ أَحْسَنِ الْقَصَصِ، وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْكُمُ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَانصِتُوا لِعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ، وَإِذَا هَدَيْتُمْ لِعِلْمٍ فَاعْمَلُوا بِمَا عَلَّمْتُمْ لِعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ، وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ: أَنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بَغَيْرِ عِلْمٍ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ، وَالْحَسْرَةُ

أدوم على هذا العالم المنسلخ من علمه، مثل ما على هذا الجاهل المتحير في جهله و كلاهما حائر بائر مضل. مفتون ما هم فيه و باطل ما كانوا يعملون.

ص: ١٠٠

و روى (الكافي) في باب استعمال العلم مسندا عن محمد البرقي رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: في كلام له خطب به على المنبر: أيها الناس إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون، ان العالم العامل بغيره كالجاهل الحائر الذي لا يستفيق عن جهله، بل قد رأيت ان الحجة عليه أعظم، و الحسرة أدوم على هذا العالم المنسلخ عن علمه، منها على هذا الجاهل المتحير في جهله، و كلاهما حائر بائر، لا تراتبوا فتشكوا، و لا تشكوا فتكفروا، و لا ترخصوا لأنفسكم فتدهنوا، و لا تدهنوا في الحق فتخسروا، و ان من الحق ان تفقهوا، و من الفقه ألا تغتروا، و ان أنصحكم لنفسه أطوعكم لربه، و اغشكم لنفسه أعصاكم لربه و من يطع الله يأمن و يستسر. و من يعص الله يخب و يندم.

قول المصنف:

«و من خطبة له عليه السلام» قد عرفت ان (التحف) قال ان هذه الخطبة معروفة بالديباج لكن ليس في ما نقل لفظ ديباج فان وصفت بالوسيلة فله مناسبة.

قوله عليه السلام:

«ان أفضل ما توسل به المتوسلون» أى: تقرب به المتقربون، و هو واجب عقلا و قد نبه تعالى عليه: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ»^{٣٥٤}.

ثم الذى وقفنا عليه توسل كما فى كلامه عليه السلام و وسل مجردا كما فى قول لبيد:

أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذى دين إلى الله واسل

و أما (وسل) مضعفا فلم تقف عليه و ان قاله الجوهري و الفيروز آبادي.

«إلى الله سبحانه و الايمان به و برسوله» جعله عليه السلام أول الوسائل لأنه

ص: ١٠١

الأصل، قال تعالى: «آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَ الْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَ مَلَائِكَتِهِ وَ كُتُبِهِ وَ رُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَ قَالُوا سَمِعْنَا وَ أَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَ إِلَيْكَ الْمَصِيرُ»^{٣٥٥}.

«و الجهاد فى سبيله» و منه الأمر بالمعروف، و النهى عن المنكر و منه جهاد النفس قال تعالى: «و جَاهِدُوا فى سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^{٢٥٦}.

«فأنه ذروة» بالكسر و الضم أى: أعلى.

«الاسلام و كلمة» عطف على (الايمان).

«الخلاص» روى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام من قال لا إله إلا الله مخلصا دخل الجنة و اخلاصه بها ان (تحجزه) (لا إله إلا الله) عمّا حرّم الله.

و روى عن حذيفة: لا تزال (لا إله إلا الله) ترد غضب الرب عن العباد ما كانوا لا يبالون ما انتقص من دنياهم إذا سلم دينهم، فإذا كانوا لا يبالون ما انتقص من دينهم إذا سلمت دنياهم ثم قالوها ردت عليهم و قيل كذبتهم و لستم بها صادقين.

«فانها الفطرة» التى فطر الله الناس عليها.

«و اقام الصلاة، فانها الملة» أى: الدين و الشريعة.

روى فضل صلاة (الكافى) عن معاوية بن وهب قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم ما هو؟ فقال: ما علم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلاة ألا ترى ان العبد الصالح عيسى بن مريم عليه السلام قال: «وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»^{٢٥٧}.

ص: ١٠٢

و عنه عليه السلام أحب الاعمال إلى الله عز و جل الصلاة و هى آخر أوصياء الأنبياء - و عنه عليه السلام إذا قام المصلّى إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض و حفت به الملائكة، و ناداه ملك لو يعلم هذا المصلّى ما فى الصلاة ما انفتل.

«و ابتاء الزكاة فانها فريضة واجبة» روى فرض زكاة (الكافى) عن الصادق عليه السلام: ما فرض الله على هذه الأمة شيئا أشدّ عليهم من الزكاة، و فيها تهلك عامتهم.

و روى منع زكاته عن أبى جعفر عليه السلام قال بينا النبى صلى الله عليه و آله فى المسجد إذ قال قم يا فلان و يا فلان - حتى عد خمسة فقال أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه و أنتم لا تركون.

^{٢٥٥} (١) البقرة: ٢٨٥.

^{٢٥٦} (٢) المائدة: ٣٥.

^{٢٥٧} (٣) مريم: ٣٠١.

و عن أبي عبد الله عليه السلام من منع قيراطا من الزكاة فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا - و عنه عليه السلام من منع قيراطا من الزكاة فليس بمؤمن و لا مسلم، و هو قوله تعالى: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»^{٣٥٨}.

«و صوم شهر رمضان فإنه جنّة من العقاب» روى فضل صوم (الكافي) عن علي بن عبد العزيز قال قال لي أبو عبد الله عليه السلام: ألا أخبرك بأصل الاسلام و فرعه و ذروته و سنامه؟ قلت: بلى، قال: أصله الصلاة و فرعه الزكاة و ذروته و سنامه الجهاد في سبيل الله، ألا أخبرك بأبواب الخير ان الصوم جنّة.

و عنه عليه السلام ان لله تعالى في كلّ ليلة من شهر رمضان عتقاء و طلقاء من النار، الا من أفطر على مسكر، فاذا كان في آخر ليلة منه أعتق فيها مثل ما أعتق في جميعه.

«و حجّ البيت و اعتماره فانهما ينفيان الفقر و يرحضان» أي: يغسلان.

ص: ١٠٣

«الذنب» فيزيلانه.

روى فضل حجّ (الكافي) و عمرته، عن إسحاق بن عمار قلت لأبي عبد الله عليه السلام اني قد وطّنت نفسي على لزوم الحجّ كلّ عام بنفسي أو برجل من أهل بيتي بمالي فقال: و قد عزمت على ذلك؟ قلت نعم قال: ان فعلت فايقن بكثرة المال.

و عن النبي صلّى الله عليه و آله لا يحالف الفقر و الحمى مدمن الحج و العمرة - و عن الصادق عليه السلام تابعوا بين الحج و العمرة فانهما ينفيان الفقر و الذنوب، كما ينفي الكير خبث الحديد.

و عنه عليه السلام الحجاج يصدرون على ثلاثة أصناف: صنف يعتق من النار، و صنف يخرج من ذنوبه كهينة يوم ولدته أمه، و صنف يحفظ في أهله و ماله فذلك أدنى ما يرجع به الحاج.

«و صلة الرحم» «و اتقوا الله الذي تسألون به و الأرحام»^{٣٥٩}.

«فانها» أي: الصلة.

«مثراء» أي: مكثره.

«في المال و منساة» أي: مؤخره.

«للأجل» و موجبة لطول العمر.

^{٣٥٨} (١) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

^{٣٥٩} (١) النساء: ١.

روى صلة أرحام (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام صلة الأرحام تزكى الأعمال، و تنمى الأموال، و تدفع البلوى، و تيسر الحساب، و تنسى فى الأجل.

و عن الرضا عليه السلام يكون الرجل يصل رحمه، فيكون قد بقى من عمره ثلاث سنين فيصيرها الله ثلاثين و يفعل الله ما يشاء.

و عن الصادق عليه السلام صلة الرحم و حسن الجوار يعمران الديار و يزيدان

ص: ١٠٤

فى الأعمار- و عن النبى صلى الله عليه و آله من سره النساء فى الأجل و الزيادة فى الرزق فليصل رحمه- و ان القوم ليكونون فجرة- و لا يكونون بررة- فيصلون أرحامهم فتتمى أموالهم و تطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبرارا بررة.

و عنه صلى الله عليه و آله من سره أن يمد الله فى عمره و ان يبسط له فى رزقه، فليصل رحمه فان الرحم لها لسان يوم القيامة ذلق يقول يا رب: صل من وصلنى و اقطع من قطعنى، فالرجل ليرى بسبيل خير حتى إذا أتته الرحم التى قطعها فتهوى به إلى أسفل قعر فى النار.

و عن الصادق عليه السلام صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة و هى منسأة فى العمر و تقى مصارع السوء.

و عنه عليه السلام انى أحب أن يعلم الله انى قد أذلت رقبتي فى رحمتى و انى لا بادر أهل بيتى أصلهم قبل أن يستغنوا عنى.

و عنه عليه السلام وقع بينه و بين عبد الله بن الحسن كلام فافترقا فغدا عليه السلام على باب عبد الله فخرج عبد الله إليه عليه السلام فقال عليه السلام له: انى تلوت آية من كتاب الله البارحة فأفلقتنى قال و ما هى؟ قال: قوله تعالى: «و الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ»^{٣٦٠}.

قال صدقت و كانى لم أقرأ هذه الآية- فاعتنقا و بكيا.

«و صدقة السرّ فانها تكفر الخطيئة» قال تعالى: «إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»^{٣٦١}.

و روى صدقة سر (الكافي) عن النبى صلى الله عليه و آله صدقة السر تطفى غضب الرب.

ص: ١٠٥

^{٣٦٠} (١) الرعد: ٢١.

^{٣٦١} (٢) البقرة: ٢٧.

«و صدقة العلانية فانها تدفع ميتة السوء» روى فضل صدقة (الكافي) عن الباقر عليه السلام البر و الصدقة ينفيان الفقر و يزيدان في العمر و يدفعان عن سبعين ميتة سوء.

و عن الصادق عليه السلام داووا مرضاكم بالصدقة و ادفعوا البلاء بالدعاء، و استنزلوا الرزق بالصدقة فانها غ تفك من بين لحي سبعمائة شيطان كلهم يأمره ألا يفعل.

و عن محمد بن عمر بن يزيد، أخبرت الرضا عليه السلام اني أصبت بابنين و بقي لى بنى صغير، فقال: تصدق عنه - ثم قال: حين حضر قيامي مر الصبي فليصدق بيده بالقبضة و الكسرة و الشيء و ان قل.

«و صنایع المعروف فانها تقى مصارع الهوان» روى صنایع المعروف من (الكافي) عن الصادقين عليهما السلام انها تدفع مصارع السوء.

و روى فضل معروفه عن النبي صلى الله عليه و آله قال: أول من يدخل الجنة المعروف و أهله و أول من يرد على الحوض - و عن الصادق عليه السلام اقبلوا لأهل المعروف عثراتهم فان كف الله تعالى عليهم هكذا - و أومىء بيده - كأنه يظل بها شيئاً.

و روى (باب كون أهل معروف الدنيا أهل معروف الآخرة) من الكافي عن الصادق عليه السلام قال: ان للجنة بابا يقال له المعروف، لا يدخله إلا أهل المعروف، و أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة - و زاد فى خبر آخر - يقال لهم: ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم.

«أفيضوا فى ذكر الله» أى: اندفعوا فيه.

«فانه أحسن الذكر» روى (باب ما يجب من ذكر الكافي) عن الصادق عليه السلام ما من مجلس يجتمع فيه أبرار أو فجّار فيقومون على غير ذكر الله تعالى إلا

ص: ١٠٦

كان عليهم حسرة يوم القيامة.

و عنه عليه السلام قال تعالى: يا ابن آدم اذكرني فى ملئك اذكرني فى ملأ خير من ملئك - و عنه عليه السلام قال تعالى: من ذكرني فى ملأ من الناس ذكرته فى ملأ من الملائكة.

و روى فى (باب ذكره تعالى كثيرا) عنه عليه السلام قال: ما من شىء إلا و له حد ينتهى إليه إليه إلا الذكر فليس له حد - إلى أن قال - ثم تلا: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا وَ سَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَ أَصِيلًا»^{٣٦٢} - قال ابن القداح: لقد كنت أمشى معه

^{٣٦٢} (١) الاحزاب: ٤١ - ٤٢.

عليه السلام و أنه ليذكر الله و آكل معه الطعام و أنه ليذكر الله و لقد كان يحدث القوم و ما يشغله ذلك عن ذكر الله و كنت أرى لسانه لازقا بحنكه يقول:

لا إله إلا الله و كان يجمعنا و يأمرنا بالذكر حتى تطلع الشمس و من كان لا يقرأ منا أمره بالذكر و من يقرأ يأمره بالقراءة - و قال: البيت الذي يقرأ فيه القرآن و يذكر الله تعالى فيه تكثر بركته، و تحضره الملائكة، و تهجره الشياطين و يضيء لأهل السماء كما يضيء الكوكب الدرى لأهل الأرض - و البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن و لا يذكر الله تعالى فيه تقل بركته و تهجره الملائكة، و تحضره الشياطين - و قال النبي صلى الله عليه و آله: ألا أخبركم بخير أعمالكم، و أرفعها، فى درجاتكم، و أزكاها عند مليككم؟ قالوا بلى قال: ذكر الله تعالى.

و عنه عليه السلام جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه و آله فقال: من خير أهل المسجد؟ فقال أكثرهم ذكرا لله - و قال صلى الله عليه و آله: من أكثر ذكر الله أحبه الله و من ذكر الله كثيرا كتبت له برائتان: براءة من النار و براءة من النفاق.

و عنه عليه السلام يموت المؤمن بكل ميتة إلا الصاعقة لا تأخذه و هو يذكر الله تعالى.

ص: ١٠٧

و عنه عليه السلام يقول تعالى: من شغل بذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى من سألتنى - و عنه عليه السلام قال: من ذكرنى سرّاً ذكرته علانية - و قال فى قوله تعالى «وَ اذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرَّعاً وَ خَيْفَةً»^{٣٦٣} فلا يعلم ثواب ذلك الذكر فى نفس الرجل غيره تعالى.

و عنه عليه السلام الذّاكر لله تعالى فى الغافلين كالمقاتل فى الهاربين.

«و ارغبوا فى ما وعد الله المتقين» من الثواب «تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا»^{٣٦٤} - «يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا»^{٣٦٥} - «وَ إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ نُنْجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا»^{٣٦٦}.

«فأنه» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (فان وعده) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«أصدق الوعد» «وَ مَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا»^{٣٦٧} - «وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ»^{٣٦٨}.

«و اقتدوا بهدى» بالفتح فالسكون أى: سيرة.

^{٣٦٣} (١) الاعراف: ٢٠٥.

^{٣٦٤} (٢) مريم: ٦٣.

^{٣٦٥} (٣) مريم: ٨٥.

^{٣٦٦} (٤) مريم: ٧١ - ٧٢.

^{٣٦٧} (٥) النساء: ١٢٢.

^{٣٦٨} (٦) التوبة: ١١١.

«بَيِّكُم فَانَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ» و رَوَا عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ (وَ اهدوا هدى عمّار).

«وَ اسْتَنُوا بِسُنَّتِهِ» وَ «لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ»^{٣٦٩}.

ص: ١٠٨

«فَانَّهُ» هَكَذَا فِي (المصرية)، وَ الصواب: (فانها) كما في ابن أبي الحديد وَ ابن ميثم وَ الخطيب.

«أَهْدَى السَّنَنِ» «وَ مَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ»^{٣٧٠} - «مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَ مَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»^{٣٧١}.

«وَ تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَانَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ» رَوَى: (فضل حامل قرآن الكافي) عن الصادق عليه السلام الحافظ للقرآن العامل به مع السفارة الكرام البررة.

وَ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ: تَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَيُوتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِنَاجٍ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ وَ يُعْطَى الْأَمَانُ بِيَمِينِهِ، وَ الْخَلْدُ فِي الْجَنَانِ بِيساره، وَ يَكْسَى حَلَّتِينَ ثُمَّ يُقَالُ لَهُ أَقْرَأْ وَ اِرْقُ، فَكَلَّمَا قَرَأَ آيَةً صَعِدَ دَرَجَةً، وَ يَكْسَى أَبْوَاهَ حَلَّتَيْنِ إِنْ كَانَا مُؤْمِنِينَ، ثُمَّ يُقَالُ لِهَمَا هَذَا بِمَا عِلْمَتُمَا الْقُرْآنَ.

«وَ تَفَقَّهُوا فِيهِ، فَانَّهُ رِبْعُ الْقُلُوبِ» وَ ذَمَّ تَعَالَى أَقْوَامًا لَا يَتَدَبَّرُونَ فِيهِ فَقَالَ:

«أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا»^{٣٧٢}.

وَ رَوَى فَضْلُ قُرْآنِ (الكافي) عن الصادق عليه السلام، قَالَ: إِنْ هَذَا الْقُرْآنُ فِيهِ مَنَارُ الْهَدْيِ، وَ مَصَابِيحُ الدُّجَى، فَلْيَجْلِ جَالِ بَصَرِهِ، وَ يَفْتَحْ لِلضِّيَاءِ نَظْرَهُ، فَإِنَّ التَّفَكُّرَ حَيَاةُ قَلْبِ الْبَصِيرِ كَمَا يَمْشِي الْمُسْتَنِيرُ فِي الظُّلُمَاتِ بِالنُّورِ.

«وَ اسْتَشْفَعُوا بِنُورِهِ فَانَّهُ شِفَاءُ الصَّدُورِ» مِنْ أَمْرَاضِ الْأَخْلَاقِ الرَّذِيلَةِ، وَ مِنْ الْأَمْرَاضِ الظَّاهِرِيَّةِ وَ الْبَاطِنِيَّةِ.

وَ فِي (الكافي) عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَكَاهُ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَجَعًا فِي صَدْرِهِ، فَقَالَ اسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَانَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: «وَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ»^{٣٧٣}.

ص: ١٠٩

^{٣٦٩} (٧) الاحزاب: ٢١.

^{٣٧٠} (١) النجم: ٣-٤.

^{٣٧١} (٢) الحشر: ٧.

^{٣٧٢} (٣) محمد يونس: ٢٤.

^{٣٧٣} (٤): ٥٧.

«و احسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص» للبشر أما أنفعيته قصصا فروى (قراءة قرآن الكافي) عن الصادق عليه السلام القرآن عهد الله إلى خلقه، فقد ينبغي للمرء المسلم أن ينظر في عهده، وان يقرأ منه في كل يوم خمسين آية.

و (عن السّجاد عليه السلام: آيات القرآن خزائن فكلما فتحت خزائنه ينبغي لك أن تنظر ما فيها) و أما احسان تلاوته فروى في ترتيله عن النبي صلى الله عليه و آله اقرءوا القرآن بالحنّ العرب و أصواتها، و اياكم و لحون أهل الفسق و أهل الكبائر فإنه سيحىء بعدى أقوام يرجعون القرآن ترجيع الغنا و النوح و الرهبانية لا يجوز تراقيهم، قلوبهم مقلوبة، و قلوب من يعجبه شأنهم.

و عن الصادق عليه السلام ان القرآن نزل بالحزن فاقرءوه بالحزن - و عن النبي صلى الله عليه و آله لكل شيء حلية و حلية القرآن الصوت الحسن.

«فان العالم العامل بغير علمه» فى رواية المصنف سقط لقلة ربطه بما قبله و قد عرفت ان (الكافي) رواه «إذا علمتم فاعملوا بما علمتم لعلكم تهتدون ان العالم» - إلخ - و كذا (التحفة) كما مر.

و كيف كان فروى استعمال علم (الكافي) عن الفضل، قال: قلت للصادق عليه السلام بم يعرف الناجي؟ قال: من كان فعله لقوله موافقا فاثبت له الشهادة و من لم يكن فعله لقوله موافقا فانما ذلك مستودع.

و عن هاشم بن البريد، قال: جاء رجل إلى على بن الحسين عليه السلام فسأله عن مسائل فأجاب ثم عاد ليسأل عن مثلها - فقال عليه السلام: مكتوب فى الانجيل، لا تطلبوا علم ما لا تعلمون، و لمّا تعملوا بما علمتم فان العلم إذا لم يعمل به لم يزد صاحبها إلّا كفرا و لم يزد من الله إلّا بعدا.

و عن الصادق عليه السلام ان العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل المطر عن الصفا.

ص: ١١٠

«كالجاهل الحائر الذى لا يستفيق» يقال: أفاق المجنون و استفاق إذا رجع إليه عقله من جهله، فيكون كالمجنون الاطباقي لا الادوارى.

و فى (الكافي) عن الصادق عليه السلام العامل على غير بصيرة كالسائر على غير طريق لا يزيده سرعة السير إلّا بعدا.

و عن النبي صلى الله عليه و آله من عمل على غير علم كان ما يفسد أكثر ممّا يصلح.

«بل الحجة عليه أعظم» من الجاهل.

«و الحسرة له ألزم» منه.

«و هو عند الله ألوَم» أى: أحق باللوم منه.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام يغفر للجاهل سبعون ذنبا قبل أن يغفر للعالم ذنب واحد- و قال عيسى عليه السلام: ويل للعلماء السوء كيف تلظي عليهم النار.

و عنه عليه السلام إذا بلغت النفس ههنا- و أشار بيده إلى حلقة- لم يكن للعالم توبة ثم قرء «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ»^{٣٧٤}.

٢

في الخطبة (١١) منها في ذكر الحج:

وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ- الَّذِي جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلنَّاسِ- الَّذِي يَرُدُّونَهُ وُرُودَ الْأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وَلَوْهَ الْحِمَامِ- جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عِلْمًا لِنَوَاضِعِهِمْ لِعِظَمَتِهِ- وَادْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ- وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ- وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ- وَتَشَبَّهُوا بِمَلَائِكَتِهِ الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ- يُحْرِزُونَ الْأَرْبَاحَ فِي مَنَاجِرِ عِبَادَتِهِ- وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَهُ

ص: ١١١

مَوْعِدَ مَغْفِرَتِهِ- جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْإِسْلَامِ عِلْمًا- وَلِلْعَانِدِينَ حَرَمًا فَرَضَ حَقُّهُ وَأَوْجَبَ حَجُّهُ- وَكُتِبَ عَلَيْكُمْ وَفَادَتُهُ- فَقَالَ سُبْحَانَهُ «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»^{٣٧٥} «و فرض عليكم حج بيبته الحرام» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله يوم فتح مكة- ان الله حرم مكة يوم خلق السماوات و الأرض، و هي حرام إلى أن تقوم الساعة لم تحل لأحد قبلي و لا تحل لأحد بعدى، و لم تحل لى إلا ساعة من نهار.

«و الذى جعله قبلة للأمم» روى (ابتلاء خلق الناس بالكعبة) من (الكافي) (عن عيسى بن يونس قال: كان ابن أبى العوجاء من تلامذة الحسن البصرى فانحرف عن التوحيد، فقليل له تركت مذهب صاحبك و دخلت فى ما لا أصل له و لا حقيقة- فقال: ان صاحبي كان مخلطا كان يقول طورا بالقدر و طورا بالجبر و ما أعلمه أعتقد مذهبا دام عليه- فقدم مكة متمردا و انكارا على من يحج- و كان يكره العلماء مجالسته لخبث لسانه و فساد ضميره- فأتى أبا عبد الله عليه السلام فجلس إليه فى جماعة من نظرائه فقال: يا أبا عبد الله، ان المجالس بالأمانات، و لا بد لكل من به سعال أن يسعل أ فتأذن لى فى الكلام.

فقال تكلم فقال: «إلى كم تدوسون بهذا البيدر و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر، و تهزلون حوله هرولة البعير إذا نفر ان من فكر فى هذا و قدر علم ان هذا فعل أسسه غير حكيم و لاذى نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر و سنامه، و أبوك أسه و تمامه) فقال عليه السلام: ان من أضله الله و أعمى قلبه، و استوخم الحق و لم يستعذ به فصار الشيطان وليه و ربه، يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، و هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر

ص: ١١٢

^{٣٧٤} (١) النساء: ١٧.
^{٣٧٥} (١) آل عمران: ٩٧.

طاعتهم في إتيانه، فحثهم على تعظيمه وزيارته وجعله محل أنبيائه وقبله للمصلين إليه فهو شعبة من رضوانه، و طريق يؤدي إلى غفرانه، منصوب على استواء الكمال و مجمع العظمة و الجلال، خلقه الله قبل دخول الأرض بالفي عام، و أحق من أطيع في ما أمر، و انتهى عما نهى عنه و زجر، الله الذي منشى الأرواح و الصور.

«الذي يردونه ورود الأنعام» لشربها.

و في ابتداء (كعبة الفقيه)، روى أن الكعبة شكت إلى الله تعالى في الفترة بين عيسى و محمد صلوات الله عليهما قلة زوارها، فأوحى إليها أني منزل نورا جديدا على قوم يحنون إليك كما تحن الأنعام إلى أولادها، و يزفون إليك كما تزف النسوان إلى أزواجهن - يعني أمة النبي صلى الله عليه و آله و لنعم ما قيل بالفارسية:

هو ای کعبه چنان میکشاند بنشاط که خارهای مگیلان حریر میاید

«و يألّهون إليه ولوه الحمام» قالوا و من طبع الحمام أنه يطلب و كره و لو أرسل من ألف فرسخ و ربما اصطيد و غاب عن وطنه عشر حجج فأكثر، ثم هو على ثبات عقله حتى يجد فرصة فيطير إلى وطنه.

هذا، و بدل حد (يألّهون) بقوله (يولّهون) و قال: و من روى (يألّهون) أى يعكفون عليه عكوف الحمام - (اله إليه) أى عكف عليه كأنه يعبد، و لا يجوز أن يكون (يألّهون) بمعنى (يولّهون) بكون أصل الهمزة واوا كما قال الراوندى لأن (فعولا) لا يجوز أن يكون مصدر (فعلت) بالكسر، و لو كان (يألّهون) (يولّهون) كان أصله بالكسر و أما على ما فسرناه فلا يمنع أن يكون (الولوه) مصدرا لأن (اله) مفتوح فصار كقولك (دخل دخولا).

قلت اما ما قاله من ان معنى (يألّهون إليه) أى يعكفون عليه فغلط لفظا و معنى، أما لفظا، فلأنه لم يقل أحد ان معنى (اله) عكف بل عبد، فان قال قلته

ص: ١١٣

كناية يمنعه (إليه) فلو كان (عليه) كان له وجه، و أما معنى فلأن الناس لا يعكفون في مكة و انما يشتاقون إلى زيارتها اشتياق الحمام إلى و كرها - و اما ما قاله من ان (فعولا) لا يكون مصدر (فعل) بالكسر و (وله) بالكسر فليس كليا بل إذا كان مضارعه يفعل بالفتح.

و اما إذا كان يفعل بالكسر فيجوز كما في قولك (وثق و ثوقا) و قد قال القاموس (وله) مثل (ورث) و (وجل) و (وعد) - و اما ما قاله من أنه إذا كان (يألّهون) مهموز الأصل فيجوز ان يكون مصدره و لوها لأن (اله) مفتوح فيكون مثل دخل دخولا - ففيه ان مصادر المجرد ليست بقياسية و لم ينقل في اللغة كون مصدر (اله) (الوها) بل (الاهه) و (الوهه).

ثم ان غير ابن أبى الحديد من الراوندى الذى كان أول شارح (للنهج) و ابن ميثم الذى كان نسخه من النهج بخط المصدق و غيرهما نقله (و يألّهون إليه) و هو صحيح كما فسّره القاموس فقال (اله) كفرح تحير و (على فلان) اشتد جزعه عليه و (إليه) فرع و لا ذ.

«جعل له سبحانه علامة لتواضعهم لعظمته و اذعانهم» أى: اقرارهم.

«لعرته» فى (العلل) عن الرضا عليه السلام علّة الحج الوفاة إلى الله تعالى، و طلب الزيادة و الخروج من كل ما اقترب ليكون تائباً ممّا مضى، مستأنفاً لمّا يستقبل، و ما فيه من استخراج الأموال و تعب الأبدان، و حظرها عن الشهوات و اللذات و التقرب و الخضوع و الاستكانة و الذل شاخصاً فى الحر و البرد، و الأمن و الخوف، دائماً فى ذلك دائماً و فى ذلك لجميع الخلق من المنافع، و الرغبة و الرهبة إلى الله تعالى و منه ترك قساوة القلب و خساسة الأنفس، و نسيان الذكر، و انقطاع الرجاء و الأمل، و تجديد الحقوق، و حظر الأنفس عن الفساد، و منفعة من فى المشرق و المغرب، و من فى البر و البحر ممّن يحجّ

ص: ١١٤

و من لا يحجّ من تاجر و جالب و بائع و مشتر و كاتب و مسكين، و قضاء حوائج أهل الأطراف و المواضع الممكن لهم الاجتماع فيها كذلك ليشهدوا منافع لهم عليه - و فرض الحج مرة واحدة لأنّه تعالى وضع الفرائض على أدنى القوم قوّة ثم رغب أهل القوّة على قدر طاعتهم.

«و اختار من خلقه سمّاعاً» لأمره تعالى.

«أجابوا إليه دعوته و صدقوا كلمته» فى (البرهان) قال القمى: لمّا فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله أن يؤذن فى الناس بالحج فقال: يا رب و ما يبلغ صوتي؟ فقال تعالى: عليك الاذان و علىّ البلاغ فارتفع على المقام و هو يومئذ يلصق البيت فارتفع به المقام حتى كأنّه أطول من الجبال فنادى و ادخل اصبعه فى اذنه و أقبل بوجهه شرقاً و غرباً يقول: أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فاجيبوا ربكم - فأجابه من تحت البحور السبع، و من بين المشرق و المغرب إلى منقطع التراب من أطراف الأرض كلّها و من فى أصلاب الرجال و أرحام النساء بالتلبية «لبيك اللهم لبيك» فمن حجّ من يومئذ إلى يوم القيامة فهم ممّن استجاب لله و ذلك قوله: «فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ»^{٣٧٦} يعنى نداء إبراهيم على المقام بالحج.

«و وقفوا مواقف أنبيائه» روى (الفقيه) فى باب حج الأنبياء (عن أبى جعفر عليه السلام أتى آدم عليه السلام هذا البيت ألفاً على قدميه منها سبعمائة حجّة و ثلاثمائة عمرة و كان يأتيه من ناحية الشام).

و روى ان سفينة نوح كان طولها ألفاً و مأتى ذراع و عرضها مائة ذراع، و طولها فى السماء ثمانين ذراعاً فركب فيها فطافت بالبيت سبعة أشواط، وسعت بين الصفا و المروة سبعا ثم استوت على الجودى.

و روى ان موسى عليه السلام أحرم من رمله مصر و أنه مر فى سبعين نبيا على صفائح الروحاء عليهم العباء القطوانية يقول: لبيك، عبدك ابن عبيدك لبيك - و ان يونس بن متى مر بصفائح الروحاء و هو يقول: (لبيك كشاف الكرب العظام لبيك).

و روى ان عيسى بن مريم عليه السلام مر بصفائح الروحاء و هو يقول: لبيك عبدك ابن امتك لبيك - و روى ان النبى صلى الله عليه و آله مر بصفائح الروحاء و هو يقول:

(لبيك ذا المعارج لبيك) و ان موسى عليه السلام كان يلبي و تجيبه الجبال.

و روى ان سليمان عليه السلام قد حج فى الجن و الإنس و الطير و الرياح و كسى البيت القباطى.

و روى ان النبى صلى الله عليه و آله و سلم حجّ عشرين حجة مستسرا و اعتمر تسع عمر و لم يحجّ حجة الوداع إلّا و قبلها حجّ.

و روى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السلام قال صلى فى مسجد الخيف سبعمائة نبى و ان بين الركن و المقام لمشحون من قبور الأنبياء، و ان آدم لفى حرم الله تعالى.

و عن أبى عبد الله عليه السلام قال: حيال الميزان مصلّى شبر و شبيرا ابنى هارون.

«و تشبهوا بملائكة المطيفين بعرشه» روى (العلل) عن الرضا عليه السلام ان علّة الطواف بالبيت ان الله تعالى لما قال للملائكة: «إِنِّى جَاعِلٌ فِى الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَ تَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَ يَسْفِكُ الدِّمَاءَ»^{٣٧٧} فردوا على الله تعالى بهذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش و استغفروا فأحب الله تعالى أن يتعبد بمثل ذلك العباد فوضع فى السماء الرابعة بيتا بحذاء العرش

يسمى الضراح ثم وضع فى السماء الدنيا بيتا يسمى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثم وضع البيت بحذاء البيت المعمور، ثم أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه و جرى ذلك فى ولده إلى يوم القيامة.

بل ورد ان الملائكة طافوا بالكعبة أيضا كالعرش ففى (الفضيلة) عن الصادق عليه السلام لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة بالأبطح فقالوا يا آدم بر حجك، أما انا قد حججنا هذا البيت قبل أن تحجّه بالفى عام.

«يحرزون الارباح فى متجر عبادته» روى (العلل) عن هشام بن الحكم قال:

سألت أبا عبد الله عليه السلام ما العلة في تكليف الحج؟ فقال عليه السلام ان الله تعالى خلق الخلق لا لعله أنه شاء ففعل فجعلهم إلى وقت مؤجل و أمرهم و نهاهم ما يكون من أمر الطاعة في الدين، و مصلحتهم في أمر دنياهم، فجعل فيه الاجتماع من المشرق و المغرب ليتعارفوا، و لينزع كل قوم من التجارات من بلد إلى بلد، و لينتفع بذلك المكارى و الجمال و لتعرف آثار النبي صلى الله عليه و آله و يعرف أخباره، و يذكر و لا ينسى، و لو كان كل قوم انما يتكلمون على بلادهم و ما فيها هلكوا، و خربت البلاد و سقط الجلب و الأرباح و عميت الأخبار.

«و يتبادرون عند موعد» هكذا في (المصرية) و الصواب: (عنده موعد) كما في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«مغفرته» «و سارعوا إلى مغفرة من ربكم و جنة عرضها السماوات و الأرض أعدت للمتقين»^{٣٧٨}.

و في (العلل) عن الصادق عليه السلام مر عمر على الحجر الأسود فقال: يا حجر أنا لنعلم انك حجر لا تضر و لا تنفع إلّا أنا رأينا النبي صلى الله عليه و آله يحبك فنحن نحبك - فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: كيف قلت يا ابن الخطاب فو الله ليبعته الله يوم

ص: ١١٧

القيامة و له لسان و شفتان فيشهد لمن و افاه و هو يمين الله في أرضه يبائع بها خلقه، فقال عمر: لا أبقاني في بلده لا يكون فيه على بن أبي طالب.

«جعله سبحانه و تعالى» هكذا في (المصرية)، و كلمة (و تعالى) زائدة لخلو ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب عنها.

«للاسلام علما» في (الفقيه) عن الصادق عليه السلام (لا يزال الدين قائما ما قامت الكعبة - و في خبر - ما خلق الله تعالى بقعة في الأرض أحب إليه من الكعبة و لا أكرم عليه منها لها حرم الله الأشهر في كتابه يوم خلق السماوات و الأرض).

«و للعائدين حرما» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى:

«وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا»^{٣٧٩} من دخل الحرم من الناس مستجيّرا به فهو آمن من سخط الله تعالى، و من دخله من الوحش و الطير كان آمنا من ان يهاج أو يؤذى حتى يخرج من الحرم.

و عنه عليه السلام إذا أحدث العبد جنائية في غير الحرم ثم فرّ إلى الحرم لم يسغ لأحد أن يأخذه في الحرم، و لكن يمنع من السوق و لا يبايع و لا يطعم و لا يسقى و لا يكلم، فإنّه إذا فعل به ذلك يوشك أن يخرج فيؤخذ - فاذا جنى في الحرم جنائية اقيم عليه الحد لأنّه لم يرع للحرم حرمة.

^{٣٧٨} (١) آل عمران: ١٣٣.

^{٣٧٩} (١) آل عمران: ٩٧.

و عنه عليه السلام فى شجرة أصلها فى الحل، و فرعها فى الحرم حرم أصلها لمكان فرعها و فى شجرة أصلها فى الحرم و فرعها فى الحل حرم فرعها لمكان أصلها.

و عنه عليه السلام ان بنى الرجل المنزل و الشجرة فيه فليس له ان يقلعها و ان كانت نبتت فى منزله و هو له فيقلعها.

و عنه عليه السلام- و قد قيل له ان سبعا من سباع الطير على الكعبة ليس يمر به

ص: ١١٨

شئ من حمام الحرم إلّا ضربه - انصبوا له و اقتلوه فإنه قد الحد.

و عن الباقر عليه السلام فى رجل أهدى له حمامة فى الحرم مقصوصة - أعلفها حتى إذا استوى ريشها خلّى سبيلها.

هذا، و فى (الدميرى) انتهى قوم إلى ذى طوى و نزلوا بها فاذا ظبى من طباء الحرم قد دنا منهم فأخذ رجل بقائمة من قوائمه فقال له أصحابه: ويلك ارسله فجعل يضحك و أبى ان يرسله فنعر الظبى و بال ثم أرسله - فناموا فى القائلة فانتبه بعضهم و إذا بحية منطوية على بطن الرجل الذى أخذ الظبى فقال له أصحابه: ويلك لا تتحرك، فلم تنزل الحية عنه حتى كان منه من الحدث ما كان من الظبى^{٣٨٠}.

هذا، و كان ابن الزبير لما ذهب إلى مكة سمى نفسه عائذ البيت و كان قد حبس محمد بن الحنفية فى السجن المعروف بسجن عارم فقال كثير الشعراء مخاطبا لابن الزبير:

تخبر من لا قيت انك عائذ بل العائذ المظلوم فى سجن عارم

و قال أبو حزة مولى الزبير:

فيا راكبا أما عرضت فبلغن كبير بنى العوام ان قيل من تعنى

تخبر من لا قيت انك عائذ و تكثر قتلا بين زمزم و الركن

«فرض حجة» قال أبو جعفر عليه السلام: بنى الاسلام على خمسة أشياء على الصلاة و الزكاة و الحج - الخبر -.

«و أوجب حقه» فى رواية (حقوق الفقيه) عن السجاد عليه السلام و حق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك، و فرار إليه من ذنوبك، و فيه قبول توبتك و قضاء الفرض الذى أوجبه الله تعالى عليك.

^{٣٨٠} (١) حياة الحيوان الكبرى للدميري ٢: ٩ مصطفى الحلبي، القاهرة.

ص: ١١٩

«وكتب عليكم وفادته» أي: الورد عليه تعالى «وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ»^{٣٨١}.

«فقال سبحانه» في (٩٧) آل عمران.

«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»^{٣٨٢} و قبله «إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا»^{٣٨٣} - وقال عز من قائل «وَأْتُمُوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ»^{٣٨٤}.

٣

في الخطبة القاصعة (١٨٧) وَكُلَّمَا كَانَتْ الْبُلُوى وَالْإِخْتِبَارُ أَعْظَمَ - كَانَتْ الْمُتَوْبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ - أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ اخْتَبَرَ - الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ؟ أَدَمَ ص؟

إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ - بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ وَلَا تَسْمَعُ وَلَا تُبْصِرُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ الَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا - ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بَقَاعِ الْأَرْضِ حَجْرًا - وَأَقَلَّ تَنَائِقِ الدُّنْيَا مَدْرًا - وَأَضْيَقَ بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ قُطْرًا - بَيْنَ جِبَالٍ خَشْنَةٍ وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ - وَغُبُونٍ وَسِلَةٍ وَقَرَى مُنْقَطِعَةٍ - لَا يَزُكُّو بِهَا خُفٌّ وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ - ثُمَّ أَمَرَ؟ أَدَمَ ع؟

وَلَوْ لَهُ أَنْ يَشْنُوَ أَعْطَاهُمْ نَحْوَهُ - فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجِعِ أَسْفَارِهِمْ وَغَايَةً لِمُلْقَى رَحَالِهِمْ - تَهْوَى إِلَيْهِ شِمَارُ الْأَفْئِدَةِ مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ - وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ وَجَزَائِرِ بَحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ - حَتَّى يَهْزُوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلًّا -

ص: ١٢٠

يَهْلُلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ - شُعْتًا غَيْرًا لَهُ قَدْ نَبَذُوا السَّرَائِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ - وَشَوْهُوا بِإِعْقَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ - ائْتِلَاءَ عَظِيمًا وَامْتِحَانًا شَدِيدًا - وَاخْتِبَارًا مُبِينًا وَتَمْحِصًا بَلِيغًا - جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَبًا لِرَحْمَتِهِ وَوَسْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ - وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ - أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَسَاعِرَهُ الْعِظَامَ - بَيْنَ جَنَاتٍ وَأَنْهَارٍ وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ - جَمَّ الْأَشْجَارُ ذَانِي الثَّمَارِ - مُلْتَفَّ الْبُنَى مُتَّصِلِ الْقُرَى - بَيْنَ بَرَّةٍ سَمَرَاءَ وَرَوْضَةٍ خَضْرَاءَ - وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ - وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ - لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبِلَاءِ - وَلَوْ كَانَ الْأَسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا - وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا - بَيْنَ زُمُرَدَةٍ خَضْرَاءَ وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاءَ وَنُورٍ وَضِيَاءٍ - لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُصَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ - وَلَوْضَعَ مُجَاهَدَةً؟ إِبْلِيسَ؟ عَنِ الْقُلُوبِ - وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ - وَلَكِنَّ اللَّهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ - وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ - وَيَنْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ - إِخْرَاجًا

^{٣٨١} (١) الحج: ٢٧.

^{٣٨٢} (٢) آل عمران: ٩٧.

^{٣٨٣} (٣) آل عمران: ٩٦ - ٩٧.

^{٣٨٤} (٤) البقرة: ١٩٧.

لِلتَّكْبُرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ- وَ إِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ- وَ لِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فَتْحاً إِلَى فَضْلِهِ- وَ أَسْبَاباً ذُلّاً لِعَفْوِهِ فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عَاجِلِ الْبُعْثِ- وَ آجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ وَ سُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبَرِ- فَإِنَّهَا مَصِيدَةُ إِبْلِيسَ؟ الْعُظْمَى وَ مَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى- الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوِرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ- فَمَا تُكَذِّبُ أَبَداً وَ لَا تُشَوِّى أَحَداً- لَا عَالِماً لِعِلْمِهِ وَ لَا مُقَلِّلاً فِي طَمَرِهِ- وَ عَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللَّهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ- بِالصَّلَوَاتِ وَ الزَّكَّاتِ- وَ مُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ- تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَ تَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ- وَ تَذَلُّلاً لِنُفُوسِهِمْ وَ تَخْفِيفاً لِقُلُوبِهِمْ- وَ إِذْهَاباً لِلْخُلَيَاءِ عَنْهُمْ- لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَغْيِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضِعاً- وَ التَّصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ

ص: ١٢١

بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً- وَ لِحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلاً- مَعَ مَا فِي الزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ الْأَرْضِ- وَ غَيْرِ ذَلِكَ إِلَى أَهْلِ الْمَسْكَنَةِ وَ الْفَقْرِ انْظُرُوا إِلَى مَا فِي هَذِهِ الْأَفْعَالِ- مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ الْفَخْرِ وَ قَدْحِ طَوَالِعِ الْكِبَرِ الْخُطْبَةُ (١٨٧) فِي (المصرية) وَ ان جعلت في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) في موضع (٢٣٤) من (المصرية).

أقول رواه (ابتلاء الخلق و اختبارهم بالكعبة) من (الكافي الكليني- الكافي- ابتلاء الخلق و اختبارهم بالكعبة) مع اختلاف يسير إلى قوله (فالله الله).

«و كلما كانت البلوى» أى: الابتلاء.

«و الاختبار» أى: الامتحان.

«أعظم كانت المثوبة و الجزاء» على العمل.

«أجزل» أى: أكثر و فى (الجمهرة) الجزل ما عظم من الخطب ثم كثر ذلك، حتى صار كل ما كنز جزلا و قالوا أعطاه عطاء جزلا.

و قد اختبر الله تعالى خليله إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام و يكفى فى عظمه أنه تعالى و صفه بالبلاء المبين، فامثل فأجزل له العطاء بإعطائه إسحاق أبى أنبياء بنى إسرائيل، و رفع له الدرجات فوق كل نبي غير نبينا- و فى سورة الصافات: «فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَ تَلَّهُ لِلْجَبِينِ وَ نَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ»^{٣٨٥} «إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ وَ بَشَرْنَاهُ»

ص: ١٢٢

«بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ»^{٣٨٦} - والآية تصريح في كون الذبيح إسماعيل، وإن اختلفت روايات العامة والخاصة في كونه إسماعيل أو إسحاق والمعول على الآية - كما أنه تعالى أجزل عطاء إسماعيل بجعل نبينا صلى الله عليه وآله والمعصومين من عترته - وهم أشرف الأولين والآخرين - من ذريته.

«ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم صلوات الله عليه» وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام لما أفاض آدم من منى تلقته الملائكة وقالوا له: «إنا حججنا هذا البيت قبلك بألفى عام.

«إلى الآخرين من هذا العالم بأحجار لا تضر ولا تنفع» لكونها جمادات.

«ولا تسمع ولا تبصر» هكذا في (المصرية) والصواب: (و لا تبصر و لا تسمع) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و بشهادة القرينة.

روى توحيد الصدوق، أن ابن أبي العوجاء قدم مكة أنكارا على من يحج، وكان العلماء يكرهون مجالسته لخبث لسانه و فساد ضميره فجاء إلى أبي عبد الله عليه السلام في جماعة من نظرائه و قال له: (إلى كم تدوسون بهذا البيدر، و تلوذون بهذا الحجر، و تعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب و المدر، و تهولون هرولة البعير إذا نفر، أن من فكر في هذا الأمر و قدر، علم أن هذا أسسه غير ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر و سنامه، و أبوك أسه و نظامه.

فقال عليه السلام: أن من أضله الله و أعمى قلبه، استوخم الحق فلم يعذبه، و صار الشيطان وليه يورده مناهل الهلكة ثم لا يصدره، و هذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه، فحثهم على تعظيمه و زيارته، و جعله محل أنبيائه، و قبلة للمصلين له فهو شعبة من رضوانه، و طريق يؤدي إلى غفرانه الصافات،

ص: ١٢٣

منسوب على استواء الكمال، و مجتمع العظمة و الجلال، خلقه الله بألفى عام قبل دحو الأرض، و أحق من أطيع فيما أمر و زجر الله المنشئ للأرواح و الصور - فقال: ذكرت فأحلت على غائب - فقال عليه السلام: ويلك كيف يكون غائبا من هو مع خلقه شاهد، و إليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم و يرى أشخاصهم، و يعلم أسرارهم، و انما يغيب المخلوق الذي إذا انتقل عن مكان اشتغل به مكان، و خلا من مكان، فلا يدري في المكان الذي صار إليه ما حدث في المكان الذي كان فيه - فقال ابن أبي العوجاء لأصحابه من القاني في بحر هذا سألتكم أن تلتمسوا لي خمره فألقيتموني على جمرة - قالوا ما كنت في مجلسه إلّا حقيرا، قال أنه ابن من حلق رءوس من ترون.

«فجعلها» أى: تلك الأحجار التي في ذاك الموضع.

«بيته الحرام جعله للناس قياماً» واضح ان الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ»^{٣٨٧}.

اما كونه حراماً ففى (الكافى) عن النبى صلى الله عليه وآله فى فتح مكة- ان الله حرم مكة يوم خلق السماوات و الأرض و هى حرام إلى أن تقوم الساعة لم يحل لأحد قبلى و لا تحل لأحد بعدى و لم تحل لى إلا ساعة من نهار.

و اما كونه قياماً للناس، ففى (تفسير القمى): قالوا ما دامت الكعبة قائمة و يحجّوا الناس إليها لم يهلكوا فإذا هدمت و تركوا الحجّ هلكوا.

«ثم جعله باوعر» أى: أغلظ.

«بقاع الأرض حجراً و أقل تنائق» جمع نتيقة و فى النهاية النتق الرمى، يقال للمرأة الكثيره الولد ناتق لأنها ترمى بالأولاد رمياً و النتق الرفع و منه حديث على عليه السلام «البيت المعمور تناق الكعبة من فوقها» أى هو مظل عليها فى

ص: ١٢٤

السما، و منه حديثه الآخر فى صفة مكة «و الكعبة أقل تنائق الدنيا مدراً» و الأصل فيه ان يقلع الشىء من مكانه فترفعه لترمى به، و أراد بها ههنا البلاد لرفع بنائها و شهرتها فى موضعها.

«الأرض» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (الدنيا) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و كما عرفته من النهاية و لأنه ذكرت (الأرض) قبله و البلاغة لا يجوز تكرارها.

«مدراً» أى: الطين المتماسك لا يخرج منه الماء.

«و أضيق بطون الأودية» جمع الوادى النهر.

«قطراً» أى: ناحية و جانباً- و فى رواية (الكافى) (و أضيق بطون الأودية معاشاً و أغلظ محال المسلمين مياها) و كيف كان هو ناظر إلى قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام «رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ»^{٣٨٨}.

«بين جبال خشنة و رمال دمه» أى: لينة يغور الماشى فيها.

«و عيون وشلة» أى: قليلة الماء و فى المثل (وهل بالرمل أوشال).

«و قرى منقطعة» بينها فواصل كثيرة.

^{٣٨٧} (١) المائدة: ٩٧.

^{٣٨٨} (١) إبراهيم: ٣٧.

«لا يزكو» أى: لا يتنعم.

«بها خف» أى: الابل.

«و لا حافر» أى: الخيل.

«و لا ظلف» أى: البقرة و الشاة و الظبى.

«ثم أمر آدم و ولده أن يشنوا» أى: يعطفوا.

«اعطافهم» أى: جوانبهم.

ص: ١٢٥

«نحوه» فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السلام صلى فى مسجد الخيف سبعمائة نبى و ان بين الركن و المقام لمشحون من قبور الأنبياء و ان آدم لفى حرم الله عزّ و جلّ.

و عن أبى الحسن عليه السلام ان سفينة نوح كانت مأمورة طافت بالبيت حيث غرقت الأرض ثم أتت منى فى أيامها ثم رجعت السفينة- و كانت مأمورة- فطافت بالبيت طواف النساء.

و عن أبى جعفر عليه السلام حجّ موسى عليه السلام و معه سبعون نبيا من بنى إسرائيل، و خطم ابلهم من ليف يلبون و يجيهم الجبال و على موسى عباءتان قطوانيتان يقول لبيك عبدك ابن عبدك.

و عنه عليه السلام ان سليمان حجّ البيت فى الجن و الانس و الطير و الرياح و كسا البيت القباطى- و عن الصادق عليه السلام ان حيال الميزاب مصلّى شبر و شبير إبنى هارون.

و قال تعالى: «وَعَهْدُنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنَّ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ»^{٣٨٩}.

«فصار مثابة» أى: مرجعا و يقال للمنزل مثابة لأن أهله يتصرفون فى أمورهم ثم يرجعون إليه قال تعالى: «وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا»^{٣٩٠}.

«لمنتجع» فى الصحاح النجعة طلب الكلا، و المنتجع المنزل فى طلب الكلا.

«أسفارهم و غاية» أى: نهاية.

^{٣٨٩} (١) البقرة: ١٢٥.

^{٣٩٠} (٢) البقرة: ١٢٥.

«لملقى» أى: لمحل القاء.

ص: ١٢٦

«رحالهم» قال تعالى لإبراهيم: «وَ أَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ»^{٣٩١} و فى الصحاح الرحل مسكن الرجل و ما يستصحبه من الأثاث و رحل البعير أصغر من القتب، و قالوا فى القذف: (يا ابن ملقى ارحل الركبان).

«تهوى إليه ثمار الأفئدة» الأصل فيه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم عليه السلام فى الدعاء لذريته: «فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ»^{٣٩٢}.

و المراد بثمار الأفئدة موداتهم قال الكميت:

خلائق انزلتك بقاع مجد و أعطتك الثمار بها القلوب

و قال ابن مقبل:

لفتاء جعفى لىالى تجتنى ثمر القلوب بجيد آدم خاذل

و فى حديث المبايعه (فأعطاه صفقة يده و ثمرة قلبه) و فى خبر موت الولد يقول تعالى لملائكته قبضتم ثمرة فؤاده.

«من مفاوز» جمع المفاوزة الصحراء الموحش و اختلف ابن الأعرابى و الأصمعى فى وجه التسمية قال الأول: المفازة من (فوز) أى هلك و قال الثانى من (الفوز) تفؤلا بالسلامة.

«قفار» جمع القفر ما لا نبات فيه و لا ماء.

«سحيقة» أى: بعيدة.

«و مهاوى» جمع المهوى و المهواة ما بين الجبلين.

«فجاج» جمع الفج الطريق الواسع بين الجبلين.

^{٣٩١} (١) الحج: ٢٧-٢٨.

^{٣٩٢} (٢) إبراهيم: ٣٧.

«عميقة» واضح ان الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ»

ص: ١٢٧

«فَجَّ عَمِيقٍ»^{٣٩٣}.

«و جزائر بحار منقطعة» قال الجوهري: الجزيرة واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانتقطاعها عن معظم الأرض.

«حتى يهزوا منابهم ذللاً» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام إذا مررت بوادى محسر - واد عظيم بين جمع و منى و إلى منى أقرب - فاسع فيه حتى تجاوزه فان النبى صلى الله عليه و آله حرك ناقته و قال: اللهم سلم لى عهدى و اقبل توبتى و أجب دعوتى و اخلفنى فى من تركت بعدى - و روى عن عمر بن يزيد قال: الرمل فى وادى محسر قدر مائة ذراع.

و روى عن سماعة، قال: سألته عن السعى بين الصفا و المروة، قال: إذا انتهيت إلى الدار التى على يمينك عند أول الوادى فاسع حتى تنتهى إلى أول زقاق عن يمينك بعد ما تجاوز الوادى إلى المروة، فإذا انتهيت إليه فكف عن السعى و امش مشياً، و إذا جئت من عند المروة فأبدأ من عند الزقاق الذى و صفت لك، فإذا انتهيت إلى الباب الذى قبل الصفا بعد ما تجاوز الوادى فاكف عن السعى و امش مشياً و ليس على النساء سعى.

و روى (الصدوق)، ان من سها عن السعى يرجع القهقرى إلى المكان الذى يجب فيه السعى و أنه ليس على النساء هرولة - و روى الشيخ ان الراكب ليس عليه سعى و لكن ليسرع شيئاً.

«يهلّون» هكذا فى (المصرية) و كذا (ابن أبى الحديد) و قال: و فى رواية (يهلّون) (و ابن ميثم) اقتصر على (يهلّون) و نسخته بخط المصنف، فلا بد أن النهج كان كذلك و هو الأصح فهلل أى قال: «لا إله إلا الله» و انما ههنا (يهلّون) بالضم من (أهلّ المحرم) إذا رفع صوته أى بالتلبية، قال ابن أحرر:

ص: ١٢٨

كما يهلّ الراكب المعتمر

يهلّ بالفرقد ركبائها

و قال تعالى: «وَمَا أَهْلٌ بِهِ لَعَبْرِ اللَّهِ»^{٣٩٤}.

«لله حوله» و المراد فى اهلل الحج.

«و يرملون» بالفتح.

^{٣٩٣} (١) الحج: ٢٧.
^{٣٩٤} (١) البقرة: ١٧٣.

«على أقدامهم» و المراد الهرولة بين الصفا و المروة على ما مر.

«شعثا» أى: منتشرى الشعر و متغيريه لبعده تعهده و لا يجوز للمحرم حلق شعره.

«غبرا» فى ألبستهم و أبدانهم و يقال للشئ المندرس أغبر لوقوع الغبار عليه قال:

فأنزلهم دار الضياع فأصبحوا
على مقعد من موطن الغزّ أغبر

و (شعث) و (غبر) جمع (أشعث) و (أغبر).

«له» أى: لله تعالى.

«قد نبذوا» أى: طرخوا.

«السراويل» أى: الألبسة.

«وراء ظهورهم» لأن المحرم لا يجوز له لبس المخيط و يقتصر على ازار و رداء.

هذا، و كانت سيرة الجاهلية ان من طاف منهم فى ثيابه، كان واجبا عليه التصدّق به فكان بعضهم يستعير ثوبا للطواف لئلا يجب عليه التصدّق به و إذا لم يجد عارية و كرى و كان ثوبه منحصرأ يطوف عريانا، فجاءت امرأة جميلة فطلبت عارية و كرى فلم تجده و لم يكن لها لباس غير ما عليها فطافت عريانة و أشرف لها الناس فوضعت احدى يديها على قبلها و الأخرى على دبرها!!

ص: ١٢٩

و قالت:

اليوم يبدو بعضه أو كلّه
فما بدا منه فلا أحله

فلما فرغت خطبها جماعة، فقالت ان لى زوجا.

«و شوّها» أى: قبخوا.

«باعفاء» أى: اكثار.

«الشعور محاسن خلقهم» و فى الخبر اعف شعرك للحجّ إذا رأيت هلال ذى القعدة و للعمرة شهرا.

«ابتلاء» هو و الثلاثة المعطوفة عليها مفاعيل لها لقوله (ثم أمر آدم و ولده).

«عظيما و امتحانا شديدا و اختبارا مبينا و تمحيصا» من (محصت الذهب بالنار) إذا خلصته ممّا يشويه.

«بليغا» أى: بالغ الكمال.

«جعله الله سببا لرحمته و وصله إلى جنته» فى (الكافى) عن النبى صلى الله عليه و آله الحجّ ثوابه الجنّة و العمره كفّارة لكلّ ذنب.

و عن الصادق عليه السلام الحاجّ و المعتمر و فد الله ان سألوه أعطاهم، و ان دعوه أجابهم، و ان شفّعوا شفّعهم، و ان سكتوا ابتدأهم، و يعوضون بالدرهم ألف درهم.

«و لو أراد سبحانه» و فى (ابن ميثم) (و لو أراد الله سبحانه).

«ان يجعل بيته الحرام و مشاعره العظام» فى الصحاح المشاعر مواضع المناسك و المشعر الحرام أحد المشاعر.

«بين جنات و أنهار و سهل» تقيض الحزن و الجبل.

«و قرار» أى: المستقر من الأرض.

ص: ١٣٠

«جم» أى: كثير.

«الأشجار داني الثمار» لكثرتها.

«ملثف البنا» هكذا فى النهج، و لكن فى (الكافى) (ملثف النبات) و هو أصحّ فيكون فى معنى قوله: «و جنّات ألفافاً»^{٣٩٥}.

«متصل القوى» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (القرى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و حينئذ فمتصل القرى هنا فى قبال قوله قبل (و قرى منقطعة).

«بين برّة» بالضم القمح و هو الحنطة.

«سمراء» لون الحنطة.

«و روضة خضراء» قال الجوهري: الروضة من البقل و العشب.

«و أرياف» أى: اراض فيها خصب.

«محدقة» أى: محيطه لا ذات حدائق كما قال الخوئي فلا يشتق من الحديقة و انما زادت رواية (الكافى) بعد (و طرق عامرة) (و حدائق كثيرة).

«و عراض» جمع العرصة كل بقعة بين الدور واسعة ليس فيها شىء من بناء.

«مغدقة» أى: كثيرة الماء و الندى و النبات.

«و رياض» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (و زروع) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)، و كما فى الكافى.

«ناصرة» ذات رونق.

«و طرق عامرة» أى: معمورة مثل (ماء دافق) و (عيشة راضية) قال الجوهري: (عمرت الخراب فهو عامر و معمور).

ص: ١٣١

«لكان قد صغر قدر الجزاء على حسب ضعف البلاء» و فى (الكافى) (قد صغر الجزاء) بدون (قدر).

و صدق عليه السلام فان الجزاء يختلف بحسب كمية العمل و كميته و بحسب أهميته، و لذا كانت ضربته عليه السلام يوم الخندق أفضل من عبادة الثقلين كما ان بيعتهم يوم السقيفة أعظم و زرا من أوزار الثقلين.

«و لو كان» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (و لو كانت) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و كذا (الكافى).

«الأساس» اما بالكسر جمع الاس، مثل عس و عساس و اما بالمد جمع الأسس مثل سبب و أسباب، و ليس بالفتح فيكون مفردا بشهادة (كانت) و (عليها) و لعطف (الأحجار) عليها.

«المحمول عليها و الأحجار المرفوع بها» قال ابن أبى الحديد يجوز أن يكون نائب الفاعل فى (المحمول) و (المرفوع) ضمير البيت و يجوز أن يكون النائب (عليها) و (بها) - قلت بل يتعين أن يكون النائب الضمير لأن المعنى حمل البيت على الأساس و رفع البيت بالأحجار و ليس مثل (زيد ممرور به) فى كون (به) نائباً لأنه لا يقال (ممرور زيد).

«بين زمردة خضراء و ياقوته حمراء و نور و ضياء» فى (المعجم) (كوكبان) جبل قرب صنعاء و إليه ينسب (قصر كوكبان) قيل سمى (كوكبان) لأن قصره كان مبنيا بالفضة و الحجارة، و داخله بالياقوت و الجواهر و كان ذلك الدّر و الجواهر يلمع بالليل كما يلمع الكوكب.

«لخفف ذلك مضارعة» هكذا فى (المصرية)، و الصواب: (مضارعة) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و فى (الكافى) و لكن قال ابن أبى الحديد و روى (مضارعة) و معناه مقارنة الشك و دنوه من النفس و أصله من (مضارعة

ص: ١٣٢

القدر) إذا حان إدراكها، و من مضارعة الشمس إذا دنت للمغيب- و قال الراوندى: أى مماثلة الشك و مشابهته، و هذا بعيد لأنه لا معنى للمماثلة و المشابهة هنا و الرواية الصحيحة بالمهملة.

قلت: و كما لا معنى للمشابهة هنا كما قاله الراوندى لا صحّة لما قاله ابن أبى الحديد نفسه من كونه من (مضارعة القدر) و من (مضارعة الشمس) فلم يستعمل ما قاله و انما يقال (تضريع القدر) و (تضريع الشمس) قال الجوهري:

(و تضريع الشمس دنوها للغروب، و يقال أيضا (ضرعت القدر) أى حان ان تدرك و المضارعة المشابهة)- و حينئذ فالصواب ان يقال بسقوط تلك الرواية لعدم معنى له- و منه يظهر خطأ الخوئى فى قوله و فى بعض الروايات مضارعة بالمعجمة أى المقاربة.

«الشك فى الصدور و لوضع مجاهدة إبليس» الذى يوسوس فى الصدور.

«عن القلوب، و لنفى معتلج» من (اعتلجت الأمواج) التظمت.

«الريب» أى: الشك.

«من الناس».

فى (طبقات كاتب الواقدى) و (تاريخ الطبرى) فى قصة أصحاب الفيل- ان ابرهة رأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحجّ إلى بيت الله، فسأل أين يذهب الناس؟ فقالوا: إلى بيت الله بمكة، قال ممّا هو؟ قالوا: من حجارة. قال:

و ما كسوته؟ قالوا: ما يأتى من ههنا الوصائل، قال: و المسيح لأبنيّن لكم خيرا منه- فبنى لهم بيتا عمله بالرخام الأبيض و الأحمر و الأصفر و الأسود و حلّاه بالذهب و الفضة، و حفّه بالجواهر و جعل له أبوابا عليها صفائح الذهب، و مسامير الذهب، و فصل بينهما بالجواهر، و جعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، و جعل له حجابا، و كان يوقد فيه بالمدنى و يلطخ جدرانه بالمسك فيسود

ص: ١٣٣

حتى يغيب الجوهر و أمر الناس فحجّوه فحجّه كثير من قبائل العرب سنين و مكث فيه رجال يتعبدون و يتألّهون و نسكوا له.

وكان نفيل الخثعمي يورض له ما يكره فأمهل، فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحدا يتحرك فقام فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته، و جمع جيفا فألقاها فيه - فأخبر ابرهة بذلك فغضب غضبا شديدا، و قال انما فعلت العرب هذا غضبا لبيتهم لأنقضنه حجرا حجرا - إلخ -.

«و لكن الله يختبر» أى: يمتحن.

«عباده بأنواع الشدائد» اختبر تعالى مسلمى مكة بالصلاة إلى بيت المقدس و اختبر عز و جل مسلمى المدينة بالصلاة إلى الكعبة على خلاف هواهم.

«و يتعبدهم بأنواع المجاهد» تعبد تعالى عباده بعد حجّ بيته بزيارة نبيه صلى الله عليه و آله و زيارة المعصومين من عترته تكملة للحجّ ليميّز بين المتعبد و المتمرّد - و فى (كامل المبرد)، و ممّا كفرت الفقهاء به الحجاج قوله - و الناس يطوفون بقبر النبي صلى الله عليه و آله انما يطوفون بأعواد و رمة.

«و يتبليهم بضروب» أى: اقسام.

«المكاره» قال تعالى: «وَ إِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ»^{٣٩٦} «فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَ مَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ»^{٣٩٧}.

ص: ١٣٤

«اخراجا للتكبر من قلوبهم» و هو دليل على كون التكبر فى نهاية المنفورية عند الشارع.

«و اسكانا للتذلّل» أى: التواضع.

«فى نفوسهم» و هو دليل على كون التواضع فى غاية المحبوبة عنده.

«و ليجعل» عطف على (اخراجا) و عطف الفعل على شبهه و بالعكس كثير.

«ذلك» أى: الاختبار، بأنواع الشدائد و ما عطف عليه.

«أبوابا فتحا إلى فضله» و فى (الكافى) (أبوابا إلى فضله).

^{٣٩٦} (١) البقرة: ٥٤.

^{٣٩٧} (٢) البقرة: ٢٤٩.

«و أسبابا ذللا لعفوه» زاد في (الكافي) (و فتنه كما قال تعالى: «لَمْ أَحَسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ»^{٣٩٨}.

«فَاللَّهُ اللَّهُ فِي عاجل البغي» روى (عقاب الأعمال) عن أبي جعفر عليه السلام قال في كتاب على عليه السلام: ثلاث خصال لا يموت صاحبها أبدا حتى يرى وبالهن:

البغي، و قطيعة الرحم، و اليمين الكاذبة يبادر الله بها.

و في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه و آله ان أعجل الشر عقوبة البغي - و عن أمير المؤمنين عليه السلام أيها الناس ان البغي يقود أصحابه إلى النار و ان أول من بغى على الله تعالى عناق بنت آدم، و أول قتيل قتله الله عناق - و كان مجلسها جريب في جريب و كان لها عشرون اصبعاً في كل اصبع ظفران مثل المنجلين فسلط الله عليها أسدا كالفيل و ذنبا كالبعير و نسرا مثل البغل فقتلتها، و قد قتل الله تعالى الجابرة على أفضل أحوالهم و آمن ما كانوا.

و عنه عليه السلام يقول إبليس لجنوده: القوا بينهم الحسد و البغي، فانما العنكبوت

ص: ١٣٥

يعدلان عند الله تعالى الشرك. و كان النبي صلى الله عليه و آله يتعوذ كل يوم من ست خصال: من الشك و الشرك، و الحمية، و الغضب، و البغي و الحسد.

«و آجل وخامة الظلم» «فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةٌ بِمَا ظَلَمُوا»^{٣٩٩} «فَقُطِعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا»^{٤٠٠} «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

«و سوء عاقبة الكبر» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام قال الحواريون لعيسى عليه السلام يا معلم الخير أعلمنا أي الأشياء أشد؟ فقال: غضب الله تعالى قالوا بم تنقيه؟ قال: بأن لا تغضبوا. قالوا و ما بدء الغضب؟ قال: الكبر و التجبر و محقرة الناس.

و عنه عليه السلام أصول الكفر ثلاثة: الحرص و الاستكبار و الحسد اما الاستكبار فإبليس أمر بالسجود فأبى - الخبر -.

«فانها مصيدة إبليس العظمى و مكيدته الكبرى» في (الخصال) عن الصادق عليه السلام قال إبليس لجنوده: إذا استمكنت من ابن آدم في ثلاث لم ابال ما عمل فانه غير مقبول منه إذا استكثر عمله و نسي ذنبه، و دخله العجب.

هذا، و في (كامل) المبرد قال الأصمعي: سمعت اعرابيا يقول لآخر:

^{٣٩٨} (١) : ٣-١.
^{٣٩٩} (١) النمل: ٥٢.
^{٤٠٠} (٢) الانعام: ٤٥.

أ ترى هذه العجم تنكح نسايتنا فى الجنة، قال: أرى ذلك و الله بالأعمال الصالحة، قال توطأ و الله رقابتنا قبل ذلك- و يروى ان ناسكا من الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول: اللهم اغفر للعرب خاصة و للموالى عامة و أما العجم فهم عبيدك و الأمر إليك- و كان نافع بن عيسى من بنى نوفل بن عبد مناف إذا مرّت عليه جنازة فان قيل قرشى قال و اقوماه و ان قيل عربى قال و اماداته، و ان قيل مولى أو عجم قال اللهم عبادك تأخذ من شئت و تدع من شئت.

ص: ١٣٦

«التى تساور» أى: تغالب و تواثب.

«قلوب الرجال مساورة السموم القاتلة» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام النظر سهم من سهام إبليس مسموم و كم من نظرة أورثت حسرة طويلة.

«فما تكدى» من (أكدى الحافر) إذا بلغ الكدية أى الأرض الصلبة التى لا تحفر و الظاهر كون الفاعل ضمير المصيصة و المكيدة.

«ابدا و لا تشوى» من (رماه فأشواه) إذا لم يصب المقتل.

«أحدا لا عالما لعلمه» و عنه عليه السلام رب عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه).

و فى (الخصال) عنه عليه السلام ان الله تعالى يعذب ستة ستة: العرب بالعصبية، و الدهاقنة بالكبر، و الامراء بالجور، و الفقهاء بالحسد، و التجار بالخيانة، و أهل الرستاق بالجهل.

«و لا مقلدا فى طمره» أى: ثوبه الخلق.

«و عن ذلك ما حرس الله عباداه المؤمنين بالصلوات و الزكوات و مجاهدة الصيام فى الأيام المفروضات» فقال تعالى فى أمر الصلاة: «و أقم الصلاة إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ»^{٤٠١} - و فى الزكاة: «خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ» بها «و تُزَكِّيهِمْ»^{٤٠٢} - و فى الصيام: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ»^{٤٠٣}.

«تسكيننا لأطرافهم» أول (العلل) لايجاب الصلوات.

و فى (الكافى) عن حماد بن عيسى قال لى أبو عبد الله عليه السلام يوما أ تحسن ان تصلى قلت: أحفظ كتاب حريز فى الصلاة- فقال: لا عليك قم فصل، فقامت

^{٤٠١} (١) التوبة: ١٠٣.

^{٤٠٢} (٢) التوبة: ١٠٣.

^{٤٠٣} (٣) البقرة: ١٨٣-١٨٤.

ص: ١٣٧

بين يديه متوجها إلى القبلة فاستفتحت و ركعت و سجدت - فقال لا تحسن أن تصلّي ما أقبح بالرجل منكم أن يأتي عليه ستون سنة أو سبعون فما يقيم صلاة واحدة بحدودها - فأصابني الذلّ في نفسي - فقلت فعلمني فقام عليه السّلام مستقبل القبلة منتصبا فأرسل يديه جميعا على فخذه قد ضمّ أصابعه و قرّب بين قدميه حتى كان بينهما ثلاثة أصابع مفرجات و استقبل بأصابع رجله لم يحرفهما عن القبلة بخشوع و استكانة - الخبر -.

«و تخشيعا لأبصارهم» في (القيه) عن الصادق عليه السّلام - في خبر - و اخشع ببصرك و لا ترفعه إلى السماء و ليكن نظرك إلى موضع سجودك - الخبر -.

«و تذليلا لنفوسهم» في (العلل) عن الرضا عليه السّلام ان علّة الصلاة انها اقرار بالربوبية لله تعالى و خلع الأنداد و قيام بين يدي الجبار جلّ جلاله بالذلّ و المسكنة و الخضوع و الاعتراف.

«و تخفيضا لقلوبهم» عن الارتفاع.

«و إذهابا للخيلاء» أي: الكبر.

«عنهم لما في ذلك» أي: اداء الصلاة.

«من تعفير» من (عفره في التراب) مرغه.

«عتاق» أي: كرائم.

«الوجوه بالتراب تواضعا» له تعالى.

«و التصاق كرائم الجوارح» و هي الكفّان و الركبتان و الابهامان.

«بالأرض تصاغرا» في نفوسهم، و في خبر (العلل) المتقدم - بعد ما مر - و الطلب للإقالة من سالف الذنوب و وضع الوجه على الأرض كلّ يوم خمس مرات اعظاما لله تعالى و ان يكون ذاكرا غير ناس و لا بطرا و يكون خاشعا متذللا طالبا للزيادة في الدين و الدنيا مع ما فيه من الانزجار و المداومة على

ص: ١٣٨

ذكر الله تعالى بالليل و النهار لئلا ينسى العبد سيّده و مدبره و خالقه فيبطل و يطغى و يكون في ذكره لربه و قيامه بين يديه زاجرا له عن المعاصي و مانعا له عن أنواع الفساد.

«و لحوق» أى: لصوق.

«البطون بالمتون» أى: الظهور.

«من الصيام» أى: من جوعه.

«تذللًا» و فى (العلل) عن الرضا عليه السّلام علّة الصوم لعرفان مس الجوع و العطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً مع ما فيه من الانكسار عن الشهوات و اعظاً له فى العاجل، ذليلاً على العاجل. ليعلم مبلغ ذلك من أهل الفقر و المسكنة فى الدنيا و الآخرة.

«مع ما فى الزكاة من صرف ثمرات الأرض» الغلات الأربع وجوباً و باقى الحبوب استحباً.

«و غير ذلك» من الأنعام الثلاثة و التقدين.

«إلى أهل المسكنة و الفقر» فى (العلل) عن الصادق عليه السّلام ان الله تعالى أشرك بين الأغنياء و الفقراء فى الأموال فليس لهم ان يصرفوها إلى غير شركائهم.

و عنه عليه السّلام ان الله عز و جل فرض للفقراء فى أموال الأغنياء ما يكتفون به.

و لو علم ان الذى فرض لهم لم يكفهم لزادهم، فانما يؤتى الفقراء فى ما أوتوا من منع من منعهم لا من الفريضة.

«انظروا إلى ما فى هذه الأفعال» الصلاة و الصيام و الزكاة.

«من قمع» أى: قلع.

«نواجم» من (نجم التبت) ظهر و طلع الفخر.

ص: ١٣٩

«و قدع» من (قدعت فرسى) أى: كففته عن جريه الكثير.

«طوالع الكبر».

و فى (العلل) سئل الباقر عليه السّلام عن علّة النهى عن الصلاة و هو متوشح فوق القميص فقال عليه السّلام: لعلّة التكبر فى موضع الاستكانة و الذل.

الحكمة (١٣٦) الصَّلَاةُ قُرْبَانٌ كُلُّ تَقِيٍّ - وَ الْحَجُّ جِهَادٌ كُلُّ ضَعِيفٍ - وَ لِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَ زَكَاةُ الْبَدَنِ الصِّيَامُ - وَ جِهَادُ الْمَرْأَةِ حُسْنُ التَّبَعْلِ أَقُولُ: هو مأخوذ من أربعمئة باب للدين و الدنيا، المروى عنه عليه السَّلام ذكره ابن أبي شعبة الحلبي في تحفه ابن أبي شعبة الحلبي - تحف العقول - مأخوذ من أربعمئة باب للدين و الدنيا.

«**الصلاة قربان كل تقى**» في (الكافي) عن الصادق عليه السَّلام سئل عن أفضل ما يتقرب به العباد إلى ربهم؟ فقال عليه السَّلام: ما أعلم شيئا بعد المعرفة أفضل من هذه الصلوات ألا ترى ان العبد الصالح عيسى عليه السَّلام قال: «**وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا**»^{٤٠٤}.

و عنه عليه السَّلام أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة و هي: آخر وصايا الأنبياء فما أحسن من الرجل أن يغتسل أو يتوضأ فيسبغ الوضوء ثم يتنحى حيث لا يراه أنيس فيشرف عليه و هو راکع أو ساجد ان العبد إذا سجد فأطال الصلاة نادى إبليس يا ويله أطاع و عصيت و سجد و أبيت.

و عنه عليه السَّلام إذا قام العبد إلى الصلاة نزلت عليه الرحمة من أعنان السماء إلى أعنان الأرض و حفت به الملائكة و ناداه ملك لو يعلم هذا المصلّي ما في الصلاة ما انفتل.

ص: ١٤٠

«**و الحج جهاد كل ضعيف**» في (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله الحج أحد الجهادين و هو جهاد الضعفاء و نحن الضعفاء اما أنه ليس أفضل من الحج إلّا الصلاة، و في الحج ههنا صلاة و ليس في الصلاة حج، لا تدع الحج و أنت تقدر عليه أما ترى أنه يشعث فيه رأسك و يقشف فيه جلدك و تمتنع فيه من النظر إلى النساء و انا نحن ههنا قريب و لنا مائة قرى متصلة ما نبلغ الحج حتى يشق علينا فكيف أنتم في بعد البلاد و ما من ملك و لا سوقة يصل إلى الحج إلّا بمشقة في تغيير مطعم أو مشرب أو ريح أو شمس لا يستطيع ردها و ذلك قوله تعالى:

«**وَ تَحْمِلُ أُنْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ**»^{٤٠٥}.

و عن الثمالي، قال رجل لعلي بن الحسين عليه السَّلام تركت الجهاد و خشونته و لزمت الحج و لينه، فقال عليه السَّلام له: ويحك أما بلغك ما قال النبي صَلَّى الله عليه و آله - في حجة الوداع لما وقف بعرفة - ان ربكم تطول عليكم في هذا اليوم فغفر لمحسنكم و شفع محسنكم في مسيئكم فأفيضوا مغفورا لكم.

و روى (الفقيه) ان الرجل قال له عليه السَّلام آثرت الحج و قد قال تعالى: «**إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ**»^{٤٠٦} - فقال عليه السَّلام: فافراً ما بعدها «**التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ**» - إلى آخر الآية - فإذا رأيت هؤلاء فالجهاد معهم يومئذ أفضل.

^{٤٠٤} (١) مريم: ٣١.
^{٤٠٥} (١) النحل: ٧.

و عن الرضا عليه السلام قيل له: بلغنا أنه قيل لبعض آبائك في بلادنا موضع رباط يقال له قزوين و عدو يقال له الديلم فهل من جهاد أو رباط؟ فقال عليكم بهذا البيت فحجّوه، أما يرضى أحدكم أن يكون في بيته ينفق على عياله ينتظر

ص: ١٤١

أمرنا فان أدركه كان كمن شهد بدرا مع النبي صلى الله عليه وآله و ان لم يدركه كان كمن قام مع قائمنا في فسطاطه هكذا و هكذا- و جمع بين سبائتيه - فقال عليه السلام هو على ما ذكر.

«و لكل شيء زكاة» حتى ان زكاة الجاه قضاء حوائج الناس.

«و زكاة البدن الصيام» في (العلل) عن النبي صلى الله عليه وآله ما من مؤمن يصوم شهر رمضان احتسابا أوجب الله له سبع خصال أولها يذوب الحرام من جسده.

«و جهاد المرأة حسن التبعل» في (الكافي) عنه عليه السلام كتب الله الجهاد على الرجال و النساء فجهاد الرجل بذل ماله و نفسه حتى يقتل في سبيل الله، و جهاد المرأة أن تصبر على ما ترى من أذى زوجها و غيرته و في الاستيعاب قال النبي صلى الله عليه وآله لآسماء بنت يزيد بن السكن الأنصارية ان حسن تبعل احداكن لزوجها و طلبها لمرضاها و اتباعها لموافقته يعدل كل ما ذكرت للرجال أى ما فضلوا به من الجمعات و شهود الجنائز و الجهاد فانصرفت و هى تهلل و تكبر استبشارا بما قال النبي صلى الله عليه وآله لها.

هذا، و قال ابن أبي الحديد أوصت امرأة بنتها ليلة هداها فقالت لها: لو تركت الوصية لأحد لحسن أدب و كرم لتركها لك لكنها تذكره للغافل أنك قد خلفت العش الذى فيه درجت، و الوكر الذى منه خرجت إلى منزل لم تعرفه، و قرين لم تألفه فكونى له أمة يكن لك عبدا و احفظى عنى خصالا عشرة أما الأولى و الثانية، فحسن الصحابة بالقناعة، و جميل المعاشرة بالسمع و الطاعة، ففى حسن الصحابة راحة القلب، و فى جميل المعاشرة رضى الرب.

و الثالثة و الرابعة، التفقد لمواقع عينه و التعهد لمواضع أنفه، فلا يقع عينه منك على قبيح، و لا يجد أنفه منك خبيث ريح، و اعلمى ان الكحل أحسن

ص: ١٤٢

الحسن المفقود، و ان الماء أطيب الطيب الموجود.

و الخامسة و السادسة، الحفظ لماله و الارعاع على حشمه و عياله، و اعلمى ان أصل الاحتفاظ بالمال حسن التقدير، و أصل الارعاع على الحشم و العيال حسن التدبير.

و التاسعة و العاشرة، لا تفشين له سرّاً، و لا تعصين له أمراً، فإنّك ان أفشيت سره لم تأمنى غدره، و ان عصيت أمره أو غرت صدره.

و قال: و انكح ضرار بن عمرو الضبي ابنته من معبد بن زرارۃ فلما أخرجها إليه قال: يا بنية امسكى عليك الفضلين: فضل الغلّة، و فضل الكلام- و ضرار هو الذى رفع عقيرته بعكاظ و قال ألا ان شرّ حائل أم فزوجوا الأمهات- و ذلك أنّه صرع بين الرماح فاشبل عليه اخوته لأمه حتى استنقذوه.

و قال: و من قبيح التبعل ما أوصت اعرابية ابنتها عند هداثها فقالت لها:

اقلعى زج رمحه فان أقر فاقلعى سنانه، فان أقر فاكسرى العظام بسيفه، فان أقر فاقطعى اللحم على ترسه، فان أقر فضعى الاكاف على ظهره، فانما هو حمار.

٥

الحكمة (٧) الصدقة دواء منجح - و أعمال العباد فى عاجلهم نصب أعينهم فى آجلهم أقول: و جعله ابن ميثم و الخطيئة جزء العنوان الثانى و لا ياباه ابن أبى الحديد.

«الصدقة دواء منجح» قال ابن أبى الحديد هو مثل قول النبى صلى الله عليه و آله داووا مرضاكم بالصدقة.

ص: ١٤٣

«و أعمال العباد فى عاجلهم نصب أعينهم فى آجلهم» قال: هو من قوله تعالى «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ»^{٤٠٧} «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^{٤٠٨} - و من كلام بعضهم انما تقدّم على ما قدمت، و لست تقدم على ما تركت فاطر ما تلقاه غدا على ما لا تراه أبدا.

٦

من غريب كلامه (٦) و فى حديثه عليه السلام:

إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدَّيْنُ الظُّنُونُ - يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبِضَهُ فَالظُّنُونُ الَّذِى لَا يَعْلَمُ صَاحِبَهُ - أ يَقْضِيهِ مِنَ الَّذِى هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا - فَكَأَنَّهُ الَّذِى يَظُنُّ بِهِ - فَمَرَّةٌ يَرْجُوهُ وَ مَرَّةٌ لَا يَرْجُوهُ - وَ هَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ - وَ كَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ - وَ لَا تَدْرِى عَلَى أَى شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظُنُونٌ - وَ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُ؟ الْأَعَشَى؟ -

^{٤٠٧} (١) آل عمران: ٣٠.

^{٤٠٨} (٢) الزلزلة: ٧-٨.

من يجعل الجد الظنون الذى

جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتى إذا ما طما

يقذف بالبوصى و الماهر

و الجد البئر العادية فى الصحراء - و الظنون التى لا يعلم فيها ماء أم لا «ان الرجل إذا كان له الدين الظنون يجب عليه أن يزكيه لما مضى إذا قبضه» الأصل فى نسبته إليه عليه السّلام أبو عبيدة على نقل ابن أبى الحديد فقال: العمل

ص: ١٤٤

عندنا على قول على عليه السّلام من كون الزكاة بعد القبض على الدائن و ان كان لا يرجوه، لا على المديون كما روى عن إبراهيم»- إلّا أنّه غير معلوم، فقال الجزرى فى نهايته، فى حديث عمر: (لا زكاة فى الدين الظنون) أى الذى لا يدرى صاحبه يصل إليه أم لا، و منه حديث على- و قيل عثمان- (فى الدين الظنون يزكيه إذا قبضه لما مضى)^{٤٠٩} و لا أثر لنا فى الظنون إذا كان بالمعنى الذى ذكره المصنف بل قال السيد و الشيخان: (لا زكاة فى الدين إلّا إذا كان تأخير من جهة مالكة) و حينئذ فيمكن حمل (الظنون) على ما إذا ظن أنّه إذا أراد الدائن أخذه أمكنه، و هكذا نقل ابن ميثم تفسيره عن بعض- و ظاهر العماني و الاسكافى وجوب الزكاة على المديون مطلقا و به قال الحلبي^{٤١٠}.

هذا و نقل ابن ميثم فى الشقشقية عن الكيدرى عن بعض الكتب القديمة فى تفسير الكتاب المذكور فيها الذى ناوله عليه السّلام سوادى- ان فى ذاك الكتاب كان عشر مسائل و خامستها (رجل عليه من الدين ألف درهم و له فى كيسه ألف درهم فضّمته ضامن بألف درهم فحال عليهما الحال فالزكاة على أى المالىن يجب؟ فقال: ان ضمن الضامن باجازه من عليه الدين فلا يكون عليه و ان ضمنه من غير اذنه فالزكاة مفروضة فى ماله).

قول المصنف.

«فالظنون الذى» و فى (ابن ميثم) (هو الذى).

ص: ١٤٥

«لا يعلم صاحبه أ يقضيه» هكذا فى المصرية، و الصواب: «أ يقبضه» كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

^{٤٠٩} (١) النهاية لابن الأثير ٣: ١٦٤، مادة (ظن) منشورات اسماعيليان- قم.

^{٤١٠} (٢) يقول العلامة: و اما الدين: فإن كان معسرا أو جاحدا أو مماطلا، أو كان مؤجلا، لم تجب فيه الزكاة. نهاية الأحكام ٢: ٣٠٣، مؤسسة اسماعيليان، قم، و يقول المحقق الحلبي فى «المعتبر»: «للأصحاب فى زكاة الدين قولان: أحدهما لا زكاة فيه حتى يحصل إلى صاحبه، و يحول عليه الحال ... و الآخر فيه الزكاة إذا كان تأخير من جهة صاحبه، بأن يكون على ملي باذل و هو مذهب الشيخين فى النهاية و المبسوط، و مذهب الشافعى و أبى حنيفة، و مالك و أحمد: راجع «المعتبر فى شرح المختصر» لنجم الدين المحقق الحلبي ٢: ٤٩، مؤسسة سيد الشهداء، قم.

«من الذى هو عليه أم لا» - إلى - فمرة يرجوه و مرة لا يرجوه» هكذا فى (المصرية و ابن أبى الحديد و الخطيئة) و لكن فى (ابن ميثم) (تارة يرجوه و تارة لا يرجوه).

«و هذا من أفصح الكلام» حيث عبّر عن معنى كثير بلفظ يسير.

«و كذلك كلّ امر تطلبه و لا تدرى على أى شىء أنت منه» و فى (الجمهرة) (و الظنون الذى لا يوثق بما عنده، و كذلك فى الركى أى لا يوثق بمائها).

«و على ذلك قول الأعشى» فى تفضيل عامر على علقمة (ما) هكذا فى (المصرية) و نسخة من ابن ميثم و لكن فى (ابن أبى الحديد و الخطيئة) (من).

«يجعل الجد» بالضم.

«الظنون الذى جنب» أى: تجنب.

«صوب» أى: جانب.

«اللبج» وصف للسحاب المقدر، و اللجب بالكسر الصوت.

«الماطر».

«مثل الفراتى» أى: الفرات و الياء للتوكيد كقوله: «و الدهر بالانسان دوارى».

«إذا ما طما» من (طما الماء) إذا ارتفع.

«يقذف» أى: يرمى.

«بالبوصى» فى (الجمهرة) البوصى السفينة و كانت بالفارسية بالزاي، فقلبتا العرب صادًا.

«و الماهر» أى: السابح.

ص: ١٤٦

«و الجد البئر» اقتصر عليه ابن ميثم و زاد ابن أبى الحديد (العادية فى الصحراء) و قال المعروف ان الجد بئر فى موضع كثير الكلاً لا فى الموات.

و مثل قول الأعشى قول الأخطل فى يزيد:

الحكمة (١٤٥) و قال عليه السّلام:

كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمْأُ - وَ كَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَ الْعَنَاءُ - حَبْدًا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَ إِفْطَارُهُمْ
«كم من صائم ليس له من صيامه إِلَّا الظّمأ» هكذا فى (المصرية) و الصواب:

(إِلَّا الجوع و الظمأ) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام إذا صمت فليصم سمعك و بصرك و شعرك و جلدك - و عدّد أشياء غير هذا - و قال: لا
يكن يوم صومك كيوم فطرك.

و عنه عليه السّلام ان الصيام ليس من الطعام و الشراب وحده فإذا صمتم فاحفظوا ألسنتكم و غصّوا أبصاركم و لا تنازعوا و لا
تحاسدوا - و سمع النّبى صلى الله عليه و آله امرأة تسب جارية لها و هى صائمه، فدعا بطعام فقال لها: كلى، فقالت انى صائمه
فقال كيف تكونين صائمه و قد سببت جاريّتك، ان الصوم ليس من الطعام و الشراب.

«و كم من قائم ليس له من قيامه إِلَّا السهر» أى: عدم النوم فى الليل.

«و العناء» أى: المشقة.

فالخوارج كانوا أهل سهر و عناء فى قيام الليل و تلاوة القرآن!! و كذلك

ص: ١٤٧

كثير من الفرق الباطلة عاملة ناصبة - و فى الخبر الناصب لأهل البيت سواء صلى أم زنا.

«حبذا نوم الأكياس و افطارهم» لأن نومهم و افطارهم أيضا عبادة لكونهما منهم لاستجمام قوى النفس حتى يقدرُوا على اداء
الفرائض و النوافل - و لذا قال النّبى صلى الله عليه و آله: أنا لا أصوم جميع الأيام، و لا أقوم جميع الليل، و نهى من فعل ذلك.

الحكمة (١٤٦) و قال عليه السلام:

سُوسُوا إِيْمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ - وَ ادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالْدُّعَاءِ أَقُول: هو ممّا رواه (تحف ابن أبي شعبة - تحف العقول - الأربعمائه فى آداب الدين و الدنيا) ابن أبى شعبة ممّا قاله عليه السّلام من الأربعمائه فى آداب الدين و الدنيا.

«سوسوا» أى: دبروا.

«إيمانكم بالصدقة» «فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَ اتَّقَى وَ صَدَّقَ بِالْحُسْنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى»^{٤١١}.

«و حصنوا» أى: احفظوا.

«أموالكم بالزكاة» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام ما ضاع مال فى بر و لا بحر إلّا بتضييع الزكاة و لا يصاد من الطير إلّا ما ضيع تسبيحه.

و عنه عليه السّلام ما من رجل يمنع درهما فى حقه إلّا أنفق اثنين فى غير حقه.

و عنه عليه السّلام ما أدّى أحد الزكاة فنقصت من ماله و لا منعها أحد فزادت

ص: ١٤٨

فى ماله.

«و ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام ان الدعاء يرد القضاء ينقضه كما ينقض السلك و قد أبرم ابراما.

و عنه عليه السّلام ان الله ليدفع بالدعاء الأمر الذى علم أن يدعى له فيستجيب، و لو لا ما وفق العبد من ذلك الدعاء لأصابه منه ما يجتثه من جديد الأرض.

و عن أبى الحسن عليه السّلام الدعاء يرد ما قدر قدر و ما لم يقدر؟ قيل: كيف ما لم يقدر؟ قال: حتى لا يكون.

هذا و لعل الأصل فى قوله عليه السّلام (سوسوا إيمانكم بالصدقة) ما رواه (الجعفریات) عنه عليه السّلام عن آبائه عليهم السّلام ان أمير المؤمنين عليه السّلام مر بالسوق فنادى بأعلى صوته: ان أسواقكم هذه يحضرها إيمان فشوبوا إيمانكم بالصدقة فان الله لا يقدّس من حلف باسمه كاذبا^{٤١٢}.

^{٤١١} (١) الليل: ٥ - ٧.

^{٤١٢} (١) الجعفریات (الاشعثيات) لمحمد الأشعث: ٢٣٦ طبع حجرى، ايران، ١٣٧٠ هـ ق.

الحكمة (١٣٧) و قال عليه السلام:

اسْتَنْزِلُوا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ أَقُول: هو أيضا من حديث الاربعمائة، فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام قال لابنه محمد كم فضل معك من تلك النفقة؟ قال: أربعون ديناراً، قال: أخرج و تصدّق بها، قال: أنّه لم يبق معي غيرها، قال تصدّق بها فان الله تعالى يخلفها أما علمت أنّ لكلّ شيء مفتاحاً و مفتاح الرزق الصدقة فتصدّق بها، ففعل فما لبث عليه السلام عشرة أيام حتى جاءه من موضع أربعة آلاف دينار، فقال: يا بنى أعطينا الله أربعين ديناراً فأعطانا أربعة آلاف.

ص: ١٤٩

و عنه عليه السلام ما أحسن عبد الصدقة فى الدنيا إلّا أحسن الله الخلافة على ولده من بعده و حسن الصدقة يقضى الدين و يخلف على البركة.

و نظير كلامه عليه السلام هذا كلام آخر له عليه السلام (فى سعة الأخلاق كنوز الأرزاق) «إذا ابطأت عليك الأرزاق استغفر الله يوسّع عليك».

١٠

الحكمة (٢٥٨) و قال عليه السلام:

إِذَا أُمِّلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ أَى افترتم قال تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ»^{٤١٣}.

«فتاجروا الله بالصدقة» قال ابن أبى الحديد جاء فى الأثر ان عليّاً عليه السلام عمل ليهودى فى سقى نخل له فى حياة النبى صلى الله عليه و آله فخبزه قرصاً فلما هم أن يفطر عليه أتاه سائل يستطعم فدفعه إليه و بات طاوياً فتاجر الله بتلك الصدقة فعد الناس هذه الصدقة من أعظم السخاء و أعظم العبادات، و قال بعض شعراء الشيعة فيه و يذكر إعادة الشمس عليه، و أحسن فى ما قال:

وعاء فى الطعام و هو سغوب

جاد بالقرص و انطوى ملاً جنبيه

و المقرض الكرام كسوب

فأعاد القرص المنير عليه القرص

قلت: و نظير إجادة هذا الشاعر فى وصفه عليه السلام فى الجمع بين قرص الخبز و قرص الشمس.

قول الجامى فى وصفه عليه السلام - مشيراً إلى إثاره ذاك و وصف شجاعته - بالفارسية:

^{٤١٣} (١) الانعام: ١٥١.

ص: ١٥٠

١١

الحكمة (١٣٨) و قال عليه السلام:

مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ أَقُولُ: فى (ابن ميثم و الخطيب) جزء سابقه، ثم هو أيضا من حديث الأربعمائه و روى معناه عن النبى صلى الله عليه و آله.

و فى (الكافى) عن أبى الحسن عليه السلام من أيقن بالخلف سخت نفسه بالنفقة و المعنى من أيقن بالخلف فى الدنيا الذى و عد تعالى فى قوله: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»^{٤١٤} و بالخلف فى الآخرة و ذخرها كما أخبر تعالى: «مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ»^{٤١٥} سهل عليه الجود بعباه البتة، و من لم يسهل عليه بعد ذلك فانما هو من ضعف يقينه بوعده تعالى.

و فى (تاريخ بغداد)، قال الفضل بن سهل: رأيت جملة البخل سوء الظن بالله تعالى، و جملة السخاء حسن الظن بالله تعالى، قال عز و جل: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ»^{٤١٦} و قال عز و جل: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ»^{٤١٧}.

و فى (الكافى) عن البرزطى كتب الرضا عليه السلام إلى الجواد عليه السلام بلغنى ان الموالى إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير و انما ذلك من بخل منهم لثلا ينال منك أحد خيرا، أسألك بحقى عليك لا يكن مدخلك و مخرجك إلّا من الباب

ص: ١٥١

الكبير فإذا ركبت فليكن معك ذهب و فضة ثم لا يسألك أحد شيئا إلّا أعطيته، و من سألک من عموميتک أن تبرّه فلا تعطه أقل من خمسين دينارا و الكثير إليك، و من سألک من عماتک فلا تعطها أقل من خمسة و عشرين دينارا و الكثير إليك، انى انما أريد بذلك أن يرفعك الله فانفق و لا تخش من ذى العرش اقتارا.

و عن أبى جعفر عليه السلام ان الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك: ملك ينادى يا صاحب الخير أتمّ و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشرّ انزع و اقصر، و ملك ينادى أعط منفقا خلفا و آت ممسكا تلفا، و ملك ينضحها بالماء، و لو لا ذلك اشتعلت الأرض.

^{٤١٤} (١) سبأ: ٣٩.

^{٤١٥} (٢) النحل: ٩٦.

^{٤١٦} (٣) البقرة: ٢٦٨.

^{٤١٧} (٤) سبأ: ٣٩.

و عنه عليه السّلام من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنّة انفق و لا تخف فقرا و انصف الناس من نفسك، و افش السّلام في العالم، و اترك المراء و ان كنت محقا.

و عن صفوان دخل على الرضا عليه السّلام مولى له فقال له: هل أنفقت اليوم شيئا؟ فقال: لا فقال عليه السّلام فمن أين يخلف الله علينا انفق و لو درهما واحدا.

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام من يبسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه و يضاعف في آخرته.

و في (المجمع) عن الكلبي، عن النبي صلى الله عليه و آله من تصدّق بصدقة فله مثراها في الجنّة، فقال أبو الدحداح الأنصاري: ان لي حديقتين فان تصدقت باحديهما فان لي مثليها في الجنّة؟ قال نعم، قال: و ام الدحداح معي؟ قال نعم قال و الصبية معي؟ قال نعم - فتصدّق بأفضل حديقتيه و دفعها إلى النبي صلى الله عليه و آله فنزل: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً»^{٢١٨}

ص: ١٥٢

فضاعف الله صدقته ألفي ألف و ذلك قوله تعالى: «أَضْعَافًا كَثِيرَةً»^{٢١٩} فرجع أبو الدحداح فوجد ام الدحداح و الصبية في الحديقة التي جعلها صدقة فقام على الباب و تخرج أن يدخل فنادى و قال اني جعلت حديقتي هذه صدقة و اشتريت مثليها في الجنّة و ام الدحداح معي و الصبية معي قالت: بارك الله لك في ما شريت و في ما اشتريت فخرجوا و اسلموا الحديقة إليه صلى الله عليه و آله فقال صلى الله عليه و آله كم من نخل متدل عذوقها في الجنّة لأبي الدحداح^{٢٢٠}.

١٢

الحكمة (٣٠٤) و قال عليه السّلام:

إِنَّ الْمُسْكِينَ رَسُولُ اللَّهِ - فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ - وَ مَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى اللَّهَ فِي (الكافي) عن أبي جعفر عليه السّلام ان الله تعالى يبعث يوم القيامة ناسا من قبورهم مشدودة أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيس أنملة معهم ملائكة يعيرونهم تعييرا شديدا يقولون هؤلاء الذين منعوا خيرا قليلا من خير كثير هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم.

١٣

الحكمة (٣٢٨) و قال عليه السّلام:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ - فَرَضَ فِي أُمُومَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ - فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ - وَ اللَّهُ تَعَالَى جَدُّهُ سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ

^{٢١٨} (١) البقرة: ٢٤٥.

^{٢١٩} (١) البقرة: ٢٤٥.

^{٢٢٠} (٢) مجمع البيان للطبري ١: ٣٤٩ دار احياء التراث العربي، بيروت.

ص: ١٥٣

هكذا في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و زادت (المصرية) (منه) قبل (غنى) و نقصت (جده) بعد (تعالى).

في (الكافي) عن أبي جعفر الأحول قال سألتني رجل من الزنادقة فقال كيف صارت الزكاة من كل ألف خمسة و عشرين درهما؟ فقلت له: انما ذلك مثل الصلاة ثلاث و ثنتان و تربيع فقبل مني ثم لقيت بعد ذلك أبا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك، فقال ان الله تعالى حسب الأموال و المساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمسة و عشرين و لو لم يكفيهم لزادهم - فرجعت إليه فأخبرته فقال جاءت هذه المسألة على الابل من الحجاز ثم قال لو اني اعطيت أحدا طاعة لأعطيت صاحب هذا الكلام.

و عن قثم قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك اخبرني كيف صارت من كل ألف خمسة و عشرين لم يكن أقل أو أكثر ما وجهها؟ فقال: ان الله عز و جل خلق الخلق كلهم فعلم صغيرهم و كبيرهم و غنيهم و فقيرهم فجعل من كل ألف انسان خمسة و عشرين مسكينا، و لو علم ان ذلك لا يسعهم لزادهم لأنه خالقهم و هو أعلم بهم.

١٤

الحكمة (٢٩٩) و قال عليه السلام:

مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمِّهْتُ بَعْدَهُ - حَتَّى أَصَلَّى رَكَعَتَيْنِ أَقُولُ وَ زَادَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ «وَأَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ» فِي (الْفَقِيهِ) عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِيَّاكُمْ وَ الْكَسَلَ فَانْ رُبَّكُمْ رَحِيمٌ يَشْكُرُ الْقَلِيلَ إِنْ الرَّجُلُ يَصَلِّي الرُّكَعَتَيْنِ يَرِيدُ بِهِمَا وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ وَ أَنَّهُ لِيَصُومَ يَوْمًا تَطَوُّعًا يَرِيدُ بِهِ وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى فَيَدْخُلُهُ اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ.

ص: ١٥٤

و عن النبي صَلَّى الله عليه و آله ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التي أوقدتموها على ظهوركم فاطفئوها بصلاتكم.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: «إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ»^{٢١} أي صلاة المؤمن بالليل تذهب بما عمل من ذنب في النهار - و عنه عليه السلام من صَلَّى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف و ليس بينه و بين الله ذنب.

و في (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام يوتى يوم القيامة بشيخ فيدفع إليه كتابه ظاهره ممّا يلي الناس لا يرى إلّا مساوئ فيطول ذلك عليه فيقول يا رب: أ تامر بي إلى النار؟ فيقول جل جلاله: يا شيخ انا استحيى أن أعذبك و قد كنت تصلّي لي في دار الدنيا اذهبوا بعبدى إلى الجنة.

١٥

^{٢١} (١) هود: ١١٤.

الخطبة (١٩٤) و من كلام له عليه السلام كان يوصى به أصحابه:

تَعَاهِدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا - وَ اسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَ تَقَرَّبُوا بِهَا - فَإِنَّهَا «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» - أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا - «مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» - وَ إِنَّهَا لَتَنُحِتُ الذُّنُوبَ حَتَّى الْوَرَقَ - وَ تُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ الرِّبْقِ - وَ شَبَّهَهَا؟ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ بِالْحِمَّةِ تَكُونُ عَلَى بَابِ الرَّجُلِ - فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي الْيَوْمِ وَ اللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ - فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ - وَ قَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - الَّذِينَ لَا تَشْغُلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَ لَا قُرَّةُ عَيْنٍ - مِنْ وَلَدٍ وَ لَا مَالٍ - يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ - «رِجَالٌ لَا

ص: ١٥٥

«تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ وَ إِيْتَاءِ الزَّكَاةِ» - ٢٢٢ وَ كَانَ؟ رَسُولُ اللَّهِ ص؟ نَصِبًا بِالصَّلَاةِ - بَعْدَ التَّبَشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ - لِقَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ «وَ أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطِبْرِ عَلَيْهَا» - ٢٢٣ فَكَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ يُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسُهُ - ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جَعَلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ - فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا - فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً وَ مِنَ النَّارِ حِجَازًا وَ وَقَايَةً - فَلَا يُتَبَعَتُهَا أَحَدٌ نَفْسُهُ وَ لَا يَكْثُرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفُهُ - فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا - يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ - مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ - طَوِيلُ النَّدَمِ ثُمَّ أَذَاءُ الْأَمَانَةِ - فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا - إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى السَّمَاوَاتِ الْمَبْنِيَّةِ - وَ الْأَرْضِينَ الْمَذْخُوعَةِ وَ الْجِبَالِ ذَاتِ الطُّوْلِ الْمَنْصُوبَةِ - فَلَا أَطُولُ وَ لَا أَعْرُضُ وَ لَا أَعْلَى وَ لَا أَعْظَمُ مِنْهَا - وَ لَوْ امْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولِ أَوْ عَرْضٍ - أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعَنَ - وَ لَكِنْ أَشْفَقَنَ مِنَ الْعُقُوبَةِ - وَ عَقَلْنَا مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أضعَفُ مِنْهُمْ وَ هُوَ الْإِنْسَانُ - «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِ مَا رَوَاهُ (الكافي الكليني - الكافي - كتاب الجهاد الباب الثالث عشر) (في الباب الثالث عشر من جهاده) عن عقيل الخزاعي ان أمير المؤمنين عليه السلام كان إذا حضر الحرب يوصى المسلمين بكلمات، يقول: تعاهدوا الصلاة و حافظوا عليها، و استكثرُوا منها و تقرَّبُوا بها، فانها كانت على المؤمنين كتابا موقوتا، و قد علم ذلك الكفار حين سنلوا ما سلككم في سقر؟ قالوا لم نك من المصلين، و قد عرف حقها من طرقها و اكرم

ص: ١٥٦

بها من المؤمنين الذين لا يشغلهم عنها زين متاع و لا قرَّة عين من مال و لا ولد، يقول الله عز و جل: «رِجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ تِجَارَةً وَ لَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ إِقَامِ الصَّلَاةِ» ٢٢٤ وَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ مَنْصِبًا لِنَفْسِهِ بِالْبَشَرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ مِنْ رَبِّهِ، فَقَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَ أَمْرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَ اصْطِبْرِ عَلَيْهَا» ٢٢٥ وَ كَانَ يَأْمُرُ بِهَا أَهْلَهُ وَ يُصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ، ثُمَّ إِنَّ الزَّكَاةَ جَعَلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ، وَ مِنْ لَمْ يَعْطِهَا طَيِّبَ النَّفْسِ بِهَا، يَرْجُو بِهَا مِنَ الثَّمَنِ مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَانَّهُ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُونُ الْأَجْرِ ضَالُّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ بترك امر الله تعالى و الرغبة عمَّا عليه صالحوا عباد الله، يقول الله تعالى:

٢٢٢ (١) النور: ٣٧.

٢٢٣ (٢) طه: ١٣٢.

٢٢٤ (١) النور: ٣٧.

٢٢٥ (٢) طه: ١٣٢.

«وَيَنْبَغُ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى»^{٤٢٦} فقد خسر من ليس من أهلها و ضلّ عمله، عرضت على السماوات المبنية، و الأرض المهاد و الجبال المنصوبة، فلا أطول و لا أعرض و لا أعلى و لا أعظم، لو امتنعن من طول أو عرض أو عظم أو قوة أو عزة امتنعن، و لكن اشفقن من العقوبة - الخبر -.

قول المصنف:

و من كلام له عليه السّلام كان يوصى به أصحابه «قد عرفت من خبر (الكافي) أنّه عليه السّلام كان يوصى بذلك عند القتال، و انما كان عليه السّلام يفعل ذلك كيلا يتهاونوا بها وقت الحرب بعذر الحرب و لها شرع تعالى صلاة الخوف فقال: «وَ إِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ» - الآية - ...^{٤٢٧}.

قوله عليه السّلام:

«تعاهدوا» في معنى تعهدوا قال ابن دريد: قد يجيى تفعل و تفاعل بمعنى

ص: ١٥٧

كتعهد و تعاهد و تضحك و تضحك و تلعب و تلاعب، و قد يفترقان مثل تكبر من الكبر و (تكابر) من السن.

«أمر الصلاة» في (الكافي) عن أبان بن تغلب: صليت خلف أبي عبد الله عليه السّلام بالمزدلفة فلما انصرف التفت الى فقال: الصلوات الخمس المفروضات من أقام حدودهن و حافظ على مواقيتهن لقي الله يوم القيامة و له عنده عهد يدخله به الجنة، و من لم يقم حدودهن و لم يحافظ على مواقيتهن لقي الله و لا عهد له ان شاء عذبه و ان شاء غفر له.

«و حافظوا عليها» «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ وَ الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ لِلْسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ وَ الَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بَيَّومَ الدِّينِ وَ الَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَتِهِمْ وَ عَهْدِهِمْ رَاعُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ أُولَئِكَ فِي»^{٤٢٨}.

فسر قوله تعالى في أول الآية: «على صلاتهم دائمون»^{٤٢٩} بالنافلة و في آخر الآية «على صلاتهم يحافظون»^{٤٣٠} بالفريضة، روى ذلك (الكافي) عن أبي جعفر عليه السّلام و قال تعالى: «حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى»^{٤٣١}.

^{٤٢٦} (٣) النساء: ١١٥.

^{٤٢٧} (٤) النساء: ١٠٢.

^{٤٢٨} (١) المعارج: ١٩ - ٣٥.

^{٤٢٩} (٢) المعارج: ٢٣.

^{٤٣٠} (٣) المعارج: ٣٤.

^{٤٣١} (٤) البقرة: ٢٣٨.

ص: ١٥٨

و في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام كلَّ سهو في الصلاة يطرح منها غير ان الله يتم بالنوافل ان أول ما يحاسب به العبد الصلاة فان قبلت قبل ما سواها ان الصلاة إذا ارتفعت في أول وقتها رجعت إلى صاحبها و هي بيضاء مشرقة، تقول: حفظتني حفظك الله، و إذا ارتفعت في غير وقتها بغير حدودها رجعت إلى صاحبها و هي سوداء مظلمة تقول: ضيعتني ضيعك الله.

و عنه عليه السلام ايما مؤمن حافظ على الصلوات المفروضة فصلّاها لوقتها فليس هذا من الغافلين - و عن النبي صلى الله عليه و آله لا يزال الشيطان زعرا من المؤمن ما حافظ على الصلوات الخمس، فاذا ضيعهن تجرأ عليه فأدخله في العظام.

«و استكثروا منها» قال عيسى عليه السلام في المهد: «إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَ جَعَلَنِي نَبِيًّا وَ جَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَ أَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَ الزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا»^{٤٣٢}.

«و تقربوا بها» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام الصلاة قربان كل تقى.

و عنه عليه السلام أقرب ما يكون العبد من الله عز و جل و هو ساجد و ذلك قوله تعالى «وَ اسْجُدْ وَ اقْتَرِبْ»^{٤٣٣}.

«فانها «كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا»^{٤٣٤} و إذا خرج وقتها يجب قضاؤها.

«أ لا تسمعون إلى جواب أهل النار حين سئلوا «ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ» فالآية تدل على كون الكفار معاقبين بالفروع كالاصول و اما سقوط القضاء عن الكافر إذا أسلم فتفضل و لا تضاد، فالعقد يوجب المهر كله،

ص: ١٥٩

و الطلاق قبل المس يسقط نصفه.

«و انها لتحت» أي: تنأثر.

«الذنوب حت الورق» من الشجر قال الخوئي عن مجالس ابن الشيخ قال سلمان كنا مع النبي صلى الله عليه و آله في ظل شجرة، فأخذ غصنا منها فنفضه فتساقط ورقه، فقال: ألا تسألوني عما صنعت قالوا: اخبرنا، فقال، ان العبد المسلم إذا قام إلى الصلاة تحاطت خطاياهم كما تحاطت ورق هذه الشجرة.

«و تطلقها اطلاق الربق» قال الجوهري. الربق بالكسر حبل فيه عدّة عرى يشدّ به البهم، و الواحدة من العروة ربقة، و الربقة البهيمة المربوطة في الربق.

^{٤٣٢} (١) مريم: ٣٠-٣١.

^{٤٣٣} (٢) العلق: ١٩.

^{٤٣٤} (٣) النساء: ١٠٣.

فى (الفقيه) عن الصادق عليه السلام لما هبط آدم من الجنة ظهرت به شامة سوداء فى وجهه من قرنه إلى قدمه فطال بكاءه عليه فأتاه جبرئيل عليه السلام فقال له ما يبكيك؟ قال: من هذه الشامة قال: قم فصلّ فهذا وقت الصلاة الأولى فقام فصلّى فانحطت إلى عنقه فجاءه فى الصلاة الثانية فقال قم فصلّ فصلّى إلى سترته فجاءه فى الصلاة الثالثة فقال: قم فصلّ فصلّى فانحطت إلى ركبتيه فجاءه فى الرابعة فقال قم فصلّ فصلّى فانحطت إلى قدميه فجاءه فى الصلاة الخامسة فقال قم فصلّ فقام فصلّى فخرج منها فحمد الله فقال له جبرئيل مثل ولدك فى هذه الصلوات كمثلك من هذه الشامة، من صلى من ولدك فى كلّ يوم و ليلة خمس صلوات خرج من ذنوبه كما خرجت من هذه الشامة.

هذا، و قال الخوئى (و تطلقها اطلاق الريق) على القلب، و المراد انها تطلق اعناق النفوس من أغلال الذنوب اطلاق أعناق البهائم من الارباق - مع أنّه لا قلب و انما هو توهم كون الريق فاعل الاطلاق مع أنّه مفعولها كما فى حت الورق فكما ان المعنى فى الأول ان الصلاة تحت الذنوب كحتك للورق كذلك

ص: ١٦٠

المعنى فى الثانى ان الصلاة تطلق الذنوب اطلاقك الريق عن البهائم.

هذا، و كما شبهت الصلاة مع الذنوب فى كلامه عليه السلام بحت الورق و اطلاق الريق كذلك شبهت معها فى كلام النبى صلى الله عليه و آله بماء يطفئ النار - ففى الفقيه قال النبى صلى الله عليه و آله ما من صلاة يحضر وقتها إلّا نادى ملك بين يدي الناس قوموا إلى نيرانكم التى أو قد تموها على ظهوركم فأطفئوها بصلاتكم.

«و شبهها رسول الله صلى الله عليه و آله بالحمّة» فى (الصحيح) الحمّة العين الحارة يستشفى بها الأعداء و فى الحديث (العالم كالحمّة).

«فهو يغتسل منها فى اليوم و الليلة خمس مرات فما عسى ان يبقى عليه من الدرن» أى: الوسخ.

و درن المعاصى باطنى و سئل الامام، هل يعلم الملكان إذا هم بالحسنة أو السيئة؟ فقال عليه السلام: هل يستوى ريح الطيب و ريح الكيف فإذا هم بالحسنة يخرج نفسه متطيبا، و إذا هم بالسيئة خرج نفسه منتنا - و ورد فى الكذب أنّه يخرج من قلبه تعفن يبلغ العرش فيلعنه من فى السماء.

«و قد عرف حقّها رجال من المؤمنين الذين لا يشغلهم زينة متاع، و لا قرّة عين من مال و لا ولد» ناظرة إلى قوله تعالى «الْمَالُ وَ الْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَ خَيْرٌ أَمْلاً»^{٢٣٥}.

«يقول الله سبحانه» «رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة»^{٢٣٦} و بعده «يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب و الأبصار»^{٢٣٧} و قال تعالى: «الَّذِينَ إِن مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَ آتَوْا الزَّكَاةَ»^{٢٣٨}.

ص: ١٦١

«وكان رسول الله صلى الله عليه وآله نصبا» أي: تعباً.

«بالصلاة بعد التبشير له بالجنة» هكذا في النسخ، و الظاهر ان كون قوله (بعد التبشير له بالجنة) مصحف «بعد الأمر له بالصلاة» كما يشهد له قوله بعد.

«يقول الله سبحانه» **«وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»**^{٤٣٩} أي: احمل نفسك على الصبر عليها.

«فكان يأمر أهله» خصوصاً كما يأمر باقي الناس عموماً.

في ذيل الطبري مسنداً عن أبي الحمراء، قال: رابطة المدينة ستة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وآله فرأيته إذا طلع الفجر جاء إلى باب علي و فاطمة عليهما السلام فقال:

الصلاة انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيراً^{٤٤٠} - و رواه الثعلبي في (تفسيره) عن أبي الحمراء^{٤٤١} - و رواه (أماليا) الشيخين أيضاً^{٤٤٢}.

و روى الأندلسي في (جمعه للصحاح الستة) عن (سنن أبي داود)، و (موطأ مالك) عن أنس ان النبي صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر حين نزلت هذه الآية، فيقول الصلاة **«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»**^{٤٤٣}.

و روى اخطب الخطباء في اسناد له عن أبي سعيد الخدري، ان

ص: ١٦٢

النبي صلى الله عليه وآله جاء إلى باب فاطمة عليها السلام أربعين صباحاً بعد ما دخل على فاطمة يقول: السلام عليكم و رحمة الله و بركاته الصلاة يرحمكم الله، **«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»**^{٤٤٤}.

^{٤٣٦} (٢) النور: ٣٧.

^{٤٣٧} (٣) النور الحج: ٣٧.

^{٤٣٨} (٤): ٤١.

^{٤٣٩} (١) طه: ١٣٢.

^{٤٤٠} (٢) الطبري: ذيل المذيل (تاريخ الطبري): ٨٣ منشورات الأعلمي، بيروت.

^{٤٤١} (٣) ذكره ابن طائوس في الطرائف: ١٢٨ نقلاً عن الثعلبي.

^{٤٤٢} (٤) الطوسي، الأمالي ٥: ٤٣ المجلس (٢١) رقم (١١٧٤).

^{٤٤٣} (٥) ذكره ابن طائوس في الطرائف: ١٢٨ و نقله المجلسي بحار الأنوار ٣٥: ٢٢٣ رواية (٣٠) و الأندلسي هو نفسه الحميدي صاحب كتاب الجمع بين الصحيحين.

^{٤٤٤} (١) الخطيب الخوارزمي، مناقب أمير المؤمنين: ٣٥ الباب الخامس، طبع حجري في كربلاء.

و فى اسناد آخر عنه، قال: لمّا نزل قوله تعالى: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ»^{٤٤٥} كان النبى صلى الله عليه وآله يأتى باب على و فاطمة تسعة أشهر كل صلاة فيقول الصلاة يرحمكم الله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^{٤٤٦}.

و روى (عيون ابن بابويه) عن الريان بن الصلت ان الرضا عليه السلام حضر مجلس المأمون و قد اجتمع فى مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان فقال له المأمون هل فضل الله العترة على سائر الناس؟ فقال عليه السلام:

ان الله تعالى فضلهم على سائر الناس فى محكم كتابه - إلى أن قال بعد ذكر إحدى عشرة آية فى تفضيلهم - و أما الثانية عشرة فقوله عز و جل: «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»^{٤٤٧} فخصصنا الله بهذه الآية، إذ أمرنا الله مع الامة بإقامة الصلوات ثم خصصنا من دون الامة فكان النبى صلى الله عليه وآله يجرى إلى باب على و فاطمة صلوات الله عليهما بعد نزول هذه الآية تسعة أشهر كل يوم عند حضور كل صلاة خمس مرات فيقول: الصلاة يرحمكم الله و ما أكرم الله أحدا من ذرارى الأنبياء بمثل هذه الكرامة التى أكرمنا بها - الخبر -.

و هذه الأخبار الواردة من العامة و الخاصة متفقة على ان آية «إِنَّمَا»

ص: ١٦٣

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً»^{٤٤٨} فى سورة الأحزاب كانت بعد آية «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا»^{٤٤٩} فى سورة طه، و ادرجوا الاولى فى آية نساء النبى صلى الله عليه وآله اطفاء لنور الله و يأبى الله ذلك حيث جرى الحق على لسانهم فى أخبارهم - و بالجملة فالآيتان أعظم حجة على مخالفى أهل البيت عليهم السلام.

«و يَصْبِر» أى: يحبس قال تعالى: «وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ»^{٤٥٠}.

«عليها نفسه» و قد صبر صلى الله عليه وآله نفسه عليها حتى و رمت قدماءه فأنزل تعالى: و «ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى»^{٤٥١}.

«ثم ان الزكاة جعلت مع الصلاة قربانا» أى سبب تقرب إليه تعالى.

«لأهل الاسلام» قال تعالى: «فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ»^{٤٥٢}.

٤٤٥ (٢) طه: ١٣٢.

٤٤٦ (٣) المصدر السابق: ٣٥.

٤٤٧ (٤) طه: ١٣٢.

٤٤٨ (١) الأحزاب: ٣٣.

٤٤٩ (٢) طه: ١٣٢.

٤٥٠ (٣) الكهف: ٢٨.

٤٥١ (٤) طه: ٢.

٤٥٢ (٥) التوبة: ١١.

و فى (الكافى) عن أبى بصير كُنّا عند أبى عبد الله عليه السّلام و معنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزكاة فقال عليه السّلام: ان الزكاة ليس يحمد بها صاحبها و انما هو شىء ظاهر انما حقن بها دمه و سمّى بها مسلما و من لم يؤدها لم تقبل له صلاة، و ان عليكم فى أموالكم غير الزكاة و عد حقوقا.

و عن أبى جعفر عليه السّلام بيّننا النبى صلى الله عليه و آله فى المسجد إذ قال قم يا فلان حتى عد خمسة نفر فقال أخرجوا من مسجدنا لا تصلّوا فيه

ص: ١٦٤

و أنتم لا تزكون!!.

و عن أبى عبد الله عليه السّلام دمان فى الاسلام حلال من الله لا يقضى فيها أحد حتى يبعث الله قائمنا فإذا بعث حكم فيهما بحكم الله لا يريد عليهما بيّنة، الزانى المحصن يرجمه، و مانع الزكاة يضرب عنقه.

و عنه عليه السّلام من منع قيراطا من الزكاة فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا، و ليس بمؤمن و لا مسلم و هو قوله تعالى: «رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ»^{٤٥٣}.

و عن أبى جعفر عليه السّلام ان الله تعالى قرن الزكاة بالصلاة فقال: «وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ»^{٤٥٤} فمن أقام الصلاة و لم يؤت الزكاة لم يقيم الصلاة.

و عن أبى عبد الله عليه السّلام صلاة مكتوبة خير من عشرين حجّة، و حجّة خير من بيت مملوء ذهب ينفقه فى برّ حتى ينفد، ثم قال: و لا أفلح من ضيّع عشرين بيتا من ذهب بخمسة و عشرين درهما - قيل: و ما معناه؟ قال: من منع الزكاة، و قفت صلواته حتى يزكى.

«فمن أعطاه طيب النفس بها فانها تجعل له كفارة و من النار حجازا» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (حجابا) كما فى (ابن أبى الحديد) و غيره.

«و وقاية» فى الخبر أرض القيامة نار ما خلا موضع المؤمن فان صدقته تظّله.

«فلا يتبعها أحد نفسه و لا يكثرن عليها لهفه» قال ابن أبى الحديد أمر النبى صلى الله عليه و آله بعض نساءه ان تقسم شاء على الفقراء، فقالت لم يبق منها غير عنقها فقال صلى الله عليه و آله: بقى كلّها غير عنقها - قال ابن أبى الحديد أخذ شاعر هذا

ص: ١٦٥

^{٤٥٣} (١) المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

^{٤٥٤} (٢) البقرة: ٤٣.

المعنى فقال:

يبكى على الذاهب من ماله و إنما يبقى الذى يذهب

قلت الأصل فى كلام النبى صلى الله عليه وآله قوله تعالى: «ما عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ»^{٤٥٥}.

«فان من أعطاهها غير طيب النفس بها، يرجو بها و هو أفضل منها فهو جاهل بالسنة مغبون الأجر، ضال العمل، طويل الندم» قال تعالى: «وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ»^{٤٥٦}.

«ثم اداء الأمانة، فقد خاب من ليس من أهلها» فقد عد الله تعالى فى صفات أهل الايمان رعاية الأمانات - و قال نبیه صلى الله عليه وآله: بعثت باداء الأمانة إلى البر و الفاجر.

و عن الصادق عليه السلام لو أن قاتل أمير المؤمنين عليه السلام ائتمنى على أمانة لأديتها إليه - و عن السجاد عليه السلام: لو أن قاتل أبى ائتمنى على السيف الذى قتله به لأديته إليه.

و عن الصادق عليه السلام: من أوّتمن على أمانة فأداها فقد حلّ ألف عقده من عنقه من عقد النار فبادروا باداء الأمانة فان من أوّتمن على أمانة و كل به إبليس مائة شيطان من مردّة أعوانه ليضلّوه.

و قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا»^{٤٥٧} - «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^{٤٥٨} -

ص: ١٦٦

«فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أُؤْتِمِنَ أَمَانَتَهُ وَ لِيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ»^{٤٥٩}.

و الحربى الذى ماله و دمه حلال لا يجوز الخيانة فى أمانته - و فى (الكافى) عن النبى صلى الله عليه وآله حافتا الصراط يوم القيامة الرحم و الأمانة، فاذا مر الوصول للرحم المؤدى للأمانة نفذ إلى الجنة، و إذا مر الخائن للأمانة القطوع للرحم لم ينفعه معه عمل فتكفا به الصراط فى النار.

«إنها عرضت على السماوات المبنية» «وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا»^{٤٦٠}.

^{٤٥٥} (١) النحل: ٩٦.

^{٤٥٦} (٢) التوبة: ٥٤.

^{٤٥٧} (٣) النساء: ٥٨.

^{٤٥٨} (٤) الانفال: ٢٧.

^{٤٥٩} (١) البقرة: ٢٨٣.

«و الأرضين المدحوة» قال الجوهرى: (مر الفرس يدحو دحوا) إذا رمى بيديه رميا لا يرفع سنبكه عن الأرض كثيرا- و يقال لللاعب بالجوز (ابعد المدى و ادحه) أى ارمه.

قال تعالى: «أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا رَفَعَ سَمَكَهَا فَسَوَّاهَا وَ أَغْطَشَ لَيْلَهَا وَ أَخْرَجَ ضُحَاهَا وَ الْأَرْضُ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا»^{٤٦١}.

«و الجبال ذات الطول المنصوبة» «و ألقى فى الأرضِ رِوَاسِيَّ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ»^{٤٦٢}.

«فلا أطول» اشارة إلى الجبال.

«و لا أعرض» اشارة إلى الأرضين.

«و لا أعلى و لا أعظم» اشارة إلى السماوات.

«منها» أى: من السماوات و الأرضين و الجبال، و جعل ابن ميثم و الخوئى أطول و أعرض و أعظم كلَّها راجعة إلى الجبال كضمير (منها) فى غير محلّه.

ص: ١٦٧

«و لو امتنع شيء بطول أو عرض أو قوة أو عزّ لا تمتنع» أى: لو صار شيء منيعا بها لصارت منيعة بها حتى تجسر على حمل الأمانة.

هذا، و فى القاموس الممتنع الأسد القوى العزيز فى نفسه، و فى (الصحيح) الممتنعان البكرة و العناق تمتعان على السنة بفتاءهما و لأنهما يشبعان قبل الجلة و هما المقاتلتان الزمان عن أنفسهما.

«و لكن أشفقن» أى: حذرن.

«من العقوبة و عقلن» أى: فهمن ما جهل من هو أضعف منهن.

«و هو الانسان» «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» واضح أنّه عليه السّلام أشار إلى قوله تعالى:

«إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ الْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَ أَشْفَقْنَ مِنْهَا وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»^{٤٦٣}.

^{٤٦٠} (٢) النبأ: ١٢.

^{٤٦١} (٣) النازعات: ٢٧- ٣٠.

^{٤٦٢} (٤) النحل: ١٥.

^{٤٦٣} (١) الاحزاب: ٧٢.

و اختلف فى المراد من الأمانة فقال ابن أبى الحديد أصح ما قيل فى تفسير الآية: ان الأمانة ثقيلة المحمل، لأن حاملها معرض لخطر عظيم، فهمى بالغة من الثقل و صعوبة الحمل ما لو انها عرضت على السماوات و الأرض و الجبال لامتنعت من حملها و ليس المراد لو عرضت عليها و هى جمادات بل المراد تعظيم شأن الأمانة كما تقول هذا الكلام لا يحمله الجبال و قوله: (امتلاء الحوض و قال قطنى) و قوله تعالى: «قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ»^{٤٦٤} و مذهب العرب و توسعها و مجازاتها مشهور شائع.

و فى تفسير القمى، المراد بالأمانة الولاية و بالإنسان الظلوم الجهول الأول و نقل البرهان روايه الصفار^{٤٦٥}، و الصدوق^{٤٦٦}، و عمر بن إبراهيم الأوسى

ص: ١٦٨

له فى كتبهم و كذلك رواية الكلينى^{٤٦٧} و محمد بن العباس بن ماهيار له^{٤٦٨} - و كلامه عليه السلام هنا كآلية محتمل للعموم و الخصوص.

١٦

الكتاب (٥٢) و من كتاب له عليه السلام إلى امراء البلاد فى معنى الصلاة:

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ - حَتَّى تَفِىءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبِضِ الْعَنْزِ - وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَ الشَّمْسُ بَيَضَاءٌ حَيَّةٌ فِي غُضُو مِنْ النَّهَارِ - حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرَسَخَانِ - وَ صَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ - وَ يَدْفَعُ الْحَاجُّ إِلَى؟ مَنِ؟ - وَ صَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّقَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ - وَ صَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَ الرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ - وَ صَلُّوا بِهِمُ صَلَاةَ أَوْعَفِهِمْ وَ لَا تَكُونُوا فِتْنَانِينَ قول المصنف:

«و من كتاب له عليه السلام إلى» كذا فى (المصرية) و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (و من كتاب له عليه السلام كتبه إلى).

«أمرء البلاد» لا أمير مخصوص، لأن تعليمات الدين عامة.

«فى معنى» يجوز بلفظ المكان و المفعول.

«الصلاة» أى: ما يتعلّق بها.

قوله عليه السلام:

^{٤٦٤} (٢) فصلت: ١١.

^{٤٦٥} (٣) البحراني، تفسير البرهان ٣: ٣٤٢، دار الكتب العلمية- قم.

^{٤٦٦} (٤) المصدر السابق: ٣٤٠.

^{٤٦٧} (١) البحراني، تفسير البرهان ٣: ٣٤٠.

^{٤٦٨} (٢) المصدر السابق ٣: ٣٤٢.

«أما بعد فصلوا بالناس الظهر» من حيث الدلوک.

«حتى تفيء» أى: ترجع قال الجوهرى: قال ابن السكيت: الظلّ ما نسخته

ص: ١٦٩

الشمس و الفیء ما نسخ الشمس، و قال روبه كلما كانت عليه الشمس فزالت عنه فهو فيء و ظلّ و ما لم يكن عليه الشمس فهو ظلّ.

«الشمس» و المراد ظلّها.

«من» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (مثل) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب).

«مرضى العنز» قال الجوهرى: (المرابض للغنم كالمعاطن للابل).

«و صلّوا بهم العصر و الشمس بيضاء حية حين يسار فيها فرسخان» فى باب وقت الظهر و العصر من (الكافى)، عن يزيد بن خليفة، قلت لأبى عبد الله عليه السلام:

ذكر عمر بن حنظلة أن أوّل صلاة افترضها الله على نبيّه صلى الله عليه و آله الظهر و هو قوله تعالى: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ»^{٤٦٩} فإذا زالت الشمس لم يمنعك إلّا سبحتك ثم لا تزال فى وقت إلى ان يصير الظلّ قامه و هو آخر الوقت فإذا صار الظلّ قامه دخل وقت العصر فلم تزل فى وقت العصر حتى يصير الظلّ قاتمين و ذلك المساء - فقال: صدق.

و عنه عليه السلام إذا زالت الشمس فقد دخل وقت الظهر إلّا ان بين يديها سبعة و ذلك إليك ان شئت طوّلت و ان شئت قصّرت.

و فى (الفقيه) عن الفضيل و زرارة، و بكير و محمد بن مسلم، و بريد العجلي، عن الباقر و الصادق عليهما السلام وقت الظهر بعد الزوال قدما، و وقت العصر بعد ذلك قدما - و قال أبو جعفر عليه السلام: ان حايط مسجد النبى صلى الله عليه و آله كان قامه و كان إذا مضى منه ذراع صلى الظهر و إذا مضى منه ذراعان صلى العصر -.

ثم قال: أ تدرى لم جعل الذراع و الذراعان، لمكان النافلة لك أن تتنفل من

ص: ١٧٠

زوال الشمس إلى أن يمضى ذراع فإذا بلغ فيؤك ذراعا بدأت بالفريضة و تركت النافلة و إذا بلغ فيؤك ذراعين بدأت بالفريضة و تركت النافلة.

^{٤٦٩} (١) الاسراء: ٧٨.

و فيه، قال أبو جعفر عليه السّلام لأبى بصير: ما خدعوك فلا يخدعونك من العصر صلّها و الشمس بيضاء نقيّة فان النّبي صلّى الله عليه و آله قال: الموتور أهله و ماله من ضيّع صلاة العصر، قيل ما الموتور أهله و ماله؟ قال: لا يكون له أهل و لا مال فى الجنّة - قيل: و ما تضييع العصر؟ قال: يدعها حتى تصفر الشمس أو تغيب.

«و صلّوا بهم المغرب حين يفطر الصائم» فى باب وقت افطار (الكافى) عن الصادق عليه السّلام ان تقوم بحذاء القبلة و تتفقّد الحمرة التى ترتفع من المشرق، فإذا جازت قمّة الرأس إلى ناحية المغرب فقد وجب الافطار و سقط القرص.

و عن الصادق عليه السّلام إذا غابت الحمرة من المشرق فقد غابت الشمس فى شرق الأرض و غربها.

«و يدفع الحاجّ» يعنى من عرفات إلى المشعر.

فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام قيل له: متى الافاضة من عرفات؟ قال: إذا ذهبّت الحمرة - يعنى من الجانب الشرقى.

و عنه عليه السّلام ان المشركين كانوا يفيضون قبل أن تغيب الشمس فخالفهم النّبي صلّى الله عليه و آله فأفاض بعد غروبها.

و عنه عليه السّلام وقت المغرب إذا ذهبّت الحمرة من المشرق و تدرى كيف ذاك ان المشرق مظلّ على المغرب هكذا - و رفع يمينه فوق يساره - فاذا غابت ههنا ذهبّت الحمرة، من ههنا.

و عنه عليه السّلام اتى جبرئيل عليه السّلام لكلّ صلاة بوقتتين غير صلاة المغرب فان وقتها واحد - و روى ان لها وقتين و آخر وقتها سقوط الشفق - قال الكلينى:

ص: ١٧١

و ليس هذا ممّا يخالف الحديث الأول ان لها وقتا واحدا لأن الشفق هو الحمرة و ليس بين غيبوبة الشمس و غيبوبة الشفق إلّا شىء يسير و ذلك ان علامة غيبوبة الشمس بلوغ الحمرة القبلة، و ليس بينه و بين غيبوبة الشفق إلّا قدر ما يصلّى الإنسان صلاة المغرب و نوافلها إذا صلّاها على تؤدّة و سكون، و تفقدت ذلك غير مرّة و لذلك صار وقت المغرب ضيقا.

«و صلّوا بهم العشاء حين يتوارى الشفق إلى ثلث الليل» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام تجب العتمة إذا غاب الشفق أى الحمرة - و عن النّبي صلّى الله عليه و آله لو لا ان أشقّ على امتى لأخرت العشاء إلى ثلث الليل.

«و صلّوا بهم الغداة و الرجل يعرف وجه صاحبه» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام وقت الفجر حين ينشق الفجر إلى أن يتجلل الصبح السماء، و لا ينبغى تأخير ذلك عمدا لكنّه وقت لمن شغل أو نسى أو نام.

هذا، و قد ذكر تعالى مواقيت الخمس فى قوله عز و جل: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً»^{٤٧٠} و فى قوله عز اسمه: «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَى النَّهَارِ وَ زُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكَرَى لِلذَّاكِرِينَ»^{٤٧١} روى ان زراراً سأل الباقر عليه السلام هل سَمَى الله الصلوات الخمس فى كتابه فقال: نعم قال: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ»- الآية- و دلوک الشمس زوالها و غسق الليل انتصافه و فى ما بينهما أربع صلوات و قرآن الفجر الخامسة- و قال تعالى: «وَ أَقِمِ الصَّلَاةَ»*- إلى - «وَ زُلْفَا مِنْ اللَّيْلِ» و هى صلاة العشاء الآخرة».

و فى (العلل) عن الرضا عليه السلام ان قيل لم جعلت الصلوات فى هذه الأوقات

ص: ١٧٢

قيل لأنها مشهورة معلومة يعرفها الجاهل و العالم غروب الشمس مشهور معرفتها فوجب عنده المغرب و سقوط الشفق مشهور فوجب عنده عشاء الآخرة، و طلوع الفجر مشهور فوجب عنده صلاة الصبح، و زوال الشمس مشهور فوجب عنده الظهر، و لم يكن للعصر وقت مشهور مثل الأربعة فجعل وقتها الفراغ من الظهر إلى أن يصير الظل من كل شيء أربعة أضعافه.

«و صَلُّوا بِهِمْ صَلَاةً أضعفهم و لا تكونوا فتانين» و عنه عليه السلام آخر ما فارقت عليه حبيبي ان قال: إذا صَلَّيت فصل صلاة أضعف من خلفك.

و فى (الاسد)، مر حزم بن أبى كعب الأنصارى بمعاذ بن جبل، و هو يؤم قومه فى صلاة المغرب فقرأ بالبقرة فانصرف حزم فلما أتوا النبى صَلَّى الله عليه و آله قال:

معاذ ابدع حزم، قال حزم: افتتح سورة البقرة فصلَّيت ثم انصرفت - فقال النبى صَلَّى الله عليه و آله: يا معاذ لا تكن فتانا فان خلفك الضعيف و الكبير و ذا الحاجة.

و رواه (الفقيه)، و فيه، قال النبى صَلَّى الله عليه و آله لمعاذ: إِيَّاكَ أَنْ تَكُونَ فتانا عليك (بالشمس و ضحيتها) و ذواتها.

هذا، و فى (بديع ابن المعتز) قال عباس الخياط فى امام بطيء القراءة (ان قرأ العاديات فى رجب لم يقرأ آياتها إلى رجب - أى آخر - بل هو لا يستطيع فى سنة - أن يختم تبت يدا أبى لهب)^{٤٧٢}.

١٧

الحكمة (٢٥٢) و قال عليه السلام:

^{٤٧٠} (١) الاسراء: ٧٨.

^{٤٧١} (٢) هود: ١١٤.

^{٤٧٢} (١) ابن المعتز، البديع: ٦٨ مكتب المثنى، بغداد.

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشَّرْكِ - وَ الصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبَرِ - وَ الزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ - وَ الصَّيَّامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ - وَ الْحَجَّ تَقْوِيَةً

ص: ١٧٣

لِلدِّينِ - وَ الْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ - وَ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ - وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعاً لِلْسُّفَهَاءِ - وَ صَلَاةَ الرَّحِمِ مَنَمَاءً لِلْعَدَدِ - وَ الْقِصَاصَ حَقّاً لِلدِّمَاءِ - وَ إِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ - وَ تَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِياناً لِلْعَقْلِ - وَ مُجَانَبَةَ السَّرْقَةِ إِيْجَاباً لِلْعِفَّةِ - وَ تَرْكَ الزَّنا تَحْصِياناً لِلنَّسَبِ - وَ تَرْكَ اللُّوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ - وَ الشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمُجَاهِدَاتِ - وَ تَرْكَ الْكُذْبِ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ - وَ السَّلَامَ أَمَاناً مِنَ الْمَخَافِ - وَ الْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلْأَمَّةِ - وَ الطَّاعَةَ تَعْظِيماً لِلْإِمَامَةِ أَقُولُ: روى أحمد بن أبي طاهر البغدادي في (بلاغات نسائه أحمد بن أبي طاهر البغدادي - بلاغات النساء - ص ١٦ طبع النجف الأشرف) ^{٤٧٣}، و الصدوق في (علله الشيخ الصدوق - علل الشرايع -). نظيره عن سيِّدة النساء صلوات الله عليها في خطبتها في فدك - و لفظ الأول: «زعمتم حقاً لكم أ لله فيكم عهد قدمه إليكم و نحن بقيته استخلفنا عليكم، و معنا كتاب الله بيِّنة بصائره - إلى أن قالت - ففرض الله الايمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً عن الكبر، و الصيام تنبيهاً للاخلاص، و الزكاة ترييدا في الرزق، و الحج تنبيهاً للدين، و العدل مشكاة للقلوب، و طاعتنا نظاماً و إمامتنا أماناً من الفرقة، و حبنا عزّاً للاسلام، و الصبر منجاة، و القصاص حقناً للدماء، و الوفاء بالندى تعرضاً للمغفرة.

و توفية المكاييل و الموازين تغييراً للبخسة، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و قذف المحصنات اجتناباً للعنة، و ترك السرقة ايجاباً للعفة، و حرم الشرك اخلاصاً له بالربوبية، «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَ لَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» ^{٤٧٤} - الخبر -.

«فرض الله الايمان تطهيراً من الشرك» أي: من رجسه، قال تعالى: «...»

ص: ١٧٤

فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ...» ^{٤٧٥} و في (العلل) عن الرضا عليه السلام فان قيل لم أمر الخلق بالاقرار بالله و برسوله و حجتة، و بما جاء من عنده قيل: لعل كثيرة، منها ان من لم يقرّ بالله لم يتجنب معاصيه. و لم ينته عن ارتكاب الكبائر و لم يراقب أحداً في ما يشتهى و يستلذ من الفساد و الظلم، و إذا فعل الناس هذه الأشياء و ارتكب كل انسان ما يشتهى و يهواه من غير مراقبة لأحد كان في ذلك فساد الخلق أجمعين و وثوب بعضهم على بعض فغصبوا الفروج و الأموال و أبا حوا الدماء و السبي، و قتل بعضهم بعضاً من غير حق و لا جرم فيكون في ذلك خراب الدنيا و هلاك الخلق، و فساد الحرث و النسل.

و منها ان الله عز و جل يكون حكيماً و لا يوصف بالحكمة إلّا الذي يحظر الفساد و يأمر بالصلاح و يزجر عن الظلم، و ينهى عن الفحشاء، و لا يكون حظر الفساد و الأمر بالصلاح، و النهي عن الفواحش إلّا بعد الإقرار بالله و بمعرفة الأمر و الناهي، فلو ترك الناس بغير إقرار بالله و لا معرفة لم يثبت أمر بصلاح، و لا نهى عن فساد إذ لا أمر و لا ناهي و منها إنّا قد وجدنا الخلق

^{٤٧٣} (١) راجع بلاغات النساء لابن أبي طاهر: ١٦ طبع النجف الأشرف.

^{٤٧٤} (٢) آل عمران: ١٠٢.

^{٤٧٥} (١) الحج: ٣٠.

يفسدون بأمور باطنية مستورة عن الخلق، فلو لا الإقرار بالله و خشيته بالغيب لم يكن أحد إذا خلا بشهوته و إرادته يراقب أحدا في ترك معصية، و انتهاك حرمة و ارتكاب كبيرة، إذا فعل ذلك مستورا عن الخلق غير مراقب لأحد فكان يكون في ذلك هلاك الخلق أجمعين، فلم يكن قوام الأمر و صلاحهم إلا بالإقرار منهم بعليم خبير يعلم السر و أخفى، أمر بالصلاح ناه عن الفساد ليكون في ذلك انزجار عما يخلون به من أنواع الفساد.

«و الصلاة تنزيها عن الكبر» لأن في الصلاة يجعل وجهه - و هو أشرف أعضائه - على التراب فيزول الكبر عنه قهرا.

ص: ١٧٥

و في (العلل) عن الرضا عليه السلام علة الصلاة أنها إقرار لله بالربوبية، و خلع الانداد و قيام بين يدي الجبار بالذل و المسكنة و الخضوع و اعتراف و الطلب للإقالة من سالف الذنوب، و وضع الوجه على الأرض كل يوم خمس مرات اعظاما لله تعالى، و ان يكون ذاكرا غير ناس و لا بطرا و يكون خاشعا متذللا راغبا طالبا للزيادة في الدين و الدنيا مع ما فيه من الانزجار، و المداومة على ذكر الله تعالى بالليل و النهار لئلا ينسى العبد سيده و مدبره و خالقه فيبطر و يطغى فيكون في ذكره لربه و قيامه بين يديه زاجرا له عن المعاصي و مانعا من أنواع الفساد.

«و الزكاة تسببيا للرزق» أي: رزق المساكين و لئلا يحملهم الاضرار على نهب أموال الأغنياء.

و في (العلل) عن الرضا عليه السلام: ان علة الزكاة من أجل قوت الفقراء و تحصين أموال الأغنياء لأن الله تعالى كلف أهل الصحة القيام بشأن أهل الزمانة من البلوى كما قال تعالى: «لَتَنْبُلُوَنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ»^{٤٧٦} في أموالكم اخراج الزكاة، و في أنفسكم توطين النفس على الصبر مع ما في ذلك من اداء شكر نعمه تعالى، و الطمع في الزيادة و هم عظة لأهل الغنى و عبرة لهم ليستدلوا على فقر الآخرة بهم، و ما لهم في ذلك من الحث على الشكر و الخوف ان يصيروا مثلهم.

«و الصيام ابتلاء لاخلاص الخلق» لاشتماله على ترك اللذائذ من المطاعم و المشارب و المناكح و تركها في غاية الصعوبة، فيكون دليلا على كمال الاخلاص.

و أيضا هو أمر عديم لا يعلمه إلا الله ان لم يخبر صاحبه به، و لذا ورد في

ص: ١٧٦

الحديث القدسي: «الصوم لي و أنا أجزي به» - و في تاريخ بغداد صام داود الطائي أربعين سنة ما علم به أهله و كان خرازا فكان يحمل غذائه معه و يتصدق به في الطريق و يرجع إلى أهله يفطر عشاء لا يعلمون أنه صائم.

^{٤٧٦} (١) آل عمران: ١٨٦.

و فى (العلل) عن الرضا عليه السّلام علّة الصوم لعرفان مسّ الجوع و العطش ليكون العبد ذليلاً مستكيناً مأجوراً محتسباً صابراً، فيكون ذلك دليلاً على شدائد الآخرة مع ما فيه من الانكسار له عن الشهوات واعظاً له فى العاجل، دليلاً على الاجل ليعلم مبلغ ذلك من أهل المسكنة فى الدنيا و الآخرة^{٤٧٧}.

«و الحج تقوية للدين» فى (العلل) عن الصادق عليه السّلام: لا يزال الدين قائماً ما قامت الكعبة.

«و الجهاد عزّاً للإسلام» و فى (الكافى) عنه عليه السّلام: ان الله تعالى فرض الجهاد و عظّمه، و جعله نصره و ناصره و الله ما صلحت دنيا و لا دين إلّا به.

و عن الصادق عليه السّلام ان الله تعالى بعث رسول بالاسلام إلى الناس عشر سنين فأبوا ان يقبلوا أمره إلّا بالقتال - و عن النبى صلى الله عليه و آله الخير كلّ فى السيف و تحت ظلّ السيف و لا يقيم الناس إلّا السيف و السيوف مقاليد الجنّة و النار.

«و الأمر بالمعروف مصلحة للعوام» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: كان إذا مر بجماعة يختصمون لا يجوزهم حتى يقول ثلاثاً: «اتقوا الله» - يرفع بها صوته.

«و النهى عن المنكر ردعاً» أى: كفا.

«للسفهاء» عن الشنائع.

و فى (الكافى) عنه عليه السّلام أمرنا النبى صلى الله عليه و آله أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهره - و عنه عليه السّلام انما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصى، و لم

ص: ١٧٧

ينهمم الربانيون و الأحبار عن ذلك.

و عن النبى صلى الله عليه و آله ان الله تعالى ليبغض المؤمن الضعيف الذى لا دين له - قيل و ما المؤمن الذى لا دين له؟ قال: الذى لا ينهى عن المنكر.

و عن الصادق عليه السّلام: ان الله تعالى بعث ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله و يتضرّع فقال أحد الملكين لصاحبه أما ترى هذا الداعى؟ فقال قد رأيته و لكن أمضى لمّا أمر به ربه، فقال لا و لكن حتى أراجع ربه فراجع فقال تعالى: امض لمّا أمرتك فان ذا رجل لم يتمعر وجهه غيظاً لى قط.

«و صلة الرحم منمأة» من النمو.

^{٤٧٧} (١) الصدوق، علل الشرائع ٢: ٣٧٨.

«للعدد» فى (الكافى) عن سليمان بن هلال، قلت لأبى عبد الله عليه السلام ان آل فلان يبر بعضهم بعضا و يتواصلون فقال: اذن تنمى أموالهم و ينمون فلا يزالون فى ذلك حتى يتقاطعوا فإذا فعلوا ذلك انقشع عنهم.

و عن النبى صلى الله عليه و آله: ان القوم ليكونون فجرة و لا يكونون بررة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم و تطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبرارا بررة.

و عن الصادق عليه السلام: ان صلة الرحم تزكى الأعمال و تنمى الأموال و تيسر الحساب و تدفع البلوى التى تزيد فى الحساب.

«و القصاص حقا» أى: حفظا.

«للدماء» «و لَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ»^{٤٧٨}.

«و إقامة الحدود إعظاما للمحارم» فى الكافى عن أبى جعفر عليه السلام: حد يقام فى الأرض أركى فيها من مطر أربعين ليلة و أيامها.

«و ترك شرب الخمر تحصينا» أى: حفظا.

ص: ١٧٨

«للعقل» فى (المعجم) كان السيرافى على مذهب أبى حنيفة فجرى حديث تحليل النبيذ عنده فقال له بعض الخراسانيين دعنا من حديث أبى حنيفة و الشافعى ما ترى أنت فى شرب النبيذ؟ فقال: اما المذهب فمعروف لا عدول عنه، و اما الذى يقتضيه العقل فتركه، و اعلم أنه لو كان المسكر حلالا فى كتاب الله أو سنة رسوله لكان يجب على العاقل تركه بحجة العقل و الاستحسان فان شاربه محمول على كل معصية مدفوع إلى كل بلية، مذموم عند كل ذى عقل و مروءة يحيله عن مراتب العقلاء و الفضلاء و الادباء، و يجعله من جملة السفهاء، و مع ذلك فيضرب بالدماع و العقل و الكبد و الذهن و يولد القروح فى الجوف، و يسلب شاربه ثوب الصلاح و المروءة و المهابة، حتى يصير بمنزلة المخبط المخريق و المثج يقول بغير فهم، و يأمر بغير علم، و يضحك من غير عجب، و يبكى من غير سبب، و يخضع لعدوة، و يصول على وليه، و يعطى من لا يستحق العطية، و يمنع من يستوجب الصلة، و يبذر فى الموضع الذى يحتاج فيه أن يمسك و يمسك فى الموضع الذى يحتاج فيه أن يبذر، يصير حامده ذاما، و أفعاله ملاما، عبده لا يوقره، و أهله لا تقربه، و ولده يهرب منه، و أخوه يفزع عنه، يتمرغ فى قيئه، و يتقلب فى سلحه، و يبول فى ثيابه، و ربما قتل قريبه، و شتم نسيبه، و طلق امرأته، و كسر آله البيت، و لفظ بالخنى، و قال كل غليظ و فحش، يدعو عليه جاره و يزرى به أصحابه، عند الله ملوم، و عند الناس مذموم، و ربما يستولى عليه فى حال سكره مخائل الهموم فيبكى دما. و يشقّ جيبه حزنا و ينسى القريب، و يتذكر البعيد، و الصبيان يضحكون منه، و النسوان يفتعلن النوادر عليه، و مع ذلك

فبعيد من الله، قريب من الشيطان، قد خالف الرحمن في طاعة الشيطان، و تمكن من ناصيته و زين في عينه اتيان الكبائر، و ركوب الفواحش، و استحلال الحرام، و إضاعة

ص: ١٧٩

الصلوات، و الحنث في الايمان، سوى ما حل به عند الافاقة من الندامة، و يستوجب من عذاب الله يوم القيامة^{٤٧٩}.

و في الجهشيارى: حكى أنه ثقل على كتاب المنصور تفقده الأعمال و مراعاته لها فقالوا المتطبعة لو زينت له شرب النبيذ حتى يتشاغل عنا لأعظمت المنة علينا- فوعدهم بذلك و لم يزل يقول له في الوقت بعد الوقت لو سخرت معدتك لأصلح جسمك و نفذ طعامك فيقول بماذا؟ فيقول بشراب العسل فلما ألح عليه بذلك استدعى شيئا منه فشربه في اليوم الأول فاستطابه فعاد إليه في اليوم الثاني و ازداد منه فخره ثم عاد إليه في اليوم الثالث فأبطأ عن صلاة الظهر و العصر و العشاء فلما كان من غد دعا بما عنده من الشراب فأراقه، ثم قال: لا ينبغي لمثلي أن يشرب شيئا يشغله.

و في (الاستيعاب): كان قيس بن عاصم قد حرّم على نفسه الخمر في الجاهلية، و كان سبب ذلك أنه غمز عكنة ابنته و هو سكران و سبّ أبويها و رأى القمر فتكلّم و أعطى الخمّار كثيرا من ماله فلما أفاق أخبر بذلك فحرّمها على نفسه و قال:

خصال تفسد الرجل الحليما

و لا أشقى بها أبدا سقيما

و لا أدعو لها أبدا لها نديما

و تجنيهم بها الأمر العظيما

رأيت الخمر سالحة و فيها

فلا و الله أشربها صحيحا

و لا أعطى بها ثمننا حياتي

فان الخمر تفضح شاربها

و هو الذي قال النبي صلى الله عليه و آله فيه لما رآه: «هذا سيد أهل الوبر- و كان مشهورا بالحلم قيل للأحنف بن قيس ممّن تعلم الحلم؟ قال: من قيس بن عاصم- الخبر-».

ص: ١٨٠

و في (الحلية) عن يزيد بن الأصم ان رجلا في الجاهلية شرب فسكر فجعل يتناول القمر فحلف لا يدعه حتى ينزله فكان يشب و يخمر و يكدر وجهه فلم يزل يفعل ذلك حتى خر فنام فلما أصبح قال لأهله: و يحكم ما شأنى؟ قالوا كنت تحلف لتنزّل القمر فتشرب فتخمر فلقيت منه ما لقيت، فقال إن شرابا حملنى على أن أنزل القمر لا أعود إليه أبدا.

و في (القاموس) خضف أى ضرط، و المخضفة الخمر لأنها تزيل العقل، فيضرط شاربها.

^{٤٧٩} (١) الحموي، معجم الانباء ٨: ١٦٧- ١٦٨ دار الفكر- لبنان.

و فى (الفقيه) عن أبى جعفر عليه السّلام قال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: انى شكرت لجعفر بن أبى طالب أربع خصال فدعاه فأخبره، فقال: لو لا ان الله تعالى أخبرك ما أخبرت ما كذبت قط لأن الكذب ينقص المروءة، و ما زنت قط لأنى خفت إذا علمت عمل بى، و ما عبدت صنما قط لأنى علمت أنّه لا يضر و لا ينفع، و ما شربت خمرا لأنى علمت انى ان شربتها زال عقلى فضرب النبى صلى الله عليه وآله يده على عاتقه، و قال حق على الله أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة فى الجنّة.

و كلّف بعض الخلفاء نصيب الشاعر الشرب فقال: انى أسود اللون منتن الريح و انما يقربنى الملوك لعقلى فكيف ازيل عقلى. ذكر أبو الفرج فى (أغانيه) فى مطيع بن اياس قصّة ما حصلها: انه كان له نديمان حمّاد عجرد و يحيى بن زياد الحارثى و كانوا من الزنادقة فمر بهم معامل من تجّار الكوفة فى مجلسهم فدعاه مطيع إلى لذاتهم و قال له أنت الشريك لنا على شريطة أن تشتم الملائكة فنفر و قال قبح الله عشرتكم فقال له حمّاد أساء مطيع لا ذنب للملائكة أنت شريك على أن تشتم الأنبياء فانهم تعبدونا بكلّ أمر متعب فقال له و أنت أيضا قبحك الله لا أدخل فدعاه يحيى فقال قبحهم الله لقد كلفاك شططا

ص: ١٨١

انزل و لا تصل اليوم فشتمه و قال: و لا هذا فقال انزل كيف شئت فنزل فقدم يحيى الطعام فأكلوا ثم شربوا فلمّا دبت الكأس فى التاجر قال له مطيع ايما أحب إليك تشتم الملائكة أو تنصرف عنّا فشتّمهم ثم قال له حمّاد أيهما أحب إليك تشتم الأنبياء أو تنصرف عنّا فشتّمهم فقال له يحيى تترك صلاتك اليوم أو تنصرف عنّا قال بل اتركها يا بنى الزانية و لا أنصرف فعمل بسبب شرب الخمر كلّ ما أرادوه منه.

و قال ابن أبى الحديد فى الحديث المرفوع ان ملكا ظالما خير انسانا بين ان يجامع أمه، أو يقتل نفسا مؤمنة أو يشرب الخمر حتى يسكر - فرأى ان الخمر أدونها فشرب حتى سكر فلمّا غلب عليه السكر قام إلى امه فوطئها و قام إلى تلك النفس المؤمنة فقتلها! و قال: الخمر جماع الاثم و أم المعاصى.

«و مجانية السرقة ايجابا للعفة» حتى جعل فيه حدا و سوّى فيه بين الرجل و المرأة فقال: «السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ»^{٤٨٠} بل ورد فيه تأديب غير البالغ، ففى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السّلام أتى على عليه السّلام بغلام قد سرق فطرف أصابعه، ثم قال: أما لئن عدت لأقطعنها - ثم قال: اما أنّه ما عمله إلّا النبى صلى الله عليه وآله و أنا.

«و ترك الزنا تحصينا للنسب» فى (العلل) عن الرضا عليه السّلام حرّم الزنا لمّا فيه من الفساد، من قتل الأنفس و ذهاب الأنساب و ترك التربية للأطفال و فساد المواريث و ما أشبهه من وجوه الفساد.

«و ترك اللواط تكثيرا للنسل» و لذا قال لوط لقومه: «أَإِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَ تَقْطَعُونَ السَّبِيلَ وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ»^{٤٨١} و قال تعالى: «نَسَاؤُكُمْ»

ص: ١٨٢

«حَرِّثْ لَكُمْ»^{٤٨٢}.

«و الشهادات» و نقل (المصرية) (و الشهادة) تحريف.

«استظهارا للمجاهدات» في (العلل) عن أبي جعفر عليه السلام انما جعل الشهادة في النكاح للميراث.

و للاستظهار في المجاهدات تقبل شهادة النساء و حدهن في ما لا يجوز للرجال أن ينظروا إليه، و تقبل شهادة القابلة في حياة الولد، و تقبل شهادتهن و حدهن في الوصية و تقبل شهادة أهل الكتاب في الوصية في السفر إذا لم يوجد مسلمون، و تقبل شهادة الصبيان على القتل إذا لم يوجد غيرهم.

«و ترك الكذب تشريفا للصدق» «وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ»^{٤٨٣} «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»^{٤٨٤}.

و في (الكافي) عن أبي عبد الله عليه السلام ان الله تعالى لم يبعث نبيا إلّا بصدق الحديث و اداء الأمانة و ان العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين، و يكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين فاذا صدق قال تعالى: صدق و بر، و إذا كذب قال تعالى: كذب و فجر.

«و السلام أمانا من المخاوف» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه و آله: من بدأ بالكلام قبل السلام فلا تجيبوه.

و عن أبي جعفر عليه السلام أقبل أبو جهل بن هشام و معه قوم من قريش فدخلوا على أبي طالب فقالوا ان ابن أخيك قد آذانا و آذى آلهتنا فادعه و مره

ص: ١٨٣

فليكف عن آلهتنا و نكف عن الهه فبعث إلى النبي صلى الله عليه و آله فلما دخل لم ير في البيت إلّا مشركا قال: السلام على من اتبع الهدى.

ثم جلس فخبه أبو طالب بما جاءوا له فقال: أو هل لهم في كلمة خير لهم من هذا يسودون بها العرب و يطئون أعناقهم؟ فقال أبو جهل: و ما هذه الكلمة؟ قال: تقولون (لا إله إلّا الله) فوضعوا أصابعهم في آذانهم و خرجوا هرابا و هم يقولون ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا إلّا اختلاف - الخبر -.

^{٤٨١} (٢) العنكبوت: ٢٩.

^{٤٨٢} (١) البقرة: ٢٢٣.

^{٤٨٣} (٢) التوبة: ١١٩.

^{٤٨٤} (٣) النحل: ١٠٥.

و عنه عليه السّلام: دخل يهودى على النّبي صلّى الله عليه وآله و عنده عايشة فقال السّام عليكم فقال النّبي صلّى الله عليه وآله: عليك ثم دخل آخر فقال مثل ذلك، فرد عليه كما رد على صاحبه ثم دخل آخر فقال مثل ذلك فرد عليه كما رد على صاحبه فغضبت عايشة فقالت عليكم السّام و الغضب و اللعنة يا معشر اليهود يا اخوة القردة و الخنازير - فقال لها النّبي صلّى الله عليه وآله ان الفحش لو كان ممثلا كان مثالا سوء ان الرفق لم يوضع على شيء قط إلّا زانه، و لم يرفع عن شيء قط إلّا شأنه قالت اما سمعت إلى قولهم (السّام عليكم) فقال: بلى اما سمعت ما رددت عليهم؟

قالت: (عليكم) فاذا سلّم عليكم مسلم فقولوا (سلام عليكم) و إذا سلّم عليكم كافر فقولوا عليك.

و عنه عليه السّلام مر أمير المؤمنين عليه السّلام يقوم فسلمّ عليهم فقالوا: عليك السّلام و رحمة الله و بركاته و مغفرته و رضوانه فقال عليه السّلام لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم عليه السّلام انما قالوا: «رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت».

و عنه عليه السّلام كان على عليه السّلام يقول: افشوا السّلام و اطيّبوا الكلام و صلّوا بالليل و الناس نيام تدخلوا الجنّة بسلام- ثم تلا قوله تعالى: «السّلام»

ص: ١٨٤

«الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ»^{٤٨٥}.

و عنه عليه السّلام البادى بالسلام أولى بالله و برسوله و إذا سلّم من القوم واحد أجزأ عنهم و إذا ردّ واحد أجزأ عنهم.

«و الامامة» هكذا فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و هو الصواب و فى (المصريّة) (و الأمانات).

«و نظاما للامة» فى (العلل) عن هشام بن الحكم قال للصادق عليه السّلام: دخلت مسجد البصرة فاذا أنا بحلقه كبيره و إذا أنا بعمر و بن عبيد عليه شمله سوداء مؤتزر بها و شمله مرتد بها و الناس يسألونه فاستفرجت الناس فأفرجوا لى ثم قعدت فى آخر القوم على ركبتى ثم قلت: أيها العالم أنا رجل غريب تأذن لى فأسألك عن مسألة؟ فقال: نعم، قلت: ألك عين قال يا بنى أى شيء هذا من السؤال!! فقلت هكذا مسألتى، قال: أرى الألوان و الأشخاص، قلت: فلك أنف؟

قال: نعم. قلت: ما تصنع به؟ قال: أشم به الرائحة، قلت: ألك اذن؟ قال: نعم، قلت: فما تصنع بها قال: اسمع به الأصوات قلت: أفلك قلب؟ قال: نعم قلت: فما تصنع به؟ قال أميّز به كلّ ما ورد على هذه الجوارح، قلت أ فليس فى هذه الجوارح غنى عن القلب؟ قال: لا. قلت و كيف و هى صحيحة سليمة قال يا بنى ان الجوارح إذا شكت فى شيء فشمتته أو رآته أو ذاقته أو سمعته ردّته إلى القلب فيستيقن اليقين و يبطل الشك، قلت فانما أقام الله القلب لشكّ الجوارح.

قال: نعم. قلت: فلا بد من القلب، وإلا لم تستيقن الجوارح، قال: نعم. قلت: إن الله لم يترك جوارحك حتى جعل لها إماما يصحح لها الصحيح وينفي ما شككت فيه و يترك هذا الخلق كلهم في حيرتهم وشكهم واختلافهم لا يقيم لهم إماما يردون إليه شكهم وحيرتهم - فسكت و قال: من أنت؟ قلت من أهل الكوفة، قال الحشر

ص: ١٨٥

فاذن أنت هشام ثم ضمتني إليه و أقعدني في مجلسه و ما نطق حتى قمت - فقال أبو عبد الله عليه السلام له: من علمك هذا؟ قال جرى على لساني، قال يا هشام هذا و الله مكتوب في صحف إبراهيم و موسى.

«و الطاعة تعظيما للإمامة» في العلل عنه عليه السلام: انما الطاعة لله و لرسوله و لولاء الأمر، و انما أمر بطاعة أولى الأمر لأنهم معصومون مطهرون لا يأمرؤن بمعصية.

١٨

الحكمة (٣٧٣) و روى؟ ابن جرير الطبري؟ في تاريخه: عن؟ عبد الرحمن بن أبي ليلى؟

الفقيه - و كان ممن خرج لقتال؟ الحجاج؟ مع؟ ابن الأشعث؟ - أنه قال في ما كان يحض به الناس على الجهاد - إني سمعت؟ علياً؟ يقول يوم لقينا أهل؟ الشام؟ - أيها المؤمنون - من رأى غدواناً يعمل به - و منكراً يدعى إليه - فأنكره بقلبه فقد سلم و برى - و من أنكره بلسانه فقد أجر - و هو أفضل من صاحبه - و من أنكره بالسيف - لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين هي السفلى - فذلك الذي أصاب سبيل الهدى - و قام على الطريق و نور في قلبه اليقين الحكمة (٣٧٤) و في كلام آخر له يجرى هذا المجرى:

فمنهم المنكر للمنكر بيده و لسانه و قلبه - فذلك المستكمل لخصال الخير - و منهم المنكر بلسانه و قلبه و التارك بيده - فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير - و مضيع خصلة - و منهم المنكر بقلبه

ص: ١٨٦

و التارك بيده و لسانه - فذلك الذي ضيع أشرف الخصلتين من الثلاث - و تمسك بواحدة - و منهم تارك لإنكار المنكر بلسانه و قلبه و يده - فذلك ميت الأحياء - و ما أعمال البر كلها و الجهاد في سبيل الله - عند الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر - إلا كنفته في بحر لجي - و إن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر - لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق - و أفضل من ذلك كله كلمة عدل عند إمام جابر الحكمة (٣٧٥) و عن؟ أبي جحيفة؟ قال سمعت؟ أمير المؤمنين ع؟ يقول:

أول ما تغلبون عليه من الجهاد - الجهاد بأيديكم ثم بالسنتكم ثم بقلوبكم - فمن لم يعرف بقلبه مغروفاً و لم ينكر منكراً - قلب فجعل أعلاه أسفله و أسفله أعلاه قول المصنف: «و روى ابن جرير الطبري في تاريخه» أي: في أحداث سنة (٨٣) في هزيمة ابن الأشعث بدير الجماجم (عن هشام بن محمد عن أبي مخنف عن أبي الزبير الهمداني) عن عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه»

ذكر الخطيب في (تاريخ بغداد) أباه فقال: كان أبو ليلى خصيصة بعلى عليه السلام يسمر معه و منقطعاً إليه و ورد المدائن في صحبته و شهد صفين معه و في ولده جماعة يذكرون بالفقه و يعرفون بالعلم.

و عبد الرحمن بن أبي ليلى نفسه أيضاً ممدوح كأبيه فروى (أمالى المفيد) عن إبراهيم النخعي بإسناده ان عبد الرحمن بن أبي ليلى قام إلى على عليه السلام فقال: انى سائلك لآخذ عنك و قد انتظرنا أن تقول ... من أمرك شيئاً فلم تقله ألا تحدثنا عن أمرك هذا، أكان بعهد من النبى صلى الله عليه و آله أو شىء رأيته فأنا قد أكثرنا فيك الأقاويل و أوثقه عندنا ما سمعناه من فيك أنا كنا نقول لو

ص: ١٨٧

رجعت إليكم بعد النبى صلى الله عليه و آله لم ينازعكم فيها أحد و الله ما أدري إذا سئلت ما أقول أزعم أن القوم كانوا أولى بما كانوا فيه منك فعلى م نصّبك النبى صلى الله عليه و آله بعد حجّة الوداع، فقال: أيها الناس من كنت مولاه فعلىّ مولاه، و ان تك أولى منهم فعلى م نتولّاهم - فقال عليه السلام: ان الله تعالى قبض نبيّه صلى الله عليه و آله و أنا يوم قبضه أولى بالناس منى بقميصى - إلى أن قال - فقال عبد الرحمن فأنت يا أمير المؤمنين لعمرك كما قال الأول:

و أسمعت من كانت له أذنان

لعمري لقد أيقظت من كان نائماً

ثم الأمر كما قال المصنف من ان القائل (سمعت عليّاً عليه السلام يقول) - إلخ - عبد الرحمن بن أبي ليلى هذا و توهم الجزرى فى تاريخه ان القائل ذلك جبلة بن زحر الجعفى الذى جعله ابن الأشعث أميراً على القرّاء - فقال: (فلما حملت كتائب الحجاج على القرّاء و عليهم جبلة نادى جبلة يا عبد الرحمن بن أبي ليلى يا معشر القرّاء: ان الفرار ليس بأحد أقيح به منكم انى سمعت عليّاً عليه السلام يقول - إلخ - و منشأ و همه ان الطبرى قال: «قال أبو الزبير الهمداني كنت فى خيل جبلة فلما حمل عليه أهل الشام مرّة بعد مرّة نادانا عبد الرحمن بن أبي ليلى الفقيه فقال يا معشر القرّاء» - إلخ - فقرأ «نادانا عبد الرحمن» «نادى يا عبد الرحمن» و جعل الفاعل ضمير جبلة.

«وكان» عبد الرحمن بن أبي ليلى.

«ممن خرج لقتال الحجاج» كجملة من الأجلّاء منهم سعيد بن جبيرة.

«مع ابن الأشعث» و هو عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث بن قيس الكندى - و كان الحجاج وجهه إلى سجستان لحرب رتييل صاحب الترك فخلع ابن الأشعث الحجاج و قال لا عدوّ لنا أعدى منه و رجع إليه لحربه - و كان خبيثاً فأعان على قتل مسلم بن عقيل فبال بن أسيد الذى آوت أمّه مسلماً أخبر ابن

ص: ١٨٨

الأشعث هذا بذلك فأقبل حتى أتى أباه و هو عند ابن زياد فسار - فقال له ابن زياد ما قال: قال أخبرني: ان ابن عقيل فى دار من دورنا؟ قال: ذلك لأن أم بلال كانت مولاة الأشعث.

ولما قال أصحاب المختار بعد هزيمته لمصعب نحن أهل قبلتكم و لسنا تركا و لا ديلما و قد ملكتم فاسجحوا و قد قدرتم فاعفوا فرق لهم الناس و رق لهم مصعب و أراد أن يخلّى سبيلهم - فقال ابن الأشعث هذا، و قال لمصعب اخترنا أو اخترهم فأمر مصعب بقتلهم.

و اما خروج كميل و سعيد بن جبير و ابن أبى ليلى معه انما كان لغرض التخلص من سلطان عبد الملك و حكومة الحجاج، فخرج القراء معه و كان شعارهم - كما فى (الحلية) - يا ثارات الصلاة^{٤٨٦} و يأتى كلام سعيد و الشعبى و أبى البخترى فى ذلك.

«أنه قال فى ما كان يحض به الناس على الجهاد» و حض الناس أيضا أبو البخترى و سعيد بن جبير ففى الطبرى كان أبو البخترى يقول أيها الناس قاتلوهم على دينكم و ديناكم، فو الله لئن ظهروا عليكم ليفسدون عليكم دينكم و ليغلبن على ديناكم - و قال الشعبى: يا أهل الاسلام، قاتلوهم و لا يأخذكم حرج من قتالهم فو الله ما أعلم قوما على بسيط الأرض أعمل بظلم و لا أجور منهم فى الحكم - و قال سعيد بن جبير قاتلوهم و لا تأثموا من قتالهم، قاتلوهم على جورهم فى الحكم و تجبرهم فى الدين و استذلّاهم الضعفاء و اماتتهم الصلاة.

«انى سمعت عليا عليه السلام» هكذا فى (المصرية) و فى ابن أبى الحديد بدل (عليه السلام) (رفع الله درجته فى الصالحين و أثابه ثواب الشهداء و الصديقين)

ص: ١٨٩

و هكذا فى (الطبرى).

«يقول يوم لقينا أهل الشام» أى: فى صفين.

«أيها المؤمنون أنه من رأى عدوانا يعمل به و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برىء» فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام حسب المؤمن غيرا إذا رأى منكرا ان يعلم الله تعالى من قلبه انكاره.

«و من أنكر بلسانه فقد أجر و هو أفضل من صاحبه» الذى مضى و أنزل من صاحبه الذى يأتى إذا قدر على الانكار بالأعلى من اللسان و إلّا فهو الأعلى ففى (الكافى) عن الصادق عليه السلام لما نزلت «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَ أَهْلِيكُمْ نَاراً»^{٤٨٧} جلس رجل من المسلمين يبكى و قال: أنا عجزت عن نفسى فكلفت أهلى، فقال النبى صلى الله عليه و آله حسبك أن تأمرهم بما تأمر به نفسك و تنهاهم عما تنهى عنه نفسك.

^{٤٨٦} (١) حلية الأولياء لأبى نعيم الاصفهاني ٤: ٣٧٩ ترجمة ٢٩١.

^{٤٨٧} (١) التحريم: ٦.

«و من أنكره بالسيف لتكون كلمة الله هي العليا و كلمة الظالمين هي السفلى فذلك الذى أصاب سبيل الهدى و قام على الطريق و نور في قلبه اليقين» و زاد في رواية الطبرى «فقاتلوا هؤلاء المحلين المحدثين المبتدعين الذين قد جهلوا الحق فلا يعرفون، و عملوا بالعدوان فلا ينكرونه» إلّا ان المصنف لم ينقله لاحتماله كونه انشاء من ابن أبى ليلى.

و نظير خطبته عليه السّلام خطبة ابنه الحسين عليه السّلام بالبيضة ففي (الطبرى) قال أبو مخنف عن عقبة بن أبى العيزاران الحسين عليه السّلام خطب أصحابه و أصحاب الحر بالبيضة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: أيها الناس ان النبى صلى الله عليه و آله قال من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسوله، يعمل فى عبادته بالإثم و العدوان فلم يغيّر عليه بفعل و لا قول كان حقّا على الله

ص: ١٩٠

أن يدخله مدخله ألا و ان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان و تركوا طاعة الرحمن و أظهروا الفساد و عطّلوا الحدود، و استأثروا بالفيء، و أحلّوا حرام الله و حرّموا حلاله، و أنا أحقّ من غير.

قول المصنف:

«و فى كلام آخر له يجرى هذا المجرى» هكذا فى (المصرية)، و لكن فى حد (و قال عليه السّلام فى كلام له غير هذا المجرى).

و رواه (فقه الرضا) هكذا، روى أن أمير المؤمنين عليه السّلام كان يخطب فعارضه رجل و قال: حدّثنا عن ميت الأحياء فقطع عليه السّلام الخطبة و قال - منكر للمنكر بقلبه و لسانه و يديه فخلال الخير حصلها كلّها، و تارك بلسانه و يده، و منكر للمنكر بقلبه و تارك بلسانه و يده فخلّة من خلال الخير حاز و تارك للمنكر بقلبه و لسانه و يده فذلك ميّت الأحياء - ثم عاد إلى خطبته^{٤٨٨}.

«فمنهم المنكر للمنكر بيده و لسانه و قلبه فذلك المستكمل لخصال الخير» لا ريب ان مع التمكن من الثلاث تجب الثلاث لكن اختلف فى ان الانكار باليد هل يجوز إذا وصل إلى حد الجراح و القتل أم لا - قال الشيخ فى اقتصاده: الظاهر من مذهب شيوخوا الإمامية ان هذا الجنس من الانكار لا يكون إلّا للأئمة عليهم السّلام أو لمن يأذن له الامام عليه السّلام فيه و كان المرتضى يخالف فى ذلك و يقول: يجوز فعل ذلك بغير اذنه لأن ما يفعل باذنهم يكون مقصودا و هذا بخلاف ذلك لأنّه غير مقصود، انما قصده المدافعة و الممانعة فان وقع ضرر فهو غير مقصود.

«و منهم المنكر للمنكر بلسانه و قلبه و التارك بيده فذلك متمسك بخصلتين من خصال الخير و مضيع خصلة» فى (عيون القتبي) قال مالك بن دينار: بلغنا أن حبرا من أحبار بنى اسرائيل كان يغشاه الرجال و النساء فغمز بعض بنيه

ص: ١٩١

^{٤٨٨} (١) (فقه الامام الرضا): ٥١ (باب الأمر بالمعروف ...) طبع حجري ١٢٧٤ هـ. ق ايران.

النساء فرآهم فقال: مهلا يا بنى مهلا - فسقط عن سريريه فانقطع نخاعه و اسقطت امرأته و قتل بنوه فى الجيوش و قيل له: ما يكون من جنسك حبر أبدا ما كان غضبك لى إلّا أن قلت يا بنى مهلا.

«و منهم المنكر بقلبه و التارك بيده و لسانه فذلك الذى ضيّع أشرف الخصلتين من الثلاث و تمسك بواحدة» قال ابن أبى الحديد فى اللام (الخصلتين) زائده و أصله (أشرف خصلتين من الثلاث) لأنّه لا وجه لتعريف المعهود ههنا بل فى (الثلاث) فاثبات اللام فيها أحسن كما تقول (قتلت أشرف رجلين من الرجال الثلاثة).

قلت بل التعريف واجب فيهما أما (الثلاث) فلأنّه ليس الكلام فى كلّ ثلاث خصال بل الخصال الثلاث المعهودة من الانكار باليد و اللسان و القلب و قد عرفت بالإضافة فى قوله قبل (لخصال الخير) و قوله (من خصال الخير) و عرفت هنا باللام و أما (الخصلتين) فلو نكروا قيل (أشرف خصلتين) لصار المعنى واحدة أشرف مع ان المراد كون الخصلتين أشرف و أيضا الخصلتان معهودتان كالثلاث فلا وجه لترك التعريف و ما ذكره من المثال من صنعه لا تتكلّم العرب بمثله.

«و منهم تارك لانكار المنكر بلسانه و قلبه و يده فذلك ميت الأحياء» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام أوحى الله تعالى إلى شعيب انى معذب من قومك مائة ألف أربعين ألفا من شرارهم و ستين ألفا من خيارهم، فقال: يا ربّ هؤلاء الأشرار فما بال الأخيار قال عز و جل: لأنّهم داهنوا أهل المعاصى و لم يغضبوا لغضبى.

و عنه عليه السّلام و يل لقوم لا يدينون الله بالأمر بالمعروف و النهى عن المنكر.

«و ما أعمال البر كلّها و الجهاد فى سبيل الله عند الأمر بالمعروف و النهى عن

ص: ١٩٢

المنكر إلّا كنفته» قال الجوهري: النفث شبيه بالنفح.

«فى بحر لجى» لأنّهما سبيان للاتيان بالواجبات و ترك المحرّمات.

و يكفى فى فضلها مضافا إلى قوله عليه السّلام قول الصادق عليه السّلام الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر خلقان من خلق الله فمن نصرهما أعزه الله، و من خذلهما خذله الله.

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السّلام يكون فى آخر الزمان قوم ينبغ فيهم قوم مرءون ينعرون و ينسكون حدثاء سفهاء لا يوجبون أمرا بمعروف و لا نهيا عن منكر إلّا إذا آمنوا الضرر يطلبون لأنفسهم الرخص و المعاذير يتبعون زلّات العلماء و فساد عملهم يقبلون على الصلوات و الصيام و ما لا يكلمهم فى نفس و لا مال و لو أضرت الصلاة بسائر ما يعملون بأموالهم و أبدانهم لرفضوها كما رفضوا أسمى الفرائض و أشرفها ان الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر سبيل الأنبياء و منهاج الصلحاء فريضة عظيمة بها تقام الفرائض و تأمن المذاهب و تحلّ المكاسب و ترد المظالم و تعمّر الأرض و تنتصف من الأعداء و تستقيم الأمور

فأنكروا بقلوبكم و الفظوا بألسنتكم و صكّوا بها جباههم و لا تخافوا في الله لومة لائم فان اتعظوا و إلى الحق رجعوا فلا سبيل عليهم فجاهدوا بأبدانكم و ابغضوهم بقلوبكم غير طالبين سلطانا و لا باغين مالا حتى يفيثوا إلى أمر الله تعالى.

«و ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لا يقربان من أجل و لا ينقصان من رزق» رواه (الكافي) عنه عليه السلام مع زيادة قبله و بعده مشتملة على علّة الكلام ففيه خطب عليه السلام و قال أما بعد فانما هلك من كان قبلكم حيثما عملوا من المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك و انهم لمّا تماردوا في المعاصي و لم ينههم الربانيون و الأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات فأمروا

ص: ١٩٣

بالمعروف و انهوا عن المنكر و اعلموا ان الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لن يقربا أجلا و لن يقطعوا رزقا ان الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان.

«و أفضل من ذلك» هكذا في (المصرية) و الصواب: (و أفضل ذلك) بدون من كما في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب.

«كلمة عدل عند امام جائر» روى ابن داود في سننه عن طارق بن شهاب قال أخرج مروان المنير يوم عيد و بدأ بالخطبة قبل الصلاة فقام رجل فقال يا مروان خالفت السنّة أخرجت المنبر يوم عيد و لم يكن يخرج فيه و بدأت بالخطبة قبل الصلاة- فقال أبو سعيد الخدرى من هذا فقالوا فلان بن فلان فقال أما هذا فقد قضى ما عليه سمعت النبی صلی الله عليه و آله يقول من رأى منكرا فاستطاع أن یغیره بيده فليغیره بيده فان لم يستطع فبلسانه و ان لم يستطع فبقلمه و ذلك أضعف الايمان^{٤٨٩}.

و في (الكشي) عن ابن عايشة ان هشاما حجّ في خلافة أخيه الوليد أو أبيه عبد الملك فطاف بالبيت فأراد أن يستلم الحجر فلم يقدر عليه من الزحام فنصب له منبر فجلس عليه و أطاف به أهل الشام فيبينا هو كذلك إذ أقبل على بن الحسين عليه السلام و عليه ازار و رداء من أحسن الناس وجها و أطيبهم رائحة بين عينيه سجادة كأنها ركة غير فجعل يطوف بالبيت فإذا بلغ إلى موضع الحجر تنحى الناس عنه حتى يستلمه هيبة له و اجلالا فعاظ ذلك هشام فقال له رجل من أهل الشام من هذا الذي هابه الناس هذه الهيبة و أخرجوا له عن الحجر يا هشام فقال لا أعرفه لثلا يرغب فيه أهل الشام فقال الفرزدق- و كان حاضرا- لكنى أعرفه فقال الشامي من هذا يا أبا فراس فقال:

ص: ١٩٤

و البيت يعرفه و الحلّ و الحرم

هذا الذي تعرف البطحاء و طأته

هذا التقى التقى الطاهر العلم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم

^{٤٨٩} (١) سنن أبي داود ١: ٩٦، حديث ١١٤٠ و كذلك رقم ٤٣٤٠.

إلى أن قال:

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يكاد يمسكه عرفان راحته

إلى أن قال:

كفر و قربهم منجى و معتصم

من معشر حبّهم دين و بغضهم

و يستربّ به الاحسان و النعم

يستدفع سوء و البلوى بحبّهم

فى كلّ يوم و مختوم به الكلم

مقدّم بعد ذكر الله ذكرهم

أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم

فغضب هشام و أمر بحبس الفرزدق - الخبر - و رواه (الحليّة) (و الإرشاد) (و الأغاني) (و مناقب الكنجي) الشافعي^{٤٩٠} - و فى الأخير قال القسطلانى قال القرطبي لو لم يكن للفرزدق عند الله عمل إلّا هذا لدخل به الجنّة لأنّه كلمة حق عند ذى سلطان جائر^{٤٩١}.

و فى المعجم كان ابن السكيت يعقوب بن اسحاق من أعلم الناس باللغة و الشعر راوية ثقة و لم يكن بعد ابن الأعرابي مثله و كان قد خرج إلى سر من رأى فصيّر عبد الله بن يحيى بن خاقان إلى المتوكل فضمّ إليه ولده يؤدبهم و أسنى له الرزق فبينما هو مع المتوكل يوما جاء المعتز و المؤيد فقال له المتوكل أيهما أحبّ إليك إبنائى هذان أم الحسن و الحسين - فذكر ابن السكيت الحسينين بما هما أهله و سكت عن ابنه.

و قيل: قال له: ان قنبرا خادم على عليه السّلام أحبّ الى من ابنك و كان يتشيع

ص: ١٩٥

فأمر المتوكل الأتراک فسلّوا لسانه و داسوا بطنه و حمل إلى بيته فعاش يوما و بعض آخر و مات سنة (٢٤٣) و قيل سنة (٢٤٤)^{٤٩٢}.

و قال ابن أبى الحديد كلمة العدل عند الامام الجائر نحو ما روى ان زيد بن أرقم رأى ابن زياد - و يقال بل يزيد - يضرب بقضيب فى يده ثنايا الحسين عليه السّلام فقال له ارفع يدك عنها فطالما رأيت النّبي صلّى الله عليه و آله يقبّلها.

^{٤٩٠} (١) كفاية الطالب للكنجي الشافعي: ٤٥٢ - ٤٥٣ دار احياء تراث اهل البيت. قم.

^{٤٩١} (٢) المصدر نفسه: ٤٥٤ تحقيق الأميني.

^{٤٩٢} (١) معجم الأدباء للحموي: ٢٠ - ٥٠ - ٥١.

قلت: خلط في قوله (أنكر زيد على ابن زياد وقيل بل على يزيد) و كان أنكر على كل من ابن زياد و يزيد صحابي زيد على ابن زياد و أبو برزة على يزيد روى (الطبري) ذلك و المصدق الكامل لقوله عليه السلام انكار عبد الله بن عفيف الأزدي على عبيد الله ففى (الطبري) عن حميد بن مسلم بعد ذكر ورود أهل البيت مجلسه لما دخل عبيد الله القصر نودى للصلاة جامعة فاجتمع الناس فى المسجد الأعظم فصعد المنبر و قال الحمد لله الذى أظهر الحق و أهله و نصر أمير المؤمنين يزيد بن معاوية و حزه و قتل الكذاب ابن الكذاب الحسين بن على و شيعته فلم يفرغ من مقالته حتى و ثب عليه عبد الله بن عفيف الأزدي.

ثم الغامدى ثم أحد بنى و البء- و كان شيعة على عليه السلام و كانت عينه اليسرى ذهبت يوم الجمل معه عليه السلام فلما كان يوم صفين ضرب على رأسه ضربة و على حاجبه اخرى فذهبت عينه الاخرى فكان لا يكاد يفارق المسجد الأعظم يصلّى فيه إلى الليل ثم ينصرف- فقال يا ابن مرجانة ان الكذاب ابن الكذاب أنت و أبوك و الذى و لك و أبوه يا ابن مرجانة أ تقتلون أبناء النبيين و تتكلمون بكلام الصديقين. فقال ابن زياد علىّ به فوثبت عليه الجلاوزة فأخذه فنادى بشعار الأزدي يا مبرور- و عبد الرحمن بن مخنف الأزدي جالس فقال و يح غيرك أهلك نفسك و أهلك قومك و حاضر الكوفة يومئذ

ص: ١٩٦

من الأزدي سبعمائة مقاتل- فوثب إليه فتية من الأزدي فانتزعوه فأتوا به أهله فأرسل إليه من أتاه به فقتله و أمر بصلبه فى السبخة فصلب هنالك ثم نصب رأس الحسين فجعل يدار به فى الكوفة.

قول المصنف: «و عن أبي جحيفة» الظاهر ان دونه عطفًا على (عن عبد الرحمن) ثم فى الاستيعاب أبو جحيفة هو وهب الخير السوائى جعله على عليه السلام على بيت المال بالكوفة و شهد معه مشاهدته و روى أنه ما أكل ملء بطنه حتى فارق الدنيا بعد قول النبى صلى الله عليه و آله له (اكفف جشاك فان أكثر الناس شبعوا فى الدنيا أطولهم جوعا يوم القيامة).

و عنوانه الخطيب فى (تاريخ بغداد) و روى عنه حديث ذى النديّة و ان أمير المؤمنين عليه السلام أخبرهم بوجوده فى قتلى النهروان فتفقده حتى وجدوه.

«قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول أول» هكذا فى (المصرية) و الصواب: (ان أول) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطبة).

«ما تغلبون عليه من الجهاد بأيديكم ثم بالسنتكم» كان عبد الملك يقول لست الخليفة المستضعف و لا المداهن و لا المأفون يعنى عثمان و معاوية و يزيد- فمن قال لى اتق الله ضربت الذى فيه عيناه.

«ثم بقلوبكم» هكذا فى النسخ و الظاهر كونه مصحف.

«لا بقلوبكم» فلا يمكن أن يغلب أحد على قلبه إلّا من الهه فهو الذى يحول بين المرأ و قلبه.

و لا يصح (ثم بقلوبكم) إلّا بأن يكون (تغلبون عليه) محرّف (تقبلون إليه) كما رواه (تفسير) القميّ فيه (قال عليه السّلام ان أول ما تقبلون إليه من الجهاد) الجهاد بايدكم ثم الجهاد بقلوبكم فمن لم يعرف قلبه و لم ينكر منكر أنكس

ص: ١٩٧

فجعل أسفله أعلاه أبدا فلا يقبل خيرا أبدا^{٤٩٣}.

«فمن لم يعرف بقلبه معروفا و لم ينكر منكرا قلب فجعل أعلاه أسفله» فيصير مسخا.

«و أسفله أعلاه» هكذا في (المصريّة) و هو زائد لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و لفهمه ممّا قبله.

روى (سنن أبي داود) عن ابن مسعود قال النبي صلّى الله عليه و آله: ان أول ما دخل النقص على بني اسرائيل كان الرجل يلقي الرجل فيقول يا هذا اتق الله و دع ما تصنع فأنه لا يحل لك ثم يلقيه من الغد فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و شريبه و قعيده فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض.

ثم قال «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ» - إلى - «فَاسْقُونَهُمْ»^{٤٩٤} ثم قال كلا و الله لتأمرون بالمعروف و لتنهون عن المنكر و لتأخذن على يدى الظالم و لتأطرنه على الحق اطرا و لتقصرنه على الحق قصرا أو ليضرين الله بقلوب بعضكم على ثم ليلعنكم كما لعنهم^{٤٩٥}.

و فى مجازات المصنف عن النبي صلّى الله عليه و آله لتأمرن بالمعروف و لتنهن عن المنكر أو ليلحنكم الله كما لحيت عصاى هذه- و أشار إلى عود فى يده- و قال تعالى «لَوْ لَا يَنْهَاكُمُ الرَّبَانِيُّونَ وَ الْأَحْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَ أَكْلِهِمُ السَّحْتَ لَئِيسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ»^{٤٩٦} «فَلَوْ لَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ وَ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ»

ص: ١٩٨

«وَ كَانُوا مُجْرِمِينَ»^{٤٩٧} «وَ إِذْ قَالَتْ أُمُّهُ مِنْهُمْ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةُ إِلَى رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَ أَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ»^{٤٩٨}.

^{٤٩٣} (١) تفسير القمي ١: ٢١٣.

^{٤٩٤} (٢) المائدة: ٧٨-٨١.

^{٤٩٥} (٣) هو حديثان الأول برقم ٤٣٣٦ و الثاني برقم ٤٣٣٧ راجع (سنن أبي داود) ٤- ١٢١- ١٢٢ طبع مصر.

^{٤٩٦} (٤) المائدة: ٦٣.

^{٤٩٧} (١) هود: ١١٦.

^{٤٩٨} (٢) الاعراف: ١٦٤- ١٦٥.

و فى صفين نصر لَمَّا أمر على عليه السَّلام الناس بالمسير إلى الشام دخل ابن المعتم العبسى و حنظلة بن الربيع التميمى فى رجال كثير من غطفان و تميم عليه عليه السَّلام فقال له حنظلة لا تعجل إلى قتال أهل الشام فانى لا أدرى إذا التقيتم لمن تكون الغلبة و على من تكون الدبرة.

و تكلم ابن المعتم و من معهما بمثل حنظلة- فقال عليه السَّلام بعد الثناء عليه تعالى أما بعد فان الله وارث العباد و البلاد و رب السماوات السبع و الأرضين السبع و إليه ترجعون يؤتى الملك من يشاء و ينزعه ممن يشاء و يعز من يشاء و يذل من يشاء أما الدبرة فانها على الضالين العاصين ظفروا أو ظفر بهم و أيم الله انى لأسمع كلام قوم ما أراهم ان يعرفوا معروفًا و لا ينكروا منكرا.

و فى (الأمالي) عن الباقر عليه السَّلام ان الله ليعذب الجعل فى جحرها بحبس المطر عن الأرض التى هى بمحلتها بخطايا من بحضرتها و قد جعل الله لها السبيل إلى مسلك سوى محلة أهل المعاصى و قال النبى صلى الله عليه و آله إذا لم يأمروا بالمعروف و لم ينهوا عن المنكر و لم يتبعوا الأخيار من أهل بيتى سلط الله عليهم شرارهم فيدعو عند ذلك خيارهم فلا يستجابون^{٤٩٩}.

و عنهم عليهم السَّلام لا يحل لعين مؤمنة ترى الله يعصى ان تطرف حتى تغيره

ص: ١٩٩

و فى العقاب عن الصادق عليه السَّلام من نشأ فى قوم ثم لم يؤدب على معصيته فان أول ما يعاقبهم فيه ان ينقص من أرزاقهم.

و عن النبى صلى الله عليه و آله إذا تركت أمتى الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر فلنؤذن بوقاع من الله تعالى.

و عن الصادق عليه السَّلام ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يغيرونه إلّا أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده- و عن على عليه السَّلام ان الله تعالى لا يعذب العامة بذنوب الخاصة إذا عملت الخاصة بالمنكر سرّاً من غير أن تعلم العامة فإذا عملت الخاصة بالمنكر جهاراً فلم تغير ذلك العامة استوجب الفريقان العقوبة و لا يحضرن أحدكم رجلاً يضربه سلطان جائر ظلماً و لا مقتولاً و لا مظلوماً إذا لم ينصره لأن نصره المؤمن على المؤمن فريضة واجبة إذا هو حضره و العافية أوسع ما لم تلزمك الحجة.

و لَمَّا جعل التفضل فى بنى إسرائيل جعل الرجل منهم يرى أخاه على الذنب فينهاه فلا ينتهى فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله و جليسه و شريبه حتى ضرب الله تعالى قلوب بعضهم ببعض يقول تعالى «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^{٥٠٠}.

^{٤٩٩} (٣) الصدوق، الأمالي: ٣٠٨، ٩٧- ٧٢ رواية ٥ مؤسسة الوفاء، و نقله المجلسي في بحار الأنوار.
^{٥٠٠} (١) المائدة: ٧٨- ٧٩.

و روى العياشي عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى «كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعْلُوهُ»^{٥٠١} قال اما انهم لم يكونوا يدخلون مداخلهم و لا يجلسون مجالسهم و لكن كانوا إذا لقوهم ضحكوا فى وجوههم و أنسوا بهم.

و فى (الروضة) عن الصادق عليه السلام لاخذن البرىء منكم بذنب السقيم و لم

ص: ٢٠٠

لا أفعل و يبلغكم عن الرجل ما يشينه و يشيننى فتجالسونهم و تحدثونهم:

أما لأحملن ذنوب سفهائكم على علمائكم قال الحرث النصرى فدخلنى من ذلك أمر عظيم فقال نعم ما يمنعكم إذا بلغكم عن الرجل ما تكرهونه أن تأتوه فتؤنبوه فقلت اذن لا يقبل فقال اذن فاهجروه و لا تجالسوه.

و فى (الكافى) ان الله تعالى أوحى إلى داود انى قد غفرت ذنبك و جعلت عار ذنبك على بنى اسرائيل فقال يا رب كيف و أنت لا تظلم قال انهم لم يعاجلوك بالنكره- و فى (مجالس الشيخ) عن الصادق عليه السلام كان شيخ ناسك يعبد الله فى بنى اسرائيل فبينما هو يصلى و فى عبادته إذ بصر بغلامين صبيين إذ أخذا ديكاً و هما ينتفان ريشه فأقبل على ما هو فيه من العبادة و لم ينههما فأوحى الله تعالى إلى الأرض ان سيخى به فساخت به و هو يهوى أبد الابدین^{٥٠٢}.

و عن (المشكاة) عن النبى صلى الله عليه و آله لا يزال الناس بخير ما أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر و تعاونوا على البر فاذا لم يفعلوا ذلك نزع منهم البركات و سلط بعضهم على بعض و لم يكن لهم ناصر فى الأرض و لا فى السماء^{٥٠٣}.

و عن العياشى عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِى بِالْبَيِّنَاتِ وَ بِالَّذِى قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{٥٠٤} قد علم ان هؤلاء لم يقتلوا و لكن كان هو اهم مع الذين قتلوا فسمّاهم قاتلين.

و عنه عليه السلام قال لمحمد بن الأرقط تنزلون الكوفة ترون قتلة الحسين عليه السلام بين أظهركم قال ما بقى منهم أحد قال أنت لا ترى القاتل إلّا من

ص: ٢٠١

ولى القتل أما تسمع إلى قوله تعالى «قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ قَبْلِى»^{٥٠٥} - الآية -.

و عنه عليه السلام ان الله تعالى بعث إلى بنى اسرائيل نبيا يقال له أرميا فقال قل لهم ما بلد بنفسه من كرام البلدان و غرس فيه من كرام الغروس فاخلف فأثبت خرنوبا فقال لهم فضحكوا منه فأوحى إليه ان البلد البيت المقدس و الغرس بنو اسرائيل فعملوا

^{٥٠١} (٢) المائدة: ٧٩.

^{٥٠٢} (١) الطوسي، الأمالي، ٦٦٩، حديث (١٤٠٧) مؤسسة البعثة.

^{٥٠٣} (٢) الطبرسي، مشكاة الأنوار فى غرر الأخبار: ٤٩ (فصل ١٣)، المطبعة الحيدرية، النجف.

^{٥٠٤} (٣) آل عمران: ١٨٣.

^{٥٠٥} (١) آل عمران: ١٨٣.

بمعاصي فلاسلطن عليهم فى بلدهم من يسفك دماءهم و يأخذ أموالهم و ان بكوا لم أرحم بكاءهم لأخربنها مائة عام ثم لأعمرنها- فلما حدثهم جزعت العلماء فقالوا ما ذنبنا و لم نكن نعمل بعملهم فأوحى إليه قل لهم أنكم رأيتم المنكر فلم تتكروه و سلط عليهم بخت نصر ففعل بهم ما قد ذكر.

هذا و فى (الأغانى) عن المدائنى قال لما خرج ابن الأشعث على الحجاج كان معه أبو حزابة فمروا بدستبى و بها (مستتراد الصناجعة) و كان لا يبيت بها أحد إلا بمائة درهم فبات بها أبو حزابة و رهن عندها سرجه فلما أصبح وقب لعبد الرحمن و قال:

كانتى مطالب بخرج

أمر عضال نابنى فى العج

فى فتنه الناس و هذا الهرج

و مستراد ذهب بالسرج

فعرف ابن الأشعث القصة و ضحك و أمر بأن يفك له سرجه و يعطى معه ألف درهم و بلغت القصة الحجاج فقال أى جاهر فى عسكره بالفجور فيضحك و لا ينكر ظفرت به ان شاء الله.

ص: ٢٠٢

١٩

فى الخطبة (١٥١) و إن الأمر بالمعروف و النهى عن المنكر - لخلقنا من خلق الله سبحانه - و إنهما لا يقربان من أجل - و لا ينقصان من رزق أقول: أنه عين ما فى سابقه و انما زيد فى هذا (لخلقنا من خلق الله سبحانه).

و كيف كان فقد قال تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ»^{٥٠٦} - «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيْتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَ يَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ الْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»^{٥٠٧}.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام انما يؤمر بالمعروف و ينهى عن المنكر مؤمن فيتعظ أو جاهل فيتعلم و أما صاحب سوط أو سيف فلا- و من تعرض لسلطان جائر فأصابته بليه لم يؤجر عليها و لم يرزق الصبر عليها.

و عنه عليه السلام قال النبى صلى الله عليه و آله من طلب برضاء الناس ما يسخط الله كان حامده ذاما و من آثر طاعة الله تعالى بما يغضب الناس كفاه الله عداوة كل عدو و بغى كل باغ و كان الله له ناصرا و ظهيرا.

٢٠

^{٥٠٦} (١) النساء: ٥٨.

^{٥٠٧} (٢) النحل: ٩٠.

الحكمة (١١٠) و قال عليه السلام:

لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ - وَلَا يُضَارِعُ

ص: ٢٠٣

وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ فِي (تاريخ) بغداد عن شعيب بن حرب بينا أنا في طريق مكة إذ رأيت الرشيد فقلت لنفسى وجب عليك الأمر و النهى فقلت لى لا تفعل فان هذا رجل جبار يضرب عنقك فقلت لنفسى لا بد من ذلك.

فلما دنا منى صحت يا هارون قد اتعبت الأمة و اتعبت البهائم فقال خذوه فأدخلت عليه و هو على كرسى و بيده عمود يلعب به فقال ممن الرجل قلت من افناء الناس فقال ممن؟ ثكلتك امك قلت من الأبناء - أى أبناء خراسان - قال فما حملك على أن تدعونى باسمى فقلت أنا أدعو الله باسمه فأقول يا الله يا رحمان و لا أدعوك باسمك و قد رأيت الله سمي في كتابه أحب الخلق إليه محمد و كنى أبغض الخلق إليه أبا لهب فقال أخرجه فأخرجت.

و فى (الحلية) عن ابن (طاوس) اليماني قال كنت لا أزال أقول لأبى أنه ينبغي أن نخرج على هذا السلطان - فخرجنا حجاجا فنزلنا فى بعض القرى و فيها عامل يقال له ابن نجيع و كان من أخبث العمال فشهدنا صلاة الصبح فى المسجد فاذا ابن نجيع قد اخبر بطاؤوس فجاء فقعد بين يديه فسلم عليه فلم يجبه فكلمه فأعرض عنه ثم عدل إلى الشق الأيسر فأعرض عنه و هكذا فلما رأيت ما به قمت إليه فمددت بيده و جعلت أسأله و قلت له ان أبا عبد الرحمن لم يعرفك قال بلى معرفتى به فعل بى ما رأيت - فمضى و هو ساكت لا يقول لى شيئا فلما دخلت المنزل التفت الى و قال يا لكع بينما أنت زعمت أن تخرج عليهم بسيفك لم تستطع أن تحبس عنهم لسانك.

و فى (كامل) المبرد روى ان معاوية لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده فى قبة حمراء فجعل الناس يسلمون على معاوية ثم يميلون الى يزيد حتى جاء رجل ففعل ذلك ثم رجع إلى معاوية فقال اعلم انك لو لم تول هذا أمور

ص: ٢٠٤

المسلمين لأضعها و الأحنف جالس فقال له معاوية ما بالك لا تقول يا أبا بحر فقال أخاف الله ان كذبت و أخافكم ان صدقت فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب فقال له انى لأعلم ان من شر خلق الله هذا و ابنه و لكنهم قد استوثقوا من هذه الآمال بالأبواب و الأقفال فلسنا نطمع فى استخراجها إلا بما سمعت فقال له الأحنف يا هذا امسك فان ذا الوجهين خليق ألا يكون - عند الله وجيها - و روى ان يزيد قال لمعاوية فى يوم ببيع له فجعل الناس يمدحونه و الله ما ندرى أنخدع الناس أم يخدعوننا فقال له معاوية كل من أردت خدعه فتخادع لك حتى تبلغ منه حاجتك فقد خدعته.

و فى (الحليّة) عن أبى سعيد الخدرى لما نزل «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ»^{٥٠٨} قال النبى صلى الله عليه و آله (أنا و أصحابى خير و الناس خير لا هجرة بعد الفتح) فحدثت بهذا الحديث مروان- و كان أميرا على المدينة- فقال كذبت- و كان عنده زيد بن ثابت و رافع بن خديج و هما معه على السرير- فقلت اما ان هذين لو شاءا لحدثاك و لكن هذا- يعنى رافعا- يخشى على عرافة قومه و هذا- يعنى زيدا- يخشى أن تنزعه عن الصدقة.

٢١

الحكمة (١٧٤) و قال عليه السلام:

مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ الْغَضَبِ لِلَّهِ قَوَى عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ الْبَاطِلِ أَقُولُ قَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُ:

إذا كان هادى الفتى فى البلاد صدر القنأه ما أطاع الأمير فى (تاريخ بغداد) كانت الخيزران- أم الرشيد- قد وجهت رجلا نصرانيا على الطراز

ص: ٢٠٥

بالكوفة و كتب إلى موسى بن عيسى ألا يعصى له أمرا فكان مطاعا بالكوفة فخرج يوما معه جماعة من أصحابه عليه جبة خز و طيلسان على برذون فاره و إذا رجل بين يديه مكتوف و هو يقول «وا غوثاه بالله ثم بالقاضى» و إذا آثار سياط فى ظهره فسلم على شريك و جلس إلى جانبه فقال المضروب لشريك أنا رجل أعمل الوشى كراء مثلى مائة فى الشهر أخذنى هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسنى فى طراز يجرى على القوت ولى عيال قد ضاعوا فأقلت اليوم منه فلحقنى ففعل بظهرى ما ترى.

فقال قم يا نصرانى فاجلس مع خصمك فقال يا هذا أنا من خدم السيده مر به إلى الحبس قال قم وملك فاجلس معه كما يقال لك فجلس معه فقال له شريك ما هذه الآثار التى بظهر هذا الرجل من أثرها به قال أنا ضربته بيدي أسواط و هو يستحق أكثر، مر به إلى الحبس، فألقى شريك كسائه و دخل داره فأخرج سوطا رديا ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصرانى و قال للرجل انطلق إلى أهلك.

ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصرانى و يقول له لا تضرب و الله المسلم بعدها أبدا فهم أعوانه أن يخلصوه فقال شريك من ههنا من فتیان الحى خذوا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس فهرب القوم جميعا و افردوا النصرانى فضربه أسواط فجعل النصرانى يعصر عينيه و يبكى و يقول له ستعلم فألقى شريك السوط فى الدهليز و قام النصرانى إلى البرذون ليركبه فاستعصى عليه و لم يكن له من يأخذ بركابه فجعل يضرب البرذون.

فقال له شريك و يلك ارفق به فانه أطوع لله منك فمضى النصرانى فقيل لشريك يكون لفعلك هذا عاقبة مكروهة فقال «أعز أمر الله يعزك الله» و ذهب النصرانى إلى موسى بن عيسى فقال له من فعل هذا بك قال شريك و غضب

^{٥٠٨} (١) النصر: ١.

ص: ٢٠٦

الأعوان و صاحب الشرط، فقال موسى لا والله ما أتعرض لشريك، فمضى النصراني إلى بغداد فما رجع.

و فيه تقدم إلى شريك القاضى وكيل لمؤنسه مع خصم له فجعل يستطيل على خصمه ادلالا بموضعه من مؤنسه فقال له شريك كَفَّ لا أبا لك قال أ تقول لى هذا وأنا وكيل مؤنسه، فأمر به شريك فصفع عشر صفعات فانصرف و دخل على مؤنسه و شكَا فكتب مؤنسه إلى المهدي فعزل شريكا- و كان قبل هذا قد دخل شريك على المهدي فقال له ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال و لم قال لخلافك على الجماعة و قولك بالامامة.

قال أما قولك بخلافى على الجماعة فعن الجماعة أخذت دينى فكيف أخالفهم و هم أصلى فى دينى و أما قولك (و قولى بالامامة) فما أعرف إلّا كتاب الله و سنّة رسوله.

و أما قولك مثلك ما يقلد الحكم بين المسلمين فهذا شيء أنتم فعلتموه فان كان خطأ فاستغفروا الله منه و ان كان صوابا فامسكوا عليه فقال له المهدي ما تقول فى على بن أبى طالب؟

قال أقول فيه ما قاله فيه جذاك العباس و عبد الله قال و ما قالاه فيه؟ قال فاما العباس فمات و على عنده أفضل الصحابة و قد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل بهم من التوازل و ما احتاج هو إلى أحد حتى لحق بالله و أما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين و كان فى حروبه رأسا متبعا و قائدا مطاعا فلو كانت إمامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله و فقهه فى أحكام الله فسكت المهدي و أطرق و لم يمض بعد هذا المجلس إلّا قيل حتى عزل شريكا.

و فيه أيضا أتت شريكا يوما امرأة من ولد جرير البجلي الصحابي و هو

ص: ٢٠٧

فى مجلس الحكم فقالت أنا بالله ثم بالقاضى امرأة من ولد جرير صاحب النبى صلى الله عليه و آله و رددت فقال لها أيها عنك الآن من ظلمك قالت الأمير موسى بن عيسى كان لى بستان على شاطئ الفرات لى فيه نخل ورثته عن آبائى و قاسمت اخوتى و بنيت بينى و بينهم حايطا و جعلت فيه فارسيا يحفظ النخل و يقوم ببستاني فاشتري الأمير من اخوتى جميعا و ساومنى و أرغبنى فلم أبعه فلما كان فى هذه الليلة بعث بخمسمائة فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلى شيئا و اختلط بنخل اخوتى فقال يا غلام طينه فختم.

ثم قال لها أمضى إلى بابى حتى يحضر معك فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب و دخل على موسى فقال أعدى شريك عليك قال ادع لى صاحب الشرط فدعا به فقال امضى إلى شريك فقل يا سبحان الله ما رأيت أعجب من أمرك امرأة ادّعت دعوى لم تصح أعديتها على فقال له صاحب الشرط ان رأى الأمير أن يعفينى فليفعل.

فقال امض و يلك فخرج و أمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش و غيره من آلة الحبس فلما جاء فوقف بين يدي شريك فأدّى الرسالة قال خذيا غلام بيده فضعه في الحبس قال قد و الله يا أبا عبد الله عرفت أنك تفعل بى هذا فقدمت ما يصلحنى إلى الحبس و بلغ موسى بن عيسى الخبر.

فوجه الحاجب إليه فقال هذا من ذاك رسول أى شىء عليه فلما وقف بين يديه و أدّى الرسالة قال الحقه بصاحبه فحبس فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن صباح الأشعثى و جماعة من وجوه أهل الكوفة من أصدقاء شريك فقال امضوا إليه و ابلغوه السلام و اعلموه أنه قد استخف بى و انى لست كالعامّة فمضوا و هو جالس فى مسجده بعد العصر فدخلوا فأبلغوه الرسالة فلما انقضى كلامهم قال لهم مالى لا أراكم جئتم فى غيره من

ص: ٢٠٨

الناس كلمتمونى من ههنا من فتیان الحى فيأخذ كل واحد منكم بيد رجل فيذهب به إلى الحبس لا ينم و الله إلّا فيه قالوا أجاد أنت قال حقّا حتى لا تعودوا برسالة ظالم فحبسهم و ركب موسى بن عيسى فى الليل إلى باب الحبس ففتح الباب و أخرجهم جميعا.

فلما كان الغد و جلس شريك للقضاء جاء السجّان فأخبره فدعا بالقمطر فختمها و وجه بها إلى منزله و قال لغلامه الحقنى بنقلى إلى بغداد و الله ما طلبنا هذا الأمر منهم و لكن أكرهونا عليه و لقد ضمنوا لنا الاعزاز فيه إذ تقلدناه لهم و مضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد و بلغ موسى بن عيسى الخبر.

فركب فى موكبه فلحقه و جعل يناشده الله و يقول يا أبا عبد الله تثبت أنظر اخوانك تحبسهم دع أعوانى قال نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجب عليهم المشى فيه و لست ببارح حتى يردوا جميعا إلى الحبس و إلّا مضيت إلى الخليفة فاستعفيته ممّا قلدنى - فأمر بردهم جميعا إلى الحبس و هو واقف مكانه حتى جاءه السجّان فقال قد رجعوا.

فقال لأعوانه خذا بلجامه و قودوه بين يدي جمعا إلى مجلس الحكم فمروا به بين يديه حتى أدخل معه مجلس القضاء فقال أين الجويرية المتظلمة منه فجاءت فقال هذا خصمك قد حضر - و هو جالس معها بين يديه -.

فقال موسى أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شىء قال شريك أما الآن فنعم أخرجوهم ثم قال له ما تقول فى ما تدّعيه قال صدقت قال ترد جميع ما أخذ منها و تبنى حائطا سريعا كما هدم قال أفعل هل بقى شىء تدّعيه قال تقول المرأة بيت الفارسى و متاعه قال و يرد ذلك بقى شىء تدّعيه قالت لا و جزاك الله خيرا قال قومى - و زبرها - ثم و ثب من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه فى مجلسه ثم قال السلام عليك أيها الأمير تأمر

ص: ٢٠٩

بشىء قال أى شىء و ضحك.

الحكمة (٢٤٩) و قال عليه السلام:

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ فِي (الْأَمَالِ) عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لِيَأْكُلَ أَكْلَ الْعَبْدِ وَ يَجْلِسَ جَلِيسَةَ الْعَبْدِ وَ أَنْ كَانَ لِيَشْتَرِيَ الْقَمِيصِينَ السِّنْبَلِيِّينَ فَيُخَيِّرَ غَلَامَهُ خَيْرَهُمَا ثُمَّ يَلْبِسُ الْآخَرَ فَإِنْ جَازَ أَصَابِعَهُ قَطَعَهُ وَ إِنْ جَازَ كَعْبَهُ حَذَفَهُ وَ لَقَدْ وَلَّى خَمْسَ سَنِينَ مَا وَضَعَ آجِرَةً عَلَى آجِرَةٍ وَ لَا لَبْنَةً عَلَى لَبْنَةٍ وَ لَا أَقْطَعَ قَطِيعًا وَ لَا أَوْرَثَ بِيضًا وَ لَا حُمْرًا وَ أَنَّهُ كَانَ لِيُطْعِمَ النَّاسَ خَبْزَ الْبُرِّ وَ اللَّحْمَ وَ يَنْصَرِفَ إِلَى مَنْزِلِهِ وَ يَأْكُلُ خَبْزَ الشَّعِيرِ وَ الزَّيْتَ وَ الْخَلَّ.

و ما ورد عليه أمران كلاهما لله رضى إلا أخذ بأشدهما على بدنه و لقد اعتق ألف مملوك من كدى يده تربت فيه يداه و عرق فيه وجهه و ما أطاق عمله أحد من الناس و أنه كان يصلى فى اليوم و الليلة ألف ركعة، و كان أقرب الناس شبيها به على بن الحسين عليه السلام ما أطاق عمله أحد من الناس بعده.

و روى فوق كل عقوق حتى يقتل والديه و فوق كل بر حتى يقتل فى سبيل الله.

الحكمة (٣٦٨) و قال عليه السلام:

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ - وَ الْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ - وَ حَيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ

ص: ٢١٠

أقول فى (العلل) عن الرضا عليه السلام فان قيل لم أمر الله تعالى العباد و نهاهم قيل لأنه لا يكون بقاؤهم و صلاحهم إلا بالأمر و النهى و المنع من الفساد و التغاصب فان قيل فلم يجب أن يعبدوه قيل لثلاثا يكونون ناسين لذكره و لا تاركين لأدبه و لا لاهين عن أمره و نهيه إذ كان فيه صلاحهم و قوامهم فلو تركوا بغير تعبد لطال عليهم الأمد ففست قلوبهم، هذا و (ذيادة) من (ذدته عن كذا) دفعته عنه و (حياشة) من (حشت الصيد أحوشه إلى الخباله) إذا جئته من حوالبه لتصرفه إليها.

الحكمة (٢٧٨) و قال عليه السلام:

قَلِيلٌ تَدْوُمٌ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ وَ الْحِكْمَةُ (٤٤٤) و قال عليه السلام:

قَلِيلٌ تَدْوُمٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ أَقُولُ هُوَ تَكَرَّرَ اعْتَذَرَ فِي الدِّيَابِجَةِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ «و ربما بعد العهد بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا و اعتمادا».

و فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السّلام ما من شىء أحبّ إلى الله تعالى من عمل يداوم عليه و ان قل - و عن الصادق عليه السّلام إذا كان الرجل على عمل فليدّم عليه سنّة ثم يعدل عنه ان شاء و ذلك ان ليلة القدر يكون فيها فى عامه ذلك ما شاء الله أن يكون.

و عنه عليه السّلام مر بى أبى و أنا بالطواف و أنا حدث و قد اجتهدت فرآنى و أنا اتصاب عرقا فقال يا بنى ان الله إذا أحب عبدا أدخله الجنّة و رضى عنه باليسير.

ص: ٢١١

و عن النبى صلّى الله عليه و آله ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق و لا تكرهوا عبادة الله إلى عباده - و فى خبر - و لا تبغض إلى نفسك عبادة ربك.

و عن الصادق عليه السّلام ان من المسلمين من له سهم و من له سهمان و من له ثلاثة و من له أربعة - إلى أن قال - فليس ينبغي أن تحمل صاحب السهم على ما عليه صاحب السهمين و لا صاحب السهمين على ما عليه صاحب الثلاثة - إلى أن قال - و سأضرب لك مثلا كان له جار نصرانى فدعاه إلى الاسلام و زيّنه له فأجابه فأتاه سحرا فقرع عليه الباب و قال له توضأ للصلاة فتوضأ و خرج معه فصليا ما شاء الله ثم صليا الفجر ثم مكثا حتى أصبحا فقام الجار لمنزله فقال له الرجل أين تذهب النهار قصير و الذى بينك و بين الظهر قليل فجلس معه إلى الظهر ثم قال له و ما بين الظهر و العصر قليل فحبسه حتى صلى العصر ثم قام و أراد أن ينصرف فقال له ان هذا آخر النهار و أقلّ من أوله فاحتبسه حتى صلى المغرب ثم أراد أن ينصرف فقال له انما بقى صلاة واحدة فمكث حتى صلى العشاء الاخرة ثم تفرقا فلما كان سحرا غدا عليه فضرب عليه الباب و قال له أخرج قال اطلب لهذا الدين من هو أفرغ منى و أنا انسان مسكين و لى عيال - فأدخله فى شىء أخرجه منه - هذا و قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

انى كثرت عليه فى زيارته
فملّ و الشىء مملول إذا كثر

٢٥

الحكمة (٣١٢) و قال عليه السّلام:

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالَ وَ إِدْبَارًا - فَإِذَا أُقْبِلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ - وَ إِذَا أُدْبِرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ

ص: ٢١٢

أقول و عن النبى صلّى الله عليه و آله قريبا منه ففى (الكافى) عنه صلّى الله عليه و آله ان للقلوب إقبالا و إدبارا فاذا أقبلت فتنفلوا و إذا أدبرت فعليكم بالفريضة - و روى ان أبا الحسن الأول عليه السّلام كان إذا اهتم ترك النافلة.

الحكمة (٣٩) و قال عليه السلام:

لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضُرَّتْ بِالْفَرَائِضِ وَ الْحِكْمَةُ (٢٧٩) و قال عليه السلام:

إِذَا أَضُرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا أَى اتركوها فى (المقنع) لا يجوز أن يتطوع الرجل و عليه شىء من الفرائض كذلك وجدته فى كل الأحاديث^{٥٠٩}.

و روى الشيخ عن زرارة سألت أبا جعفر عليه السلام عن ركعتى الفجر قال قبل الفجر - إلى أن قال - أ تريد أن تقايس لو كان عليك من شهر رمضان أ كنت تتطوع، إذا دخل عليك وقت الفريضة فابدأ بالفريضة^{٥١٠}.

و عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام فى امرأة أوصت بثلاثها يتصدق به عنها و يعتق عنها و يحج عنها فلم يسع المال ذلك فقال ابدأ بالحج فان الحج فريضة و ما بقى فضعه فى النوافل - أى العتق و الصدقة.

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام جعل الذراع و الذراعان لمكان الفريضة فاذا بلغ الفىء ذراعا بدأت بالفريضة و تركت النافلة عنه عليه السلام قال لى رجل من

ص: ٢١٣

أهل المدينة مالى لا أراك تتطوع بين الاذان و الإقامة كالناس قلت انا إذا أردنا أن نتطوع كان تطوعنا فى غير وقت فريضة فإذا دخلت الفريضة فلا تطوع.

هذا و قال عليه السلام أيضا فى ذلك غير ما نقله المصنف ما رواه الحلبي فى (تحفه) فقال: قال عليه السلام لا تقضوا النافلة فى وقت الفريضة و لكن ابدءوا بالفريضة ثم صلوا ما بدا لكم و لا يصل الرجل نافلة فى وقت فريضة و لا يتركها إلّا من عذر و ليقض بعد ذلك إذا أمكنه القضاء فانه عز و جل يقول «الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ»^{٥١١} و هم الذين يقضون ما فاتهم من الليل بالنهار و من النهار بالليل.

هذا، و فى خبر ان النبى صلى الله عليه و آله نام عن صلاة الصبح حتى طلعت الشمس ف قضى أولا النافلة ثم الفريضة لفوت الوقتين و على صحة الخبر فهو استثناء من العنوان (لا قربة بالنوافل إذا أضرت بالفرائض) و كذا العنوان الآخر لكون قضاء الفريضة فورا.

^{٥٠٩} (١) الصدوق، المقنع و الهداية: ٦٤ (باب الرجل يتطوع بالصيام)، مطبوعات دار العلم، قم.

^{٥١٠} (٢) الصدوق، الاستبصار ١: ٢٨٣ رواية (٥).

^{٥١١} (١) المعارج: ٢٣.

الحكمة (٣٢) و قال عليه السلام:

فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ أَقُولُ وَ ورد (نية المؤمن خير من عمله و نية الكافر شر من عمله) - و وجه الكلامين كلامه عليه السلام و كلام الخير أن الخير و الشر الخارجيين جزئيان منقطعان و فاعلهما كنيته المؤمن و الكافر موجبان لصدور الخير و الشر دائما.

هذا، و في (الخصال) عنه عليه السلام جمع الخير كله في ثلاث خصال: النظر

ص: ٢١٤

و السكوت و الكلام فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو و كل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة و كل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو فطوبى بمن كان نظره عبثا و سكوته فكرا و كلامه ذكرا و بكى على خطيئته و أمن الناس شره.

٢٨

الحكمة (٩٤) وَ سُئِلَ عَنِ الْخَيْرِ مَا هُوَ - فَقَالَ:

لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَ وَلَدُكَ - وَ لَكِنَّ الْخَيْرَ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ - وَ أَنْ يَعْظُمَ حِلْمُكَ وَ أَنْ تُبَاهِيَ النَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ - فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدَتَ اللَّهَ وَ إِنْ أَسَأْتَ اسْتَغْفَرَتَ اللَّهَ - وَ لَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ - رَجُلٌ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ - وَ رَجُلٌ يُسَارِعُ فِي الْخَيْرَاتِ أَقُولُ: رواه تذكرة ٢ سبط ابن الجوزي - تذكرة الخواص - ص ١٣١ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف بتاريخ ١٩٦٤ م سبط ابن الجوزي عن (حلية ١ أبو نعيم الاصفهاني - حلية الأولياء - ج ١٠ ص ٣٨٨ أبي نعيم) مسندا عن عبد خير قال قال علي عليه السلام لى «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك و لا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوبا فهو يتدارك ذلك بتوبة و رجل يسارع في الخيرات و لا يقل عمل في تقوى فكيف يقل ما يتقبل» و رواه الحلية في ابن خفيف^{٥١٢}.

قول المصنف «و سئل عليه السلام عن الخير» قد عرفت من رواية الحلية أنه عليه السلام قال لعبد خير - و في (الأمالى) عنه عليه السلام لا يزال الناس بخير ما تفاوتوا فإذا استوتوا هلكوا^{٥١٣} - و روى ان رجلا قال له عليه السلام أوصنى فقال أوصيك ألا يكون لعمل الخير عندك غاية في الكثرة و لا لعمل الإثم عندك غاية في القلة^{٥١٤}

ص: ٢١٥

^{٥١٢} (١) أبو نعيم الاصفهاني، حلية الأولياء ١٠: ٣٨٨، و ذكره سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٣١ طبع المطبعة الحيدرية في النجف الأشرف بتاريخ ١٩٦٤ م.

^{٥١٣} (٢) الصدوق، الأمالى: ٢٦٧. و نقله المجلسي في بحار الأنوار ٧١: ٣٨٣ رواية ١ باب ١٥.

^{٥١٤} (٣) ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧٨: ٤٩ رواية ٧٠ باب ١٦.

و عنهم عليهم السّلام أبواب الخير ثلاثة: الصوم و الصدقة و صلاة الليل - و عنهم عليهم السّلام جعل الخير كلّ في بيت و جعل مفتاحه الزهد في الدنيا.

قوله عليه السّلام «ليس الخير أن يكثر مالك و ولدك» «أَ يَحْسِبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَ بَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ»^{٥١٥} «و لكن الخير أن يكثر علمك و يعظم حلمك و ان تباهى الناس بعبادة ربك فان أحسنت حمدت الله و ان أسأت استغفرت الله» «إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ وَ الَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ» «أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ»^{٥١٦}.

و قيل له عليه السّلام - كما في (المروج) - من خيار العباد قال الذين إذا أحسنوا استبشروا و إذا أساءوا استغفروا و إذا ابتلوا صبروا و إذا غضبوا غفروا - و في (الأسد) كتب سلمان إلى أبي الدرداء كتبت إلى ان الله رزقك مالا و ولدا، فاعلم ان الخير ليس بكثرة المال و الولد بل ان يكثر حلمك و ان ينفعك علمك و كتبت الى انك نزلت الأرض المقدسة ان الأرض لا تعمل لأحد اعلم كأنك ترى و أعدد نفسك من الموتى:

«و لا خير في الدنيا إلّا لرجلين رجل أذنب ذنبا فهو يتداركها بالتوبة و رجل يسارع في الخيرات» «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَ لَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^{٥١٧}.

ص: ٢١٦

٢٩

الحكمة (٣٨٧) و قال عليه السّلام:

مَا خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ - وَ مَا شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ - وَ كُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ - وَ كُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ (أقول): هو جزء خطبته عليه السّلام الوسيلة التي خطب بها بعد سبعة أيام من وفاة النبي صلى الله عليه و آله حين فرغ من جمع القرآن و تدوينه كما رواه (روضة الكافي الكلينى - الكافى - الروضة جزء خطبته عليه السّلام الوسيلة) مسندا عن جابر الجعفى عن الباقر عليه السّلام عنه عليه السّلام.

«ما خير بخير بعده النار و ما شرّ بشرّ بعده الجنة» في الدعاء (اللهم انى أسألك خير الخير رضوانك و الجنة و أعوذ بك من شرّ الشرّ سخطك و النار).

و عن الباقر عليه السّلام كان على عليه السّلام بكرة يطوف في أسواق الكوفة سوقا سوقا و معه الدرة على عاتقه و كان لها طرفان و كانت تسمى السبية فيقف على سوق فينادى يا معشر التجار قدموا الاستخارة و تبركوا بالسهولة و اقتربوا من المبتاعين

^{٥١٥} (١) المؤمنون: ٥٥ - ٥٦.

^{٥١٦} (٢) المؤمنون: ٥٧ - ٦١.

^{٥١٧} (٣) المنافقون: ٩.

و تزينوا بالحلم و تناهوا عن اليمين و جانبوا الكذب و تجافوا عن الظلم و انصفوا المظلومين و لا تقربوا الربا و أوفوا الكيل و الميزان و لا تبخسوا الناس أشياءهم و لا تعثوا فى الأرض مفسدين - ثم يتشد هذه الأبيات:

من الحرام و يبقى الاثم و العار

تفنى للذاذة ممّن نال صفوتها

لا خير فى لذّة ما بعدها النار

تبقى عواقب سوء فى مغبتها

و عنه عليه السّلام ما من رجل يغدو و يروح إلى سوقه فيقول حين يضع رجله فى السوق اللهم انى أسألك خيرها و خير أهلها و أعوذ بك من شرّها و شرّ أهلها إلّا و كلّ الله تعالى به من يحفظه و يحفظ عليه حتى يرجع إلى منزله

ص: ٢١٧

و يقول له قد اجرتك من شرّها و شرّ أهلها يومك هذا.

هذا و عدوا فى الرجال حجر الخير و حجر الشرّ و سلمة الخير و سلمة الشر.

«و كلّ نعيم دون الجنة فهو» هكذا فى (المصريّة) و كلمة (فهو) زائدة لعدم وجودها فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة.

«محذور و كلّ بلاء دون النار عافية» فى الطبرى لما زحف عمر بن سعد يوم الطف قال له الحر بن يزيد أمقاتل أنت هذا الرجل قال أى و الله - إلى أن قال - فأخذ الحر يدنو من الحسين عليه السّلام قليلا قليلا فقال له رجل من قومه يقال له المهاجر بن أوس ما تريد أ تريد أن تحمل؟ فسكت - و أخذه مثل العرواء - فقال للحر و الله ان أمرك لمريب و الله ما رأيت منك فى موقف قط مثل شيء أراه الآن و لو قيل لى من أشجع أهل الكوفة ما عدوتك فما هذا الذى أرى منك قال انى و الله أخير نفسى بين الجنة و النار و و الله لا اختار على الجنة شيئا و لو قطعت و حرقت ثم ضرب فرسه فالحق بالحسين عليه السّلام.

٣٠

الحكمة (٤٢٢) و قال عليه السّلام:

افعلوا الخيرَ و لا تحقرُوا منه شيئا - فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ و قَلِيلُهُ كَثِيرٌ - و لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي - فَيَكُونَ وَ اللَّهُ كَذَلِكَ إِنَّ لِلْخَيْرِ وَ الشَّرِّ أَهْلًا فَمَهْمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ «افعلوا الخير» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام فى التوراء مكتوب يا ابن آدم تفرغ لعبادتى املا قلبك غنى و لا آلك إلى طلبك و على أن أسد فاقتك و أملا قلبك خوفا منى و ألا تفرغ لعبادتى املا قلبك شعلا بالدنيا ثم لا اسد فاقتك

ص: ٢١٨

و اكلك إلى طلبك.

«و لا تحقروا منه شيئاً فان صغيره كبير و قليله كثير» فيه عنه عليه السلام أيضا إذا هم أحدكم يعمل فلا يؤخره فان العبد ربما صلى الصلاة أو صام الصيام فيقال له اعمل ما شئت بعدها فقد غفر لك - و في خبر آخر - و لا يستقل ما يتقرب به إلى الله تعالى و لو بشقّ تمره.

و عنه عليه السلام إذا هممت بشيء فلا تؤخره فانه تعالى ربما اطلع و هو على شيء من الطاعة فيقول و عزتي و جلالى لا أعذبك بعدها أبدا و إذا هممت بسيئة فلا تعملها فانه تعالى على العبد و هو على شيء من المعصية فيقول و عزتي و جلالى لا أغفر لك بعدها أبدا.

«و لا يقولن أحدكم ان أحدا أولى بفعل الخير منى فيكون و الله كذلك» فيه عنه عليه السلام إذا هم أحدكم بخير أو صلة فان عن يمينه و شماله شيطانين فليبادر لا يكفاه عن ذلك.

«ان للخير و الشر أهلا فمهما تركتموه منهما كفاكموه أهله» فيه عن أبى جعفر عليه السلام ان الله ثقل الخير على أهل الدنيا كثقله فى موازينهم يوم القيامة و ان الله تعالى خفف الشر على أهل الدنيا كخفته فى موازينهم يوم القيامة.

هذا، و حيث ان الخير و الشر من الامور النسبية فقد يترك بعض أهل الشر شراً فظيعاً لأشراً منه كما ترك المغيرة قتل حجر بن عدى لزياد بن أبيه - ففى الطبرى أقام المغيرة على الكوفة عاملاً لمعاوية سبع سنين و أشهراً و هو أحسن شيء سيرة غير أنه لا يدع ذم على عليه السلام و الوقوع فيه و العيب لقتله عثمان و اللعن لهم و الدعاء لعثمان بالرحمة و التزكية لأصحابه فكان حجر إذا سمع ذلك قال بل إياكم ذم الله و لعن ثم قام فقال ان الله تعالى يقول «كُونُوا»

ص: ٢١٩

«قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ»^{٥١٨} و أنا أشهد ان من تدمون و تعيرون لأحق بالفضل و ان من تزكون و تطرون أولى بالذم فيقول له المغيرة يا حجر لقد رمى بسهمك إذ كنت أنا الوالى عليك ويحك اتق السلطان و اتق غضبه و سطوته فان غضبة السلطان أحياناً ممّا يهلك أمثالك كثيراً ثم يكف عنه و يصفح فلم يزل حتى كان فى آخر امارته قام المغيرة فقال فى على و عثمان كما كان يقول - و كانت مقالته اللهم ارحم عثمان و تجاوز عنه و اجزه بأحسن عمله فانه عمل بكتابك و اتبع سنة نبيك و جمع كلمتنا و حقن دماءنا و قتل مظلوما اللهم فارحم انصاره و أوليائه و محبيه و الطالبين بدمه - و يدعو على قتلته - فقام حجر فنعر نكرة بالمغيرة سمعها كل من كان فى المسجد و من كان خارجاً منه و قال إنك لا تدري بمن تولع من هرمك و قد أصبحت مولعاً بدم أمير المؤمنين و تقرىظ المجرمين - فنزل المغيرة فدخل و استأذن عليه قومه فاذن لهم فقالوا على م تترك هذا الرجل يقول هذه المقالة و يجترى عليك فى سلطانك هذه الجرأة فقال لهم المغيرة انى قد قتلته انه سيأتى بعدى أمير فيحسبه مثلى فيصنع به شبيها بما ترونه يصنع بى فيأخذه عند أول و هله فيقتله شر قتلة انه قد اقترب أجلى و لا أحب ان ابتدئ أهل هذا المصر بقتل خيارهم فيسعدوا بذلك و أشقى و يعز فى الدنيا معاوية و يذل يوم القيامة المغيرة.

^{٥١٨} (١) النساء: ١٣٥.

هذا و عن (دعوات القطب) الراوندى عن الصادق عليه السّلام مرض أمير المؤمنين عليه السّلام فعاده قوم فقالوا كيف أصبحت قال بشر فقالوا سبحان الله هذا كلام مثلك فقال يقول تعالى «وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا»

ص: ٢٢٠

«تَرْجَعُونَ»^{٥١٩} فالخير الصحة و الغنى، و الشرّ المرض و الفقر ابتلاء و اختباراً^{٥٢٠}.

هذا، و لنا حجران حجر الخير و هو حجر بن عدى من أصحاب أمير المؤمنين عليه السّلام و حجر الشرّ من أصحاب معاوية و فى اللسان و فى بنى قشير سلمتان سلمة بن قشير ابن القشيرية و هو سلمة الخير و سلمة بن قشير ابن لبينى بنت كعب بن كلاب و هو سلمة الشر.

(٣١١)

الحكمة (٤٤٧) و قال عليه السّلام:

مَنْ اتَّجَرَ بَغِيرَ فَقْهِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي الرَّبَا أَى ارتبك فيه من (ارتطم فى الوحل) و رواه (الكافى الكلىنى - الكافى -) عنه عليه السّلام هكذا «من اتجر بغير علم ارتطم فى الربا ثم ارتطم.

و روى عنه عليه السّلام لا تقعدون فى السوق إلّا من يعقل الشراء و البيع يا معشر التجار الفقه ثم المتجر و الله للربا فى هذه الامة أخفى من ديبب النمل على الصفا شوبوا ايمانكم بالصدق، التاجر فاجر و الفاجر فى النار إلّا من أخذ الحق و أعطى الحق.

هذا، و فى نزول أسباب الواحدى مسندا عن ابن عباس بلغنا ان آية الربا نزلت فى بنى عمرو بن عمير بن عوف من ثقيف و فى بنى المغيرة من بنى مخزوم و كان بنو المغيرة يربون لتقيف فلما أظهر الله تعالى رسوله على مكة

ص: ٢٢١

وضع يومئذ الربا كله فأتى بنو عمرو و بنو المغيرة إلى عتاب بن أسيد و هو على مكة فقال بنو المغيرة ما جعلنا أشقى الناس بالربا.

وضع عن الناس غيرنا و قال بنو عمرو صولحنا على ان لنا ربانا فكتب عتاب فى ذلك إلى النبی صلی الله عليه و آله فنزلت «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ ذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَ رَسُولِهِ»^{٥٢١} فعرّف

^{٥١٩} (١) الانبياء: ٣٥.

^{٥٢٠} (٢) الدعوات لقطب الدين الراوندى: ١٦٨ حديث ٤٦٩، مدرسة الامام المهدي، قم، و نقله عنه «البحار» ٨١: ٢٠٩ «و المستدرک» ١: ٩٥.

^{٥٢١} (١) البقرة البقرة: ٢٧٨.

بنو عمر و ان لايدان لهم بحرب يقول تعالى «وَإِنْ تُبْتِغُوا فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ» - فتأخذون أكثر - «وَلَا تَظْلِمُونَ»^{٥٢٢} فتبخسون منه.

ص: ٢٢٣

الفصل الثالث و الاربعون فى مكارم الاخلاق

ص: ٢٢٥

١

الحكمة (٢٤٤) وَ قَالَ ع؟ لِغَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ؟ أَبِي؟ الْفَرَزْدَقُ؟ فِي كَلَامِ دَارِ بَيْنَهُمَا - مَا فَعَلْتَ إِبْلِكَ الْكَثِيرَةَ - قَالَ دَعْدَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا؟ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - فَقَالَ ع ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلَهَا أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ دَخَلَ غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ الْمَجَاشِعَى عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيَّامَ خِلَافَتِهِ - وَ غَالِبُ شَيْخٌ كَبِيرٌ وَ مَعَهُ ابْنُهُ هَمَامٌ: الْفَرَزْدَقُ وَ هُوَ غَلَامٌ يَوْمِئِذٍ - فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ مِنَ الشَّيْخِ قَالَ أَنَا غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُو الْإِبِلِ الْكَثِيرَةِ قَالَ نَعَمْ قَالَ مَا فَعَلْتَ إِبْلِكَ؟ قَالَ «دَعْدَعْتُهَا الْحُقُوقَ وَ أَذْهَبْتُهَا الْحِمَالَاتِ وَ النَوَائِبِ» قَالَ «ذَاكَ أَحْمَدُ سُبُلَهَا» مِنْ هَذَا الْغَلَامِ مَعَكَ قَالَ ابْنِي قَالَ مَا اسْمُهُ قَالَ هَمَامٌ وَ قَدْ رَوَيْتَهُ الشَّعْرَ وَ كَلَامَ الْعَرَبِ وَ يَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ شَاعِرًا مَجِيدًا

ص: ٢٢٦

فَقَالَ «لَوْ أَقْرَأْتَهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ» فَكَانَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ، يَرَوِي هَذَا الْحَدِيثَ وَ يَقُولُ مَا زَالَتْ كَلِمَتُهُ فِي نَفْسِي حَتَّى قِيدَ نَفْسُهُ بِقَيْدٍ وَ آلَى أَنْ لَا يَفْكُهُ حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ فَمَا فَكَهُ حَتَّى حَفِظَ.

قول المصنف.

«لِغَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ» أَمَا غَالِبُ فَفِي (الْأَغَانِي) مَسْنَدًا عَنْ عَوَانَةَ قَالَ تَرَاهُنْ نَفَرٌ مِنْ كَلْبٍ ثَلَاثَةٌ عَلَى أَنْ يَخْتَارُوا مِنْ تَمِيمٍ وَ بَكْرِ نَفَرًا لِيَسْأَلُوهُمْ فَأَيُّهُمْ أَعْطَى وَ لَمْ يَسْأَلْهُمْ عَنْ نَسَبِهِمْ مِنْ هُمْ فَهُوَ أَفْضَلُهُمْ فَاخْتَارَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ رَجُلًا اخْتَارُوا عَمِيرَ بْنَ سَلِيكٍ الشَّيْبَانِيَّ وَ طَلْبَةَ بْنَ قَيْسٍ بْنِ عَاصِمِ الْمَنْقَرِيِّ وَ غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ الْمَجَاشِعَى فَأَتَوْا عَمِيرًا فَسَأَلُوهُ مَائَةَ نَاقَةٍ فَقَالَ مَنْ أَنْتُمْ فَانْصَرَفُوا عَنْهُ ثُمَّ أَتَوْا طَلْبَةَ فَقَالَ لَهُمْ مِثْلُ قَوْلِ الشَّيْبَانِيِّ فَأَتَوْا غَالِبًا فَسَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ مَائَةَ نَاقَةٍ وَ رَاعِيهَا وَ لَمْ يَسْأَلْهَا فَسَارُوا لَيْلَةً ثُمَّ رَدَّوْهَا وَ أَخَذَ صَاحِبُ غَالِبِ الرَّهْنِ وَ فِي ذَلِكَ يَقُولُ الْفَرَزْدَقُ «وَ إِذْ نَادَيْتُ كَلْبَ عَلَى النَّاسِ أَيُّهُمْ - أَحَقُّ بِتَاجِ الْمَاجِدِ الْمَكْرَمِ - عَلَى نَفَرِهِمْ مِنْ نَزَارِ ذَوِي الْعَلَا وَ أَهْلِ الْجَرَاثِيمِ الَّتِي لَمْ تَهْدَمْ - فَلَمْ يَجْزْ - عَنْ أَحْسَابِهِمْ غَيْرَ غَالِبٍ - جَرَى لَعْنَانُ كُلِّ أَيْبُضٍ خُضْرَمٍ».

و عن الأصمعي قال جاءت امرأة إلى قبر غالب أبي الفرزدق فضربت عليه فسطاطا فأثاها الفرزدق فسألها عن أمرها فقالت اني عائذة بقبر غالب من أمر نزل بي قال ما هو قالت ان ابنا لي أغزى إلى السند مع تميم بن زيد و هو واحدى قال انصرفى فعلى انصرفه إليك ان شاء الله و كتب من وقته إلى تميم:

«تميم بن زيد لا تكونن حاجتى
بظهر فيخفى علىّ جوابها
و هل لى حبيشا و اتخذ فيه منّة
لحرمه أم ما يسوغ شرابها
أتنتى فعادت يا تميم بغالب
و بالحفرة السافى عليه ترابها»

فعرض تميم جميع من معه من الجند فلم يدع احدا اسمه (حبيش) أو

ص: ٢٢٧

(حنيش) إلّا وصله و اذن له فى الانصراف إلى أهله» و أما صعصعة فى (الأغانى) كان يقال له محيى الموءودات و ذلك أنّه مر برجل من قومه و هو يحفر قبرا و امرأته تبكى فقال لها صعصعة ما يبكيك قالت يريد أن ياد ابنتى هذه فقال له ما حملك على هذا قال الفقر قال فانى اشتريتها منك بناقتين يتبعهما أولادهما تعيشون بألبانهما و لا تأد الصبية قال قد فعلت، فأعطاه الناقتين و جملا كان تحته فحلا و قال فى نفسه ان هذه لمكرمة ما سبقنى إليها أحد من العرب، فجعل على نفسه ألا يسمع بموءودة إلّا فداها فجاء الاسلام و قد فدى ثلاثمائة و قيل أربعمئة.

موءودة و قد فخر بذلك الفرزدق فى عدّة قصائد و منها:

أبى أحد الغيثين صعصعة الذى
متى يخلف الجوزاء و الدلو يمطر
أجار بنات الوائدين و من يجر
على الفقر يعلم انه غير مخفر
على حين لا تحيى البنات و إذ هم
عكوف على الاصنام حول المدور

- إلى أن قال:-

فقال لها فى فانى بذمتى
لبنتك جار من أبيها القنور

^{٥٢٣} و روى مسندا عن صعصعة أيضا قال قدمت على النبي صلى الله عليه وآله فعرض على الاسلام فأسلمت و علمنى آيات من القرآن فقلت يا رسول الله انى عملت أعمالا فى الجاهلية هل فيها من أجر - إلى أن قال - قال ظهر الاسلام و قد أحييت ثلاثمائة و ستين مؤودة اشترى كل واحد منهن بنائيتين عشراوين و جمل فقال النبي صلى الله عليه وآله انى حملت حملات فى الجاهلية و على منها ألف بعير فأديت من ذلك سبعمائة فقال له ان الاسلام أمر بالوفاء و نهى عن الغدر فقال حسبى

ص: ٢٢٨

حسبى و وفى بها ^{٥٢٤}.

و روى ان النبي صلى الله عليه وآله قال له ما شئ بلغنى عنك فعلته قال رأيت الناس يموجون على غير وجه و لم أدر أين الوجه غير انى علمت أنهم ليسوا عليه و رأيتهم يتدون بناتهم فعلمت ان ربهم لم يأمرهم بذلك فلم أتركهم يتدون و فديت من قدرت عليه و روى أنه قال للنبي صلى الله عليه وآله أوصنى قال احفظ ما بين لحبيك و ما بين رجلك.

«أبى الفرزدق» فى (الأغاني) الفرزدق لقب غلب عليه و تفسيره الرغيف الضخم الذى تجففه النساء للفتوت و قيل بل هو القطعة من العجين تبسط فيخبز منها الرغيف شبه وجهه بذلك لأنه كان غليظا جهما و اسمه همام ^{٥٢٥} و قال هاشم العنزى ضمّننى و الفرزدق مجلس فتجاهلت عليه فقال أو ما تعرف الفرزدق قلت الفرزدق شئ يتخذة النساء عندنا يتسمّن به فضحك و قال الحمد لله الذى جعلنى فى بطون نسائك.

و روى القحذمى قال لقي الفرزدق الحسين عليه السلام متوجها إلى الكوفة خارجا من مكة فى اليوم السادس من ذى الحجة فقال له الحسين صلوات الله عليه ما وراءك قال يا ابن رسول الله أنفس الناس معك و أيديهم عليك قال ويحك مع و قر بعير من كتبهم يدعوننى و يناشدوننى الله قال فلما قتل الحسين عليه السلام قال الفرزدق فان غضبت العرب لابن سيدها و خيرها فاعلموا أنه سيدوم عزها و تبقى هيبتها و ان صبرت عليه و لم تتغير لم يزدها الله إلّا ذلا إلى آخر الدهر و أنشد فى ذلك:

فالقوا السلاح و اغزلوا بالمغازل»

«فان أنتم لا تتاروا لابن خيركم

ص: ٢٢٩

و عن الشعبى قال حجّ الفرزدق بعد ما كبر و قد أتت له سبعون سنة و كان هشام بن عبد الملك قد حجّ فى ذلك العام فرأى على بن الحسين عليه السلام فى غمار الناس فى الطواف فقال من هذا الشاب الذى تبرق اسره وجهه كأنه مرآة صينية تتراى فيها عذارى الحى وجوها فقالوا هذا على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليه السلام فقال الفرزدق:

^{٥٢٣} (١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ٢١: ٢٧٨.

^{٥٢٤} (١) المصدر السابق ٢١: ٢٧٩.

^{٥٢٥} (٢) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ٢١: ٢٧٦.

هذا الذى تعرف البطحاء و طأته

هذا ابن خير عباد الله كلهم

هذا ابن فاطمة ان كنت جاهله

و ليس قولك من هذا بضائه

إذا رأته قريش قال قائلها

يغضى حياء و يغضى من مهابته

بكفه خيزران ريحها عقب

يكاد يمسكه عرفان راحته

الله شرفه قدما و عظمه

أى الخلائق ليست فى رقابهم

من يشكر الله يشكر أولياءه

ينمى إلى ذروة الدين التى قصرت

من جدّه دان فضل الأنبياء له

مشتقة من رسول الله نبعته

ينشق ثوب الدجى عن نور غرته

من معشر حبّهم دين و بغضهم

مقدم بعد ذكر الله ذكرهم

ص: ٢٣٠

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم

لا يستطيع جواد بعد جودهم

و البيت يعرفه و الحل و الحرم

هذا التقى النقى الطاهر العلم

بجده أنبياء الله قد ختموا

العرب تعرف من أنكرت و العجم

إلى مكارم هذا ينتهى الكرم

فما يكلم إلّا حين يبتسم

من كفّ أروع فى عرينه شمم

ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

جرى له ذلك فى لوحة القلم

لا وليه هذا أوله نعم

فالدين من بيت هذا ناله الامم

عنها الأكفّ و عن إدراكها القدم

و فضل امته دانت له الامم

طابت مغارسه و الخيم و الشيم

كشمس تنجاب عن اشراقها الظلم

كفر و قربهم منجى و معتصم

فى كلّ بر و مختوم به الكلم

أوقيل من خير أهل الأرض قيل هم

و لا يدانيهم قوم و ان كرموا

و يسترب به الاحسان و النعم

يستدفع الشر و البلوى بحبهم

فغضب هشام فحبسه بين مكة و المدينة فقال الفرزدق:

إليها قلوب الناس تهوى منيها

أ تحبسنى بين المدينة و التى

و عينا له حواء باد عيوبها

يقلب رأسا لم يكن رأس سيد

فبلغ شعره هشام فوجه فأطلقه.

و فيه - بعد ذكر و فود الأحنف و جارية بن قدامة و جون بن قتادة، و الحتات التميميين على معاوية و اعطائه جوائزهم و موت الحتات بالطعن و حبس معاوية جائزته - و قال الفرزدق لمعاوية:

و ميراث حرب جامد لك ذائبه

فما بال ميراث الحتات أخذته

و أمنعهم جارا إذا ضيم جانبه

أ لست أعزّ الناس قوما و اسرة

كمثلى حصان فى الرجال يقاربه

و ما ولدت بعد النبى و آله

إلى صعصع ينمى فمن ذا يناسبه

أبى غالب و المرء ناجية الذى

و من دونه البدر المضىء كواكبه

و بيتى إلى جنب الثريا فناؤه

و عرق الثرى عرقى فمن ذا يحاسبه

أنا ابن الجبال الصم فى عدد الحصى

على الدهر إذ عزت لدهر مكاسبه

أنا ابن الذى أحيى الوئيد و ضامن

أغر يبارى الريح ما أزور جانبه

و كم من أب لى يا معاوى لم يزل

أبوك الذى من عبد شمس يقاربه

نمته فروع المالكين و لم يكن

«و فى كلام دار بينهما ما فعلت ابلك الكثيرة» لم أقف عليه مسندا و ابن أبى الحديد كالمصنف نقله مرسلا و الذى وقفت عليه مسندا فى أمر غالب أنه نحر ابله مفاخرة مع سحيم الرياحى فحرّم أمير المؤمنين عليه السّلام لحومها لكون

نحرها لا لله روى (الأغانى) «عن ابن دريد عن أبي حاتم عن أبي عبيدة عن جهم السليطي عن إياس بن شبة بن عقال بن صعصة قال أجذبت بلاد تميم وأصابته بنى حنظلة سنة - أى قحط - فى خلافة عثمان فبلغهم خصب عن بلاد كلب بن وبرة فانتجعها بنو حنظلة فنزلوا أقصى الوادى و تسرع غالب بن صعصة فيهم وحده دون بنى مالك فنحر ناقه فأطعمهم إياها فلما وردت ابل سحيم بن وثيل الرياحى حبس منها ناقه فنحرها من غد فقيل لغالب انما نحر سحيم موائمة - أى مساواة - لك فضحك و قال كلا و لكنه امرؤ كريم و سوف أنظر ذلك.

فلما وردت ابل غالب حبس منها ناقتين فنحرهما فأطعمهما بنى يربوع فعقر سحيم ناقتين و قال غالب الآن علمت ان يوائمنى فعقر غالب عشرا فأطعمها بنى يربوع فعقر سحيم عشرا فلما بلغ غالبا فعله ضحك - و كانت ابله ترد لخمس - فلما وردت عقرها كلها عن آخرها - فالمكثر يقول كانت أربعمائه و المقلل مائة - فأمسك سحيم حينئذ ثم أنه عقر فى خلافة على بن أبى طالب عليه السلام بكناسة الكوفة مائتى ناقه و بعير، فخرج الناس بالزناييل و الأطباق و الحمال لأخذ اللحم و رآهم على عليه السلام فقال أيها الناس انها لا تحل لكم انما أهل بها لغير الله تعالى.

قال فحدثنى من حضر ذلك قال كان الفرزدق يومئذ مع أبيه و هو غلام - فجعل غالب يقول يا بنى اردد على، و الفرزدق يردها عليه و يقول له يا أبة اعقر، قال جهم فلم يغن عن سحيم فعله و لم يجعل كغالب إذ لم يطق فعله».

و فى كتاب النجاشى - فى عنوان ربيع بن عبد الله بن الجارود بن أبى سبرة الهذلى - «و هو الذى روى حديث الابل».

ثم روى باسناده «عن ربيع قال سمعت الجارود يحدث قال كان رجل

ص: ٢٣٢

من بنى رباح يقال له سحيم بن أثيل نافر غالبا أبا فرزدق بظهر الكوفة على أن يعقر هذا من ابله مائة و هذا من ابله إذا وردت الماء فلما وردت قاموا إليها بالسيوف فجعلوا يضربون عراقيبها فخرج الناس على الحميرات و البغال يريدون اللحم - و على عليه السلام بالكوفة - فجاء على بغلة رسول الله صلى الله عليه و آله إلينا و هو ينادى أيها الناس لا تأكلوا من لحومها فانما اهل بها لغير الله» و فى ديوان الفرزدق «و أورثنى ضرب العراقيب غالب» و فيه أيضا:

«إذا ما رأوا نارا يقولون ليتها و قد خصرت أيديهم نار غالب

إلى نار ضراب العراقيب لم يزل له من ذبابى سيفه خير حال»

و مر ان صعصة أبا غالب ذعزع ابله الكثيرة فى فداء الموءودات و أنه كان عليه من الحملات ألف بعير أدّى منها سبعمائة و بقى عليه ثلاثمائة.

فأمره النبي صلى الله عليه وآله بالوفاء فلعل المراد بقوله عليه السلام «ما فعلت إبلك الكثيرة لغالب على رواية المصنف الأبل التي كانت لأبيه كما ان جوابه «ذدعتها الحقوق» محمول على الحقوق التي كانت على أبيه لكن في ديوان الفرزدق أيضا «اني أنا ابن حمّال المئين غالب».

«قال ذدعتها الحقوق يا أمير المؤمنين» أي: فرقتها في (الكافي) عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى فرض في أموال الأغنياء حقوقا غير (الزكاة) قال عز وجل «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ»^{٥٢٦} فالحق المعلوم غير (الزكاة) هو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله يجب عليه أن يفرضه على قدر طاقته و سعة ماله ان شاء في كل يوم و ان شاء في كل جمعة و ان شاء في كل شهر و قال تعالى «وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا»^{٥٢٧} و هو أيضا غير الزكاة و قال

ص: ٢٣٣

تعالى أيضا «وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»^{٥٢٨} و الماعون أيضا من الحقوق و هو القرض يفرضه و المتاع يعيره و المعروف يصنعه و ممّا فرض تعالى في المال غير الزكاة قوله عز وجل «وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ»^{٥٢٩} و في «الزكاة الظاهرة في كل ألف خمسة و عشرون و أما الزكاة الباطنة فلا تستأثر على أخيك بما هو أحوج إليه منك» هذا، و في تاريخ بغداد قال الأصمعي: قال لي رجل من أهل الشام قدمت المدينة فقصدت منزل إبراهيم بن هرمة فاذا بنبية صغيرة له تلعب بالطين فقلت لها: أين أبوك؟ قالت:

و فد إلى بعض الأجواد فما لنا به علم منذ مدّة فقلت: انحرى لنا ناقة فأنّا أضيافك قالت: و الله ما عندنا، قلت: فشاة قالت: و الله ما عندنا. قلت: فدجاجة قالت و الله ما عندنا، قلت فاعطينا بيضة قالت و الله ما عندنا قلت فباطل ما قال أبوك:

بمستهل الشؤبوب أو جمل

«كم ناقة قد و جأت منحرها

^{٥٣٠} قالت فذلك الفعل من أبي، هو الذي أصارنا إلى ان ليس عندنا شيء و رواه ابن قتيبة في عيونه لكن فيه «قال عبد العزيز بن عمران نزلت ببنت ابن هرمة - إلى أن قال - قلت: فأين قول أبيك؟

و لا ابتاع إلا قريبة الأجل

لا امتع العود بالفصال

قالت: ذاك افناها فبلغ ابن هرمة قول ابنته فقال اشهد انها ابنتي و ان دارى لها دون الذكور من ولدى».

«فقال عليه السلام: ذلك أحمد سبلها» في (الكافي) عن الرضا عليه السلام ان صاحب

^{٥٢٦} (١) المعارج: ٢٤.

^{٥٢٧} (٢) المزمّل: ٢٠.

^{٥٢٨} (١) الرعد: ٢٢.

^{٥٢٩} (٢) الرعد: ٢١.

^{٥٣٠} (٣) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٦: ١٢٨.

النعمة على خطر أنه يجب عليه حقوق لله فيها والله أنه لتكون على النعم من الله تعالى فما أزال منها على و جل - و حرّك يده - حتى أخرج من الحقوق التي يجب لله على فيها. قال البرنطى: قلت انت فى قدرك تخاف هذا؟ قال نعم، فاحمد ربى على ما من به على.

الحكمة (١٠) و قال عليه السلام:

إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ - فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْرًا لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ أَقُول: قال ابن أبى الحديد ضلّ الأعشى فى طريقه فأصبح بأبيات علقمة بن علاثة فقال فائده - و نظر إلى قباب الادم - و اسوء صباحاه يا أبا بصير هذه و الله أبيات علقمة فخرج فتیان الحى فقبضوا على الأعشى فأتوا به علقمة فمثل بين يديه، فقال: الحمد لله الذى أظفرنى بك من غير ذمة و لا عقد عليك قال الأعشى أو تدرى لم ذلك؟ قال نعم لأنتم منكم اليوم بتقوا لك على الباطل مع احسانى قال: (لا و الله و لكن اظفرك الله بى ليلو قدر حلمك فى) فأطرق علقمة، فاندفع الاعشى فقال:

و ما كان بى منكص

أعلقم قد صيرتنى الامور إليك

و ورثكم حلمه الأحوص

كساكم علاثة أثوابه

فلا تزال تنمى و لا تنقص

فهب لى نفسى فدتك النفوس

فقال قد فعلت، أما و الله لو قلت فى بعض ما قلته فى (عامر) لأغنيك طول حياتك و لو كنت قلت فى (عامر) بعض ما قلته فى ما اذاقك برد الحياة، و قال المأمون لإبراهيم بن المهدي لما ظفر به انى قد شاورت فى أمرك فأشير على بقتلك إلّا انى وجدت قدرك فوق ذنبك فكرهت قتلک لل لازم حرمتك فقال إبراهيم

ان المشير أشار بما تقتضيه السياسة و توجهه العادة إلّا أنك أبيت أن تطلب النصر إلّا من حيث عودته من العفو فان قتلت فلک نظراء و ان عفوت فلا نظير لك، قال قد عفوت فاذهب آمنا.

و روى ان مصعبا لما ولّى العراق عرض الناس ليدفع إليهم أرزاقهم، فنادى مناديه أين عمرو بن جرموز؟ فقيل له: أنه أبعد فى الأرض، قال أو ظن الأحمق انى اقتله بأبى قولوا له فليظهر آمنا و ليأخذ عطاءه مسلما قلت فى مستجد التنوخى فى ٢١ من عناوينه لما أفضت الخلافة إلى بنى العباس استخفى رجال من بنى أمية و منهم إبراهيم بن سليمان بن عبد الملك حتى أخذ له داود بن العباس أمنا - و كان إبراهيم عالما حدثا فخص بالسفاح فقال له حدثنى بما مر بك فى اختفائك قال: كنت مختفيا

بالحيرة فى منزل شارف على الصحراء فبينما أنا على ظهر بيت إذا نظرت إلى أعلام سود قد خرجت من الكوفة تريد الحيرة فوق فى روعى انها تريدنى فخرجت من الدار متنكرا حتى أتيت الكوفة و لا أعرف بها أحدا اختفى عنده فبقيت متلدا فإذا أنا بباب كبير و رحبة واسعة فدخلت فيها و إذا رجل و سيم حسن الهيئة على فرس قد دخل الرحبة و معه جماعة من غلمانة و اتباعه.

فقال لى من أنت؟ و ما حاجتك؟ قلت: رجل مستخف يخاف على دمه استجار بمنزلك فادخلنى منزله.

ثم صيرنى فى حجرة تلى حرمه فكنت عنده فى كل ما أحب من مطعم و مشرب و ملبس و لا يسألنى عن شىء من حالى إلّا أنه يركب فى كل يوم ركبة فقلت له يوما أراك تدمن الركوب ففهم ذلك؟

فقال: ان إبراهيم بن سليمان قتل أبى صبرا و قد بلغنى أنه مستخف و أنا أطلبه لأدرك منه ثأرى فكثر و الله تعجبى من ادبارنا إذ ساقنى القدر إلى حتفى

ص: ٢٣٦

فى منزل من يطلب دمي و كرهت الحياة فسألت الرجل عن اسمه و اسم أبيه فأخبرنى فعرفت ان الخبر صحيح و أنا كنت قتلت أباه صبرا.

فقلت يا هذا قد وجب علىّ حقك و من حقك علىّ أن أدلك على خصمك و أقرب عليك الخطوة قال و ما ذاك قلت أنا إبراهيم بن سليمان قاتل أبيك فخذ بشارك فقال انى لأحسبك رجلا قد أمضك الاختفاء فأحببت الموت قلت بل الحق ما قلت لك أنا قتلتك يوم كذا و كذا بسبب كذا و كذا.

فلما عرف صدقى أريد وجهه و أحمرت عيناه و أطرق مليّا ثم قال أما أنت فستلقى أبى فيأخذ بشاره منك و أما أنا فغير مخفر ذمتى فأخرج عنى فلست آمن نفسى عليك و اعطانى ألف دينار فلم آخذها و خرجت من عنده فهذا أكرم رجل رأيته بعد أمير المؤمنين عليه السلام^{٥٣١}.

و فى (الأغانى) لما قال عبد الله بن طاهر قصيدته التى يفخر فيها بمآثر أبيه و أهله و يفخر بقتله المخلوع عارضة محمد بن يزيد الأموى الحصنى - و كان رجلا من ولد مسلمة بن عبد الملك - فأفرط فى السب و تجاوز الحد فى قبح الرد و توسط بين القوم و بين بنى هاشم فأربى فى التوسط فكان فى ما قاله فيه (من حسين من أبوك من مصعب غالتكم غول) فلما ولّى عبد الله بن طاهر الشام علم الحصنى أنه لا يفلت منه ان هرب، فثبت فى موضعه و أحرز حرمه و ترك أمواله و دوابه و كل ما كان يملكه فى موضعه و فتح باب حصنه و جلس عليه، قال محمد بن الفضل الخراسانى - و هو من وجوه قوود عبد الله - و نحن نتوقع من عبد الله أن يوقع به فلما شارفنا بلده و كنّا على أن نصبه دعانى عبد الله بن طاهر فى الليل.

^{٥٣١} (١) المستجاد من خصلات الأجواد للتتوخي: ٣٢- ٣٤، تحقيق محمد كرد علي ١٩٧٠ م.

فقال لى بت عندى الليلة و ليكن فرسك معدا عندك، ففعلت فلما كان فى

ص: ٢٣٧

السحر صبح الحصنى فرأى بابه مفتوحا و رآه جالسا مسترسلا فقصدته و سلّم عليه و نزل عنده و قال له ما أجلسك ههنا؟ و حملك على أن فتحت بابك و لم تتحصن من هذا الجيش المقبل و لم تنتج عن عبد الله بن طاهر مع ما فى نفسه عليك و ما بلغه عنك؟ فقال (ان ما قلت لم يذهب على و لكنى تأملت أمرى و علمت انى أخطأت خطيئة حملنى عليها نزق الشباب و غرة الحادثة، و انى ان هربت منه لم أفته فباعدت البنات و الحرم و استسلمت بنفسى و كلّ ما أملك فأنّا أهل بيت قد أسرع القتل فينا ولى بمن مضى أسوء فانى أثق بأن الرجل إذا قتلنى و أخذ مالى شفى غيظه و لم يتجاوز ذلك إلى الحرم و لا له فيهن أرب و لا يوجب جرمى أكثر ممّا بذلته).

فوالله ما لقيه عبد الله إلّا بدموعه تجرى على لحيته.

ثم قال له أ تعرفنى؟ قال لا و الله، قال (أنا عبد الله بن طاهر و قد امن الله روعتك و حقن دمك و صان حرمك و حرس نعمتك، و عفا عن ذنبك و ما تعجلت إليك و حدى إلّا لتأمن من قبل هجوم الجيش، و لئلا يخالط عفوى روعة تلحقك) فبكى الحصنى و قام فقبل رأسه، فضمه عبد الله بن طاهر و أدناه.

ثم قال أما فلا بد يا أخى من عتاب جعلنى الله فداك قلت شعرا فى قومى أفخر بهم و لم أظن فيه على حسبك و لا ادّعت فضلا عليك، و فخرت بقتل رجل هو و ان كان من قومك إلّا أنّه من القوم الذين ثارك عندهم فكان يسعك السكوت أو ان لم تسكت لا تعرق و لا تسرف فقال (ايها الأمير قد عفوت فاجعله العفو الذى لا يخالطه تثريب و لا يكدر صفوه تأنيب) قال قد فعلت، ثم دعا بدواة فكتب له بتسويغه خراجة ثلاث سنين و قال له ان نشطت لنا فالحق بنا و إلّا فأقم بمكانك، فقال فأنّا أتجهّز و الحق بالأمير، ففعل و لحق به بمصر و لم يزل معه حتى رحل عبد الله إلى العراق فودعه و قام ببلده).

ص: ٢٣٨

و فى كامل الجزرى لمّا ظفر عماد الدولة على بن بابويه على ياقوت و ملك شيراز وجد فى ما غنم برانس لبود عليها أذنان الثعالب، و وجدوا قيودا و أغلالا فسأل أصحاب ياقوت عنها فقالوا ان هذه أعدت لكم لتجعل عليكم و يطاف بكم فى البلاد فأشار أصحاب ابن بويه ان يفعل بهم مثل ذلك فأبى و قال أنّه بغى و لوم و ظفرت و لقد لقي ياقوت بغيه - ثم أحسن إلى الاسارى و أطلقهم و قال هذه نعمة و الشكر عليها واجب يقتضى المزيد و خير الاسارى بين المقام عنده و اللحوق بياقوت فاختاروا المقام عنده فخلع عليهم.

و فى السير ضرب الحجاج أعناق أسرى ثم قدم رجلا ليضرب عنقه، فقال و الله لئن كنّا أسأنا فى الذنب فما أحسنت فى العفو فقال الحجاج أف لهذه الجيف أما كان فيها يحسن مثل هذا و أمسك عن القتل و قال أبو تمام:

الحكمة (١٩) و قال عليه السلام:

أَقِيلُوا ذَوَى الْمُرُوءَاتِ عَثْرَاتَهُمْ - فَمَا يَعْتُرُ مِنْهُنَّ عَاثِرٌ إِلَّا وَ يَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ أَقُولُ: و روى المصنف فى مجازاته النبوية قريبا منه عن النبى صلى الله عليه و آله فقال ثمة «و من ذلك قوله صلى الله عليه و آله «أَقِيلُوا ذَوَى الْهَيْثَاتِ عَثْرَاتَهُمْ فان أحدهم ليعثر و يده بيد الله يرفعها» و قال هذا القول منه صلى الله عليه و آله مجاز و المراد بذكر يد الله ههنا معونة الله تعالى و نصرته فكأنه صلى الله عليه و آله أراد أن أحدهم ليعثر و ان معونة الله لمن وراءه تنهضه من سقطته و تقيله من عثرته، إلا أنه صلى الله عليه و آله لما جاء بلفظ العثار أخرج الكلام بعده على عرف العادات لأن العادة جارية أن يكون المنهض

ص: ٢٣٩

للعائر و المقيم للواقع انما يستنهضه بيده، و يستعين عليه بجلده، و المراد بذى الهيئات هنا ذوو الأديان لاذوو و الملابس الحسنة، كما يظن من لا علم له لأن هيئة الدين و ظاهره أحسن الهيئات و الظواهر و أفخم المعارض و الملابس، بل الظاهر كون أصلهما واحدا و مثل ذاك الاختلاف اليسير يقع فى الروايات لكلام واحد قطعى كما لا يخفى إلا أن المصنف لم يتفطن ثمة، و هنا لذلك حتى يشير إليه كما أشار غير مرة إلى مثله ثمة و هنا.

و رواه زكاة (الكافى) مسندا عن الصادق عليه السلام هكذا «أَقِيلُوا لِأَهْلِ الْمَعْرُوفِ عَثْرَاتَهُمْ، و اغفروها لهم فان كفّ الله عز و جل عليهم هكذا- قال سيف بن عميرة و أوماً عليه السلام بيده كأنه يظلّ بها شيئا-» و علم الأئمة عليهم السلام من أمير المؤمنين عليه السلام و علمه من النبى صلى الله عليه و آله و علمه من الله تعالى ثم التعبير (بالمروءات) كما هنا أحسن من التعبير (بالهيئات) كما فى المخابرات.

«أَقِيلُوا ذَوَى الْمُرُوءَاتِ عَثْرَاتَهُمْ» الأصل فى الإقالة إقالة البيع، و المراد الغض عما صدر من أهل المروءة كان لم يكن و فى الخصال ست من المروءات ثلاث منها فى الحضر و ثلاث منها فى السفر، فأما التى فى الحضر:

فتلاوة كتاب الله تعالى، و عمارة مساجد الله و اتخاذ الاخوان فى الله تعالى، و أما التى فى السفر: فبذل الزاد، و حسن الخلق، و المزاح فى غير معاصى الله.

و قال ابن أبى الحديد «لام معاوية ابنه يزيد على سماع الغناء و حب القيان و قال له اسقطت مروءتك، فقال يزيد: أتكلم بلسانى كله؟ قال نعم، و بلسان أبى سفيان بن حرب و هند بنت عتبة مع لسانك، قال: و الله لقد حدّثنى عمرو بن العاص و استشهد- على ذلك ابنه عبد الله بن عمرو بن العاص فصدقة- ان أبا سفيان كان يخلع على المغنى الفاضل المضاعف من ثيابه:

و لقد حدّثني ان جاريّتي عبد الله بن جدعان غنتاه يوما فأطربناه فجعل يخلع

ص: ٢٤٠

عليهما أثوابه ثوبا حتى تجرّد تجرد العير، و لقد كان هو و عفان بن أبي العاص ربما حملا جارية العاص بن وائل فمرا بها على الأبطح، و جلّة قريش ينظرون إليهما مرّة على ظهر أبيك و مرّة على ظهر عفان، فما تنكر مني فقال معاوية اسكت لحاك الله ما أحد الحق بأبيك.

هذا، الا ليفزك و يفضحك و ان كان أبو سفيان ما علمت لثقل الحكم يقظان الرأي، عازب الهوى، طويل الأناة، بعيد القعر، و ما سودته قريش إلّا لفضله» قلت فعلى نقل عمرو بن العاص كان يزيد بن عبد الملك و ابنه الوليد بن يزيد اقتديا في طريهما المعروف أولا بشيخيهما أبي سفيان والد معاوية و عفان والد عثمان و ثانيا بيزيد بن معاوية جدّهما لأمهما و انكار معاوية في أبيه دفعا للعار عنه غير مسموع بعد البيّنة و يأتي في (٨) ماله ربط.

«فما يعثر منهم عاثر» العثرة الزلّة.

«إلّا و يد الله بيده» هكذا في (المصرية): (إلّا و يده بيد الله) كما في غيرها.

«يرفعه» و قد عرفت من مجازات المصنف المراد من ذلك، و في (الخصال) مسندا عن السجاد عليه السلام قال: خرج النبي صلى الله عليه و آله ذات يوم و صلى الفجر ثم قال: معاشر الناس أيكم ينهض إلى ثلاثة نفر قد حلفوا باللات و العزى ليقتلوني. و قد كذبوا و رب الكعبة؟ فأحجم الناس و ما تكلم أحد فقال النبي صلى الله عليه و آله ما أحسب ان على بن أبي طالب فيكم، فقام إليه عامر بن قتادة فقال أنّه و عك في هذه الليلة و لم يخرج يصلى معك فتأذن لى أن أخبره، فقال النبي صلى الله عليه و آله شأنك فمضى فأخبره فخرج أمير المؤمنين عليه السلام و كأنّه نشط من عقال و عليه ازار قد عقد طرفيه على رقبته فقال يا رسول الله ما الخبر؟ فقال هذا رسول ربى يخبرنى عن ثلاثة نفر قد نهضوا الىّ ليقتلوني و قد كذبوا و ربّ الكعبة فقال عليه السلام: أنا لهم سرية و حدى هذا البس على ثيابى فقال النبي صلى الله عليه و آله بل

ص: ٢٤١

هذه ثيابى و هذا درعى و هذا سيفى فألبسه و درّعه و عمّمه و قلّده و أركبه فرسه، و خرج عليه السلام فمكث ثلاثة أيام لا يأتيه جبرئيل بخبر السماء و لا خبر من الأرض، فأقبلت فاطمة عليها السلام بالحسن و الحسين عليهما السلام تصحبهما و تقول أوشك أن يؤتم هذان الغلامان فاسبل النبي صلى الله عليه و آله عينه ييكى ثم قال معاشر الناس من يأتيينى بخبر على ابشره بالجنة، و افترق الناس فى الطلب لعظيم ما رأوا بالنبي صلى الله عليه و آله و أقبل عامر بن قتادة يبشر به عليه السلام، و دخل عليه السلام و معه اسيران و رأس و ثلاثة أبعرة، و ثلاثة أفراس، و هبط جبرئيل عليه السلام فخبّر النبي عليه السلام بما كان.

فقال له عليه السلام تحب أن أخبرك بما كنت فيه؟ فقال: المنافقون هو منذ الساعة قد أخذه المخاض و هو الساعة يريد أن يحدثه، فقال النبي صلى الله عليه وآله: بل تحدّث أنت يا أبا الحسن لتكون شهيدا على القوم؟ فقال نعم، لمّا صرت في الوادي رأيت هؤلاء ركبانا على الأباغر فنادوني من أنت فقلت أنا على بن أبي طالب ابن عم رسول الله، فقالوا ما نعرف لله من رسول، سواء علينا و قعنا عليك أو على محمّد و شد على هذا المقتول و دار بيني و بينه ضربات و هبت ريح حمراء و سمعت صوتك فيها و أنت تقول قد قطعت لك جربان درعه فاضرب حبل عاتقه فضربته ثم هبت ريح سوداء سمعت صوتك فيها و أنت تقول:

(قد قلبت لك الدرع عن فخذيه فاضرب فخذيه) فضربته فقطعته و وكزته و قطعت رأسه و رميت به، و قال لي هذان الرجلان بلغنا ان محمدا رفيق شفيق و احملنا إليه و لا تعجل علينا و صاحبنا كان يعد بألف فارس فقال النبي صلى الله عليه وآله أما الصوت الأول الذي صك مسامعك فصوت جبرئيل، و أما الصوت الآخر فصوت ميكائيل قدم إلى حد الرجلين فقدم فقال: قل لا إله إلا الله و اني رسوله فقال: لنقل جبيل أبي قبيس أحب إليّ من أن أقول هذه الكلمة، فقال: اخره

ص: ٢٤٢

و اضرب عنقه ثم قال: قدم الآخر فقدم فقال، قل لا إله إلا الله و اني رسوله فقال الحقني بصاحبى قال: أخره يا أبا الحسن و اضرب عنقه فأخره و قام عليه السلام ليضرب عنقه فهبط جبرئيل عليه السلام فقال يا محمّد ان ربك يقرئك السلام و يقول لك: لا تقتله فإنّه حسن الخلق سخي في قومه، فقال الرجل - و هو تحت السيف - هذا رسول ربك يخبرك؟ قال: نعم، فقال و الله ما ملكت درهما مع اخ لي و لا قطبت وجهي في حرب و أنا أشهد ان لا إله إلا الله و انك رسوله، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هذا ممّن جرّه حسن خلقه و سخاؤه إلى جنات النعيم.

٤

الحكمة (٢٣) و قال عليه السلام:

مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ - وَ التَّنْفُسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ أَقُولُ: في الخبر «كفارة عمل السلطان قضاء حوائج الاخوان» و في المعجم في كتاب هلال بن المحسن ان رجلا اتصلت عطلته فزوّر كتابا عن الوزير أبي الحسن بن الفرات إلى أبي زنبور المادرائي عامل مصر يتضمن الوصاية به و التأكيد في الاقبال عليه و الاحسان إليه، و خرج إلى مصر فلقبه به فارتاب أبو زنبور في أمره لتغيّر الخطاب على ما جرت به العادة و كون الدعاء أكثر ممّا يقتضيه محله فراعاه مراعاة قريبة و وصله بصلة قليلة، و احتبس عنده على وعد وعده به.

و كتب إلى أبي الحسن بن الفرات يذكر الكتاب الوارد عليه و أنفذه بعينه إليه و استثبته فيه، فوقف ابن الفرات على الكتاب المزوّر فوجد فيه ذكر الرجل و أنّه من ذوى الحرمات و الحقوق الواجبة عليه فعرض الكتاب على كتابه و عرفهم الصورة فيه و عجب إليهم منها و ممّا أقدم عليه الرجل و قال لهم ما

ص: ٢٤٣

الرأى فى أمر الرجل؟ فقال بعضهم بتأديبه أو حبسه، و قال آخر اقطع ابهامه لئلا يعاود مثل هذا و لئلا يقتدى به غيره و قال أحسنهم محضرا يكتب إلى أبى زنبور بطرده و حرمانه، فقال ابن الفراد ما أبعدكم عن الحرية رجل توسل بنا المشقة إلى مصر فى تأميل الصلاح بجاهنا و يكون أحسن أحواله عند أحسنكم محضرا تكذيب ظنه لا كان هذا أبدا، ثم أنه أخذ القلم من دواته و وقع على الكتاب المزور.

«هذا كتابى و لست أعلم لم أنكرت أمره و اعترضتك فيه شبهة و ليس كل من خدمنا تعرفه و هذا رجل خدمنى فى أيام نكبتى فأحسن تفقده و وفر رفده» ورد الكتاب إلى أبى زنبور، فلما مضت مدّة دخل يوما على ابن الفرات رجل ذو هيئة مقبولة و أقبل يدعو له و يبكى و يقبل الأرض فقال ابن الفرات من أنت بارك الله فيك و هذه - كانت كلمته - قال أنا صاحب الكتاب المزور إلى عامل مصر الذى صححه كرم الوزير و تفضله، فضحك ابن الفرات و قال له كم وصل إليك منه؟ قال: وصل الى من ماله و تقسيط قسطه على عمّاله عشرون ألف دينار، فقال ابن الفرات الحمد لله الزمنا فانا نعرضك لئلا يزداد به صلاح حالك ثم اختبره فوجده كاتباً سديداً^{٥٣٢} إلخ.

و فى (الخصال) عن الباقر عليه السلام «ثلاث منجيات» خوف الله فى السر و العلن، و القصد فى الغنى و الفقر، و كلمة العدل فى الرضا و السخط.

و ثلاث موبقات: شح مطاع، و هوى متبع، و اعجاب المرء بنفسه. و ثلاث درجات: افشاء السلام، و إطعام الطعام، و الصلاة و الناس نيام. و ثلاث كفارات: اسباغ الوضوء فى السبرات، و المشى بالليل و النهار إلى الصلوات، و المحافظة على الجماعات».

ص: ٢٤٤

«و فى (ثواب الأعمال) عن الصادق عليه السلام من أغاث أخاه المؤمن اللهفان عند جهده فنفس كربته و أعانه على نجاح حاجته كانت له بذلك عند الله اثنان و سبعون رحمة من الله يجعل له منها واحدة تصلح بها معيشته، و يدخر له إحدى و سبعين رحمة لا فزاع يوم القيامة و أهوالها» و عنه عليه السلام من نفس عن مؤمن كربة نفس الله عنه كرب الآخرة و خرج من قبره و هو ثلج الفؤاد و من أطعمه من جوع أطعمه الله ثمار الجنة، و من سقاه شربة سقاه الله من الرحيق المختوم.

٥

الحكمة (١٠١) و قال عليه السلام:

لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ - بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ وَ بِاسْتِكْتَامِهَا لِتُظْهَرَ - وَ بِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنَأُ أَقُول: اما استصغارها لتعظم ففى (كامل المبرد): مر يزيد بن المهلب باعرايية فى خروجه من سجن عمر بن عبد العزيز يريد البصرة، فقرته غنما فقبلها و قال لابنه معاوية ما معك من النفقة؟ فقال: ثمانمائة دينار قال: فادفعها إليها قال له ابنه انك تريد الرجال و لا يكون الرجال إلّا بالمال و

^{٥٣٢} (١) معجم الادباء للحمري ١٩: ٢٩٥ - ٢٩٧ دار الفكر. بيروت.

هذه يرضيها اليسير و هي بعد لا تعرفك، فقال ان كانت ترضى باليسير فانا لا أرضى، إلّا بالكثير و ان كانت هي لا تعرفنى فأنا أعرف نفسي ادفعها إليها.

و زعم الأصمعي ان حربا كانت بالبادية ثم اتصلت بالبصرة فتفاقم الأمر فيها ثم مشى بين الناس بالصلح فاجتمعوا في المسجد الجامع فبعثت و أنا غلام إلى ضرار بن الفقاع من بنى دارم فاستأذنت عليه فاذن لى فاذا به فى شملة يخلط بزرا لعنز له حلوب.

ص: ٢٤٥

فخبرته بمجتمع القوم فامهل حتى أكلت العنز ثم غسل الصفحة و صاح يا جارية غدينا فأتته بزيت و تمر فدعاني فقذرتة ان أكل معه حتى إذا قضى من أكله حاجته و ثب إلى طين ملقى فى الدار فغسل به يده ثم صاح يا جارية اسقينا. فأتته بماء فشربه و مسح فضله على وجهه ثم قال الحمد لله ماء الفرات بتمر البصرة بزيت الشام متى نؤدى شكر هذه النعم، ثم قال يا جارية على بردائي فأتته برداء عدنى فارتدى به على تلك الشملة فتجافيت عنه استقباحا لزيه فلما دخل المسجد صلى ركعتين، ثم مشى إلى القوم فلم تبق حبة إلّا حلت إعظاما له ثم جلس فتحمل جميع ما كان بين الأحياء فى ماله و انصرف.

و فى (وزراء الجهشياري) كان الماء قد زاد فى أيام الرشيد و كان الرشيد غائبا فى بعض متصدياته و يحيى بن خالد مقيم ببغداد فركب يحيى و معه القوات ليفرقهم على المواضع المخوفة من الماء يحفظونها ففرق القوات و أمر باحكام المسنيات و صار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوة الماء و كثرته فقال قوم ما رأينا مثل هذا المد فقال يحيى قد رأيت مثله فى سنة كان أبى قد وجهنى فيها إلى عمارة ابن حمزة فى أمر رجل كان يعنى به من أهل خراسان و كانت له ضياع بالرى فورد عليه كتابه يعلمه ان ضياعة تحيفت فخرت و ان نعمته قد نقصت و ان صلاح أمره فى تأخير به خراج سنة و كان مبلغه مائتى ألف درهم ليتقوى بها على عمارة ضيعته، و يؤديه فى السنة المستقبلة فلما قرأ الكتاب غمّه و بلغ منه و كان يعقب ما ألزمه المنصور من المال الذى خرج عليه فخرج به عن كل ما يملكه و استعان بجميع اخوانه فيه.

فقال لى يا بنى من ههنا يفرغ إليه فى أمر هذا الرجل فقلت لا أدري، فقال بلى عمارة بن حمزة فصر إليه و عرفه حال الرجل فصرت إليه و قد مد دجلة و كان ينزل فى الجانب الغربى فدخلت عليه و هو مضطجع على فراشه،

ص: ٢٤٦

فأعلمته ذلك فقال قف لى غدا بباب الجسر- و لم يزد على ذلك- فنهضت ثقيل الرجلين و عدت إلى أبى بالخبر فقال يا بنى تلك سجيته فاذا أصبحت فاغد لموعد فعدوت فوقفت بباب الجسر و قد جاءت تلك الليلة بمد عجيب قطع الجسور و انتظم الناس من الجانبين جميعا ينظرون زيادة الماء فبينما أنا واقف أقبل زورق و الموج يخفيه مرة و يظهره أخرى و الناس يقولون: «غرق غرق نجانجا» حتى دنا من الشط فاذا عمارة بن حمزة و ملاح معه فى الزورق و قد خلف دوابه و غلمانة فى الموضع الذى ركب منه فلما رأيته نبل فى عيني و ملأ صدرى، فنزلت فعدوت إليه و قلت جعلت فداك فى مثل هذا اليوم- و أخذت بيده-.

فقال أعدك و اخلف يا ابن أخى اطلب لى برذونا اتكأراه فقلت له فاركب برذونى قال فأى شىء تركب؟ قلت برذون الغلام فقال هات فقدمت إليه برذونى فركبه و ركبت برذون غلامى و توجه يريد أبا عبيد الله و هو إذ ذاك على الخراج و المهدى ببغداد خليفة للمنصور و المنصور فى بعض أسفاره فلما طلع على حاجب أبى عبيد الله دخل بين يديه إلى نصف الدار و دخلت معه فلما رآه أبو عبيد الله قام من مجلسه و أجلسه فيه و جلس بين يديه فأعلمه عمارة حال الرجل و سألته اسقاط خراج و هو مائتا ألف درهم و اسلافه من بيت المال مائتى ألف درهم يردها فى العام المقبل، فقال: هذا لا يمكننى و لكنى أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال: لست أقبل غير ما سألت فقال: أبو عبيد الله فاقنع بدون هذا لتوجدنى السبيل إلى قضاء الحاجة فأبى عمارة و تلوم أبو عبيد الله قليلا فنهض عمارة فأخذ أبو عبيد الله بكمه.

و قال انى أتحمّل ذلك من مالى فعاد لمجلسه و كتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج باسقاط خراج الرجل لسنته و الاحتساب به على أبى عبيد الله

ص: ٢٤٧

و اسلافه مائتى ألف درهم يرتجع منه إلى العام المقبل فأخذت الكتاب و خرجنا فقلت لو أقمت عند أخيك و لم تعبر فى هذا المد فقال لا أجد بدا من العبور فصرت معه إلى الموضع و وقفت حتى عبر.

و اما استكناهما لتظهر (ففيه) «قال على بن الجعيد كانت بينى و بين يحيى البرمكى مودة و أنس فكنت أعرض عليه الرقاع فى الحوائج فكثرت رقاع الناس عندى و اتصل شغله فقصدته يوما و قلت له: يا سيدى قد كثرت الرقاع و امتلأ خفى و كمى فأما تطوّلت بالنظر و اما رددتها فقال لى أقم عندى حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده و جمعت الرقاع فى خفى و أكلنا و غسلنا أيدينا و قمنا إلى النوم و استحييت من اذكأره إياها و يأسست من عرضها لأننى قد علمت تقوم فنتشأغل بالشرب فنمت أنا و دعا هو بالرقاع من خفى فوقّع فى جميعها و ردها إليه و نام و انتبه فدخلت إليه فى مجلس الشرب و قد أعدت آلتة فيه فلم استجز ذكر الرقاع له و شربت و انصرفت بالعشى فبكر إلى أصحاب الرقاع لمّا وقفوا على اقامتى عنده فاعتذرت إليهم و ضاق صدرى بهم فدعوت بالرقاع لأميّزها و اخفف منها ما ليس بهمهم فوجدت التوقيعات فى جميعها فلم يكن لى همّة إلّا تفريقها و الركوب إليه لشكره، فلما رأيتة قلت يا سيدى قد تفضّلت و قضيت حاجتى فلم علقت قلبى و لم تعرّفنى حتى يتكامل سرورى، فقال لى سبحان الله أردت منى أن أمنّ عليك بأن أخبرك بما لا يجوز أن يخفى عليك.

(و فيه) قال ثمامة كان أصحابنا يقولون لم يكن يرى لجليس خالد البرمكى دار إلّا خالد بناها له و لا ضيعة إلّا و خالد حمله عليها و كان أوّل من سمّى المستميين و من يقصد العمال لطلب البرّ الزوار و كانوا قبل ذلك يسمّون السؤال فقال خالد انا استقبح لهم هذا الاسم و فيهم الاحرار

ص: ٢٤٨

و الاشراف و فى ذلك يقول بعض زوّاره.

حذا خالد فى جوده حذو برمك
و كان بنو الاعدام يدعون قبله
يسمّون بالسوال فى كل موطن
فسماهم الزوّار سرّاً عليهم
فجود له مستطرف و أثيل
باسم على الاعدام فيه دليل
و ان كان فيهم تافه و جليل
فاستاره فى المجتدين سدول

و اما تعجيلها لتهنؤ، ففي الخبر «لكلّ شىء ثمرة و ثمرة المعروف تعجيل السراح» و عن الجاحظ كتب إلى بعضهم «ان سحاب وعدك قد برقت فليكن و بلها سالما عن صواعق المظل و الاعتلال» و قال ابن حمدان: «عجل النجاح فان المظل بالوعد وعيد» و قال العتبي:

لا خير فى عدّة ان كنت ماطلها
الخير أنفعه للناس أعجله
و للوفاء على الاخلاف تفضيل
و ليس ينفع خير فيه تطويل

و قال البحتري فى خضر بن أحمد.

عجّل بالذى تنبيل يده
كاد ممّتاحه لسابق جدواه
ان بطء النوال من تنكيده
يكون الاصدار قبل و روده

و فى اللسان (اكرى العشاء) اخره قال الحطيئة.

(و أكريت العشاء إلى سهيل
أو الشعرى فطال بى الاناء)

قيل: هو يطلع سحرا و ما أكل بعده فليس بعشاء يقول انتظرت معروفك حتى أيسر هذا و فى المعجم: «كان بالكوفة امرأة موسرة لها على الناس ديون كثيرة بالسواد فأنت ابن عبدل الشاعر و عرضت له بأنها تتزوجه إذا اقتضى لها ديونها فقام بها حتى اقتضاها ثم طالبها- و كان ابن عبدل يأتى ابن بشر بن مروان بالكوفة فيسأله فيقول له: ا خمسمائة العام أحب إليك أم ألف فى قابل فيقول ألف فى قابل فإذا أتاه من قابل قال له ألف فى العام أحب إليك أم

الفان فى قابل؟ فيقول ألفان فى قابل، فلم يزل كذلك حتى مات ابن بشر و لم يعطه شيئا- فكتب المرأة إليه:

«سيخطيك الذى حاولت منى

فيقطع حبل و صلک من حبالى

كما اخطاك معروف ابن بشر

و كنت تعد ذلك رأس مال

ثم دخل ابن عبدل بعد على عبد الملك فقال له عبد الملك: ما أحدثت بعدى قال خطبت امرأة من قومی فردت على بيتى شعر- و ذكر له البيتین- فضحك عبد الملك و قال له لحاك الله اذكرت بنفسك و أمر له بألفى درهم^{٥٣٣}.

٤

الحكمة (٢٢٢) و قال عليه السلام:

مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ أَقُولُ: و نقلت (المصرية) (اعمال) بدل (افعال) تحريف و فى بيان الجاحظ جمع محمد بن على بن الحسين عليهم السلام صلاح شأن الدنيا بحذافيرها فى كلمتين فقال «صلاح شأن جميع التعايش و التعاشر ملاء مكيال ثلثاه فطنة و ثلثه تغافل» قال الجاحظ: «فلم يجعل عليه السلام لغير الفطنة نصيبا من الخير و لا حظا فى الصلاح لأن الانسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له و عرفه»^{٥٣٤}.

و فى الطبرى قال محمد بن أيوب بن جعفر بن سليمان كان بالبصرة رجل من بنى تميم- و كان شاعرا ظريفا خبيثا منكرا و كنت أنا و إلى البصرة آنس به و استحلّيه- فقلت له: أنت شاعر ظريف و المأمون أجود من السحاب الحافل فما يمنعك منه فعمل ارجوزة و خرج إلى الشام لما كان المأمون هنا لك

ص: ٢٥٠

قال الرجل: فيينا أنا قد ركبت نجيبى و لبست مقطعاتى و أنا أروم العسكر فإذا أنا بكهل على بغل فارة ما يقرّ قراره، فتلقانى مواجهة و أنا أردد نشيد ارجوزتى.

فقال: سلام عليكم بكلام جهورى فقلت و عليكم، قال قف ان شئت فوقفت فتضوعت منه رائحة العنبر و المسك الأذفر فقال ما أولك؟ قلت: رجل من مضر قال و نحن من مضر.

ثم ما ذا، قلت: من تميم، قال: ثم قلت: من سعد قال فما أقدمك هذا البلد قلت قصدت هذا الملك الذى ما سمعت بمثله أندى راحة قال: فما الذى قصدته به؟ قلت: شعر طيب يلذ على الأفواه، و تقتفيه الرواة قال: فأنشديه فغضبت و قلت يا ركيك أخبرتك انى قصدت الخليفة بشعر قلته و تقول انشدنيه- فتغافل و الله عنها و تطامن لها و ألغى عن جوابها.

^{٥٣٣} (١) معجم الادباء للحموي ١: ٢٣٣-٢٣٥، ترجمة الحكم بن عبدل.
^{٥٣٤} (٢) البيان و التبيين للجاحظ ١: ٨٤ مكتبة الخانجي، القاهرة.

قال: و ما الذى تأمل منه؟ قلت ان كان على ما ذكر منه فألف دينار قال فأنا أعطيكها ان رأيت الشعر جيّدا و الكلام عذبا واضح عنك العناء و طول الترداد و متى تصل إلى الخليفة و بينك و بينه عشرة آلاف راح و نابل قلت فلى الله عليك أن تفعل قال: نعم قلت: و معك الساعة مال؟ قال: «هذا بغلى و هو خير من ألف دينار» فغضبت أيضا و عارضنى نزق سعد و خفة أحلامه، فقلت ما يساوى هذا البغل هذا النجيب؟ قال: «فدع عنك البغل و لك الله على أن أعطيك الساعة ألف دينار» فأنشدته:

و صاحب المرتبة المنيفة

مأمون يا ذا المنن الشريفة

هل لك فى ارجوزة ظريفة

و قائد الكتيبة الكنيفة

لا و الذى أنت له خليفة

أظرف من فقه أبى حنيفة

أميرنا مؤنة خفيفة

ما ظلمت فى أرضنا ضعيفة

ص: ٢٥١

فالذئب و النعجة فى سقيفة

و ما أجتبى شيئا سوى الوظيفة

و اللص و التاجر فى قطيفة

فو الله ما عدا ان أنشدته فاذا زهاء عشرة الآف فرس قد سدوا الافق يقولون: السلام عليك أيها الخليفة فأخذنى أفكر و نظر إلى بتلك الحال، فقال: لا بأس عليك أى أخى قلت جعلت فداك أتعرف لغات العرب؟ قال: أى قلت فمن جعل منهم (الكاف) مقام (القاف) قال: حمير قلت: «لعنها الله و لعن من استعمل هذه اللغة بعد اليوم» فضحك و علم ما أردت - أى ان مرادى بالركيب الرقيق - و التفت إلى خادم إلى جانبه فقال: اعطه ما معك فأخرج إلى كيسا فيه ثلاثة الآف دينار فقال هاك، ثم قال: السلام عليك و مضى.

و فى (تاريخ بغداد)، قال أبو الصلت: أو قفنى المأمون ليلة عنده فكنا نتحدث حتى ذهب من الليل ما ذهب و أطفئ السراج، و نام القيم الذى كان يصلح السراج فدعاه فلم يجبه فأصلحه هو ثم انتبه الخادم فظننت أنه يعاقبه فقال ربما أكون فى المتوضأ فيشتمونى و لا يدرون انى أسمع فأعفو عنهم، و قال ابن البواب كان المأمون يحلم فى بعض الأوقات حتى يغيظنا جلس يوما يستاك على دجلة من بغداد من وراء ستيرة و نحن قيام بين يديه فمر فلأح و هو يقول بأعلى صوته:

«أ تظنون ان هذا المأمون ينبل في عيني و قد قتل أخاه» فوالله ما زاد على أن تبسم و قال لنا ما الحيلة عندكم حتى أنبل في عين هذا الرجل الجليل^{٥٣٥} و في السير كان صلاح الدين الأيوبي جالسا يوما و عنده جماعة فرمى بعض المماليك بعضا بسرموز فأخطأته و وقعت بالقرب من صلاح الدين فالتفت إلى

ص: ٢٥٢

الجهة الاخرى يكلم جليسه ليتغافل عنها»^{٥٣٦} و قال الشاعر:

«ليس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي»

٧

الحكمة (٢٣٢) و قال عليه السلام:

مَنْ يُعْطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةِ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةِ و معنى ذلك أن ما ينفقه المرء من ماله- في سبيل الخير و البر و إن كان يسيرا- فإن الله تعالى يجعل الجزاء عليه عظيما كثيرا- و اليدان هاهنا عبارة عن النعمتين- ففرق ع بين نعمة العبد- و نعمة الرب تعالى ذكره بالقصيرة و الطويلة- فجعل تلك قصيرة و هذه طويلة- لأن نعم الله أبدا- تضعف على نعم المخلوقين أضعافا كثيرة- إذ كانت نعم الله أصل النعم كلها- فكل نعمة إليها ترجع و منها تنزع أقول: هو نظير قول النبي صلى الله عليه و آله «اليد العليا خير من اليد السفلى» نقله المصنف في مجازاته النبوية ثم قال: «هذا القول مجاز لأنه صلى الله عليه و آله أراد باليد العالية يد المعطى، و باليد السافلة يد المستعطى، و لم يرد على الحقيقة ان هناك عاليا و سافلا و صاعدا و نازلا و انما أراد ان المعطى في الرتبة فوق الأخذ لأنه المفضل و المحسن المجمل، و ليس هذا في معطى الحق، و انما هو في معطى الرشد و مسترفده، و ليس المراد أنه خير في الدين، بل المراد أنه خير في النفع للسائلين و انما كنى النبي صلى الله عليه و آله عن هاتين الحالتين باليدين، لأن الأغلب أن يكون بهما الاعطاء و البذل و بهما القبض و الأخذ».

ص: ٢٥٣

و في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه و آله «الأيدي ثلاثة: سائلة و منفقة و ممسكة، و خير الأيدي المنفقة» و عن معلى بن خنيس «خرج أبو عبد الله عليه السلام في ليلة قد رشّت و هو يريد ظلّة بنى ساعدة فاتبعته فاذا هو قد سقط منه شيء فقال:

«اللهم رد علينا» فأتيته و سلمت فقال: معلى؟ قلت نعم، قال: «التمس لى بيدك فما وجدت فادفعه الىّ» فاذا أنا بخبز كثير منتشر، فجعلت ادفع إليه ما أجد فاذا أنا بجراب أعجز عن حمله من خبز فقلت جعلت فداك أحمله على رأسي، فقال لا، أنا أولى به منك و لكن امض معي فأتينا ظلّة بنى ساعدة فاذا نحن بقوم نيام فجعل يدسّ الرغيف و الرغيفين تحت رؤوسهم حتى

^{٥٣٥} (١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٠: ١٨٩- دار الفكر- بيروت.
^{٥٣٦} (١) الكامل في التاريخ لابن الأثير ١٢: ٩٦- دار صادر- بيروت.

أتى على آخرهم ثم انصرفنا فقلت: جعلت فداك يعرف هؤلاء الحق؟ فقال لو عرفوه لو اسيناهم بالدقة- أى الملح- ثم قال عليه السلام: ان الله تعالى لم يخلق شيئاً إلّا و له خازن يخزنه إلّا الصدقة فان الرب تعالى يليها بنفسه، و كان أبى عليه السلام إذا تصدّق بشيء و أعطاه السائل ارتده منه فقبله و شمّه ثم ردّه فى يد السائل- الخبر- قلت: و قوله عليه السلام «ان الله تعالى» إلى قوله «فى يد السائل» اشارة إلى قوله تعالى «و يأخذ الصدقات» ثم فى ذيل الخبر «مر عيسى عليه السلام على شاطئ البحر، فرمى بقرص من قوته فى الماء فقال له بعض الحواريين يا روح الله لم فعلت هذا و انما هو من قوتك فقال فعلت هذا لدابة تأكله من دواب الماء و ثوابه عند الله عظيم.

هذا، و كما ان قوله عليه السلام «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة» و قول النبی صلی الله عليه و آله «اليد العليا خير من اليد السفلى» كناية و استعاره كقول النبی صلی الله عليه و آله لأزواجه «اسرعكنّ لحاقا بى أطولكنّ يدا» فلم يفهم مراده صلی الله عليه و آله و ظنّ أنّه صلی الله عليه و آله أراد بطول اليد الجارحة حتى ماتت أولاهن زينب بنت جحش- و كانت امرأة كثيرة الصدقة و كانت صناعا تصنع بيدها و تتبعه و تتصدق

ص: ٢٥٤

به- ففهم مراده صلی الله عليه و آله و كانت أطولهن جارحة عايشة على قول الجاحظ^{٥٣٧} و سودة على قول البلاذرى فروى عن الشعبي: «ان النبی صلی الله عليه و آله قال لنسائه:

«أطولكن يدا أسرعكن بى لحاقا» فكانت سودة أطولهن يدا فلما توفيت زينب قلن صدق رسول الله صلی الله عليه و آله كانت زينب أطولنا يدا فى الخير».

و عن عايشة «لقد نالت زينب شرفا لا يبلغه شرف، زوجها الله نبيه و نطق بذلك كتابه، و قال النبی صلی الله عليه و آله: و نحن حوله «أسرعكن لحوقا بى أطولكن يدا» فبشرها بسرعة لحاقها به و انها زوجته فى الجنة.

٨

الحكمة (٢٥٧) و قال عليه السلام لكميل بن زياد النخعي:

يَا كَمِيلُ؟ مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ- وَ يُدْلِجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْهُ نَائِمٌ- فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ- مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا- إِلَّا وَ خَلَقَ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا- فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي أَنْجِدَارِهِ- حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ «يَا كَمِيلُ مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ» فى (ذيل الطبرى) «قال النبی صلی الله عليه و آله لسائب بن أبى السائب: ألم تكن شريكى فى الجاهلية؟ قال نعم بأبى أنت و أمى نعم الشريك كنت لا تمارى و لا تبارى فقال لى رسول الله صلی الله عليه و آله:

^{٥٣٧} (١) البيان و التبيين للجاحظ ٣: ١٤٥، و الحديث «اسرعكنّ بى لحوقا أطولكن يدا».

يا سائب انظر الأخلاق الحسنة التي كنت تصنعها في الجاهلية، فأصنعها في الاسلام اقر الضيف و احسن إلى اليتيم و اكرم الجار^{٥٣٨} و قال صلى الله عليه و آله: بعثت لاتمم مكارم الأخلاق.

ص: ٢٥٥

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام «المكارم عشر، فان استطعت أن تكون فيك فلتكن فانها تكون في الرجل و لا تكون في ولده و تكون في الولد و لا تكون في أبيه و تكون في العبد و لا تكون في الحر، قيل و ما هن؟ قال: صدق البأس، و صدق اللسان، و أداء الامانة، و صلة الرحم، و اقراء الضيف، و اطعام السائل، و المكافاة على الصنائع، و التذمم للجار، و التذمم للصاحب، و رأسهن الحياء».

و روى نوادر معيشة (الكافي) عن معاوية بن عمار عن الصادق عليه السلام لا تمنعوا قرض الخمير و الخبز و اقتباس النار فانه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق.

و روى عن الصادق عليه السلام ان الله تعالى خص الأنبياء بمكارم الأخلاق فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك و الا تكن فيكم فاسألوا الله فيها و ذكرها عشرة اليقين و القناعة و الصبر و الشكر و الحلم و حسن الخلق، و السخاء و الغيرة و الشجاعة و المروءة - و زاد في خبر - صدق الحديث و أداء الامانة».

«و يدلجوا في حاجة من هو نائم» من (أدلج) إذا سار من أول الليل.

«فو الذي وسع سمعه الأصوات» (يسمع السر و أخفى).

«ما من أحد أودع قلبا سرورا إلّا و خلق الله له من ذلك السرور لطفًا» في ثواب الأعمال عن النبي صلى الله عليه و آله ما من عبد يدخل على أهل بيت مؤمن سرورا إلّا خلق الله له من ذلك السرور خلقا يجيئه يوم القيامة كلّما مرت عليه شديدة يقول: يا ولي الله لا تخف فيقول له من أنت فلو ان الدنيا كانت لي ما رأيتها لك شيئا فيقول أنا السرور الذي ادخلت على آل فلان.

«فاذا نزلت به نائبة» من نوائب الدهر و مصائبه.

«جری» ذلك اللطف.

«إليها» أي: إلى تلك النائبة.

ص: ٢٥٦

«كالماء في انحداره» أي: في سرعته.

^{٥٣٨} (٢) ذيل المذيّل للطبري، من كتاب الطبري: ٦٠ - مؤسسة الأعلمي - بيروت.

«يطردها عنه» من (اطردت الابل).

«كما تطرد غريبة الابل» فى المعجم «قدم على ابن مروان- صاحب ديار بكر- شاعر من المعجم يعرف بالغسانى، و كان من عادة ابن مروان إذا قدم عليه شاعر يكرمه و ينزله، و لا يجتمع به إلى ثلاثة أيام ليستريح من سفره و يصلح شعره ثم يستدعيه. و اتفق ان الغسانى لم يكن أعد شيئا فى سفره ثقةً بقريحته فأقام ثلاثة أيام فلم يفتح عليه يعمل بيتا واحدا و علم أنه يدعى و لا يليق أن يلتقى الأمير بغير مديح فأخذ قصيدة من شعر الحسن بن أسد الفارقى لم يغير فيها إلّا اسمه.

و اعلم ابن مروان بذلك فغضب و قال يجىء هذا العجمى فيسخر منّا ثم أمر بمكاتبة ابن اسد، و أمر أن يكتب القصيدة بخطّه و يرسلها إليه فخرج بعض الحاضرين فانهى القضية إلى الغسانى- و كان هذا بآمد- و كان له غلام جلد فكتب من ساعته إلى ابن اسد كتابا بأنى قدمت على الأمير فارتج على قول الشعر مع قدرتى عليه فادّعت قصيدة من شعر ك استحسنانا لها و عجا بها و مدحت بها الأمير، و لا أبعد أن تسأل عن ذلك فان سألت فرأيتك الموفق فى الجواب».

فوصل غلام الغسانى قبل كتاب ابن مروان، فأجاب ابن مروان بأنى لا أعرف هذه القصيدة، و لا قائلها فلما ورد الجواب عليه عجب من ذلك و شتم الساعى و قال انما قصدكم فضيحتى بين الملوك حسدا منكم لمن احسن إليه ثم ازداد فى الاحسان إلى الغسانى و انصرف الغسانى إلى بلاده فلم يمض على ذلك إلّا مديدة حتى اجتمع أهل ميفارقين إلى ابن أسد و دعوه إلى أن يؤمروه عليهم و يساعدوه على العصيان و اقامة الخطبة للسلطان ملكشاه

ص: ٢٥٧

و حده اسقاط اسم ابن مروان من الخطبة فأجابهم إلى ذلك و بلغ ذلك ابن مروان فحشد له و نزل على ميفارقين فأعجزه أمرها فأنفذ إلى نظام الملك و السلطان يستمدهما فأنفذا إليه جيشا و مددا مع الغسانى المذكور، و كان قد تقدم عند نظام الملك و السلطان و صار من أعيان الدولة و صدقوا فى الزحف على المدينة حتى أخذوها عنوة و قبض على ابن أسد و جىء به إلى ابن مروان فأمر بقتله فقام الغسانى و شدّد العناية فى الشفاعة فيه فامتنع ابن مروان امتناعا شديدا من قبول شفاعته و قال: ان ما اعتمده فى شق العصا يوجب أن يعاقب بالقتل.

فقال: بينى و بين هذا الرجل ما يوجب قبول شفاعتى فيه، و أنا أتكفل به الا يجرى منه بعد شىء يكره فاستحىي منه و أطلقه له فاجتمع به الغسانى و قال: أ تعرفنى؟ قال: لا و الله و لكنى أعرف أنك ملك من السماء من الله بك على بقاء مهجتي فقال له: أنا الذى ادّعت و سترت علىّ و ما جزاء الاحسان إلّا الاحسان، فقال ابن أسد: ما رأيت قصيدة جحدت فنفعت صاحبها أكثر من نفعها إذا ادّعاها، غير هذا فجزاء الله عن مروءتك خيرا، و انصرف الغسانى من حيث جاء.

(أيضا) حبس أحمد بن طولون، ابن داية فاجتمع زهاء ثلاثين رجلا ممن يموّنه و دخلوا على بن طولون و قالوا ليس لنا أن نسأل الأمير مخالفة ما يراه فى ابن داية و انما نسأله ان أثر قتله ان يقتلنا قال: و لم؟ فقالوا لنا ثلاثون سنة ما فكّرنا فى ابتياع شىء ممّا احتجنا إليه و لا وقفنا بباب غيره و نحن و الله نرفض البقاء بعده و عجّوا بالبكاء بين يديه فقال لهم: بارك الله عليكم فقد كافأتم احسانه و جازيتم إنفاقه، ثم قال: احضروه فاحضر، فقال لهم: خذوا

بيد صاحبكم و انصرفوا فخرجوا معه و انصرف إلى منزله^{٥٣٩}.

(أيضا) بعث ابن طولون في الساعة التي توفي فيها ابن داية المذكور بخدم فهجموا الدار، و طالبوا بكتبه مقدرين ان يجدوا فيها كتابا من أحد ممّن ببغداد فحملوا صندوقين و قبضوا على ابنه و صاروا بهما إلى داره و ادخلا إليه، و عنده رجل من أشرف الطالبين فأمر بفتح أحد الصندوقين و ادخل خادم يده على دفتر جراياته على الاشراف و غيرهم فأخذ الدفتر بيده و تصفحه - و كان جيد الاستخراج - فوجد اسم الطالبى الذى عنده فى الجراية فقال: كانت عليك جراية ليوسف بن داية؟ قال: نعم أيها الأمير دخلت هذه المدينة و أنا مملق فأجرى علىّ فى كلّ سنة مائتى دينار اسوة بابن الأرقط و العقيقى و غيرهما.

ثم امتلأت يداى من طول الأمير فاستعفيته منها فقال لى: نشدتك الله الا قطعت سببا لى برسول الله صلى الله عليه و آله - و تدمع الطالبى - فقال ابن طولون: رحم الله يوسف، ثم قال لولده: انصرفوا إلى منازلكم فلا بأس عليكم فانصرفوا و لحقوا جنازة أبيهما، و حضر ذلك العلوى و أحسن مكافأة أبيهم فى خلفه^{٥٤٠}.

و فى (مستجد التنوخى) عن على بن صالح البلخى عن بعض شيوخه عن شيبه الدمشقى، قال كان فى أيام سليمان بن عبد الملك رجل يقال له خزيمة بن بشر من بنى أسد بالرقّة و كانت له مروءة و نعمة حسنة و فضل و بر بالاخوان فلم يزل على تلك الحال حتى احتاج إلى اخوانه الذين كان يتفضل عليهم فواسوه حينئذ لمّوه، فلما لاح له تغيرهم أتى امرأته فقال لها قد رأيت من اخوانى - تغيرا و قد عزمت على لزوم بيتى إلى أن يأتينى الموت

و أغلق بابه عليه و أقام يتّقوت بما عنده حتى نفذ و بقى حائرا فى أمره و كان عكرمة الفياض الربعى و اليا على الجزيرة فبينما هو فى مجلسه و عنده جماعة من أهل البلد إذ جرى ذكر خزيمة بن بشر فقال عكرمة ما حاله؟ فقالوا صار من سوء الحال إلى أن أغلق بابه و لزّم بيته فقال فما وجد مواسيا و لا مكافيا قالوا لا فأمسك.

ثم لمّا كان الليل عمد إلى أربعة آلاف دينار فجعلها فى كيس ثم أمر بأسراج دابته و خرج سرا من أهله فركب و معه غلام من غلمانة يحمل المال ثم سار حتى وقف بباب خزيمة فأخذ الكيس من الغلام.

ثم أبعده و تقدّم إلى الباب فدقّه بنفسه فخرج إليه خزيمة فناوله الكيس و قال له اصلح بهذا شأنك فتناوله خزيمة فرآه ثقيلًا فوضعه ثم أمسك لجام الدابة و قال له من أنت؟ جعلت فداك قال: ما جئتك هذه الساعة و أنا أريد أن تعرفنى قال خزيمة فما أقبله إلّا و تخبرنى من أنت قال أنا جابر عثرات الكرام قال زدنى قال لا ثم مضى و دخل خزيمة بالكيس فقال لامرأته ابشرى فقد أتى الله بالفرج و لو كانت فلوسا فهى كثيرة قومية فاسرجى، قالت لا سبيل إلى السراج فبات يلمسها فيلمس خشونة

^{٥٣٩} (١) معجم الادباء للحموي ٣: ١٥٦.

^{٥٤٠} (٢) المصدر نفسه ٣: ١٥٨ - ١٥٩.

الدنانير و لا يصدّق و رجع عكرمة إلى منزله فوجد امرأته قد افتقدته و سألت عنه فأخبرت بركوبه منفردا فارتابت لذلك فشقت جيبها و لطمت خدّها فلما رآها قال لها ما دهاك؟ قالت غدرت بابنة عمك قال و ما ذاك؟ قالت أمير الجزيرة يخرج بعد هدأة من الليل منفردا من غلمانة في سر من أهله و الله ما يخرج إلّا إلى زوجة أو سريّة قال لقد علم الله اني ما خرجت إلى واحدة منهما قالت فخيرني فيم خرجت؟ قال يا هذه لم أخرج في هذا الوقت و أنا أريد أن يعلم بى أحد قالت لا بد قال فاكتميه اذن قالت أفعل فأخبرها بالقصة على وجهها و ما كان من قوله و رده عليه.

ص: ٢٦٠

قال ثم أصبح خزيمة فصالح الغرماء و أصلح من حاله.

ثم تجهز يريد سليمان بن عبد الملك بفلسطين و بلا وقف ببابه دخل الحاجب فأخبره بمكانه. و كان مشهور المروءة و كان سليمان به عارفا فاذن له فلما دخل عليه قال ما أبطأك عنّا؟ قال سوء الحال، قال فبم نهضت؟ قال: لم أعلم بعد هدأة من الليل إلّا و رجل طرق بابي فكان منه كيت و كيت - و أخبره بقصته فقال له هل تعرفه؟ قال: لا قال: كان متنكرا إلّا أن سمعت منه أنّه جابر عثرات الكرام فتلهف سليمان على عدم معرفته و قال لو عرفنا لأعناه على معرفته.

ثم قال علىّ بقناه فأتى بها فعقد لخزيمة على الجزيرة على عمل عكرمة الفياض فخرج خزيمة إلى الجزيرة فلما قرب منها خرج عكرمة و أهل البلد للقاءه فسلم عليه.

ثم سارا جميعا إلى أن دخلا باب خزيمة إلى دار الامارة و أمر أن يؤخذ عكرمة و ان يحاسب فحوسب فوجدت عليه فضول كثيرة فطلبه بادائها قال ما هي عندي فاصنع ما أنت صانع فأمر به إلى الحبس ثم بعث إليه يطالبه فأرسل اني لست ممّن يصون ماله بعرضه فاصنع ما شئت فأمر به فكبل بالحديد و اقام كذلك شهرا أو أكثر فأضناه ذلك و بلغ ابنة عمّه ضره فجزعت ثم دعت مولاة لها ذات عقل و قالت امضى الساعة إلى باب هذا الأمير فقولى عندي نصيحة فاذا طلبت منك فقولى لا أقولها إلّا للأمير فاذا دخلت عليه فسلية ان يخليك فاذا فعل فقولى له ما كان هذا جزاء جابر عثرات الكرام منك كافأته بالحبس و الضيق و الحديد ففعلت ذلك فلما سمع خزيمة قولها قال و اسوأته و أنّه لهو قالت نعم فأمر من وقته بدابته فاسرجت و بعث إلى رءوس أهل البلد فجمعهم و أتى بهم إلى باب الحبس ففتح و دخل خزيمة و من معه فألفى عكرمة

ص: ٢٦١

في قاع الحبس متغيّرا قد أضناه الضر فلما نظر إليه عكرمة و إلى الناس احشمه ذلك و نكس رأسه فأقبل خزيمة حتى أكبّ على رأسه فقبله فرفع عكرمة رأسه إليه و قال ما أعقب هذا منك؟ قال كريم فعلك و سوء مكافأتى قال يغفر الله لنا و لك.

ثم أمر الحداد ففك القيد عنه و أمر خزيمة أن يوضع في رجل نفسه فقال عكرمة تريد ما ذا؟ قال: أريد أن ينالني من الضر مثل ما نالك فقال اقسم عليك بالله ألا تفعل فخرجا جميعا إلى أن وصل دار خزيمة فودّعه عكرمة و أراد الانصراف قال ما أنت بيارح حتى أغير من حالك و حيائي من ابنة عمك أشد من حيائي منك.

ثم أمر بالحمام فأخلى و دخلا جميعا ثم قام خزيمة فتولى خدمته بنفسه ثم خرجا فخلع عليه و حمل عليه مالا كثيرا ثم سار و معه إلى داره و استأذنه في الاعتذار إلى ابنة عمه فاذن له فاعتذر لها و تذمم من فعله ذلك ثم سأله أن يسير معه إلى سليمان فأُنعِمَ له بذلك فسارا حتى قدما عليه فدخل الحاجب فأخبره بقدوم خزيمة فراعاه ذلك و قال و الى الجزيرة يقدم بغير أمرنا ما هذا إلّا لحادث عظيم فلما دخل عليه قال له قبل أن يسلم ما وراك يا خزيمة؟

قال خير، قال فما الذي أقدمك؟ قال ظفرت بجابر عثرات الكرام فأحببت ان أسرك به لمّا رأيت من تلهفك و شوفك إلى رؤيته قال و من هو؟ قال: عكرمة الفياض فاذن له في الدخول فدخل فرحب به و أدناه من مجلسه و قال يا عكرمة ما كان ضرك له إلّا و بالا عليك.

ثم قال اكتب حوائجك كلّها في رقعة قال أو يعطيني الخليفة قال لا بد ثم دعا بدواة و قرطاس و قال اعتزل و اكتب ففعل فأمر بقضائها جميعا من ساعة و أمر له بعشرة آلاف دينار و سفتين من ثياب ثم دعا بقناة و عقد له على

ص: ٢٦٢

الجزيرة و ارمينية و اذربيجان و قال له أمر خزيمة إليك ان شئت أبقيته و ان شئت عزلته قال بل أردّه إلى عمله ثم انصرفا و لم يزالا عاملين لسليمان بن عبد الملك مدّة خلافته^{٥٤١}.

و في (تاريخ بغداد)، قال أبو خليفة: كان في جوارنا رجل حدّاد فاحتاج في أمر له أن يتظلم أيام الواثق فشخص إلى سر من رأى ثم عاد فحدّثنا أنّه رفع قصته إلى الواثق فأمر برد أمره إلى ابن داود و أمر جماعة المتظلمين فحضروا فنظر في أمورهم و تشوفت لينظر في أمرى و رقعتى بين يديه فأومأ اليّ بالانتظار فانتظرت حتى لم يبق أحد دعانى فقال أ تعرفنى فقلت لا أنكر القاضي أعزّه الله فقال و لكنى أعرفك مضيت يوما في الكلا فانتقطعت نعلى فأعطيتنى شسعا لها، فقلت لك انى أحبوك بثواب ذلك فتكرهت قولى و قلت و ما مقدار ما فعلت امض في حفظ الله.

ثم قال و الله لا صلح زمانك كما أصلحت نعلى ثم وقع لى فى ظلامتى و وهب لى خمسمائة دينار، و قال ذرنى فى كل وقت. قال أبو خليفة فرأيناه متمتع الحال بعد ان كان مضيقا^{٥٤٢}.

و في (الأغانى) عن إبراهيم بن المدبر قال جاءنى يوما محمد بن صالح الحسنى بعد أن أطلق من حبس المتوكل فقال: انى أريد المقام عندك اليوم على خلوة لأبشك من أمرى شيئا لا يصح ان يسمعه غيرنا فقلت افعل فصرفت من كان بحضرتى و خلوت معه و أمرت برد دابته و أخذ ثيابه فلما اطمأن و أكلنا و اصطبحنا قال أعلمك انى خرجت فى سنة كذا و كذا و معى أصحابى على القافلة الفلانية فقاتلنا من كان فيها فهزمناهم و ملكنا القافلة فبينما أنا أحوزها

ص: ٢٦٣

^{٥٤١} (١) التوخي، المستجاد من فعلات الأجواد: ٢٦ - ٣٢.

^{٥٤٢} (٢) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ٤: ١٤٦ ترجمة أحمد بن أبي داود.

و انيخ الجمال إذ طلعت على امرأة من العمارية ما رأيت قط أحسن وجهها منها و لا أحلى منطقاً فقالت يا فتى ان رأيت أن تدعو لى بالشريف المتولى أمر هذا الجيش فقلت قد رأيته و سمع كلامك فقالت سألتك بحق الله و حق رسوله أنت هو؟ فقلت نعم فقالت:

«أنا حمدونة بنت عيسى بن موسى بن أبى خالد الحرى و لأبى محل من السلطان و لنا منعة ان كنت ممن سمع بها و ان كنت لم تسمع فسل غيرى و والله لا استأثرت عنك بشيء أملكه، و لك بذلك عهد الله و ميثاقه على ما أسألك إلا أن تصوننى و تسترنى و هذه ألف دينار معى لنفقتى فخذها حالاً و هذا حلى على من خمسمائة دينار فخذ و ضمانى ما شئت بعده اخذه لك من تجار المدينة أو مكة أو أهل الموسم فليس منهم أحد يمنعنى شيئاً أطلبه، و ادفع عنى و احمنى من أصحابك و من عار يلحقنى» فوقع قولها من قلبى موقعا عظيما فقلت قد وهب الله مالک و جاهک و حالک و وهبت لك القافلة بجميع ما فيها.

ثم خرجت فنادت فى أصحابى فاجتمعوا فقلت انى قد اجرت هذه القافلة و أهلها و خفرتها و حميتها و لها ذمة الله و ذمة رسوله و ذمتى فمن أخذ منها خيطا أو عقالا فقد أذنته بحرب فانصرفوا معى، فلما أخذت و حبست بينا أنا ذات يوم فى محبسى إذ جاءنى السجان و قال لى ان بالبواب امرأتين تزعمان انهما من أهلك و قد حظر على أن يدخل عليك أحد إلا انهما اعطتاني دملج ذهب ان أوصلهما إليك و هاهما فى الدهليز فأخرج إليهما ان شئت ففكرت فى من يجيئنى فى هذا البلد و أنا غريب لا أعرف أحدا ثم قلت لعلهما من ولد أبى أو بعض نساء أهلى، فخرجت إليهما فاذا بصاحبتى فلما رأتى بكت لما رأت من تغير خلقى و ثقل حديدى، فأقبلت عليها الاخرى فقالت أهو هو؟! فقالت أى و الله

ص: ٢٤٤

أنه لهو هو ثم أقبلت على فقالت: فداك أبى و امى و الله لو استطعت أن أقيك ممّا أنت فيه بنفسى و أهلى لفعلت و كنت بذلك منى حقيقا، و والله لا تركت المعاونة لك و السعى فى حاجتك و خلاصك بكلّ حيلة و مال و شفاعه و هذه دنائير و ثياب و طيب فاستعن بها على موضعك و رسولى يأتيك كلّ يوم بما يصلحك حتى يفرّج الله عنك، ثم أخرجت إلى كسوة و طيبا و مائتى دينار، و كان رسولها يأتينى فى كل يوم بطعام نظيف و يتواصل برها بالسجان فلا يمتنع من كلّ شيء أريده حتى من الله علىّ بخلاصى ثم راسلتها فخطبتها فقالت أما من جهتي فأنا لك متابعة مطيعة و الأمر إلى أبى فأتيته فخطبتها إليه فردنى و قال ما كنت لأحقق عليها ما قد شاع فى الناس عنك فى أمرها و قد صيرتنا فضيحة فقممت من عنده منكسا مستحييا و قلت له فى ذلك:

أحق أدال الله منهم معجلا

رمونى و إياها بشنعاء هم بها

عيانا فأما عفة أو تجملا

بأمر تركناه و ربّ محمد

قال إبراهيم ابن المدبر فقلت له ان عيسى صنيعة أخى و هو لى مطيع و أنا أكفيك أمره فلما كان من الغد لقيت عيسى فى منزله و قلت له جئتكم فى حاجة فقال مقضية فقلت جئتكم خاطبا إليك ابنتك.

فقال هي لك امه و أنا لك عبد و قد أجبتك فقلت اني خطبتها على من هو خير مني أبا و أما و أشرف صهرا و متصلا محمد بن صالح العلوي فقال لي يا سيدي هذا رجل قد لحقنا بسببه ظننه و قيلت فينا أقوال فقلت أ فليست باطلة؟

قال: بلى، قلت فكأنها لم تغفل و إذا وقع النكاح زال كل قول و شنيع، و لم أزل أرفق به حتى أجاب، و بعثت إلى محمد بن صالح فأحضرتة و ما برحت حتى زوجته و سقت الصداق عنه^{٥٢٣} و فيه بعث ابن الزبير ابن الأزرق المخزومي على بعض

ص: ٢٦٥

أعمال اليمن فأعطى أعطية سنية و بث في قريش منها أشياء جزيلة فأثنت عليه قريش و وفدوا إليه فأسنى لهم العطايا و بلغ ذلك ابن الزبير فحسده و عزله بابراهيم بن سعد بن أبي وقاص فلما قدم عليه أراد أن يحاسبه.

فقال له مالك عندى حساب و لا بيني و بينك عمل و قدم مكة فخافت قريش ابن الزبير عليه أن يفتشه أو يكشفه فلبست السلاح و خرجت إليه لثمنه فلما لقيهم نزلت إليه قريش فسلمت عليه و بسطت له أرديتها و تلقتة امائمهم و ولأئدهم بمجامر الالوة و العود المندلي يبخرون بين يديه حتى انتهى إلى المسجد و طاف بالبيت.

ثم جاء إلى ابن الزبير فسلم عليه و هم معه مطيفون به فعلم ابن الزبير أنه لا سبيل له إليه فما عرض و لا صرح له بشيء و مضى إلى منزله.

و فى الجهشياري «كان عبد الله بن أبي فروة، و عبد الملك بن مروان، و مصعب بن الزبير فى حادثهم اخلاء لا يكادون يفترقون، و كان إذا اكتسى عبد الملك كسوة اكتسى الخليلان مثلها فاكتمى عبد الملك حلة، و اكتسى ابن أبي فروة مثلها، و بقى مصعب لا يجد ما يكتسى به- و كان أقلهم شيئا- فذكر ابن أبي فروة ذلك لأبيه فكساه مثل حليتهما على يد ابنه فلما ولى مصعب العراق استكتب ابن أبي فروة فكان عنده يوم إذ أتى مصعب بعقد جوهر قد أصيب فى بعض بلاد العجم لبعض ملوكهم لا يدري ما قيمته، فجعل مصعب يقلبه و يعجب منه.

ثم قال لابن أبي فروة ايسر ك ان أهبه لك قال نعم و الله أيها الأمير فدعه إليه فرآه قد سر به سرورا شديدا فقال مصعب: و الله لأننا بالحلة يوم كسوتينها أشد سرورا منك بهذا، الآن، و كان العقد سبب غناء ابن أبي فروة و غنا عقبه، و ذكر مصعب الزبيرى ان عامل خراسان وجد كنزا فيه نخلة كانت

ص: ٢٦٦

مصنوعة من الذهب لكسرى عثاكيلها من لؤلؤ و جوهر و ياقوت أحمد و أحضر فحملها إلى مصعب فجمع لها المقومين فقوّموها بألفى ألف دينار فقال إلى من أدفعها؟ ف قيل إلى نسائك و أهلك فقال لا بل أرفعها إلى رجل قدم عندنا يدا و أولانا جميلا

^{٥٢٣} (١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ١٦: ٣٦٤-٣٦٧.

أدعوا عبد الله بن أبي فروة فدفعها إليه فلما قتل مصعب كاتب عبد الملك و بذل له مالا فسلم منه بماله - و كان أيسر أهل المدينة -.

٩

الحكمة (٢٧) و قال عليه السلام:

أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ أَقُولُ: فإذا أشاعه فهو دليل حرصه على الدنيا لازهده فيها فالزهد ليس ترك التمتع من نعمه تعالى بل ترك التعلق بالدنيا كما قال تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَ لَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^{٥٤٤} فقالوا عليهم السلام جمع الله تعالى الزهد في هاتين الكلمتين، و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: بينا أنا في المطاف و إذا برجل يجذب ثوبى، و إذا هو عباد بن كثير البصرى.

فقال يا جعفر بن محمد تلبس مثل هذه الثياب!! و أنت في هذا الموضع مع المكان الذى أنت فيه من على فقلت ثوب قرقبى اشتريته بدينار و كان على عليه السلام فى زمان يستقيم له ما لبس و لو لبست مثل ذلك اللباس فى زماننا لقال الناس هذا وراء مثل عباد و روى أيضا اعتراض سفيان الثورى عليه عليه السلام فى لباسه، و قال له ما لبس النبى صلى الله عليه و آله مثل ذلك فقال عليه السلام: ان النبى صلى الله عليه و آله كان فى زمان قتر مقتر و ان الدنيا أرخت بعد ذلك عزاليها فأحق أهلها بها أبرارها

ص: ٢٤٧

- ثم تلا عليه السلام «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ»^{٥٤٥} - و نحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله غير انى يا ثورى ما ترى على من ثوب لبسته للناس - ثم اجتذب يد سفيان إليه و رفع الثوب الأعلى و أخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظا - فقال هذا لبسته لنفسى و ما رأيته للناس.

- ثم جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ جش و داخل ذلك ثوب لين - فقال لبست أنت هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسترها.

١٠

الحكمة (٣٣) و قال عليه السلام:

كُنْ سَمَحًا وَ لَا تَكُنْ مُبَذِّرًا - وَ كُنْ مُقَدِّرًا وَ لَا تَكُنْ مُقْتِرًا أَقُولُ: التبذير و التقدير مذمومان أما الأول فقال تعالى: «وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَ كَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا»^{٥٤٦}.

^{٥٤٤} (١) الحديد: ٢٣.

^{٥٤٥} (١) الاعراف: ٣٢.

و أما الثانى فقال تعالى: «قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا»^{٥٤٧} و إنما الممدوح السمع المقدر فقال تعالى: «وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»^{٥٤٨}.

و فى الخبر أخذ الصادق عليه السلام قبضةً من حصى و قبضها بيده فقال هذا «الاقتار» الذى ذكره الله تعالى.

ص: ٢٦٨

ثم أخذ قبضةً أخرى و أرحى كفّه كلّها ثم قال هذا «الاسراف» الذى ذكره تعالى ثم أخذ قبضةً أخرى فأرحى بعضها و أمسك بعضها و قال هذا «القوام» الذى ذكره تعالى.

و فى (الكافى) جاء سائل إلى الصادق عليه السلام فقام إلى مكتل فيه تمر فملاً يده فناوله ثم جاء آخر فسأله فقام فأخذ بيده فناوله، ثم جاء آخر فسأله فقام فأخذ فناوله بيده ثم جاء آخر فقال عليه السلام: الله رازقنا و إياك ثم قال ان النبى صلى الله عليه و آله كان لا يسأله أحد إلّا أعطاه فأرسلت امرأة ابنها إليه يسأله و قالت له: فإن قال ليس عندنا شيء فقل اعطنى قميصك، ففعل فأخذ صلى الله عليه و آله قميصه فرمى به إليه فأدبه الله تعالى على القصد فقال: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَ لَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا»^{٥٤٩} و روى ان الكاظم عليه السلام سئل عن النفقة على العيال فقال بين المكروهين الاسراف و الاقتار.

١١

الحكمة (٢٢٥) و قال عليه السلام:

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا اخْتَصَّهُمُ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ - فَيُقَرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا - فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ «ان لله عبادا اختصهم الله بالنعم لمنافع العباد» هكذا فى (المصرية) و الصواب: ان «لله عبادا يختصهم بالنعم» إلخ كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و يشهد لكونه «يختصهم» السياق فبعده «فيقرها» و لزيادة لفظ الجلالة تقدمه هذا و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام «ان من بقاء المسلمين و بقاء الاسلام ان تصير الاسراء

ص: ٢٦٩

الأموال عند من يعرف فيها الحق يصنع فيها المعروف و ان من فناء الاسلام و فناء المسلمين ان تصير الأموال فى أيدي من لا يعرف فيها الحق و لا يصنع فيها المعروف» و عن الباقر عليه السلام: «ان الله تعالى جعل للمعروف أهلا من خلقه حبب إليهم فعاله و وجّه لطلاب المعروف الطلب إليهم و يسر لهم قضاءه كما يسر الغيث للأرض المجدبة ليحييها و يحيى به أهلها و أنّه تعالى جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف و بغض إليهم فعاله و حظر على طلاب المعروف الطلب و حظر

^{٥٤٦} (٢) الاعراف: ٣٢.

^{٥٤٧} (٣) الاسراء: ٢٦-٢٧.

^{٥٤٨} (٤) الاسراء: ١٠٠.

^{٥٤٩} (١): ٢٩.

عليهم قضاءه كما حرّم الغيث على الأرض المجدبة ليهلكها و يهلك أهلها» و عن الصادق عليه السلام: «ان للجنة بابا يقال له المعروف لا يدخله إلّا أهل المعروف» و عنه عليه السلام «أهل المعروف فى الدنيا هم أهل المعروف فى الآخرة يقال لهم ان ذنوبكم قد غفرت لكم فهبوا حسناتكم لمن شئتم» و عنه عليه السلام قالوا للنبي صلّى الله عليه و آله ان أهل المعروف يعرفون بمعروفهم فى الدنيا فبم يعرفون فى الآخرة؟ فقال إذا ادخل الله تعالى أهل الجنة الجنة أمر ريحا عبقّة طيبة فلزقت بأهل المعروف فلا يمر أحد منهم بملاً من أهل الجنة إلّا وجدوا ريحه فقالوا هذا من أهل المعروف.

و فى (وزراء الجهشياري) دعا الرشيد صالحا صاحب المصلّى حين تنكّر للبرامكة فقال له: أخرج إلى منصور بن زياد، فقل له قد صحت عليك عشرة آلاف درهم فاحملها إلى فى يومك هذا فان هو دفعها إليك كاملة قبل مغيب الشمس من يومك هذا و إلّا فاحمل رأسه إلىّ و إيّاك و مراجعتى فى شىء من أمره قال صالح:

فخرجت إلى منصور و هو فى الدار فعرفته الخبر.

ص: ٢٧٠

فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» ذهبت و الله نفسى ثم حلف أنّه لا يعرف موضع ثلاثمائة ألف درهم فكيف عشرة آلاف الف درهم فقال له صالح جد فى عملك فقال له امض بى إلى منزلى حتى أوصى و اتقدّم فى أمرى فمضى فما هو ان دخل حتى ارتفع الصراخ من منازل و حجر نسائه فأوصى و خرج و ما فيه لحم و لادم، فقال صالح: امض بنا إلى أبى على يحيى بن خالد لعل الله أن يأتينا بفرج من جهته فمضى معه فدخل على يحيى و هو يبكى فقال يحيى ما وراءك؟ فقص عليه القصة فقلق يحيى بأمره و أطرق مفكراً ثم دعا خازنه فقال كم عندك من المال؟ قال: خمسة آلاف ألف درهم، قال احضرنى مفاتيحها فأحضرها ثم وجّه إلى الفضل أنّك أعلمتنى ان عندك - فداك أبوك - ألفى ألف درهم قدرت أن تشتري بها ضيعة و قد أصبت لك ضيعة يبقى ذكرها و شكرها و تحمدن ثمرتها فوجّه إلينا بالمال فوجّه به.

ثم قال للرسول امض إلى جعفر فقل له ابعث إلى - فداك أبوك - ألف ألف درهم بحق لزمنى، فوجّه إليه فقال صالح هذه ثمانية آلاف ألف درهم ثم أطرق أطرقه لأنّه لم يكن بقى عنده شىء ثم رفع رأسه إلى خادم على رأسه و قال له امض إلى دنانير فقل لها وجهى الى بالعقد الذى كان الخليفة و هبك إيّاه فجاء به فاذا عقد كعظم الذراع فقال لصالح: اشتريت هذا للخليفة بمائة ألف و عشرين ألف دينار فوهبه لدنانير و قد حسبناه عليك بألفى ألف درهم و هذا تمام المال فانصرف و خل عن صاحبنا قال صالح فأخذت ذلك و رددت منصورا معى فلما صرنا بالباب انشد منصور متمثلا:

ص: ٢٧١

و لكن خفتما صرد النبيل

فما بقيا على تركتmani

فقال صالح: ما على ظهر الأرض كلّها رجل هو أنبل من رجل خرجنا من عنده و لا سمعت بمثله فى من مضى و لا يكون مثله فى من بقى، و لا على ظهر الأرض رجل أخبث سريرة و لا أردء طبعا من هذا النبى إذ لم يشكر من أحياه، قال و صرت إلى الرشيد فقصص عليه قصة المال و طويت عنه ما قاله المنصور لأنى خفت ان سمعه ان يقتله.

فقال لى الرشيد اما انى قد علمت أنه ان نجا لم ينج إلّا بأهل هذا البيت و قال اقبض المال و اردد العقد على (دنانير) فانى لم أكن لأهب هبة و ترجع الىّ قال صالح: فلم أطب نفسا ترك تعريف يحيى ما قال منصور فقلت له لمّا رأيته - بعد أن أطنبت فى شكره و وصف ما كان منه - لقد أنعمت على غير شاكر قابل أكرم فعل بالام قول قال و كيف ذاك فأخبرته بما قال فجعل و الله يطلب له المعاذير و يقول «يا أبا على ان المتحوب القلب ربما سبقه لسانه بما ليس فى ضميره و قد كان الرجل فى حال عظيم» فقلت و الله ما أدرى من أى أمر بك أعجب أمن الأول أم من الثانى و لكنى أعلم ان الدهر لا يخلف مثلك.

(أيضا) حكى ان المأمون قال يوما لمحمد بن عباد المهلبى بلغنى ان فيك سرفا فقال له «ان البخل مع الوجود سوء ظن بالله تعالى و انى لأهمّ بالإمساك فاذكر قول اشجع السلمى فى جعفر البرمكى:

و لا يصنعون كما يصنع

يحب الملوك ندى جعفر

و لكن معروفة أوسع

و ليس بأوسعهم فى الغنى

ص: ٢٧٢

و هم يجمعون و لا يجمع»

و كيف ينالون غاياته

فأمر له المأمون بمائة ألف دينار و قال له استعن بها على مروة تك.

«يقرها فى أيديهم ما بذلوها فاذا منعوها نزعها منهم ثم حولها إلى غيرهم» و الأصل فيه قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ»^{٥٥٠}. و قال ابن ابى الحديد قال الشاعر:

إلّا لتوسع من يرجوك احسانا

«لم يعطك الله ما أعطاك من نعم

تطير عنك زرافات و وجدانا»

فان منعت فاخلق ان تصادفها

١٢

الخطبة (١٦١) و من خطبة له عليه السلام:

^{٥٥٠} (١) الرعد: ١١.

لَيْتَاسٌ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ- وَ لَيْرَافٌ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرُكُمْ- وَ لَا تَكُونُوا كَجُفَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ- لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ وَ لَا عَنِ اللَّهِ يَعْقِلُونَ- كَفَيْضٍ بَيْضٍ فِي أَدَاخٍ- يَكُونُ كَسْرُهَا وَ زَرًّا وَ يُخْرِجُ حِضَانَهَا شَرًّا «لَيْتَاسٌ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرُكُمْ» الصدوق في (ثواب أعماله) عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ (من عرف فضل شيخ كبير فوقه لسنة آمنه الله من فزع يوم القيامة، و من تعظيم الله عز و جل إجلال ذى الشبيبة المؤمن).

«و ليراف كبيركم بصغيركم» جاء (رأف) بالضم و الفتح و الكسر قال الجوهرى «قال أبو زيد» «رؤفت بالرجل و رأفت به أراف و رئتت به كل ذلك من كلام العرب» و على الأول فليقل (و ليرؤف) كما فى (ابن أبى الحديد) و على الأخيرين (فليراف) كما فى (المصرية) هذا و فى أدب الشرع معاملة الكبير مع

ص: ٢٧٣

الصغير معاملته مع ولده كما ان الصغير عليه أن يعامل الكبير معاملة والده و ان من كان فى سنه يجعله كأخيه.

«و لا تكونوا كجفاء الجاهلية» فى (الأغانى) قتلت بنو سهم- و هم بطن من هذيل- عمرو بن عاصية السلمى فاستسقامهم ماء فمنعوه ثم قتلوه فقالت اخته

هلا سقيتم بنى سهم أسيركم نفسى فدائك من ذى غلة صادى

فغزا أخوه هذيلاً يطلبهم بدم أخيه فقتل منهم نفرا و سبى امرأة فجردها ثم ساقها معه عارية إلى بلاد بنى سليم فقالت اخته:

الا مت سليم فى السياق و أفحشت و تفرط فى سوق العنيف اسارها

لعل فتاة منهم ان يسوقها فوارس منّا و هى باد شوارها

٥٥١ و قد صاروا أجفى منهم فقتلوا أهل بيت نبيهم فى الشهر الحرام مع تحريم أهل الجاهلية القتال فيه «لا فى الدين يتفقون» «فلو لا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين و لينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» ٥٥٢.

«و لا عن الله يعقلون» «و ما أوتيتم من شئ فمتاع الحياة الدنيا و زينتها و ما عند الله خير و أبقى أ فلا تعقلون» ٥٥٣ «و هو الذى يحيى و يميت و له اختلاف الليل و النهار أ فلا تعقلون» ٥٥٤ «أ فلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو

٥٥١ (١) الأغاني لأبو الفرج الاصفهاني ١٢: ١٠٨.

٥٥٢ (٢) التوبة: ١٢٢.

٥٥٣ (٣) القصص: ٦٠.

٥٥٤ (٤) المؤمنون: ٨٠.

آذَانُ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^{٥٥٥} «وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ»

ص: ٢٧٤

«الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ»^{٥٥٦} و (يتفقهون) و (يعقلون) ان كانا بالخطاب كما في (ابن أبي الحديد) فالمراد المخاطبون المشبهون بجفاء الجاهلية و ان كانا بالغيبه فالمراد بهما المشبه بهم.

«كقيض بيض في اداح يكون كسرهما وزرا و يخرج حضانها شراً» في نهاية ابن الأثير «في حديث على عليه السلام (لا تكونوا كقيض بيض في أداح يكون كسرهما وزرا و يخرج حضانها شراً القبيض قشر البيض، و منه حديث ابن عباس «إذا كان يوم القيامة مدت الأرض مد الأديم فاذا كان ذلك قبيضت هذه السماء الدنيا عن أهلها»: أى شقت من (قاض الفرخ البيضة فانقاضت) - إلخ -.

قال ابن أبي الحديد في معنى الكلام «شبههم ببيض الأفاعي في الأعشاش يظن بيض القطا فلا يحل لمن رآه أن يكسره لأنه يظنه بيض القطا و حضانه يخرج شرا لأنه يفتقص عن أفعى، و استعار لفظه الاداحي للأعشاش لأن الاداحي لا تكون إلّا للنعام تدحو بأرجلها و تبيض فيه و دحوها توسيعها من (دحوت الأرض) و القبيض: الكسر» - إلخ - و تبعه ابن ميثم و الخوئي و لم أدر من أين خص البيض ببيض الأفاعي فالبيض مطلق و القبيض غير دال عليه و لعله استند إلى وصف (و يخرج حضانها شراً) إلّا أنه لا بد في اللفظ من إيماء و ليس كما ان قوله القبيض الكسر بلا وجه لأنه يصير المعنى (ككسر بيض يكون كسرهما وزرا) و انما القبيض القشر كما عرفته من النهاية و في (القاموس) «القبيض القشرة العليا اليابسة على البيضة أو هي التي خرج ما فيها من فرخ أو ماء و موضعها المبيض» و قال أوس بن حجر يصف قوسا - كما في اللسان في ملك.

ص: ٢٧٥

فملك بالليط التي تحت قشرها - كغرقى بيض كنه القبيض من عل كما ان قوله «استعار لفظه الاداحي للأعشاش» لأن الاداحي لا تكون إلّا للنعام» أيضا بلا وجه فالقطا الذي يفحص في الأرض أيضا له أدحى قال الجوهري «عش الطائر موضعه في افنان الشجر فاذا كان في بجل أو جدار فهو و كر و وكن و إذا كان في الأرض فهو أفحوص و أدحى» فتراه صرح بأن الطير قد يكون له عش و قد يكون له و كر و قد يكون له أدحى و انما توهم ابن أبي الحديد ما قال من قول الجوهري «مدحى النعامة موضع ببيضها، و ادحيتها موضعها الذي تفرخ فيه و هو أفعول من (دحوت) لأنها تدحو برجلها ثم تبيض فيه و ليس للنعام عش» فتراه انما قال ليس لها عش بل ادحى و لم يقل ان الأدحى منحصر بها و بالجملة كون المراد بالكلام ما ذكر غير معلوم و الحقيقة فيه لم أقف عليها بعد نسأل منه تعالى الإرشاد أنه ولى الرشاد و لا يبعد أن يكون المراد بالقبيض التشقق فانشدوا - كما في اللسان - لأبى ذؤيب:

^{٥٥٥} (٥) الحج: ٤٦.
^{٥٥٦} (١) العنكبوت: ٦٣.

فراق كقيض السن فالصبر أنه

لكل أناس عشرة و جبور

هذا و فى الدميرى يقال للقطاء أم ثلاث لأنها أكثر ما تبيض ثلاث قال الشاعر.

و ام ثلاث ان شبين عققنها

و ان متن كان الصبر منها على نصب

أى ان شبت فراخها فارقتها فكان ذلك عقوقا لها و ان متن لم تصبر إلّا و هى قلقه و النصب و التعب و قال «النعامة تترك ببيضها و تخرج لتحصيل طعم فان وجدت ببيض نعامة اخرى تحضنه و تنسى ببيضها و لعلها ان تصاد فلا ترجع و لذا يضرب بها المثل فى ذلك قال ابن هرمة:

فانى و تركى ندى الأكرمين

و قدحى بكفى زنادا شحاحا

كتاركة ببيضها بالعراء

و ملبسة ببيض اخرى جناحا

ص: ٢٧٦

و فى (ديوان معانى) شعر العسكرى من أجود ما قيل فى ببيض الحديد من قديم الشعر قول سلامة بن جندل.

إذا ما علونا ظهر نشز كانما

على الهام منا قبيض ببيض مفلق

و المفهوم منه أنه شبه ببيض الحديد ببيض الطير.

١٣

الحكمة (٥٥) و قال عليه السلام:

الصَّبْرُ صَبْرَانُ صَبْرٌ عَلَى مَا تَكَرَّرَ وَ صَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ أَقُولُ: و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيضربونه فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون أهل الصبر فيقال لهم على ما صبرتم فيقولون كنا نصبر على طاعة الله و نصبر عن معاصى الله فيقول تعالى صدقوا ادخلوهم الجنة و هو قوله تعالى «إِنَّمَا يُوفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ»^{٥٥٧}.

و عن النبي صلى الله عليه وآله الصبر ثلاثة صبر عند المصيبة و صبر على الطاعة و صبر على المعصية فمن صبر عند المصيبة حتى يردّها بحسن عزائها كتب الله له ثلاثمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء و الأرض و من صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى العرش و من صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش».

و عن الصادق عليه السلام «من ابتلى من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له مثل أجر ألف شهيد».

ص: ٢٧٧

و عنه عليه السلام «أنه تعالى أنعم على قوم فلم يشكروا فصارت عليهم و بالا، و ابتلى قوما بالمصائب فصبروا فصارت عليهم نعمة».

و عنه عليه السلام «ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وآله بالصبر و الرفق فقال «وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَ الْمُكْذِبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ»^{٥٥٨} و قال «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَ مَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ»^{٥٥٩} فصبر حتى نالوه بالعطائم فضاق صدره فانزل تعالى «وَ لَقَدْ نَعَلِمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَ كُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ»^{٥٦٠} ثم كذبوه و رموه فانزل «وَ لَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَ أُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا»^{٥٦١} فالزم النبي صلى الله عليه وآله نفسه الصبر، فتعدوا و ذكروا الله فقال لا صبر لى على ذكر ربي فانزل تعالى «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضَ وَ مَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَ مَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ»^{٥٦٢} فصبر فى جميع أحواله ثم بشر فى عترته بالائمة و وصفوا بالصبر فقال «وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَ كَانُوا بَايَاتِنَا يُوَفُونَ»^{٥٦٣}.

فعند ذلك قال النبي صلى الله عليه وآله «الصبر من الايمان كالرأس من الجسد فشكر تعالى ذلك له فانزل «وَ تَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا»

ص: ٢٧٨

«صَبَرُوا وَ دَمَرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَ قَوْمُهُ وَ مَا كَانُوا يَعْرِشُونَ»^{٥٦٤}.

فقال النبي صلى الله عليه وآله بشرى و انتقام فأباح الله تعالى له قتال المشركين فانزل «فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَ خُذُوهُمْ وَ اخْصُرُوهُمْ وَ اقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ»^{٥٦٥} فقتلهم الله على أيدي النبي صلى الله عليه وآله و احبائه و عجل له ثواب

^{٥٥٨} (١) المزمّل: ١٠ - ١١.

^{٥٥٩} (٢) فصلت: ٣٤ - ٣٥.

^{٥٦٠} (٣) الحجر: ٩٧ - ٩٨.

^{٥٦١} (٤) الانعام: ٣٤.

^{٥٦٢} (٥) ق: ٣٨.

^{٥٦٣} (٦) السجدة: ٢٤.

^{٥٦٤} (١) الاعراف: ١٣٧.

صبره، مع ما أدخر له فى الآخرة، فمن صبر و احتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله تعالى عينه فى أعدائه مع ما يدخر له فى آخرته.

١٤

الحكمة (٥٧) و (٤٧٥) و قال عليه السلام:

الْفَنَاءَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ أَقُولُ: هذا من المواضع التى كررها المصنف كما عرفت سهوا و أما قوله و قد روى بعضهم هذا الكلام عن النبى صلى الله عليه و آله فانما هو فى الموضع الثانى اتفق عليه الكل ابن أبى الحديد و ابن ميثم و (الخطيئة) و نقل (المصرية) تحريف.

و أما فى الموضع الأول فانما تفرد بنقله ابن أبى الحديد و ليس فى (ابن ميثم) الذى نسخته بخط المصنف.

و كيف كان فسر الحياة الطيبة فى قوله تعالى «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْشَى وَ هُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً»^{٥٦٦} بالقناعة و لبعضهم (إذا شئت أن تحيا سعيدا فلا تكن على حالة إلّا رضيت بدونها و من طلب العليا من العيش لم يزل حقيرا و فى الدنيا أسير غبونها) و قال بعض الحكماء لابنه

ص: ٢٧٩

«العبد حرّ إذا قنع و الحر عبد إذا طمع» و عنه عليه السلام «من رضى فى الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه و من لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شىء يكفيه» و عن الباقر عليه السلام «إياك أن تطمح بصرك إلى من هو فوقك فكفى بما قال الله لنبىه صلى الله عليه و آله «فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَ لَا أَوْلَادُهُمْ»^{٥٦٧} «وَ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا»^{٥٦٨} فان دخلك من ذلك شىء فاذكر عيش رسوله فانما كان قوته الشعير و حلوه التمر - الخبر -.

١٥

الحكمة (١٢٣) و قال عليه السلام:

طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَ طَابَ كَسْبُهُ - وَ صَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَ حَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ - وَ انْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ وَ أَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ - وَ عَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ وَ وَسَعَتُهُ السُّنَّةُ وَ لَمْ يُنْسَبْ إِلَى الْبِدْعَةِ قَالَ الرضى أقول: و من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و كذلك الذى قبله.

^{٥٦٥} (٢) التوبة: ٥.

^{٥٦٦} (٣) النحل: ٩٧.

^{٥٦٧} (١) التوبة: ٨٥.

^{٥٦٨} (٢) طه: ١٣١.

أقول: «و قال عليه السلام» هكذا في (المصرية) و الصواب اسقاطه لكون العنوان جزء قول المصنف قبل هذا «و تبع جنازة»- إلخ- كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

«طوبى لمن ذل نفسه» بمعنى ألا يكون خشنا شموسا لا أن يكون ذليلا العزة للمؤمنين فقال عليه السلام في وصف شيعته (عليهم غيرة الخاشعين).

«و طاب كسبه» بأن يجتنب المكاسب المحرمة و لا يخون في

ص: ٢٨٠

المكايل و الموازين.

«و صلحت سريره» بحسب طينته فالمؤمن خلق من طينة الأنبياء.

«و حسنت خليقته» فعن الصادق عليه السلام «الخلق الحسن يميت الخطيئة كما تميت الشمس الجليد» و عنه عليه السلام «هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه و آله فأتى صلى الله عليه و آله الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إليه صلى الله عليه و آله و قالوا ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما يضرب به في الصفاء فقال صلى الله عليه و آله و لم ان صاحبكم كان حسن الخلق اتتوني بقدر من ماء فأتوه به فادخل يده فيه ثم رشه على الارض رشا ثم قال احفروا فحفروا فكأنما كان رملا ينهال عليهم».

«و أنفق الفضل من ماله» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام «ان الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك ملك ينادى يا صاحب الخير أتم و أبشر و ملك ينادى يا صاحب الشر انزع و اقصر و ملك ينادى اعط منفقا خلفا و آت ممسكا تلفا و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض. و عن الصادق عليه السلام «من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة انفق و لا تخف فقرا و انصف الناس من نفسك و افش السلام في العالم و اترك المراء و ان كنت محققا.

«و امسك الفضل من لسانه» في الخبر قال النبي صلى الله عليه و آله لرجل ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة قال بلى قال انل ممّا أنالك الله قال فان كنت أحوج ممّن أنيله قال فانصر المظلوم قال افأن كنت أضعف ممّن أنصره قال فاصنع للاخرق - يعنى أشر عليه - قال فان كنت أخرج ممّن اصنع له قال فاصمت لسانك إلّا من خير أما يسرك أن تكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرّك إلى الجنة.

«و عزل عن الناس شره» «المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده، و شر الناس من أكرموه اتقاء شره و أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد»

ص: ٢٨١

و قال حاتم كما فى كتاب سيبويه:

و اغفر عوراء الكريم ادخاره

و اصفح عن شتم اللثيم تكرما

و فى (الكافى) بينا النبى صلى الله عليه و آله ذات يوم عند عايشة إذ استأذن عليه رجل فقال صلى الله عليه و آله هو بئس اخو العشيرة فدخلت عايشة البيت فدخل الرجل فأقبل عليه النبى صلى الله عليه و آله بوجهه و بشره يحدثه حتى إذا فرغ و خرج قالت عايشة للنبى صلى الله عليه و آله ذكرت هذا الرجل بما ذكرت ثم أقبلت عليه بوجهك و بشرك فقال صلى الله عليه و آله ان من شرار العباد من تكره مجالسته لفحشه.

«و وسعته السنة و لم ينسب إلى البدعة» هكذا فى (المصرية) و الصواب (إلى بدعة) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) ثم وجّه كلامه عليه السلام ان حسنة المبتدع لا تقبل و سيئه الملتزم بالسنة تغفر و من مشى إلى مبتدع فوقعه فقد سعى فى هدم الاسلام.

«قال الرضى أقول» هكذا فى (المصرية) و كلمة (أقول) زائدة فليست فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب).

«و من الناس من ينسب هذا الكلام إلى رسول الله صلى الله عليه و آله» روى أول انصاف (الكافى) عن السجاد عليه السلام قال كان النبى صلى الله عليه و آله يقول فى آخر خطبته، طوبى لمن طاب خلقه و طهرت سجيته و صلحت سريره و حسنت علانيته و انفق الفضل من ماله و أمسك الفضل من قوله و أنصف الناس من نفسه».

و رواه (الكافى) عن الصادق عليه السلام أيضا و لا غرو فما يقوله أولهم يقوله آخرهم.

«و كذلك الذى قبله» هكذا فى (المصرية) و هو أيضا زائدة فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) و ان كان يقال ان الرضى قال فى الذى قبله أنه أيضا نسب إلى النبى صلى الله عليه و آله حيث عرفت ان هذا و قبله عنوان واحد فى النهج

ص: ٢٨٢

على الصحيح فيشمل ذاك ما قاله فى هذا.

١٤

الحكمة (١٤٠) و قال عليه السلام:

مَا عَالَ مَنْ اقْتَصَدَ أَقُولُ: هكذا فى (المصرية) و الصواب ما فى (ابن ميثم) «ما عال امرؤ اقتصد» و كذا ابن أبى الحديد (ما عال) يعنى ما افتقر و اما (ما أعال) فمعناه ما كثرت عياله و لا معنى له هنا و المقتصد لا يفتقر و يمكنه إعانة آخرين بخلاف غير المقتصد فإنه مع عدم تيسر نفع منه إلى غيره يصير معسرا يوما و الاقتصاد محمود حتى فى الانفاق فى سبيل الله قال تعالى «و

الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا»^{٥٦٩} وكذا في باقي العبادات ففي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله «ان هذا الدين متين فاوغلوا فيه برفق و لا تكرهوا عبادة الله إلى عباده فتكونوا كالراكب المنبت الذي لا سفرا قطع و لا ظهرا أبقى.

١٧

الحكمة (١٥٣) و قال عليه السلام:

لَا يَعْدُمُ الصَّبْرُ الظَّفَرَ وَ إِنَّ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ مُصَدِّقُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ شَاهِدُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قِصَّةُ يَوْسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ أَخَوْتِهِ قَالَ تَعَالَى «قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَ أَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ قَالُوا أ إِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَ هَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ»

ص: ٢٨٣

«اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَ يَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ قَالُوا تَاللَّهِ»^{٥٧٠} و لنعم ما قيل بالفارسية:

صبر و ظفر هر دو دوستان قدیم اند بر اثر صبر نوبت ظفر آید

١٨

الحكمة (٢٠٦) و قال عليه السلام:

أَوَّلُ عَوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ - أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ أَقُولُ: رواه ابن قتيبة في (عيونه ابن قتيبة - عيون الأخبار-) عنه عليه السلام إِلَّا أَنَّهُ قَالَ بَدَلَ (على الجاهل) (على الجهول) و روى عن الصادق عليه السلام ان الملائكة أيضا أنصاره على الجاهل فروى عنه عليه السلام «إِذَا وَقَعَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ مَنَازَعَةٌ نَزَلَ مَلَكَانِ فَيَقُولَانِ لِلْسَفِيهِ مِنْهُمَا قُلْتُ وَ قُلْتُ وَ أَنْتَ أَهْلٌ لِمَا قُلْتَ وَ سَتَجْزَى بِمَا قُلْتَ وَ يَقُولَانِ لِلْحَلِيمِ مِنْهُمَا صَبَرْتُ وَ حَلَمْتُ سَيَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ إِنْ أَتَمَمْتَ عَلَى ذَلِكَ» فان رد الحليم عليه ارتفع الملكان.

١٩

الحكمة (٢١٨) و قال عليه السلام:

^{٥٦٩} (١) الفرقان: ٦٧.
^{٥٧٠} (١) يوسف: ٨٩ - ٩١.

الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ أَقُول: قال الأحنف «أصبحت الحلم انصر لى من الرجال» و فى (الطبرى) كانت فى فارس امرأة لم تلد إلّا الملوك الأبطال فدعاها كسرى أبرويز فقال انى أريد أن أبعث إلى الروم جيشا و استعمل عليهم رجلا من بنيك فاشيرى على أيهم استعمل قالت هذا فلان و هو اروغ من ثعلب و أحذر من صقر، و هذا فرخان و هو أنفذ من سنان و هذا شهر براز و هو أحلم من كذا، فاستعمل أيهم

ص: ٢٨٤

شئت قال فانى قد استعملت الحليم فاستعمل شهر براز الحليم فسار إلى الروم و ظهر عليهم - الخبر -.

و فى (العيون) كان المتمشمش بن معاوية عم الأحنف يفضل فى حلمه على الأحنف قيل فأمره أبو موسى أن يقسم خيلا فى بنى تميم فقسّمها فقال رجل من بنى سعد ما منعك أن تعطينى فرسا - و وثب عليه فمرش وجهه - فقام إليه قوم ليأخذوه فقال دعونى و إياه انى لا اعان على واحد ثم انطلق به إلى أبى موسى فلما رآه سأله عمّا بوجهه فقال دع هذا و لكن ابن عمى ساخط فاحمله على فرس فحمله».

هذا و فيه قال معاوية لا ينبغي أن يكون الهاشمى غير جواد و لا الزبيرى غير شجاع و لا المخزومى غير تياه و لا الاموى غير حليم فبلغ ذلك الحسن عليه السلام فقال قاتله الله أراد أن يوجد بنو هاشم فينفد ما بأيديهم و يتشجع آل الزبير فيفنون و يتيه بنو مخزوم فيبغضهم الناس و يحلم بنو اميه فيتحببوا إلى الناس.

٢٠

الحكمة (٢٢٤) و قال عليه السلام:

بِكُثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ - وَ بِالنَّصْفَةِ يَكْثُرُ الْمُوَاصِلُونَ - وَ بِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ الْأَقْدَارُ - وَ بِالتَّوَاضُعِ تَنْتِمُ النِّعْمَةُ - وَ بِاحْتِمَالِ الْمُؤْنِ يَجِبُ السُّودْدُ - وَ بِالسَّيْرِ الْعَادِلَةِ يُقْهَرُ الْمُنَاوِيءُ - وَ بِالْحِلْمِ عَنِ السَّيْفِ تَكْثُرُ الْأَنْصَارُ عَلَيْهِ «بِكُثْرَةِ الصَّمْتِ تَكُونُ الْهَيْبَةُ» فى (الكافى) عن الرضا عليه السلام «ان الصمت باب من أبواب الحكمة ان الصمت يكسب المحبة انه دليل على كل خير» و عن

ص: ٢٨٥

عيسى عليه السلام «لا تكثروا الكلام فى غير ذكر الله فان الذين يكثررون الكلام فى غير ذكر الله قاسية قلوبهم و لكن لا يعلمون» و عن الرضا عليه السلام كان الرجل من بنى اسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين» و قال ابن أبى الحديد قال يحيى البرمكى ما رأيت أحدا قط صامتا إلّا هبته حتى يتكلم فاما أن ترداد تلك الهيبة أو تنقص.

«و بالنصفه يكثر المواصلون» هكذا فى (المصرية) و الصواب (الواصلون) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب) قيل لقيس بن عاصم بم سدت قومك قال ببذل الندى و كف الأذى و نصر المولى) و فى (الكافى) عنه عليه السلام «الا أنه من ينصف الناس من نفسه لم يزد الله إلّا عزّا» و عن النبى صلى الله عليه و آله - و هو يريد غزوة و جاءه أعرابى و أخذ بغرز

راحلته و قال علّمني عملا ادخل به الجنّة - قال «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فاته إليهم و ما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأتّه إليهم، خل سبيل الراحلة».

و عنه صلّى الله عليه و آله «ثلاث من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظلّ عرش الله يوم لا ظلّ إلّا ظلّه رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم و رجل لم يقدّم رجلا و لم يؤخر رجلا حتى يعلم ان ذلك لله رضا و رجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه و أنّه لا ينفي منها عيبا إلّا بدا له عيب و كفى بالمرء شغلا بنفسه من الناس» و عن الصادق عليه السلام «من أنصف الناس من نفسه رضى به حكما لغيره».

و عن النبي صلّى الله عليه و آله «من واسى الفقير من ماله و أنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقا» و عن الصادق عليه السلام ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده و رجل مشى بين اثنين فلم يمل مع احدهما على الآخر

ص: ٢٨٦

بشعييرة و رجل قال بالحق في ما له و عليه» و عنه عليه السلام «ما ابتلى المؤمن بشيء أشدّ عليه من ثلاث خصال المواساة في ذات يده و الانصاف من نفسه و ذكر الله كثيرا أما اني لا أقول «سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلّا الله و الله أكبر» و لكن ذكر الله عند ما أحل له و ما حرم عليه» - و في خبر آخر - و لكن ذكر الله إذا هجمت على طاعة أو معصية «و بالافضال تعظم الأقدار»

أنا السيد المقضى إليه المعمم

«إذا المرء أثرى ثم قال لقومه

و هان عليهم رغمه و هو ألوم»

و لم يعطهم شيئا أبوا أن يسودهم

«و بالتواضع تتم النعمة» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام أوحى الله تعالى إلى موسى تدرى لم اصطفتك بكلامي دون خلقي قال يا رب و لم ذاك، فأوحى إليه «اني قلبت عبادي ظهر البطن فلم أجد فيهم أحدا أذلّ لي نفسا منك أنّك إذا صليت وضعت خدك على التراب.

«و باحتمال المؤمن يجب السودد» قال الشاعر:

لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله

و فى أخلاق أبى حيان قيل لعدى بن حاتم من السيد قال الأحق فى ماله الذليل فى عرضه المطرح لحقده المعنى بأمر جماعته^{٥٧١} و فيه قال أبو الأسود الدؤلى لعبيد الله بن زياد انك لن تسود حتى تصبر على سرار الشيوخ البخر^{٥٧٢}.

و فى (العيون) «قال قتيبة بن مسلم أرسلنى أبى إلى ضرار بن القعقاع بن معبد ابن زرارء فقال: قل له: قد كان فى قومك دماء و جراح و قد أحبوا أن تحضر المسجد فى من يحضر فأتيته فأبلغته فقال يا جارية غزينة فجاءت بأرغفة خشن فثردتهن فى مريس ثم برقهن فأكل فجعل شأنه يصغر فى

ص: ٢٨٧

عينى و نفسى ثم مسح يده و قال الحمد لله حنطة الأهواز و تمر الفرات و زيت الشام ثم أخذ نعليه و ارتدى ثم انطلق معى و أتى المسجد الجامع فصلّى ركعتين ثم احتبى فما رأته حلقة إلا تقوضت إليه فاجتمع الطالبون و المطلوبون فأكثروا الكلام فقال إلى ما ذا صار أمرهم قالوا إلى كذا و كذا من ابل قال هى علىّ ثم قام» (فيه) «مدح شاعر الحسن بن سهل فقال له احتكم - و ظن ان همته قصيرة - فقال ألف ناقة فوجم و لم يمكنه و كره ان يفتضع و قال يا هذا ان بلادنا ليست بلاد ابل و لكن ما قال امرؤ القيس:

إذا لم يكن ابل فمعزى كان قرون جلثها العصى

قد أمرت لك بألف شاء فالتى يحيى بن خاقان فأعطاه بكلّ شاء ديناراً (فيه) كان عبد الله بن جدعان التيمي حين كبر أخذ بنو تيمم على يده أن يعطى شيئاً من ماله فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال ادن منى فاذا دنا منه لطمه ثم قال له اذهب بلطمتك أو ترضى فترضيه بنو تيمم من ماله فقال ابن قيس الرقيات:

و الذى ان أشار نحوك لظما تبع اللطم نائل

(فيه) كان سعيد بن العاص إذا أتاه سائل فلم يكن عنده ما سأل قال اكتب على سجلا إلى أيام يسرى.

«و بالسيرة العادلة يقهر المناوى» أى: المعادى و لما قال النبى صلى الله عليه و آله لليهود فى مقاسمة الأشجار أما تأخذوا الخرص و أما آخذة قالوا بالعدل قامت السماوات و الأرض.

«و بالحلم عن السفية تكثر الأنصار عليه» فى (الاستيعاب) قدم قيس بن عاصم فى و فد تميم على النبى صلى الله عليه و آله فى سنة تسع فلما رآه النبى صلى الله عليه و آله قال هذا سيد أهل الوبر و قيل للأحنف ممّن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيت

^{٥٧١} (١) أخلاق الوزيرين لأبو حيان التوحيدي: ٩٢ تحقيق الطنجي، المجمع العلمي، دمشق.
^{٥٧٢} (٢) المصدر نفسه: ٩١-٩٢. تحقيق الطنجي، المجمع العلمي، دمشق.

يوما قاعدا بفناء داره محتبيا بحمائل سيفه يحدث قومه إذ أتى برجل مكتوف و آخر مقتول فقيل له «هذا ابن أخيك قتل ابنك» فوالله ما حل حبوته و لا قطع كلامه فلما أتمه التفت إلى ابن أخيه فقال يا ابن اخ بس ما فعلت أثمت بربك و قطعت رحمك و قتلت ابن عمك و رميت نفسك بسهمك» ثم قال لابن له آخر قم يا بنى فوار أخاك و حل كتاف ابن عمك و سقى إلى امك مائة ناقة دية ابنها فانها غريبة.

٢١

الحكمة (٢٠٧) و قال عليه السلام:

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ - فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ - إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ «التكلف للخلق كالطبع له ألا ترى ان الأعراى الجلف الجافى إذا دخل المدن و القرى و خالط أهلها و طال مكثه فيهم انتقل عن خلق الاعراب الذى نشأ عليه و تطف طبعه و صار شبيها بساكنى المدن بل قد شاهدناه من الحيوانات حتى الأسد الذى أبعدنا انسا، ذكر ابن الصابى ان عضد الدولة كانت له اسود يصطاد بها الصيد كالفهود فتمسكه عليه حتى يدركه فيذكيه» قلت و قالوا كسرى ابرويز ربى فيلا فكان يسجد له إذا رآه.

٢٢

الحكمة (٢٢٣) و قال عليه السلام:

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ فِى تَوْحِيدِ الْمَفْضَلِ «قال الصادق عليه السلام له «انظر إلى ما خص به الانسان

دون جميع الحيوان من هذا الخلق الجليل قدره العظيم شأنه أعنى الحياء فلو لاه لم يقرّ ضيف و لم يوف بعده و لم تقض الحوائج و لم يتحر الجميل و لم ينتكب القبيح فى شىء من الأشياء حتى ان كثيرا من الامور المقترضة أيضا انما تفعل للحياء فان من الناس من لو لا الحياء لم يرع حق والديه و لم يصل ذا رحم و لم يؤد امانة و لم يعف عن فاحشة أفلا ترى كيف و فى الانسان جميع الخلال التى فيها صلاحه و تمام أمره» و فى الخبر الحياء و الايمان مقرونان فى قرن فاذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه».

٢٣

الحكمة (٢٢٩) و قال عليه السلام:

كَفَى بِالْقَنَاعَةِ مُلْكًا وَبِحُسْنِ الْخُلُقِ نَعِيمًا أَمَا الْأَوَّلُ فَفِي (الكافي) كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «يا ابن آدم ان كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فان أيسر ما فيها يكفيك و ان كنت تريد ما لا يكفيك فان كل ما فيها لا يكفيك» و مر النبي صَلَّى الله عليه و آله براعى ابل فبعث إليه يستسقيه فقال اما ما فى ضروعها فصوب الحى و اما ما فى آنتيتنا فغبوقهم فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله اللهم اكثر ماله و ولده.

ثم مر براعى غنم فبعث إليه يستسقيه فحلب له ما فى ضروعها و اكفا ما فى أنائه فى أثناء النبي صَلَّى الله عليه و آله و بعث إليه صَلَّى الله عليه و آله بشاء فقال هذا ما عندنا و ان أحببت ان نزيدك زدناك فقال النبي صَلَّى الله عليه و آله «اللهم ارزقه الكفاف» فقال له بعض أصحابه «دعوت للذى ردك بدعاء، عامتنا نحبه، و دعوت للذى أسعفك بحاجتك بدعاء كلنا نكرهه» فقال صَلَّى الله عليه و آله «ما قل و كفى خير ممّا كثر و ألهى اللهم ارزق محمدا و آل محمد الكفاف».

ص: ٢٩٠

و أما الثانى ففى (الكافي) عن الصادق عليه السلام «هلك رجل على عهد النبي صَلَّى الله عليه و آله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إليه قالوا ما يعمل حديدنا فى الأرض فكانما يضرب به فى الصفاء فقال صَلَّى الله عليه و آله و لم ان كان صاحبكم حسن الخلق اتتوني بقدح من ماء فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشا ثم قال احفروا فحفروا، فكانما كان رملا ينهال عليهم» (و عنه عليه السلام) «ما يقدم المؤمن على الله تعالى بعمل بعد الفرائض أحب إلى الله تعالى من ان يسمع الناس بخلقه».

(و عنه عليه السلام) «البر و حسن الخلق يعمران الديار و يزيدان فى الأعمار».

(و عنه عليه السلام) «الخلق الحسن يميت الخطيئة كما يميت الشمس الجليلد».

و عن النبي صَلَّى الله عليه و آله «أكثر ما يلج به امتى الجنة تقوى الله و حسن الخلق».

(و عنه صَلَّى الله عليه و آله) «ان صاحب الخلق الحسن له مثل أجر الصائم القائم».

(و عنه صَلَّى الله عليه و آله) لبنى عبد المطلب أنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

(و عنه عليه السلام) نزل على الروح الأمين من عند رب العالمين و قال عليك يا محمد بحسن الخلق فإنه ذهب بخير الدنيا و الآخرة.

و قال صَلَّى الله عليه و آله أشبهكم بى أحسنكم خلقا «و فى الخبر عجبت من يشتري العبيد بماله كيف لا يشتري الأحرار بحسن خلقه».

الحكمة (٣٩٦) و قال عليه السلام:

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنَةُ وَ التَّقَلُّلُ وَ لَا التَّوَسُّلُ وَ مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِمًا وَ الدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَ يَوْمٌ عَلَيْكَ - فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرُ -

ص: ٢٩١

وَ إِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ «المنية و لا الدنية» فى كنايةات الجرجاني لما تواترت النكبات على قيس ابن زهير خرج هو و صاحب له من بنى أسد يسبحان و عليهما المسوح يتقوتان بما تنبته الأرض إلّا ان دفعا فى ليلة قره إلى أخبية فوجدا رائحة القتار - و هما جائعان - فسعيا يريدانه فلما قاربناه أدركت قيسا شهامة النفس و عزّة الانفة فرجع و هو يقول:

أعشبت فى الأرض حتى كاد يطردنى إلى الصغار شجاع النفس بالعنف

ثم قال:

«ان كان فى ترك الأغذية التلف فان فى النزاهة الخلف».

فانفتل عن صاحبه و قال له «دونك و ما تريد فان لى لبنا على هذه الأجارع أرقب داهية القرون الماضية» فمضى صاحبه و رجع من الغد فوجده قد لجأ إلى شجرة الوادى فنال من ثمرها شيئا ثم مات ففى ذلك يقول الحطية:

ان قيسا كان ميته أسفا و الحر منطلق

شام نارا بالحشا فسعى و شجاع النفس يختنق

جاء حتى كاد ثم نمى اسفل الوادى له ورق

فجشا فى فمه حشوقه ثم أغضى و هو مطرق

فى دريس ما تعيبه رب حر ثوبه خلق

^{٥٧٣} و فى (البحار) عن المناقب و كذا (تحف العقول) و (اللهوف) و (الاحتجاج) ان الحسين عليه السلام قال يوم الطف فى خطبته «الا ان الدعى ابن الدعى قد ركز بين اثنتين القتلة و الذلة و هيهات ماخذ الدنية أبى الله ذلك و رسوله و جدود طابت

ص: ٢٩٢

و حجور طهرت و أنوف حمية و نفوس أبيه لا تؤثر طاعة اللثام على مصارع الكرام الا قد أعذرت و أنذرت ألا انى زاحف
بهذه الأسره على قلّة العتاد و خلّة الأصحاب- ثم أنشأ يقول:-

«فان نهزم فهزامون قدما و ان نهزم فغير مهزمينا

و ما ان طبنّا جين و لكن منايانا و دولة آخرينا

الا ثم لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحا»^{٥٧٤} - إلخ - و فى (الطبرى) - فى كتاب عمر بن
سعد إلى عبيد الله - «ان الحسين أعطانى ان يرجع» فقال له شمر لينزل على حكمك فكتب إليه «اعرض على الحسين و
أصحابه النزول على حكمى فان فعلوا ابعت إليهم سلما و ان أبوا فقاتلهم».

فلما جاء ابن سعد كتابه قال «لا يستسلم الحسين و الله ان نفسا أبيه لبين جنبيه» إلخ و لمّا عرض على مصعب الأمان أبى و
قال:

«و ان الاولى بالطف من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا»

«و التقلل و لا التوسل» فى المعجم «وجه سليمان بن على - و إلى الأهواز - إلى الخليل لتأديب ولده فأخرج الخليل لرسول
سليمان خبزا يابساً و قال ما دمت أجدّه فلا حاجة بى إلى سليمان و قال:

أبلغ سليمان انى عنه فى سعة و فى غنى غير انى لست ذا مال

^{٥٧٥} و كان النضر بن سليمان يقول:

أكلت الدنيا بعلم الخليل و هو فى خص لا يشعر به

ص: ٢٩٣

و فى (ابن أبى الحديد) قال الشاعر:

اقسم بالله لمص النوى و شرب ماء القلب المالحه

أحسن بالإنسان من ذلّة و من سؤال الأوجه الكالحة

^{٥٧٤} (١) نقله المجلسي فى «بحار الأنوار» عن «المناقب» لابن شهر آشوب فى ٤٥ - ٨ (تاريخ الحسين بن علي عليه السلام) لكن لا وجود لهذا
النص فى المناقب، انظر الجزء ٤ فى (امامة أبى عبد الله ...): ٤٦.
^{٥٧٥} (٢) معجم الادباء للحموي ٦: ٧٦، ط ٣، دار الفكر بيروت.

فاستغن بالله تكن ذا غنى

مغتبطا بالصفقة الرابعة

فالزهد عز و التقى سؤدد

و ذلّة النفس لها فاضحة»

(أيضا)

لمص الثماد و خرط القتاد

و شرب الاجاج او ان الظماء

على المرء أهون من أن يرى

ذليلا لخلق إذا أعدم

و خير لعينيك من منظر

إلى ما بأيدي اللثام

قلت: فهلا قال «ما بأيدي الكرام».

«و من لم يعط قاعدا لم يعط قائما» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام من أصبح و أمسى و الدنيا أكبر همه جعل الفقر بين عينيه و شئت أمره و لم ينل من الدنيا إلا ما قسم له و من أصبح و أمسى و الآخرة أكبر همّه جعل الغنى فى قلبه و جمع له أمره».

«و الدهر يومان يوم لك و يوم عليك» في (المروج) كان بزرجمهر وزير ابرويز و الغالب عليه إلى ثلاث عشرة سنة من ملكه ثم اتهمه بالميل إلى بعض الزنادقة من الثنوية فأمر بحبسه و كتب إليه «كان من ثمره علمك و عقلك ان صرت أهلا للقتل» فأجابه «اما ان كان معى الجد كنت انتفع بثمره عقلى فالآن إذ لا جد معى انتفع بثمره الصبر و ان فقد كثير الخير فقد استرحت من كثير من الشر» فدعا ابرويز به و أمر بكسر فمه فقال «فمى أهل لما هو شر» قال لم قال «لأنى كنت أصفك للناس بما ليس فيك لا تقتلنى بالشك مع اليقين الذى قد علمته منى فمن الذى يثق بك بعد» فغضب و أمر بضرب عنقه.

ص: ٢٩٤

«فاذا كان لك فلا تبطر، و إذا كان عليك فاصبر» زاد التحف بعد الفقرتين «و بكليهما ستختبر» قيل فى كامل «إذا سر لم يبطر و ليس لنكبة المت به بالخاشع المتضائل» هذا ابن أبى الحديد جعل العنوان ثلاثة عناوين فجعل من لم يعط قاعدا لم يعط قائما» عنوانا ثانيا و الباقي ثالثا و اما ابن ميثم فكما هنا جعل الكل واحدا.

٢٥

الحكمة (٤١٠) و قال عليه السلام:

التُّقَى رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ لِأَنِ التَّقْوَى لَا تَصْدُقُ إِلَّا بَعْدَ اجْتِمَاعِ كُلِّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَهُوَ فِي مَقَابِلِ حُبِّ الدُّنْيَا الَّذِي هُوَ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ.

٢٤

الحكمة (٤٦٠) وقال عليه السلام:

الْحِلْمُ وَالْإِنَاءُ تَوَاقُفٌ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهَمَّةِ أَقُولُ: نَسَبُهُ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنُ الْمُعْتَزِ فِي بَدِيعِهِ ابْنُ الْمُعْتَزِ - الْبَدِيعِ - وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرَ عَنْ أَنُو شُرَوَانَ أَنَّه كَانَ فِيهِ الْحِلْمُ وَالْإِنَاءُ وَفِي (طَبَقَاتِ كَاتِبِ الْوَاقِدِيِّ) - فِي عُنْوَانٍ وَفَدَّ عَبْدُ الْقَيْسِ فِي عَامِ الْفَتْحِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِرَأْسِهِمْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَوْفٍ الْأَشْجِ - «فِيكَ خَصْلَتَانِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْإِنَاءُ» وَيُقَالُ أَنَّهُ لَمْ يَغْضَبْ قَطُّ.

وَفِي (كَامِلِ الْمَبْرَدِ) حَدَّثَ ابْنُ عَائِشَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فَقَالَ رَأَيْتُ رَجُلًا عَلَى بَغْلَةٍ لَمْ أَرِ أَحْسَنَ وَجْهًا وَلَا أَحْسَنَ لِبَاسًا

ص: ٢٩٥

وَلَا أَفْرَهَ مَرْكَبًا مِنْهُ فَسَأَلْتُ عَنْهُ فَقِيلَ لِي الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَامْتَلَأْتُ لَهُ بَغْضًا فَصُرْتُ إِلَيْهِ فَقُلْتُ أَأَنْتَ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ فَقَالَ أَنَا ابْنُ ابْنِهِ فَقُلْتُ لَهُ بَكَ وَبَأَيْبِكَ - أَسْبَهُمَا فَقَالَ احْسَبْكَ غَرِيبًا قُلْتُ أَجَلٌ فَقَالَ «إِن لَنَا مَنْزِلًا وَاسِعًا وَمَعُونَةً عَلَى الْحَاجَةِ وَمَا لَا نَوَاسِيَ بِهِ» فَانْطَلَقْتُ وَمَا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهُ.

وَقَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ مِنْ آلِ الزُّبَيْرِ كَلَامًا أَقْذَعَ لَهُ فِيهِ فَأَعْرَضَ الزُّبَيْرِيُّ عَنْهُ، ثُمَّ دَارَ كَلَامَ فَسَبَّ الزُّبَيْرِيُّ عَلَى بْنِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ فَقَالَ الزُّبَيْرِيُّ مَا يَمْنَعُكَ مِنْ جَوَابِي فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «مَا مَنَعَكَ مِنْ جَوَابِ الرَّجُلِ» وَقَالَ رَجُلٌ لِرَجُلٍ - وَكَانَ سَبَّهَ وَلَمْ يَكُ التَّفَتُّ إِلَيْهِ - «إِيَّاكَ أَعْنَى» فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ وَعَنْكَ اعْرِضْ.

وَفِي (الطَّرَائِفِ) الْمَوْضُوعُ لِمَدْحِ الْأَشْيَاءِ وَذَمِّهَا، أَمَّا مَدْحُ الْإِنَاءِ فَقَالَ تَعَالَى «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنِ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ»^{٥٧٦} وَقَالَ حَكِيمٌ يَنْبَغِي لِلْوَالِي أَنْ يَتَثَبَّتَ فِي مَا أَنْهَى إِلَيْهِ وَيَأْخُذَ بِأَدَبِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَيْثُ قَالَ «قَالَ سَنَنْظُرُ أَمْ صَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»^{٥٧٧} وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «مَنْ تَأَنَّى أَصَابَ أَوْ كَادَ وَمَنْ تَعَجَّلَ أَخْطَأَ أَوْ كَادَ»^{٥٧٨} وَآمَّا ذَمُّهُ فَقِيلَ لِأَبِي الْعِيْنَاءِ لَا تَعَجَّلْ فَإِنَّ الْعَجْلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ فَقَالَ لَوْ كَانَتْ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا قَالَ كَلِيمَ اللَّهُ «وَوَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى»^{٥٧٩} وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ بَشِيرٍ:

^{٥٧٦} (١) الحجرات: ٦.

^{٥٧٧} (٢) النمل: ٢٧.

^{٥٧٨} (٣) الطرائف و اللطائف للمقدسي: ٦٤، طبع حجري كتابه الخوانساري ١٢٨٦ هـ.

^{٥٧٩} (٤) طه: ٨٤.

كم من مضيع فرصة قد أمكنت لغد
و ليس غد له بموات
حتى إذا فاتت و فات طلابها
ذهبت عليها نفسه حسرات

قلت: ما نقله في ذم الاناة تخليط و مغالطة فان ما نقله أولا من الاستباق

ص: ٢٩٦

إلى الخيرات و ما نقله ثانيا من تضييع الفرصة و ليس واحد منهما من الاناة في شيء فان الاناة و تركها في أمر لم يعلم عاقبته كعقوبة من لم يعلم جنايته و لعله يكشف بعد ترك الاناة فيه و عقوبته براءته فيكون قتل نفسا بغير حق و كما قال عليه السلام (الحلم و الاناة نتيجة علو الهممة) قال عليه السلام (فان الفقر نتيجة الكسل و العجز. روى (الكافي) في كراهة كسل معيشتة عنه عليه السلام ان الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل و العجز فنتجا بينهما الفقر)^{٥٨٠}.

٢٧

الخطبة (٢٣٦) و من كلام له عليه السلام يحث فيه أصحابه على الجهاد:

وَاللّٰهُ مُسْتَادِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُورَثُكُمْ أَمْرَهُ - وَ مُمְهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَّحْدُودٍ لِّتَنَازَعُوا سَبَقَهُ - فَشُدُّوا عُقْدَ الْمَآزِرِ وَ اطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ - وَ لَا تَجْتَمِعْ عَزِيمَةٌ وَ وَلِيمَةٌ - مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ - وَ أَمَحَى الظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ وَ صَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِيِّ، وَ عَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَ الْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا أَقُولُ: من الغريب عدم ذكر العنوان في (ابن أبي الحديد) هنا بل بعد (٢١٥).

«و الله مستاديكم شكره» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام مكتوب في التوراة «اشكر من أنعم عليك و انعم على من شكرك فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت و لا بقاء لها إذا كفرت و الشكر زيادة في النعم و امان من الغير» و قال

ص: ٢٩٧

تعالى «وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ»^{٥٨١}.

«و مورثكم أمره» «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا»^{٥٨٢}.

«و مهملكم في مضار محدود» هكذا في (المصرية) و الصواب (و مهملكم في مضمار محدود) كما في (ابن ميثم و الخطبة).

^{٥٨٠} (١) المصدر السابق: ٦٥.

^{٥٨١} (١) الضحي: ١١.

^{٥٨٢} (٢) النور: ٥٥.

«لتنازعوا سبقه» «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً» «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ»^{٥٨٣} هذا و في كامل الجزرى لما ولّى المعتز يعقوب الصفار و على بن شبل كرمان ليغلب احدهما الآخر أقبل يعقوب و طوق بن المفلس من قبل على بن شبل إليها و لم يقاتلا و ارتحل يعقوب بعد شهرين و أظهر الارتحال إلى سجستان فقعد طوق للأكل و الشرب و الملاهى و إذا هو بيعقوب قد قطع مرحلتين فى يوم ففر أصحاب طوق و أسر هو فنزع خفه فتساقط منه كسر خبز يابسة فقال يا طوق هذا خفى لم أنزعه منذ شهرين من رجلى و خبى فيه أكل منه و أنت جالس فى الشراب.

«فشدوا عقد المآزر» «قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء و لو بانت باطهار» فى (الطبرى) لما كشف أمر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن اهديت إلى المنصور امرأتان من المدينة احدهما فاطمة بنت محمد بن عيسى بن طلحة بن عبيد الله و الاخرى ام الكريم بنت عبد الله من ولد خالد بن أسيد بن أبى

ص: ٢٩٨

العيص فلم ينظر إليهما فاته ريسانه فقالت ان هاتين المرأتين قد خبثت أنفسهما و ساعت ظنونهما لما ظهر من جفائك لهما فنهرا و قال ليست هذه الأيام من أيام النساء لا سبيل لى إليهما حتى أعلم رأس إبراهيم لى أم رأسى لإبراهيم^{٥٨٤}.

«و اطووا فضول الخواصر» الخصر وسط الانسان و طى فضل الخواصر كناية عن ترك الافراط فى الأكل فى الكامل مات يعقوب بن الليث الصفار بجنديسابور من القولنج سنة (٢٦٥) كان الأطباء أمروه بالاحتقان فاختر الموت و كان المعتمد انفذ إليه رسولا يستميله و يقلده أعمال فارس فجعل عنده سيفا و رغيفا من الخبز خشكار و بصلا و قال للرسول قل للمعتمد انى عليل فان مت استرحت أنا منك و أنت منى و ان عوفيت ليس بينى و بينك إلّا هذا السيف أما آخذ ثأرى و أما ارجع إلى هذا الخبز و البصل.

«و لا تجتمع عزيمة و وليمة» هكذا فى (المصرية) و الصواب (لا تجتمع عزيمة و وليمة) كما فى (ابن ميثم) فليس المقام مقام الوصل لأنه كالتعليل لشدّ عقد المآزر و طى فضول الخواصر و فى الجمهرة الوليمة طعام العرس و الوضيعة طعام المأتم و فى الخبر إذا دعيت إلى جنازة و وليمة أجبوا الجنازة لأنها تذكر الآخرة دون الوليمة فانها تذكر الدنيا.

«ما أنقض النوم لعزائم اليوم» كرهه المصنف سهوا فى (٤٣٠) ٣- هو و سابقه و لاحقه كالامثال.

«و أمحى الظلم لتذاكير الهمم» و قالوا فى عكسه «كلام الليل يمحوه النهار».

«و صلى الله على سيدنا محمد النبى الامى و على آله مصاييح الدجى

ص: ٢٩٩

^{٥٨٣} (٣) الحديد: ٢١.
^{٥٨٤} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٤٧٢، دار الكتب العلمية- ط ٢، ١٩٨٨، بيروت.

و العروة الوثقى و سلم تسليما كثيرا» هكذا فى (المصرية) و لكن فى (الخطيئة) بدله «و الحمد لله كثيرا» و فى (ابن ميثم) «و هذا آخر الخطب و الأوامر و يتلوه المختار من الكتب و الرسائل انشاء الله تعالى بمعونته و عصمته و توفيقه و هدايته» و الظاهر صحته حيث أنه المناسب و ان نسخه بخط مصنفه لكن ابن أبى الحديد لم ينقل عن المصنف شيئا أصلا فختم الخطب بعنوان (هم عيش العلم) (٢٣٤).

ص: ٣٠١

الفصل الرابع و الاربعون فى ذمائم الصفات

ص: ٣٠٣

١

الحكمة (٢) و قال عليه السلام:

أَزْرَىٰ بِنَفْسِهِ مَنِ اسْتَشْعَرَ الطَّمَعَ - وَ رَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ - وَ هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَرَ عَلَيْهَا لِسَانُهُ أَقُول: قال عليه السلام هذا الكلام مع زيادات، للأشتر. ففى (تحف العقول ابن أبى شعبة الحلبي - تحف العقول - ص ٢٠١ و ٢٠٢ لابن أبى شعبة الحلبي) قال عليه السلام للأشتر: يا مالك احفظ عني هذا الكلام و عه، يا مالك بخس مروته من ضعف يقينه، و أزرى بنفسه من استشعر الطمع.

و رضى الذل من كشف ضره، و هانت عليه نفسه من اطاع على سره، و أهلكها من أمر عليه لسانه^{٥٨٥}.

«أزرى بنفسه» أى: تهاون بها.

«من استشعر الطمع» أى: جعله شعارا له.

ص: ٣٠٤

فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السلام: بئس العبد عبد له طمع يقوده، و بئس العبد عبد له رغبة تذله^{٥٨٦}.

و عن السجاد عليه السلام: رأيت الخير كله قد اجتمع فى قطع الطمع عما فى أيدي الناس^{٥٨٧}.

^{٥٨٥} (١) تحف العقول لابن أبى شعبة: ٢٠١ - ٢٠٢.

^{٥٨٦} (١) الكافى للكليني ٣: ٣٢٠.

^{٥٨٧} (٢) الكافى ٢: ١٤٨ ح ٣.

و فى (الأغانى): لمّا ولى خالد بن عتاب الرياحى أصبهان خرج إليه أعشى همدان - و كان صديقه بالكوفة - فلم يجد عنده ما يحبّ، فقال يهجوه:

و ما كنت ممّن ألجأته خصاصة
إليك و لا ممّن تغر المواعد
ولكنّها الأطماع و هى مذلة
دنت بى و أنت النازح المتباعد

^{٥٨٨} فى (الحليّة): مر فتح الموصلى بصبيين مع أحدهما كسرة عليها غسل و مع الآخر كسرة عليها كامخ، فقال للذى على خبزه العسل: أطعمنى من خبزك. قال: إن كنت كلبا لى. قال: نعم. فأطعمه و جعل فى فمه خيطا و جعل يقوده، فقال فتح: لو رضيت بخبزك ما كنت كلبا ^{٥٨٩}. لهذا قال الشاعر:

كلفنى حبي للدرهم
و قلّة البقوى على المغارم
خدمة من لست له بخادم

و لبعضهم:

إنّ الجديدين فى طول اختلافهما
لا يطمعا طمعا يدنى إلى طبع
لا يفسدان و لكن يفسد الناس
لنّاس مال و لى مالان مالهما
إذا تحارس أهل المال حراس
مالي الرضا بالذى أصبحت أملكه
و مالي اليأس ممّا يملك الناس

ص: ٣٠٥

«و رضى بالذل من كشف عن ضرّه» قال ابن أبى الحديد: سمع الأحنف رجلا يقول: لم أنم الليلة من وجع ضرسى - و جعل يكثر - فقال: يا هذا لم تكثر؟

فو الله لقد ذهبت عيني منذ ثلاثين سنة فما شكوت ذلك إلى أحد و لا أعلمت بها أحدا ^{٥٩٠}.

^{٥٨٨} (٣) الأغاني ٦: ٤٥.
^{٥٨٩} (٤) حلية الأولياء ٨: ٢٩٣.
^{٥٩٠} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٨٤.

«و هانت عليه نفسه من أمر عليها لسانه» في (الأغاني): مر مروان بن أبي حفصةً برجل من تيم اللات بن ثعلبة يعرف بالجنى، فقال له مروان: زعموا أنك تقول الشعر. فقال له: إن شئت عرفتك ذلك. فقال له مروان: ما أنت و الشعر؟! ما أرى من طريقك ولا مذهبيك ولا تقوله. فقال له الجنى: اجلس و اسمع. فجلس، فقال له الجنى يهجو:

ثوى اللؤم في العجلان يوما و ليلة
و في دار مروان ثوى آخر الدهر
غدا اللؤم يبغي مطرحا لرحاله
فنقب في بر البلاد و في البحر
فلما أتى مروان خيم عنده
و قال رضينا بالمقام إلى الحشر
و ليس لمروان على العرس غيره
و لكن مروانا يغار على القدر

فقال له مروان: ناشدتك الله إلّا كففت، فأنت أشعر الناس. فحلف الجنى بالطلاق ثلاثا أنه لا يكفّ حتى يصير إليه بنفر من رؤساء أهل اليمامة ثم يقول بحضرتهم: «قاق في استى بيضة»، فجلبهم إليه مروان و فعل ذلك بحضرتهم، فأنصرفوا و هم يضحكون من فعله. و قال بعضهم: اللسان أجرح جوارح الإنسان^{٥٩١}.

ص: ٣٠٦

٢

الكتاب (٧٩) و من كتاب له عليه السلام لما استخلف إلى أمراء الأجناد:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ - وَ أَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ كَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذَلِكَ إِلَيْهِمْ لِأَنَّ أَمْرَاءَ الْأَجْنَادِ كَانُوا أَيَّامَ عَثْمَانَ مَقْتَدِرِينَ عَلَى مَنَعِ حَقِّ النَّاسِ وَ أَخَذِهِم بِالْبَاطِلِ.

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا النَّاسَ الْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ» يعني إن كنتم كذلك، تهلكون كما هلك من كان قبلكم بذلك. و المراد أن الناس صاروا مضطرين إلى شراء حقوقهم منهم.

«و اخذوهم بالباطل فاقتدوه» هكذا «فاقتدوه» بالقاف في النسخ، و قال ابن أبي الحديد: المراد أن الخلف اقتدوا بآبائهم الذين أخذوا بالباطل في ارتكاب الباطل ظنًا أنه حق لما نشؤوا عليه^{٥٩٢}.

^{٥٩١} (٢) الأغاني ١٠: ٩٢-٩٣.
^{٥٩٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٧.

قلت: اللفظ لا يفيد ما قال و المعنى لا يجيزه، لأنّه عليه السلام فى مقام ذم الامراء دون الرعايا، و الصواب: أن يقال: «اقتدوه» محرّف «افتدوه» بالفاء، أى: أعطوا الفدية لتلا يؤخذ بالباطل. و منه يظهر أيضا ما فى قول ابن أبى الحديد و روى «فاستروه» بالسین أى: اختاروه و الفاعل الظلمة^{٥٩٣}.

أى: منعوا الناس حقّهم من المال و اختاروه لأنفسهم، فإنّ ما قاله كالمثله للكلام و المرام.

هذا، و فى (اليقوبى): قال الزهرى: كنت يوما عند عمر بن عبد العزيز إذ أتاه كتاب من عامل له كتب أن مدينته تحتاج إلى مرمّة، فقلت له: إنّ بعض

ص: ٣٠٧

عمّال علىّ عليه السلام كتب إليه بمثل هذا، فكتب عليه السلام فى جوابه: «أمّا بعد فحصّنها بالعدل و نقّ طرقها من الجور» فكتب عمر بن عبد العزيز أيضا ذلك فى جواب عامله^{٥٩٤}.

٣

الحكمة (٣) و قال عليه السلام:

الْبُخْلُ عَارٌ وَ الْجُبْنُ مَقْصَةٌ - وَ الْفَقْرُ يُخْرِسُ الْفَطْنَ عَنْ حُجَّتِهِ - وَ الْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِى بِلَدَيْهِ وَ الْعَجْزُ آفَةٌ وَ الصَّبْرُ شَجَاعَةٌ - وَ الزُّهْدُ ثَرَوَةٌ وَ الْوَرَعُ جُنَّةٌ أَقُولُ: نقله (التحفة ابن أبى شعبة - تحفة العقول - ص ١٣٨) كالأول جزء وصيته للأشتر مع زيادات، و فيه يدل قوله «و الزهد ثروة»: «و الشكر ثروة»^{٥٩٥}.

ثم ان ابن أبى الحديد جعل هذا عنوانين، الأول إلى قوله «فى بلدته» و بالعكس جعل ابن ميثم ستة من عناوين المتن من الثانى إلى السابع عنوانا واحدا، و هو الأصح حيث إنّ نسخة ابن ميثم بخط المصنّف، و لأنّ الجميع وصيته عليه السلام للأشتر كما يفهم من (التحفة)^{٥٩٦}.

«البخل عار» قال الرضا عليه السلام: البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار^{٥٩٧}.

كان محمد بن يحيى البرمكى بخيلا بخلاف باقى بيته، و قال أبوه لأحد خواصّه سوءة له: أنت خاص به و ثوبك مخرق؟ قال: و الله ما أقدر على إبرة

ص: ٣٠٨

^{٥٩٣} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٧٧.

^{٥٩٤} (١) تاريخ اليعقوبى ٢: ٣٠٦.

^{٥٩٥} (٢) التحفة: ١٣٨.

^{٥٩٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٨٧ الحكمة (٣)، و ابن ميثم ٥: ٢٣٨ (جزء من الحكمة ٢).

^{٥٩٧} (٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧١: ٣٥٢، ح ٧.

أخيطه بها، و لو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوا إبراهيم ثم جاءه جبرئيل و ميكائيل و معهما يعقوب النبي يضمنان له عنه إبره و يسألانه إعارته إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبره، ما فعل. قال: فصف مائدته. قال:

هي فتر في فتر، و صحافه منقورة من حب الخشخاش و بين نديمه و بين الرغيف نقدة جوزة. قال: فمن يحضره؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

و في (العيون): كان عمر بن يزيد الأسدى على شرطة الحجاج فأصابه قولنج فحقنه الطبيب بدهن كثير فانحل بطنه في الطست، فقال الغلام: ما تصنع به؟ قال: أصبه. قال: لا، و لكن ميّز منه الدهن، و استصبح به^{٥٩٨}.

و قيل: لو لم يكن في ذمة إلا قوله تعالى: «وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخُلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^{٥٩٩} لكفى.

و قالوا: أبخل الناس بماله أجودهم بعرضه.

و قال عبد الملك لمصعب: لا يسود أخوك لثلاث: لبخله و عجبه و استبداده^{٦٠٠}.

و قال الشاعر:

لا يسود امرؤ ببخل و لو مس يياFOXه عنان السماء

^{٦٠١} و في (بخلاء الجاحظ) بعد ذكر حبّ الناس للجواد و مدحهم له و إفراطهم فيه: ثم وجدنا هؤلاء بإناعتهم للبخل على ضدّ هذه الصفة و على خلاف هذا

ص: ٣٠٩

المذهب، وجدناهم يبخسونه مرّة، و يحقرونه مرّة، و يبخسون بفضل بغضه ولده، و يحتقرون بفضل احتقارهم له رهطه و يضيفون إليه من نواذر اللؤم ما لم يبلغه، و من غرائب البخل ما لم يفعل، و حتى ضاعفوا عليه من سوء الثناء بقدر ما ضاعفوا للجواد من حسن الثناء^{٦٠٢}.

و في (تاريخ بغداد) عن إسحاق الموصلى: دخلت على الرشيد يوما فقال: أنشدنى من شعرك، فأنشدته:

^{٥٩٨} (١) لا وجود له في عيون الأخبار، بل هو موجود في البخلاء للجاحظ: ٣١٥.

^{٥٩٩} (٢) آل عمران: ١٨٠.

^{٦٠٠} (٣) شرح ابن أبي الحديد: ٢٠: ٣٢٨.

^{٦٠١} (٤) الظرئف و اللطائف للثعلبي: ٧٢.

^{٦٠٢} (١) البخلاء للجاحظ ٢: ٩٧- ٩٨ من رسالة أبي العاص الثقفي، نسخة دار الكتب المصرية.

و امرأة بالبخل قلت لها اقصرى	فذلك شيء ما إليه سبيل
أرى الناس خلّان الجواد ولا أرى	بخيلا له فى العالمين خليل
و من خير حالات الفتى لو علمته	إذا نال خيرا أن يكون ينيل
عطائي عطاء المكثرين تكرّما	و مالى كما قد تعلمين قليل
و إنى رأيت البخل يزرى بأهله	و يحقر يوما أن يقال بخيل

إلى أن قال: فقال الرشيد: يا فضل، أعطه مائة ألف درهم لله در أبيات تأتينا بها، ما أحسن فصولها و أثبت أصولها! فقلت: كلامك أجود من شعري.

قال: أحسنت يا فضل، أعطه مائة ألف أخرى.

هذا، و كان عباس بن محمد عمّ أبى الرشيد مكينا عنده، و كان أراد أن يخطب إليه ابنته، فجاءه يوما و قال له: هجانى ربيعة الرقى، فغضب و أمر بإحضاره و قال له: أ تهجو عمّى؟ فقال: قد مدحته بقصيدة ما قيل مثلها فى أحد من الخلفاء، فإن رأيت أن تأمره بإحضارها، فأمره فتلكأ فعزم عليه فعلم أنّه أخطأ، فأحضرت فنظر الرشيد فيها فقال: صدق ربيعة. ثم قال للعباس: بم أثبتته؟ فسكت و تغيّر لونه. قال ربيعة: بدينارين. فظنّ الرشيد أنّه قال ذلك موجدّة. قال له: بحياتي كم أثابك؟ قال: و حياتك بدينارين. فغضب الرشيد

ص: ٣١٠

و قال للعباس: فضحت آبائك و فضحتنى و نفسك. فنكس رأسه، فأمر الرشيد بإعطائه ثلاثين ألف درهم و خلعة و حملة على بغلة، و قال له: بحياتي لا تذكره فى شعرك تصريحاً أو تلويحاً. و فتر عمّا كان همّ به من التزويج إليه و اطرحه بعد. و لا يزال ربيعة بعده يعث به فى حضرة الرشيد، فجاء العباس يوما إلى الرشيد ببرنية غالية و قال: هذه غالية صنعتها لك بيدى اختيار عنبرها من بحر عمان و مسكها من مفاوز التبت و بانها من ثغر تهامة، فالفضائل كلّها مجموعة فيها، و النعت يقصر عنها. فاعترضه ربيعة فقال: ما رأيت أعجب منك، إنّ تعظيمك هذا عند من تجبى إليه خزائن الأرض و تذللّ له جبابرة الملوك و تتحفه ببدايع ممالكها حتى كأنك قد فقت به ما عنده، أو أبدعت له ما لا يعرفه، لا تخلو فيه من ضعف عقل أو قصر همّة، أنشدتك أيّها الخليفة إلّا جعلت حظى من كلّ جائزة سنتى هذه الغالية حتى أو فيها حقّها. فقال: ادفعوها إليه. فدفعت إليه فأدخل يده فيها و أخرج ملئها و حلّ سراويله و أدخل يده فلطّخ بها استه و أخذ حفنة أخرى فطلى بها ذكره و أنشبهه و أخرج حفنتين فطلى بها إبطيه، ثم قال للرشيد: تأمر غلامى يدخل إلىّ؟ فأدخل فدفع إليه البرنية غير مختومة و قال له: اذهب بها إلى

جاريته فلانة و قل لها: طيبي بها حرّك و استك حتى أجيء الساعة و أنيكك، فأخذها الغلام و مضى، فضحك الرشيد حتى غشى عليه، و كاد العباس يموت غيظاً^{٦٠٣}.

«و الجبن منقصة» في (الظرائف): يقال: الشجاع محبب حتى إلى عدوّه، و الجبان مبغض حتى إلى الله^{٦٠٤}، و قال الشاعر:

ص: ٣١١

يفرّ الجبان من أبيه و أمه
و يحمي شجاع القوم من لا يناسبه

^{٦٠٥} و لما قال المتنبي:

يرى الجبناء أنّ الجبن عقل
و كلّ شجاعة في المرء تغنى
و تلك خديعة الطبع اللثيم
و لا مثل الشجاعة في الحكيم

^{٦٠٦} قيل له أنّي يكون الشجاع حكيماً و هما على طرفي النقيض؟ قال: هذا على ابن أبي طالب شجاع و حكيماً^{٦٠٧}.

«و الفقر يخرس الفطن عن حجّته».

في (كامل المبرد) قال أعرابي من باهلة:

سأعمل نص العيص حتى يكفّني
فللموت خير من حياة يرى لها
غنى المال يوماً أو غنى الحدثان
على الحر بالإقلال و سم هو ان
متى يتكلّم بلغ حكم كلامه
و إن لم يقل قالوا عديم بيان
كأن الغنى عن أهله بورك الغنا
بغير لسان ناطق بلسان

^{٦٠٨} و قيل:

^{٦٠٣} (١) تاريخ بغداد ١: ١٠.
^{٦٠٤} (٢) الظرائف و الطرائف للثعلبي: ٦٧.
^{٦٠٥} (١) المصدر نفسه.
^{٦٠٦} (٢) المصدر نفسه.
^{٦٠٧} (٣) المصدر نفسه.

إذا قلّ مال المرء قلّ حياؤه

و ضاقت عليه أرضه و سماؤه

و أصبح لا يدرى و إن كان حازما

أقدّامه خير له أم وراؤه

^{٦٠٩} و قال صالح بن عبد القدوس:

ص: ٣١٢

بلوت امور الناس سبعين حجة

و جرّبت صرف الدهر فى العسر و اليسر

فلم أر بعد الدين خيرا من الغنى

و لم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

^{٦١٠} و فى (كامل المبرد): لمّا ولى عبيد الله بن زياد حارثة بن بدر رامهرمز، و سرق، قال له أنس بن أبى أنيس:

أحار بن بدر قد وليت إمارة

فكن جرزا فيها تخون و تسرق

و لا تحقرن يا حار شيئا وجدته

فحظّك من ملك العراقين سرق

و باه تميما بالغنى إنّ للغنى

لسانا به المرء الهيبه ينطق

^{٦١١} و فى (بيان الجاحظ): قال عروة بن الورد:

ذرّنى للغنى أسعى فإنّى

رأيت الناس شرّهم الفقير

و أهونهم و أحقرهم لديهم

و ان أمسى له نسب و خير

و يقصى فى الندى أو يزدريه

حليته و ينهره الصغير

و يلفى ذو الغنى و له جلال

يكاد فؤاد صاحبه يطير

^{٦٠٨} (٤) الكامل فى الأدب لأبى العباس المبرد ١: ٢١٧، و ذكره الجاحظ فى البيان و التبيان ١: ٢٣٤ بلفظ العيس (بدلا من العيص). و ذكره ابن أبى الحديد ١٨: ٨٨، و ذكره ابن قتيبة فى عيون الأخبار ١: ٢٣٩.

^{٦٠٩} (٥) الظرائف و اللطائف: ٥٢.

^{٦١٠} (١) الظرائف و اللطائف: ٥٢.

^{٦١١} (٢) الكامل للمبرد ١: ٢٧٢.

قليل ذنبه و الذنب جم

و لكن للغنى ربّ غفور

^{٦١٢} و فى (عيون القتبي): قال النمر بن تولب:

فالمال فيه تجلّة و مهابة

و الفقر فيه مذلّة و قبوح

و لآخر:

رزقت لباً و لم ارزق مروّته

و ما المروءة إلّا كثرة المال

إذا أردت مساماة يقعدنى

عما ينوه باسمى رقة الحال

ص: ٣١٣

و لآخر:

يغضى عيوب المرء كثرة ماله

يصدّق فيما قال و هو كذوب

و يزرى بعقل المرء قلّة ماله

يحمقه الأقوام و هو لبيب

^{٦١٣} و قال حسان:

ربّ حلم أضاعه عدم المال

و جهل غطى عليه النعيم

^{٦١٤} «و المقل غريب فى بلده» قال ابن أبي الحديد: يقال: مالك نورك، فإن أردت أن تنكشف ففرقه و أتلّفه. و قال خلف الأحمر: لا تظنّ أن الغريب هو النائي، و لكنّما الغريب المقل^{٦١٥}.

قلت: و قال الشاعر:

ألم تر بيت الفقر يهجر أهله

و بيت الغنى يهدى له و يزار

^{٦١٢} (٣) البيان للجاحظ ١: ٢٣٤.
^{٦١٣} (١) العيون للقتبي ١٢: ٢٣٩.
^{٦١٤} (٢) المصدر نفسه ١: ٢٤٠.
^{٦١٥} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٨.

^{٦١٦} و قال أيضا:

إذا ما قلّ ما لك كنت فردا

و أى الناس زوار المقلّ

^{٦١٧} و قال أيضا:

و من يكن له نشب يحجب

و من يفتقر يعيش عيش ضرّ

و يجنب سر النجى و لكن

أخا المال محضر كلّ سر

^{٦١٨} و قال أيضا:

ص: ٣١٤

و لم أر مثل الفقر أوضع للفتى

و لم أر مثل المال أرفع للردل

^{٦١٩} و لابن فارس:

قد قال فيما مضى حكيم

ما المرء إلّا بأصغريه

فقلت قول امرئ لبيب

ما المرء إلّا بدرهميه

من لم يكن معه درهماه

لم تلتفت عرسه إليه

و كان من ذلّه حقيرا

تبول سنوره عليه

و لآخر:

فلو كنت ذا مال لقرب مجلسى

و قيل إذا أخطأت أنت رشيد

رأيت الغنى قد صار فى الناس سؤددا

و كان الفتى بالمكرمات يسود

^{٦١٦} (٤) عيون الأخبار ١: ٢٤٢.

^{٦١٧} (٥) المصدر نفسه ١: ٢٤٢.

^{٦١٨} (٦) المصدر نفسه ١: ٢٤٢، و الشعر لزيد بن عمرو بن نفيل.

^{٦١٩} (١) ديوان المعاني ١: ١٤١، و نهاية الارب ٣: ٢٣٦.

و إن قلت لم يسمع مقالى و إننى

لمبدئى حق بينهم و معيد

«و فى العجز آفة» فى (عيون القتيبي) قال أبو المعافى:

و إن التوانى أنكح العجز بنته

و ساق إليها حين زوجها مهرا

فراشا و طيئا ثم قال لها اتكى

قصارهما لا بد أن يلد الفقرا

٦٢٠ و قال الأصمعى: دخلت على هارون الرشيد و بين يديه بدره، فقال: إن حدثتني بحديث فى العجز فأضحكتني، و هبتك هذه البدره. فقلت: نعم، بينا أنا فى صحارى الأعراب فى يوم شديد البرد و الريح و إذا بأعرابى قاعد على أجمه و هو عريان قد احتملت الريح كسائه فألقته على الأجمه، فقلت: يا أعرابى ما

ص: ٣١٥

أجلسك ههنا على هذه الحالة؟ فقال: جارية و عدتها يقال لها سلمى أنا منتظر لها. فقلت: و ما يمنعك من أخذ كسائك؟ فقال: العجز يوقفنى عن أخذه. فقلت له:

فهل قلت فى سلمى شيئا؟ فقال: نعم. فقلت: أسمعنى - لله أبوك - فقال: لا أسمعك حتى تأخذ كسائى و تلقيه على. فأخذه و ألقته عليه فأنشأ يقول:

لعل الله أن يأتى بسلمى

فيطرحها و يلقينى عليها

و يأتى بعد ذاك سحاب مزن

تظهرنا و لا نسعى إليها

فضحك الرشيد حتى استلقى على ظهره و قال: أعطوه البدره^{٦٢١}.

و فى (ديوان معانى العسكرى): و أكسل بيت سمعناه عن يحيى بن سعيد الأموى لبعضهم:

سألت الله أن يأتى بسلمى

و كان الله يفعل ما يشاء

فيأخذها و يطرحها بجنبى

و يرقدها و قد كشف الغطاء

^{٦٢٠} (٢) عيون القتيبي ١: ٢٤٤.

^{٦٢١} (١) المصدر نفسه ٣: ٣٠٠.

و يأخذني و يطرحني عليها

و يرقدها و قد قضى القضاء

و يرسل ديمة سحبا علينا

فيغسلنا و لا يلقى عنا

٦٢٢ «و الصبر شجاعة» لأنه من قوة القلب، قال الشاعر:

تصبر و لا تبد التضعع للعدى

و لو قطعت في الجسم منك البواتر

سرور الأعدى أن تراك بذلة

و لكنها تغتم إذ أنت صابر

٦٢٣ و في (مقاتل الطالبين): اخذ عمرو بن شداد - من أصحاب ابراهيم بن عبد الله ابن الحسن - بعد قتله، فأتى به ابن دعلج - من قبل المنصور - فأمر بقطع يده، فمدها فقطعت، ثم مدّ اليسرى فقطعت، ثم رجله اليمنى فقطعت، ثم

ص: ٣١٦

مدّ اليسرى فقطعت و ما يقربه أحد و لا يمسه. ثم قال له: مدّ عنقك. فمدها فضربه ضارب بسيف كليل فلم يصنع شيئا، فقال: اطلبوا سيفا صارما. فعجل الضارب فنيا فلم يصنع شيئا. فقال عمر: و سيف أصرع من هذا. فسلّ ابن دعلج سيفا كان عليه فدفعه إلى رجل فضربه، و قال ابن دعلج لعمرو بن شداد:

أنت و الله الصارم ٦٢٤.

و في (الطبري): قال ابن إسحاق: لما انهزم المشركون في حنين أدرك رجل من المسلمين دريد بن الصمة فأخذ بخطام جملته و هو يظنّ أنه امرأة و ذلك أنه كان في شجار له، فأناخ به و إذا هو شيخ كبير فقال له: ما ذا تريد بي؟

قال: أقتلك. قال: و من أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع السلمى. ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئا. فقال: بئسما سلحتك أمك، خذ سيفي هذا من مؤخر الرحل في الشجار ثم اضرب به و ارفع عن العظام و اخفض عن الدماغ فإنني كذلك كنت أقتل الرجال، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريدا فربّ يوم و الله قد منعت نساءك. فزعمت بنو سليم أن ربيعة قال: لما ضربته فوقع تكشف الثوب عنه فإذا عجانه و بطون فخذه مثل القرطاس عن ركوب الخيل أعراء، فلما رجع إلى أمه أخبرها بقتله فقالت: و الله لقد أعتق أمّهات لك ثلاثا ٦٢٥.

٦٢٢ (٢) ديوان معاني العسكري ١: ١٩٧.

٦٢٣ (٣) الظرائف و الطرائف للثعلبي: ٥٩.

٦٢٤ (١) مقاتل الطالبين: ٢٢٠.

٦٢٥ (٢) تاريخ الملوك و الامم للطبري ٢: ٣٥٠.

«و الزهد ثروة» قال تعالى: «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ»^{٦٢٦} قالوا: جمع تعالى في هاتين الكلمتين، و قال الشاعر:

إذا ما شئت أن تحيا حلوة المحيا فلا تحسد و لا تحقد و لا تأسف على الدنيا

٦٢٧

ص: ٣١٧

«و الورع جنّة»: «و إِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا ثُمَّ تُنْجَى الَّذِينَ آتَقَوْا وَ نَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جَنَّتًا»^{٦٢٨}.

و فى الخبر: «الصوم جنّة من النار»^{٦٢٩} و وجهه أنّ الصوم علّة للورع و التقوى قال تعالى: «كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ»^{٦٣٠}. و الورع جنّة و سبب السبب سبب.

٤

الحكمة (١٤٩) و قال عليه السلام:

هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ أَقُولُ: قال الشعبي كما روى (الخصال الشيخ الصدوق - الخصال - ص ١٨٦): إنّ أمير المؤمنين عليه السلام تكلم بتسع كلمات ارتجلهن ارتجالاً فقأن عيون البلاغة و أيتمن جواهر الحكمة و قطع جميع الأنام عن اللحاق بواحدة منهن، ثلاث منها فى المناجاة و ثلاث منها فى الحكمة و ثلاث منها فى الأدب - إلى أن قال -: و أما اللاتى فى الحكمة فقال: «قيمة كل امرئ ما يحسنه» و «ما هلك امرؤ عرف قدره»^{٦٣١}.

و لفظ الخبر مع العنوان مختلف لكن المعنى واحد، و صدق الشعبي فى كون كلمته عليه السلام مما ليس له قيمة، فمن لم يعرف قدره بالنسبة إلى الدنيا أو الآخرة هلك، أمّا الآخرة فمعلوم و أمّا الدنيا فلاّنه يعمل عملا لم يكن له أن يعمله أو يتكلم بكلام لم يكن له أن يقوله.

و فى (الأغانى): قال المهدي يوما لمروان بن أبى حفصة: أين ما تقوله

ص: ٣١٨

^{٦٢٦} (٣) الحديد: ٢٣.
^{٦٢٧} (٤) الطرائف و الطرائف للثعلبي: ٣٥.
^{٦٢٨} (١) مريم: ٧١ - ٧٢.
^{٦٢٩} (٢) الكافي ٢: ١١٩ الرواية (٥).
^{٦٣٠} (٣) البقرة: ١٨٣.
^{٦٣١} (٤) الخصال: ١٨٦.

فينا من قولك في أبينا:

إذا كرها فيها عقاب و نائل

له لحظات عن حفاقي سريره

فاعترضه آدم بن عبد العزيز فقال: هيهات أن يقول هذا و لا ابن هرمة كما قال الأخطل فينا:

و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

شمس العداوة حتى يستقاد لهم

^{٦٣٢} فعضب المهدي حتى استشاط و قال: كذب و الله ابن النصرانية العاض بظر أمه، و كذبت يا عاض بظر أمك، و الله لو لا أن يقال إنني خفرت بك لفرقتك من أكثر شعرا، خذوا برجل ابن الفاعلة. فأخرجوه على تلك الحالة و جعل المهدي - و هو يجر - يشتمه و يقول: يابن الفاعلة أراها في رؤوسكم و نفوسكم.

و في (المقاتل): كان الرشيد يسأل عمّن له ذكر و نباهة من آل أبي طالب، فذكر له عبد الله بن الحسن بن علي الأصغر المعروف بابن الأقطس، فوجه من أخذه و ادخل عليه فقال له: بلغني أنك تجمع الزيدية و تدعوهم إلى الخروج معك. قال: و الله ما أنا من هذه الطبقة، أنا غلام نشأت بالمدينة و في صحاريها أسعى على قدمي و أتصيد بالبواشق، ما هممت بغير ذلك قط. قال: صدقت و لكنني أنزلك دارا و اوكل بك رجلا واحدا يكون معك و لا يحجبك أحدا يدخل عليك. فقال: نشدتك بالله في دمي، فو الله لئن فعلت ذلك بي لأوسوسن و ليذهبن عقلي. فلم يقبل ذلك منه و حبسه فلم يزل يحتال لأن تصل رقعة إلى الرشيد حتى قدر على ذلك فأنفذ إليه رقعة مختومة فيها كل كلام قبيح و كل شتم شنيع، فلما قرأها طرحها و قال: قد ضاق صدر هذا الفتى فهو يتعرض للقتل و ما يحملني فعله على ذلك. ثم دعا جعفر بن يحيى فأمره أن يحوله إليه

ص: ٣١٩

و يوسع عليه في محبسه، فلما كان يوم عيد - و هو يوم نيروز - قدمه جعفر بن يحيى فضرب عنقه و غسل رأسه و جعله في منديل و أهداه إلى الرشيد مع هدايا فقبلها و قدمت إليه، فلما نظر إلى الرأس أفضعه و قال له: ويحك لم فعلت هذا؟ قال: لإقدامه على ما كتب به إلى الخليفة و بسط لسانه بما بسط. فقال له:

ويحك قتلك إياه بغير أمرى أعظم من فعله. ثم أمر بغسله و دفنه. فلما كان من أمره ما كان في جعفر قال لمسرور إذا أردت قتله فقل له: هذا بعبد الله بن حسن بن حسن ابن عمي الذي قتلته بغير أمرى. فقال مسرور له ذلك عند قتله ^{٦٣٣}.

٥

الحكمة (٣٦٣) و قال عليه السلام:

^{٦٣٢} (١) الأغاني ٨: ٣٠١، كذا ورد في ديوان الأخطل: ١٠٦.

^{٦٣٣} (١) مقاتل الطالبين: ٣٢٨.

مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ - وَ الْآنَاءُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ أَمَا أَصْل «الخرق» ففي (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله: لو كان الخرق خلقا يرى ما كان شيء من خلق الله تعالى أقبح منه.

و عن أبي جعفر عليه السلام: من قسم له الخرق حجب عنه الايمان^{٦٣٤}.

و أمّا المعاجلة فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»^{٦٣٥} و قال تعالى حاكيا عن سليمان: «سَنَنْظُرُ أَ صَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ»^{٦٣٦} و قال:

«وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا»^{٦٣٧}، و قال: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأَرِبَكُمْ آيَاتِي»

ص: ٣٢٠

«فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ»^{٦٣٨}، و أمّا الآناء بعد الفرصة فقالوا: الفرصة تمر مر السحاب.

و قيل لأبي العبيد: لا تعجل فإن العجلة من الشيطان. فقال: لو كانت من الشيطان لما قال كليم الله تعالى: «وَ عَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى»^{٦٣٩}، يقال: الآفات في التأخيرات^{٦٤٠}، و قال شاعر:

لغد و ليس غد له بموات

كم من مضيع فرصة قد أمكنت

ذهبت عليها نفسه حسرات

حتى إذا فاتت و فات طلابها

٦٤١ أيضا:

فلا تبد فعلك إلّا بها

و إن فرصة أمكنت في العدا

أتاك عدوك من بابها

فان لم تلج بابها مسرعا

و تأميل اخرى و أنى بها

و إياك من ندم بعدها

٦٣٤ (٢) الكافي ٢: ٣٢١ ح ٢.

٦٣٥ (٣) الحجرات: ٦.

٦٣٦ (٤) النمل: ٢٧.

٦٣٧ (٥) الاسراء: ١١.

٦٣٨ (١) الأنبياء: ٣٧.

٦٣٩ (٢) طه: ٨٤.

٦٤٠ (٣) الطرائف: ٦٥.

٦٤١ (٤) الطرائف للثعلبي: ٦٥.

٦٤٢ و بالجملة: العجلة قبل الإمكان، و التآني بعد الإمكان كلاهما مذمومان و هما من الخرق كما قال عليه السلام، و قال النبيّ صلى الله عليه و آله: من تآنى أصاب أو كاد، و من تعجل أخطأ أو كاد^{٦٤٣}. و قال القطامي:

قد يدرك المتآني بعض حاجته و قد يكون من المستعجل الزلل
و ربما فات قوما بعض نجحهم من التآني و كان الحزم لو عجلوا

٦٤٤

ص: ٣٢١

٦

الحكمة (٣٧٨) و قال عليه السلام:

البخلُ جامعٌ لمساويِّ العيوبِ - وَهُوَ زَمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ أَقُولُ: هكذا في (المصرية)^{٦٤٥} و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) «البخل جامع...» و هو الصحيح^{٦٤٦}.

«البخل جامع لمساوي العيوب» عنه عليه السلام: إذا لم يكن لله في عبد حاجة ابتلاه بالبخل^{٦٤٧}.

و في خبر: لا يجتمع الشحّ و الإيمان في قلب عبد أبدا^{٦٤٨}.

و في (الجهشياري): كان محمد بن يحيى البرمكي قبيح البخل، فدخل يوما أبو الحارث جمير - و كان يألفه - على أبيه فقال له أبوه: صف لي مائدة محمد. فقال هي فتر في فتر و صحافه منقورة من حب الخشخاش و بين نديمه و بين الرغيف نقدة جوزة. قال: فمن يحضره؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب. فقال: سوء له أنت خاص به و ثوبك مخرق. قال: و الله ما أقدر على إبره منه أخيطه بها، و لو ملك محمد بيتا من بغداد إلى النوبة مملوا إبراهيم ثم جاءه جبرئيل و ميكائيل و معهما يعقوب النبي يضمنان له عنه إبره و يسألانه إعارته إياها ليخيط بها قميص يوسف الذي قد من دبر ما فعل^{٦٤٩} و قال الشاعر:

ص: ٣٢٢

٦٤٢ (٥) الطرائف للثعلبي: ٦٥، و هو لابن المعتز.

٦٤٣ (٦) الطرائف: ٦٥.

٦٤٤ (٧) ذكره الثعلبي في الطرائف: ٦٥، و البيهقي في المحاسن و المساوي ٢: ١٣٢، و كذا نهج البلاغة ٧: ٨٧، و كذا في ديوان القطامي: ٢.

٦٤٥ (١) الطبعة المصرية المصححة بلفظ «البخل»: ٧٤٧.

٦٤٦ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣١٦.

٦٤٧ (٣) الكافي ٤: ٤٤ ح ٢٢، و كذا الفقيه ٢: ٦٣ ح ١٧١٧.

٦٤٨ (٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٣: ٣٠٢ ح ١٠.

٦٤٩ (٥) الجهشياري: ٢٤٢.

خير من البخل للفتى عدمه

و من بنين أعقته عقمه

و روى الخطيب^{٦٥٠} عن أبي العيناء قال: قال الفضل بن سهل رأيت جملة البخل سوء الظن بالله تعالى، و جملة السخاء حسن الظن بالله تعالى. قال عز و جل: «الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ»^{٦٥١} و قال عز و جل: «وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ»^{٦٥٢}.

«و هو زمام يقاد به إلى كل سوء» عنه عليه السلام لرجل سمعه يقول: «الشحيح أعذر من الظالم»: كذبت، إن الظالم يتوب و يستغفر الله و يردّ الظلامة على أهلها، و الشحيح إذا شحّ منع الزكاة و الصدقة و صلة الرحم و إقراء الضيف و النفقة في سبيل الله و أبواب البرّ، و حرام على الجنّة أن يدخلها شحيح^{٦٥٣}.

٧

الحكمة (٢٥٤) و قال عليه السلام:

مَا لِابْنِ آدَمَ وَ الْفَخْرِ - أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ وَ آخِرُهُ جِيفَةٌ - وَ لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ وَ لَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ أَقُولُ: لما سمع صاحب بن عبادة قول المتنبي:

أى محل أرتقى

أى عظيم أتقى

و كل ما خلق الله

و ما لم يخلق

محتقر فى همّتى

كشعرة فى مفرقى

٦٥٤

ص: ٣٢٣

قال: قبيح بمن أوله نطفة مذرة، و آخره جيفة قذرة، و هو فيما بينهما حامل بول و عذرة أن يقول مثل هذا الكلام الذى لا تسعه معذرة.

٦٥٠ (١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٢: ٣٤٢-٣٤٣.

٦٥١ (٢) البقرة: ٢٦٨.

٦٥٢ (٣) سبأ: ٣٩.

٦٥٣ (٤) الكافي ٤: ٤٤ الرواية ١.

٦٥٤ (٥) المتنبي: ١٧٤.

«ما لابن آدم والفخر» في (نسب قریش مصعب الزبيري): كان على بن يزيد بن ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب أشدّ الناس فخرا، و يضرب به المثل للشيء إذا كان ثقيلا فيقال «أثقل من فخر ابن ركانة»^{٦٥٥}.

و ممن أفرط في الفخر قابوس بن و شمكير فقال في وصف نفسه - كما في (ديوان معاني العسكري) - ملك عنان الدهر فهو طوع قياده و تبع مراده، ينتظر أمره ليمتثل و يرقب نهيه ليعتزل، تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له في الانقياد كبعض خدمه، إذا رأت منه هشاشة أعشبت، و إن أحسّت منه بجفوة أجذبت، خيله الغرما و الأوهام، و أنصاره الليالي و الأيام، من هرب منه أدركه بمكائدها، و من طلبه وجده في مراصدها، تعرض رفاهية العيش بإعراضه، و تنقبض الأرزاق بانقباضه، أضاء نجم الإقبال إذا أقبل، و أهّل هلال المجد إذا تهلل، تحقر في عينه الدنيا، و ترى تحته السماء العليا، قد ركب عنق الفلك و استوى على ذات الحبك، تبرّجت له البروج و تكوكت لعبادته الكواكب، و استجارت بعزته المجرة، و آثرت لمحاسنه أوضاع الثريا، لو شاء عقد الهواء و جسم الهباء، و فصل تراكيب الأشياء، و ألف بين النار و الماء، و أخدم ضياء الشمس و القمر، و كفاهما عناء السير و السفر، و سد مناخر الرياح الزعازع، و أطبق أجفان البروق اللوامع و قطع السنة الرعود بسيف الوعيد، و نظم صوب الغمام نظم الفريد، و قضى ما يراه على القضاء النازل، و رفع عن الأرض سطوة الزلازل، و عرض الشيطان بمعرض الإنسان، و كحل العيون بصور الغيلان، و أنبت العشب على البحار، و ألبس الليل ضوء النهار،

ص: ٣٢٤

و مهاجرة من هذه قدرته ضلال، و منابذة من هذه سورته خبال، و من له هذه المعجزات يشتري رضاه بالنفس و الحياة، و من يأتي بهذه الآيات يبتغي هواه بالصوم و الصلاة، و من لم يتعلّق بحبل منه كان بهيما لاشية به، و من لم يأو منه إلى ظلّ ظليل ظل صريعا لا عصمة له، لو علمت أنّ الأرض، لا تسف تراب قدمي لما وضعت عليها جانبا، و أنّ السماء لا تتوق إلى تقبيل هامتي لما رفعت إليها طرفا^{٦٥٦} - إلخ.

قَبَّحَهُ اللَّهُ قَبَّحَهُ مَا أَسْفَهُهُ، مَا أَسْفَهُهُ، وَ لَنَعْمَ مَا قَالَ الصَّاحِبُ فِيهِ، لَقَبَ نَفْسَهُ شَمْسَ الْمَعَالِي وَ كَانَ كَسُوفِهَا.

و في (المعجم) لم يكن قابوس يعرف حدّا في التأديب غير ضرب الأعناق، فتبرّم به عسكره - و كان خرج إلى قصر بناه و سمّاه شه آباد - فتعاهدوا أن يتسلقوا عليه و يغتالوه، و قد واطأهم على الأمر جميع من كان معه في الحصن، فتعدّر عليهم الصعود إليه، فنعهو إلى الناس، فانتهت اصطبلاته و سيقّت دوابّه و بغاله، و قلّدوا ابنه الأمر، فخرج قابوس إلى بسطام مع خزائنه فحصره ابنه و امتنع هو عليه، ثم أمكن من نفسه عند الضرورة فقبض عليه و حمل إلى بعض القلاع و ذكر أنّه اغتيل...^{٦٥٧}.

و ممّن فخر عضد الدولة فقال في نفسه:

ملك الأملاك غلاب القدر

عضد الدولة و ابن ركنها

^{٦٥٥} (١) نسب قریش لمصعب الزبيري: ٩٦.

^{٦٥٦} (١) ديوان معاني العسكري ١: ٨٦ - ٨٧.

^{٦٥٧} (٢) المعجم ١٦: ٢٣٢.

و فى (اليتيمة)^{٦٥٨}: يحكى أن عضد الدولة لما احتضر لم ينطق لسانه إلّا بتلاوة «ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه»^{٦٥٩}.

ص: ٣٢٥

و من الفخورين جذيمه الأبرش، كان مع برصه لا ينادم أحدا ذهابا بنفسه و كان يقول: أنا أعظم من أن أ نادم إلّا الفرقدين، فكان يشرب كأسا و يصبّ لكلّ واحد من الفرقدين كأسا فى الأرض، فلما أتاه مالك و عقيل بابتين اخته الذى استهوته الشياطين، قال لهما: احتكما. فقالا له: منادمتك. فنادماه أربعين سنة يحادثانه فيها و ما أعادا عليه حديثا^{٦٦٠}.

هذا، و فى (ديوان المعاني): أفخر بيت قالته العرب قول جرير:

إذا غضبت عليك بنو تميم
حسبت الناس كلهم غضابا

^{٦٦١} و قول الفرزدق:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا
و إن نحن أو مانا إلى الناس و قفوا

^{٦٦٢} و فى (نسب قریش ابن بكار): جلس محمد بن هشام المخزومي إذ كان على مكة فى الحجر، فاختصم إليه عيسى بن عبد الله و عثمان بن أبى بكر الحميدان - أى: من ولد حميد بن زهير بن الحارث بن أسد - فقال محمد: أنا ابن الوحيد لأقضي بينكما بقضاء يتحدث به أهل القريتين قضاء مغيريا. فقال عثمان: صه صه حبوا أ تدرى من الرجل معك؟ أ زهر لزهر المتسربل المجد معه إزاره و رداؤه. و قال عيسى: نوّهت بما جد لما جد بكر لبكر، و الله ما أنا بنافخ كبير و لا ضارب زير لو ثقبت قدماى لانتشرت منهما بطحاء مكة، أنا بن زهير دفين الحجر. فقال محمد: قوموا كنتم و حشا فى الجاهلية و ما استأنستم فى الإسلام^{٦٦٣}.

«أوله نطفة و آخره جيفة» فى (العيون): قال الأحنف: عجبت لمن جرى فى

ص: ٣٢٦

مجرى البول مرتين كيف يتكبر^{٦٦٤}، و قال شاعر:

^{٦٥٨} (٣) اليتيمة ٢: ٢٥٩.
^{٦٥٩} (٤) الحاقّة: ٢٨ - ٢٩.
^{٦٦٠} (١) عيون الأخبار ١: ٢٧٤.
^{٦٦١} (٢) ديوان المعاني: ٧٦.
^{٦٦٢} (٣) ديوان الفرزدق: ٣٢.
^{٦٦٣} (٤) نسب قریش: ٤٤٧ - ٤٤٨.
^{٦٦٤} (١) العيون ١: ٢٧٢.

انظر خلاءك إنَّ التَّنَّ تتريب

يا مظهر الكبر إعجاباً بصورته

لما استشعر الكبر شبَّان و لا شيب

لو فكَّر الناس فيما فى بطونهم

و هو لخمس من الأقدار مضروب

هل فى ابن آدم غير الرأس مكرمة

و العين مرمضة و الثغر ملعوب

أنف يسيل و اذن ريحها سهك

أقصر فإنَّك مأكول و مشروب

يابن التراب و مأكول التراب غدا

٦٦٥ «لا يرزق نفسه» و ما فى (المصريَّة): «و لا يرزق نفسه»^{٦٦٦} تحريف.

فى (العيون): قال المدائنى: رأيت مولى باهلة يطوف بين الصفا و المروة على بغلة ثمَّ رأيتَه بعد ذلك راجلاً فى سفر، فقلت له: أراجل فى هذا الموضع؟ قال: نعم إننى ركبت حيث يمشى الناس فكان حقاً على الله أن يرجلنى حيث يركب الناس^{٦٦٧}.

«و لا يدفع حتفه» أى: موته «الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَ قَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَأُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»^{٦٦٨}، «يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ»^{٦٦٩}.

و فى الخبر: إذا جزع أحد من أهل الميت يقول له ملك الموت: فادراً عن نفسك الموت إن كنت صادقاً.

ص: ٣٢٧

و قال ابن قتيبة: قال لى رجل: سمعت رجلاً ينشد:

طويل التمنى قليل الفكر

ألا رب ذى أجل قد حضر

تبينت فى منكبيه البطر

إذا هزَّ فى المشى أعطافه

٦٧٠ فعدوت عليه لأكتب تمام القصيدة، فوجدته قد مات.

٨

٦٦٥ (٢) العيون ١: ٢٧٣.

٦٦٦ (٣) الطبعة المصرية المصححة «لا يرزق نفسه»: ٧٦١.

٦٦٧ (٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ١: ٢٧٣.

٦٦٨ (٥) آل عمران: ١٦٨.

٦٦٩ (٦) آل عمران: ١٥٤.

٦٧٠ (١) العيون ١: ٢٧٣.

الحكمة (٤٦١) و قال عليه السلام:

الْغِيْبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ قَالُوا: وَ شَرُّ عِدَاوَةِ الْمَرْءِ السَّبَابُ.

و قالوا: الغيبة إدام كلاب النار^{٦٧١}.

و قال ابن أبي الحديد: قيل للأحنف: من أشرف الناس؟ قال: من إذا حضر هابوه و إذا غاب اغتابوه^{٦٧٢}.

٩

الخطبة (١٣٨) و من كلام له عليه السلام فى النهى عن غيبة الناس:

وَ إِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَ الْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِى السَّلَامَةِ - أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَ الْمَعْصِيَةِ - وَ يَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ - وَ الْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ - فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِى عَابَ أَخًا وَ غَيْرَهُ أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ - مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الذَّنْبِ الَّذِى عَابَهُ بِهِ - وَ كَيْفَ يَذُمَّهُ

ص: ٣٢٨

بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ - فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ الذَّنْبَ بَعِيْنِهِ - فَقَدْ عَصَى اللَّهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ - وَ إِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِى الْكِبَرِ - وَ عَصَاهُ فِى الصَّغِيرِ لَجَرَّتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ - يَا عَبْدَ اللَّهِ لَا تَعْجَلْ فِى عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ - فَلَعَلَّهُ مُغْفُورٌ لَهُ وَ لَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ - فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ - فَلْيَكْفُفْ مَنْ عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ - وَ لِيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ أَقُول: قول المصنّف: «فى النهى عن غيبة الناس» قال الجوهرى: اغتابه اغتيايا إذا وقع فيه، و الاسم الغيبة، و هو ان يتكلّم خلف إنسان مستور بما يغمّه لو سمعه، فإن كان صدقا فهو غيبة، و إن كذبا سمى بهتاناً^{٦٧٣}.

و فى (الكافى): عن أبى الحسن عليه السلام: من ذكر رجلا من خلفه بما هو فيه ممّا عرفه الناس لم يغتبه، و من ذكره بما هو فيه ممّا لا يعرفه الناس اغتابه^{٦٧٤}.

و عن الصادق عليه السلام: الغيبة أن تقول فى أخيك ممّا ستره الله عليه، أما الأمر الظاهر مثل الحدة و العجلة فلا^{٦٧٥}.

قوله عليه السلام: «و إنما ينبغى لأهل العصمة» أى: من عصمه الله بلطفه من معصيته.

^{٦٧١} (٢) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٨.

^{٦٧٢} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٧٩.

^{٦٧٣} (١) الصحاح للجوهري ١: ١٩٦، مادة (غيب).

^{٦٧٤} (٢) الكافي ٢: ٣٥٨ ح ٦.

^{٦٧٥} (٣) الكافي للكليني ٢: ٣٥٨ ح ٧.

«والمصنوع إليهم» أى: المنعم عليهم من الله تعالى فى السلامة من الذنوب و العيوب.

«أن يرحموا أهل الذنوب و المعصية» حيث أعدوا لأنفسهم العقوبة و لمثلهم يحق الترحم «يا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا»

ص: ٣٢٩

«كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِؤْنَ»^{٦٧٦}.

«و يكون الشكر هو الغالب عليهم» حيث عصمهم الله تعالى و لم يتيسر لهم أسباب المعصية مثل أولئك «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ»^{٦٧٧}، «لَوْ لَا أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَّا»^{٦٧٨}.

«و الحاجز» أى: المانع.

«لهم عنهم»: أى: عن أهل الذنوب بترك ذمهم.

و مع ذلك فالغيبه من الكبائر، و يكفى فى ذمها قوله تعالى: «وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا أَوْ يُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ»^{٦٧٩}.

و قال ابن أبي الحديد: قال النبىّ صَلَّى الله عليه و آله فى خطبته فى حجة الوداع: أيها الناس إنّ دماءكم و أموالكم و أعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا^{٦٨٠}.

و سمع على بن الحسين عليهما السلام رجلا يغتاب آخر فقال: لكلّ شيء إداما و إدام كلاب النار الغيبه^{٦٨١}.

و فى حديث ابن عباس: إنّ رجلين من أصحاب النبىّ صَلَّى الله عليه و آله اغتابا بحضرته رجلا- و النبىّ صَلَّى الله عليه و آله يمشى و هما معه- فمر على جيفة فقال لهما: انهشها منها. فقالا: أو نهش الجيفة. فقال صَلَّى الله عليه و آله لهما: ما أصبتما من

ص: ٣٣٠

أخيكما أتنن من هذه^{٦٨٢}.

^{٦٧٦} (١) يس: ٣٠.

^{٦٧٧} (٢) الأعراف: ٤٣.

^{٦٧٨} (٣) القصص: ٨٢.

^{٦٧٩} (٤) الحجرات: ١٢.

^{٦٨٠} (٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٢.

^{٦٨١} (٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦٢، و هو حديث طويل ذكره المجلسي فى بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٦ ح ٨.

^{٦٨٢} (١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٦١.

و فى حديث البراء بن عازب: خطبنا النبىّ صَلَّى الله عليه و آله حتى أسمع العواتق فى خدورهن: ألا لا تغتابوا المسلمين و لا تتبعوا عوراتهم، فإنه من اتبع عورة أخيه يتتبع الله عورته، و من يتتبع الله عورته يفضحه فى جوف بيته^{٦٨٣}.

و فى حديث أنس: قال النبىّ صَلَّى الله عليه و آله فى يوم صوم: إن فلانة و فلانة كانتا تأكلان اليوم شحم امرأة مسلمة - يعنى بالغيبه - فلتقيثا. فقاءت كل واحدة منهما علقه دم^{٦٨٤}.

و روى جابر و أبو سعيد عن النبىّ صَلَّى الله عليه و آله: إياكم و الغيبه فإن الغيبه أشد من الزنا، إن الرجل يزنى فيتوب الله عليه، و إن صاحب الغيبه لا يغفر له حتى يغفر صاحبه ...^{٦٨٥}.

و روى (الكافى) عن نوف البكالى قال: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام و هو فى رحبه مسجد الكوفه - فقلت له: عظمى. فقال: اجتنب الغيبه فإنها إدام كلاب النار، يا نوف كذب من زعم أنه ولد من حلال و هو يأكل لحوم الناس بالغيبه^{٦٨٦}.

و عن النبىّ صَلَّى الله عليه و آله: الغيبه أسرع فى دين الرجل المسلم من الأكله فى جوفه^{٦٨٧}.

و عن الصادق عليه السلام: من قال فى مؤمن ما رآته عيناه و سمعته أذناه فهو

ص: ٣٣١

من الذين قال تعالى «إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ»^{٦٨٨}.

و قال ابن أبى الحديد: و روى أن أبا بكر و عمر ذكرا رجلا عند النبىّ صَلَّى الله عليه و آله فقال أحدهما: إنه لنؤوم، ثم اخرج النبىّ صَلَّى الله عليه و آله خبزا فقارا فطلبا منه أدما فقال:

قد ائتد متما. قال: ما نعلمه؟ قال: بلى أكلتما من لحم صاحبكما^{٦٨٩}.

قال ابن أبى الحديد: كان أحدهما قاتلا و الآخر مستمعا، و المستمع لا يخرج من إثم الغيبه إلّا بأن ينكر^{٦٩٠}.

و بلغ الحسن أن رجلا اغتابه، فأهدى إليه طبقا من رطب، فجاء الرجل معذرا و قال: اغتبتك و أهديت لى؟ قال: إنك أهديت إلى حسناتك فأردت أن أكافئك^{٦٩١}.

^{٦٨٣} (٢) الكافي ٢: ٣٥٤ ح ٢، و ذكره ابن أبى الحديد ٩: ٦٠.

^{٦٨٤} (٣) الفقيه ٣: ٨٥ ح ٣٣٨٤، ذكره ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ٩: ٦١.

^{٦٨٥} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٦١، و كذا بحار الأنوار ٧٥: ٢٢٢ ح ١.

^{٦٨٦} (٥) ذكره المجلسي فى بحار الأنوار عن الأمالي ٧٥: ٢٤٨ ح ١٣ باب ٦٦.

^{٦٨٧} (٦) الكافي للكليني ٢: ٣٥٦ ح ١.

^{٦٨٨} (١) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٠ ح ٢، و الآية ١٩ من سورة النور.

^{٦٨٩} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٦٨.

^{٦٩٠} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٦٩.

^{٦٩١} (٤) بحار الأنوار ٧٥: ٢٤٣ الرواية (٤) الباب ٦٦.

«فكيف بالعائب الذى عاب أخاه» يعنى إذا كان العائب أخاه سالما مما عابه كان فعل قبيحا، فكيف إذا كان مثله. و فى (العيون):
كان رجل من المتزمتين لا يزال يعيب النبيذ و شربه فإذا وجده سراً شربه، فقال فيه بعض جيرانه:

و عيابة للشرب لو أن أمه
تبول نبیذا لم یزل یستیبلها

٦٩٢ «و عیره یبلواه» أى: بابتلائه.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام: من عیّر مؤمنا بذنب لم یمت حتى یركبه. و عنه علیه السلام من لقی أخاه بما یؤنبه آنبه
اللّٰه تعالیٰ فى الدنیا و الآخرة ٦٩٣.

ص: ٣٣٢

«اما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ممّا» هكذا فى (المصرية) ٦٩٤ و الصواب «ما» كما فى (ابن أبى الحديد) ٦٩٥ و ابن میثم و
الخطیة).

«هو أعظم من الذنب الذى عابه به» فى الخبر لو لا منّ الله تعالى على عباده بالستر عليهم لما دفن الناس كثيرا منهم لشنائع
أعمالهم.

و فى (الكافى)- فى خبر فى إقرار امرأة بالزنا عند أمير المؤمنين عليه السلام و أمره بجمع الناس لحدها-: «أيها الناس إنّ
إمامكم خارج بهذه المرأة إلى هذا الظهر ليقیم عليها الحد، فعزم عليكم لما خرجتم و أنتم متكرون و معكم أحجاركم لا یتعرّف
أحد منكم إلى أحد حتى تنصرفوا إلى منازلکم» فلما أصبح أمير المؤمنين عليه السلام بكرة خرج بالمرأة و خرج الناس
متكربين متلتئمين بعمائهم و بأردیتهم و الحجارة فى أيديهم و فى أكمامهم، حتى انتهى بها و الناس معه إلى الظهر بالكوفة، فأمر
لها أن يحفر حفيرة ثم دفنها فيها ثم ركب بغلته و أثبت رجلیه فى غزر الركاب ثم وضع إصبغیه السابيتين فى اذنيه ثم نادى
بأعلى صوته: أيها الناس إنّ الله عز و جل عهد إلى نبيّہ صلی الله عليه و آله أنّه لا یقیم الحدّ من له عليه حد، فمن كان له عليه
مثل ما له عليها فلا یقیم الحد.

فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين و الحسن و الحسين عليهم السلام ... ٦٩٦.

«فإن لم يكن ركب الذنب بعينه فقد عصى الله فى ما سواه مما هو أعظم منه» فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السلام: كفى
بالمرء عيبا أن یتعرّف من عيوب الناس ما يعمى عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمرا هو فيه لا يستطيع

٦٩٢ (٥) العيون ٢: ١٩.
٦٩٣ (٦) الكافى ٢: ٣٥٦ ح ٣.
٦٩٤ (١) الطبعة المصرية المصححة: ٣١٠.
٦٩٥ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥٩، النسخة الخطیة ورد النص بلفظ «أما» بخلاف ما ذكره العلامة لأن اعتماد العلامة على شرح ابن میثم على
اعتبار أنّه بخط المصنّف.
٦٩٦ (٣) الكافى ٧: ١٨٥ ح ١.

ص: ٣٣٣

التحول عنه إلى غيره، أو يؤذى جلسيه بما لا يعنيه^{٦٩٧}.

و قال الشاعر:

اسكت و لا تنطق فإنك خياب كلك ذو عيب و أنت عياب

و قال أيضا:

كل عياب له منظرٌ مشتمل الثوب على العيب

و في (كامل المبرّد): كان أبو الهندي غلب عليه الشراب على كرم منصبه، فجلس إليه رجل يعرف ببرزين المناكير - و كان أبوه صلب في خراية - و الخراية عندهم سرق الإبل خاصة - فأقبل يعرض لأبي الهندي بالشراب، فلما أكثر عليه قال أبو الهندي: أحدهم يرى القذى في عين أخيه و لا يرى الجذع في است أبيه^{٦٩٨}.

«و ايم الله لئن لم يكن عصاه في الكبير و عصاه في الصغير لجرأته على عيب الناس أكبر» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه و هدم مروته ليسقطه من أعين الناس أخرجه الله تعالى من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان^{٦٩٩}.

«يا عبد الله لا تعجل على عيب أحد فلعله مغفور له، و لا تأمن على صغير معصيتك فلعلك معذب عليه» في الخبر: أن الله تعالى يحبّ العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم، و ييغض العبد أن يستخف بالجرم الصغير، فلعلّ الأول استغفر من كبير ذنبه و لا ذنب مع الاستغفار، و هو أصرّ على صغير ذنبه و لا صغيرة مع الإصرار، و مما لا يغفر ذنب تستصغره^{٧٠٠}.

ص: ٣٣٤

«فليكف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، و ليكن شاغلا له على معافاته مما ابتلى به غيره» في الخبر: التقى حكيمان فقال أحدهما للآخر:

إنّي لأحبك في الله. فقال له الآخر: لو علمت مني ما أعلمه من نفسي لأبغضتني في الله، فقال له صاحبه: لو علمت منك ما تعلم من نفسك لكان لي في ما أعلمه من نفسي شغل^{٧٠١}.

^{٦٩٧} (١) الكافي ٢: ٤٦٠ ح ٣.

^{٦٩٨} (٢) الكامل للمبرّد ٢: ٧٥٤.

^{٦٩٩} (٣) الكافي ٢: ٣٥٨ ح ١.

^{٧٠٠} (٤) الكافي ٢: ٤٢٧ ح ٦.

و في (الكافي): خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أيها الناس إن الذنوب ثلاثة ذنب مغفور و ذنب غير مغفور و ذنب يرجى لصاحبه و يخاف عليه: أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه في الدنيا و الله تعالى أكرم من أن يعاقب عبده مرتين، و أمّا الذنب الذي لا يغفره الله فظلم العباد بعضهم لبعض.

إنّ الله تعالى إذا برز للخليقة أقسم قسما على نفسه فقال: و عزّتي و جلالتي لا يجوز في ظلم ظالم و لو كفا بكف و لو مسحة بكفّ لو نطحة ما بين القرناء و الجماء فيقتص للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد على أحد مظلمة ثم يبعثهم الله للحساب، و أمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه و رزقه التوبة منه فأصبح خائفا من ذنبه راجيا لرّبه^{٧٠٢}.

١٠

الحكمة (٢١٢) و قال عليه السلام:

عُجِبُ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ أَقُول: روى ميمون بن علي عن الصادق عليه السلام قال: قال أمير

ص: ٣٣٥

المؤمنين عليه السلام: إعجاب المرء بنفسه دليل على ضعف عقله^{٧٠٣}.

في (المروج): قال العروضي مؤدب الراضي: قيل لقتيبة بن مسلم - و كان على خراسان من قبل الحجاج و كان محاربا للترك - لو وجهت فلانا - أحد أصحابه - إلى الحرب؟ فقال: إنّه رجل عظيم الكبر، و من عظم كبره اشتدّ عجبه و لم يشاور أحدا و كان من الخذلان قريبا، و ما تكبر أحد على صاحب حرب إلّا كان منكوبا لا و الله حتى يكون أسمع من فرس و أبصر من عقاب و أهدى من قطاة و أخطر من عقق و أشدّ إقداما من أسد و أوثب من فهد و أحمق من جمل و أروغ من ثعلب و أسخى من ديك و أشحّ من ظبي و أحرص من كركي و أحفظ من كلب و أصبر من ضب و أجمع من النمل، و إنّ النفس إنّما تسمح بالعناية على قدر الحاجة و تتحفّظ على قدر الخوف و تطمع على قدر السبب، و قد قيل على وجه الدهر ليس لمعجب رأى و لا لتكبر صديق^{٧٠٤}.

أيضا: تنازع أهل السير في كيفية قتل عبد الملك عمرو بن سعيد الأشدق: فمنهم من رأى أنّ عبد الملك قال لحاجبه أ تستطيع إذا دخل عمرو أن تغلق الباب؟ قال: نعم. قال: فافعل - و كان عمرو رجلا عظيم الكبر لا يرى لأحد عليه فضلا و لا يلتفت - و هو يظن أنّ أصحابه قد دخلوا معه كما كانوا يدخلون، فعاتبه عبد الملك طويلا - و قد كان وصّى صاحب حرسه أبا الزعزعة بأن يضرب عنقه - فكلمه عبد الملك و أغلظ له القول فقال: يا عبد الملك أ تستطيع على كآنك ترى على فضلا، إن شئت

^{٧٠١} (١) لم نعثر عليه.

^{٧٠٢} (٢) الكافي ٢: ٤٤٣ ح ١.

^{٧٠٣} (١) الكافي ١: ٢٧ الرواية ٣١.

^{٧٠٤} (٢) المروج ٤: ٢٣٧.

نقضت العهد بيني وبينك ثم نصبت لك الحرب. فقال عبد الملك: قد شئت ذلك. فقال: و أنا قد فعلت. فقال عبد الملك: يا أبا الزعزعة شأنك به. فالتفت عمرو إلى أصحابه فلم يرههم في الدار، فدنا من عبد

ص: ٣٣٦

الملك فقال: ما يدنيك؟ قال: ليمسني رحمك. فضربه أبو الزعزعة فقتله.

وقيل إن عمرا لما خرج من منزله يريد عبد الملك عثر بالبساط، فقالت له امرأته: أنشدك الله ألا تأتيه. فقال: دعيني عنك فوالله لو كنت نائما ما أيقظني.

وقالوا: كانت نخوة عمارة بن حمزة في الغاية، فأراد المنصور أن يعث به، فخرج يوما من عنده فأمر بعض الخدم أن يقطع حمائل سيفه لينظر أ يأخذه أم يتركه، ففعل ذلك فسقط السيف فمضى عمارة لوجهه و لم يلتفت.

وكان إذا أخطأ تكبر عن الرجوع ويقول: نقض و إبرام في ساعة واحدة؟ الخطأ أهون على من هذا^{٧٠٥}.

١١

الحكمة (١٦٧) و قال عليه السلام:

الْعُجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الْإِذْيَادِ و ما في (المصرية)^{٧٠٦}: «يَمْنَعُ الْإِذْيَادُ» تحريف.

في (المروج): ذكر ابن رآب عن عيسى بن علي قال: ما زال المنصور يشاورنا في جميع اموره حتى امتدحه ابن هرمة بقوله:

فناجي ضميرا غير مختلف العقل

إذا ما أراد الدهر ناجي ضميره

إذا انتقضت بالإصبعين قوى الحبل

و لم يشرك الاذنين في سر أمره

٧٠٧

ص: ٣٣٧

١٢

^{٧٠٥} (١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٣٧.

^{٧٠٦} (٢) النسخة المصرية المصححة كما جاء عند المصنف: ٦٩٨.

^{٧٠٧} (٣) المروج ٣: ٢٨٩.

الحكمة (٢٢٥) و قال عليه السلام:

الْعَجَبُ لِعَفْلَةِ الْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ قَالُوا: تَذَكَّرْ قَوْمٌ مِنْ ظُرْفَاءِ الْبَصْرَةِ الْحَسَدَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: إِنَّ النَّاسَ رُبَّمَا حَسَدُوا عَلَى الصُّلْبِ. فَأَنْكَرُوا عَلَيْهِ ذَلِكَ. ثُمَّ جَاءَهُمْ بَعْدَ أَيَّامٍ فَقَالَ: إِنَّ الْخَلِيفَةَ أَمَرَ بِصُلْبِ الْأَحْنَفِ وَ مَالِكِ بْنِ مَسْمَعٍ وَ حَمْدَانَ الْحِجَامِ. فَقَالُوا: هَذَا الْخَبِيثُ - يَعْنُونَ حَمْدَانَ - يَصْلُبُ مَعَ هَذَيْنِ الرَّئِيسَيْنِ - يَعْنُونَ الْأَحْنَفَ وَ مَالِكَ - فَقَالَ: أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنَّ النَّاسَ يَحْسَدُونَ عَلَى الصُّلْبِ^{٧٠٨}.

و حكى أن امرأة قالت لزوجها- و كان أصلع - لست أحسد إلّا شعرك حيث فارقتك و استراح منك.

و فى (تاريخ بغداد): عن الأصمعى قال: مررت بأعرابية تمدح غزلها و هى تقول:

رأيتك بعد الله تجبر فاقتنى إذا ما جفاني الأقربون تعود

دراهم بيض لا تزال ترى لنا و ثوب إذا ما شئت مثل حديد

فلو كنت عبدا يستغل حسدتنى و أنت على كسب العبيد تزيد

^{٧٠٩} و فى (كنايات الجرجاني): حكى بعضهم أنه قال للمأمون: أنت أحسد الناس. فغضب من ذلك. فقال له: تحسد على المكارم فلا تدع لأحد مكرمه إلّا سبقت إليها. فأعجبه ذلك و وصله^{٧١٠}.

ص: ٣٣٨

و فى (الطبرى): انصرف أبو أحمد- أبو المعتضد- من الجبل إلى العراق فى سنة (٢٧٨) و قد اشتد به وجع النقرس حتى لم يقدر على الركوب، فاتخذ له سرير عليه قبة، فكان يقعد عليه و معه خادم يبرّد رجله بالأشياء الباردة حتى بلغ من أمره أنه كان يضع عليها الثلج، ثم صارت علّة رجله داء الفيل و كان يحمل سريره أربعون حمّالا يتناوب عليه عشرون عشرون، و ربما اشتد به أحيانا فيأمرهم أن يضعوه، فذكر أنه قال يوما للذين يحملونه: قد ضجرتم بحملى و ددت أنى أكون كواحد منكم أحمل على رأسى و آكل و أنا فى عافية، و قال: أطبق دفترى على مائة ألف مرتزق ما أصبح فيهم أسوأ حالا منى^{٧١١}.

هذا، و مما يناسب المقام من الأدب قول بعضهم: فلان جسد كلّ حسد، و عقد كلّ حقد. و قالوا: كلّ نعمة محسود عليها إلّا التواضع.

^{٧٠٨} (١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٧.

^{٧٠٩} (٢) تاريخ بغداد ٦: ١٧٩، و الشعر لأبي بكر الحسن العلاف.

^{٧١٠} (٣) كنايات الجرجاني: ٧٠.

^{٧١١} (١) تاريخ الطبرى ٨: ١٥٦.

هذا، واضح أنّ مراده عليه السلام من قوله: «العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد» أن الناس يحسدون غيرهم على رؤية مال أو جاه عندهم و هما من نعم الله تعالى، و سلامة الأجساد لو لم تكن فوق المال و الجاه فليست بدونهما، فكيف غفلوا عن حسدهم عليها؟

و لم يفهم ابن أبي الحديد مراده عليه السلام فخطب فقال: إنّما لم يحسد الحاسد على صحّة الجسد لأنّه صحيح الجسد فقد شارك في الصحّة و ما شارك الإنسان غيره لا يحسده عليه^{٧١٢}.

فترى شرحه بما يكون ردّا عليه عليه السلام مع أنّه أتى بتعليل عليل، فالحاسد يحسد غيره على المال و الجاه و إن كان هو ذا مال و جاه.

و قال ابن أبي الحديد أيضا: و يجوز أن يريد تعجّبه عليه السلام من غفلة

ص: ٣٣٩

الحساد على أنّ الحسد مقتضى سقمهم^{٧١٣}.

و هو أيضا خطب، فإنّ ما قاله إنّما هو معنى قوله عليه السلام الآخر «صحّة الجسد من قلّة الحسد» الآتي، لا هذا القول.

١٣

الحكمة (٢٥٦) و قال عليه السلام:

صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ فِي (العيون): قال الشعبي: الحسود منغص بما في يد غيره.

و قال بزرجمهر: ما رأينا أشبه بالمظلوم من الحاسد.

و قال الأحنف: لا راحة لحسود^{٧١٤}.

و كان يقال: ستّة لا يخلون من الكآبة: طالب مرتبة لا يبلغها قدره، و مخالط الادباء بغير أدب، و رجل افتقر بعد غنى، و غنى يخاف على ماله التوى، و حقود و حسود^{٧١٥}.

و قال الأصمعي: رأيت أعرابيا قد أتت له مائة و عشرون سنة، فقلت له:

^{٧١٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٩.

^{٧١٣} (١) المصدر نفسه.

^{٧١٤} (٢) عيون الأخبار ٢: ١٠.

^{٧١٥} (٣) (٥) عيون الأخبار ٢: ١١، شرح نهج البلاغة ١: ٣١٧.

ما أطول عمرک؟ فقال: ترک الحسد فبقیت^{٧١٦}.

و قال زید بن الحکم الثقفی:

تملأت من غیظ علی فلم یزل
و ما برحت نفس حسود غشيتها
بک الغیظ حتی کدت بالغیظ تشوی
تذیک حتی قبل هل أنت مکتوی
و قال النطاسیون إنک مشعر
سلالا لا بل أنت من حسد دوی

ص: ٣٤٠

بدا منک غش طالما قد کتمته
جمعت - و فحشا - غيبة و نميمة
كما کتمت داء ابنها أم مدوی
خلالا ثلاثا لست عنها بمرعوی

و قوله «و فحشاء» من تقدم المعطوف ضرورة، و الأصل جمعت غيبة و فحشاء و نميمة^{٧١٧}.

و روى أبو الفرج أنه أنشد لبشار قول حماد عجرد:

أخی كفّ عن لومی فإنک لا تدری
بما فعل الحبّ المبرح فی صدری

الأدبيات. فطرب ثم قال: ويلکم لمن هذه الأبيات أحسن و الله. قالوا: حماد عجرد. قال: أوه و الله و کلتمونى بقیة یومی بهمّ
طویل، و الله لا أطعم بقیة یومی طعاما و لا أصوم غمّا بما یقول النبطی ابن الزانیة مثل هذا^{٧١٨}.

١٤

الحکمة (٤٦) و قال علیه السلام:

سَيِّئَةٌ تَسُوْءُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ أَقُولُ: فی خبر: صام رجل أربعين سنة ثم دعا الله تعالى فی حاجة فلم يستجب له، فرجع
إلى نفسه فقال: منک أتيت. فكان اعترافه أفضل من صومه.

^{٧١٦} (٤) المصدر نفسه.

^{٧١٧} (١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١١.

^{٧١٨} (٢) الأغاني ١٤: ٣٦٢.

و قيل لرابعة الفيسية: هل عملت عملا قط ترين أنه يقبل منك؟ قالت: إن كان شيء فخوفي من أن يردّ عليّ^{٧١٩}.

و في (الكافي) عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: بينا موسى عليه السلام جالس إذ أقبل إبليس و عليه برنس ذو ألوان، فلما دنا منه خلع البرنس و سلّم عليه، فقال له موسى:

ص: ٣٤١

و من أنت؟ قال: أنا إبليس. قال: لا قرب الله دارك. قال: إنّي جئت لأسلم عليك لمكانك من الله تعالى. فقال له موسى عليه السلام: فما هذا البرنس؟ قال: به اختطف قلوب بني آدم. فقال له: ما الذنب الذي إذا فعله ابن آدم استحذت عليه؟ فقال:

إذا أعجبته نفسه استكثر عمله و صغر في عينه ذنبه^{٧٢٠}.

و عن الصادق عليه السلام: إنّ الله تعالى علم أنّ الذنب خير للمؤمن من العجب، و لو لا ذلك ما ابتلى مؤمنا بذنوب^{٧٢١}.

و عنه عليه السلام: إنّ الرجل ليذنب الذنب فيندم عليه و يعمل العمل فيسره ذلك فيتراخ عن حاله تلك، فلأن يكون على حاله تلك خير له ممّا دخل فيه^{٧٢٢}.

و عنه عليه السلام: أتى عالم عابدا فقال له: كيف صلاتك؟ فقال: مثلي يسأل عن صلاته و أنا أعبد الله منذ كذا و كذا. قال: فكيف بكأوك؟ قال: أبكى حتى تجرى دموعي. قال: فإنّ ضحكك و أنت خائف أفضل من بكائك و أنت مدلّ إنّ المدلّ لا يصعد من عمله شيء^{٧٢٣}.

و عنه عليه السلام دخل رجلان المسجد أحدهما عابد و الآخر فاسق، فخرجا من المسجد و الفاسق صديق و العابد فاسق، و ذلك أنّ العابد دخل المسجد مدلاً بعبادته فكرته في ذلك، و الفاسق دخل و فكرته في التندّم على فسقه و كان يستغفر الله تعالى من ذنوبه^{٧٢٤}.

و عنه عليه السلام: قال تعالى لداود: بشرّ المذنبين و أنذر الصديقين. قال: كيف ذلك يا رب؟ قال تعالى: بشرّ المذنبين أنّي أقبل التوبة و أعفو عن المذنب، و أنذر الصديقين أنّهم يعجبوا بأعمالهم فليس عبد أنصبه للحساب إلّا هلك^{٧٢٥}.

ص: ٣٤٢

^{٧١٩} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٩٥.
^{٧٢٠} (١) الكافي ٢: ٣١٤ ح ٨.
^{٧٢١} (٢) الكافي ٢: ٣١٣.
^{٧٢٢} (٣) الكافي ٢: ٣١٣.
^{٧٢٣} (٤) الكافي ٢: ٣١٣.
^{٧٢٤} (٥) الكافي ٣: ٣١٤ ح ٦.
^{٧٢٥} (٦) الكافي ٣: ٣١٤ الرواية (٢).

و في (الحلية) عن وهيب بن الورد: بلغنا أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ هو و رجل من حواريه بلصَّ في قلعة له، فلما رآهما اللص قال لنفسه: هذا روح الله و كلمته و هذا حواريه و من أنت يا شقي؟ لصَّ قطعت الطريق و أخذت الأموال و سفكت الدماء. ثم هبط إليهما نادما على ما كان منه، فلما لحقهما قال لنفسه: تريد أن تمشي معهما لست بذلك بأهل. امش خلفهما كما يمشي المذنب مثلك. فالتفت إليه الحوارى فعرفه فقال في نفسه: انظر إلى هذا الخبيث و مشيه و رءانا. فاطَّلع الله على ما في قلوبهما من ندامة اللص و من ازدراء الحوارى إيَّاه و تفضيله نفسه، فأوحى الله تعالى إلى عيسى أن مر الحوارى و اللص أن يستأنفا العمل، أمَّا اللص فقد غفرت له ما مضى لندامته و توبته، و أمَّا الحوارى فقد حبط عمله لعجبه بنفسه و ازدراؤه هذا التائب^{٧٢٦}.

و فيه: عن محمد بن النضر: بلغني أنَّ عابدا يعبد ثلاثين سنة و يعبد آخر عشرين، فأظَلَّت صاحب الثلاثين غمامة و استظلَّ صاحب العشرين في ظلِّه، فقال له صاحب الثلاثين: لو لا أنا ما أظَلَّتكَ. قال: فانحازت إلى صاحب العشرين و بقي صاحب الثلاثين لا غمامة له^{٧٢٧}.

و عنه: أنَّ عابدا من بنى اسرائيل عبد الله ثمانين سنة، فكان له مصلَّى لا يجترئ أحد منهم أن يقوم مقامه إعظاما له، فقدم رجل غريب فنظر إلى موضع خال فقام يصلى فيه إذ جاء العابد فقام إلى جنبه فغمزه بمنكبه ينحيه عن موضعه، فأوحى تعالى إلى نبيِّه أن مر فلانا يستأنف العمل - أى: لعجبه.

و فيه: قال أبو تراب النخشبى: قال حاتم الأصم: العجب أشدَّ من الرياء عليك، و مثلهما أن يكون كلبك في البيت كلب عقور و كلب آخر خارج البيت

ص: ٣٤٣

فأيُّهما أشدَّ عليك الداخل معك أو الخارج؟ قال: العجب داخل فيك و الرياء يدخل عليك^{٧٢٨}.

و عن (تنبيه خواطر ورام): روى أنَّ عابدا من بنى اسرائيل كان يأوى إلى جبل، فقيل في النوم: انت فلان الإسكاف فأسأله أن يدعوك. فأتاه فأسأله عن عمله فأخبره أنَّه يصوم النهار و يكتسب فيتصدَّق ببعضه و يطعم عياله بعضه. فرجع و قال: إنَّ هذا لحسن و لكن ليس كالتفرُّغ في العبادة. فأتى في النوم ثانيا أن يأتيه. فأتاه فأسأله عن عمله. فقال الإسكاف: ما رأيت أحدا من الناس إلَّا وقع في نفسى أنَّه سينجو و أهلك أنا. فقال العابد: هذه العبادة^{٧٢٩}.

١٥

الحكمة (٦٠) و قال عليه السلام:

^{٧٢٦} (١) الحلية ٨: ١٤٧.

^{٧٢٧} (٢) الحلية ٨: ٢٢٣.

^{٧٢٨} (١) الحلية لأبي نعيم ٨: ٧٦-٧٧.

^{٧٢٩} (٢) تنبيه الخواطر، لورام ١: ٢٠٩.

اللِّسَانُ سَبْعٌ إِنْ خُلِيَ عَنْهُ عَقَرَ أَيُّ: جرح. فى (الحلية): قيل لقيس بن سكين: ألا تتكلم؟ قال: لسانى سبع من السباع أخاف أن أدعه فيعقرنى^{٧٣٠}.

و فى (الموشى) عن ثعلب: كان بكر بن عبد الله المزنى يقلّ الكلام، فقليل له فى ذلك. فقال: لسانى سبع إن تركته أكلنى. و أنشد:

لسان الفتى سبع عليه شذاية^{٧٣١}

و ما الغىّ إلّا منطق متبرع

فإلّا يزع من غربه فهو آكله

سواء عليه حق أمر و باطله

٧٣٢

ص: ٣٤٤

و لبعضهم:

حتف امرىء لسانه

بين اللهامقتله

و رب ذى مزح أميتت

نفسه فى سببه

^{٧٣٣} و لا مرىء القيس:

إذا المرء لم يخزن عليه لسانه

فليس على شىء سواه بخزان

^{٧٣٤} و قيل: أجرح جوارح الإنسان لسانه. أيضا: اللسان سبع صغير الجرم كبير الجرم^{٧٣٥}.

و فى (الأغانى): عن الزبير بن بكار عن عمّه و غيره أن سبب قتل بنى امية أن السفاح أنشد قصيدة مدح بها، فأقبل على بعضهم فقال: أين هذا مما مدحتم به؟ فقال: هيهات لا يقول فيكم أحد و الله مثل قول ابن قيس الرقيات فينا:

^{٧٣٠} (٣) الحلية ١٠: ١٤٠.

^{٧٣١} (٤) شذاية: أي حدة.

^{٧٣٢} (٥) الموشى: ٨.

^{٧٣٣} (١) الموشى: ١٠.

^{٧٣٤} (٢) امرىء القيس: ١٧٣.

^{٧٣٥} (٣) الطرائف: ٦٥.

أنهم يحلمون إن غضبوا

ما نقوموا من بنى امية إلّا

تصلح إلّا عليهم العرب

وإنهم معدن الملوك ولا

فقال: يا ماص كذا و كذا من أمّه أو أن الخلافة لفي نفسك بعد، فأخذوا فقتلوا و دعا بالغداء حين قتلوا و أمر ببساط فبسط عليهم و جلس فوقه يأكل و هم يضطربون تحته، فلما فرغ من الأكل قال: ما أعلمنى أكلت أكلة قط أهناً لنفسي و لا أطيّب منها. فلما فرغ قال: جروا بأرجلهم فألقوا فى الطريق يلعنهم الناس أمواتا كما لعنوهم أحياء، فرأيت الكلاب تجر بأرجلهم و عليهم

ص: ٣٤٥

سراويلات الوشى حتى انتنوا، ثم حفرت لهم بئر فألقوا فيها.

أيضا: كان الحارث بن أبى ربيعة على البصرة أيام ابن الزبير، فخاصم إليه رجل من بنى تميم يقال له مرة بن محكان رجلا فلما أراد إمضاء الحكم عليه أنشأ مرة يقول:

إذا ما إمام جار فى الحكم أقصدا

أحار تثبت فى القضاء فإنّه

و مهما تصبه اليوم تدرك به غدا

و إنك موقوف على الحكم فاحتفظ

و أقطع فى رأس الأمير المهندا

فإنى مما أدرك الأمر بالأنّا

^{٧٣٤} فلما ولى مصعب دعاه فأنشده الأبيات فقال: أما و الله لأقطعن السيف فى رأسك قبل أن تقطعه فى رأسى، و أمر به فحبس ثم دس إليه فقتله.

أيضا: كان عند المهدي رجل من بنى مروان فأتى بعلج، فأمر المروانى بضرب عنقه، فأخذ السيف و قام فضربه فنبأ السيف عنه، فرمى به المروانى و قال: لو كان من سيوفنا ما نبا. فسمع المهدي الكلام فغاظه حتى تغير لونه و بان فيه، فقام يقطين فأخذ السيف و حسر عن ذراعيه ثم ضرب العليج فرمى برأسه ثم قال للمهدي: إن هذه سيوف الطاعة لا تعمل إلّا فى أيدي الأولياء و لا تعمل فى أيدي أهل المعصية. ثم قام أبو دلامة فقال للمهدي: قد حضرني بيتان أ فأقو لهما؟ قال: قل. فأنشده:

و بكفّ الوليّ غير كهام

أيّها ذا الامام سيفك ماض

أنّها كف مبغض للإمام

فإذا ما نبا بكفّ علمنا

فسرى عن المهدي، فقام عن مجلسه و أمر بقتل المرواني فقتل^{٧٣٧}.

أيضا: قال المدائني: قال المهدي يوما و بين يديه مروان بن أبي حفصة:

ص: ٣٤٦

أين ما تقوله فينا من قولك في أبي:

له لحظات عن حفا في سريره اذا كرها فيها عقاب و نائل

فاعترضه آدم بن عمر بن عبد العزيز فقال: هيهات و الله أن يقول هذا، و لا ابن هرمة كما قال الأخطل فينا:

شمس العداوة حتى يستقاد لهم و أعظم الناس أحلاما إذا قدروا

^{٧٣٨} فغضب المهدي حتى استشاط و قال: كذب و الله ابن النصرانية العاض بظر أمه و كذبت يا عاض بظر أمك، و الله لو لا أن يقال خفرت لعرفتكم، خذوا برجل ابن الفاعلة فاخرجوه و هو يجر.

أيضا: كان عبد الله بن موسى الهادي معربدا- و كان قد أحفظ المأمون مما يعربد عليه إذا شرب معه- فأمر بأن يحبس في منزله فلا يخرج، و أقعد على بابهِ حرسا ثم تدمم من ذلك فصرف الحرس عن بابهِ ثم نادمه فعربد عليه أيضا و كلمه بكلام أحفظه، فأمر المأمون خادما من خواصّ خدمه فسمه^{٧٣٩}.

أيضا: قال عماره بن بلال بن جرير: ما هاجيت شاعرا قط إلّا كفيت مؤنته في سنة أو أقلّ من سنة إما بموت أو قتل و إما أفحمه حتى هاجني أبو الرديني العكلي فقال:

أ توعدني لتقتلني نمير متى قتلت نمير من هجاها

^{٧٤٠} فلقيته بنو نمير فقتلوه، فقتلت به بنو عكل- و هم يومئذ ثلاثمائة رجل- أربعة آلاف رجل من بنى نمير و قتلت لهم شاعرين رأس الكلب و شاعرا آخر.

ص: ٣٤٧

^{٧٣٧} (٢) الأغاني ١٠: ٢٧٣.
^{٧٣٨} (١) ديوان الأخطل: ١٠٦.
^{٧٣٩} (٢) الأغاني ١٠: ١٩٧.
^{٧٤٠} (٣) الأغاني ٢٤: ٢٤٦، و هو عمار بن عقيل بن بلال، و اللفظ هو «أ توعدني، بدلا من «أبو عدني».

و فى (عيون القتيبي) اجتمع ملك فارس و ملك الهند و ملك الروم و ملك الصين فكلّهم قالوا كلمة واحدة: قال أحدهم إذا تكلمت بالكلمة ملكتنى و لم أملكها، و قال الآخر: قد ندمت على ما قلت و لم أندم على ما لم أقل، و قال آخر:

أنا على ردّ ما لم أقل أقدر منى على ردّ ما قلت، و قال آخر: ما حاجتى إلى أن أتكلّم بكلمة إن وقعت علىّ ضررتى و إن لم تقع علىّ لم تنفعنى^{٧٤١}.

قلت: ما قالوه غالبى حيث إنّ الكلام خطأه أكثر من صوابه.

أيضا: قال ابن إسحاق: النسّاس خلق باليمن لأحدهم عين و يد و رجل يقفز بها و أهل اليمن يصطادونهم، فخرج قوم فى صيدهم فرأوا ثلاثة نفر منهم فأدركوا واحدا فعقروه و ذبحوه و توارى اثنان فى الشجر، فقال الذى ذبحه: إنّه لسمين، فقال أحد الاثنين: أنّه أكل ضروا. فأخذوه و ذبحوه، فقال الذى ذبحه: ما أنفع الصمت؟ قال الثالث: فيها أنا الصميت. فأخذوه و ذبحوه^{٧٤٢}.

و فى خطبة زياد لما ولىّ البصرة من قبل معاوية - و كان قبل و اليها من قبله عليه السلام - فليشتمل كلّ امرئ منكم على ما فى صدره و لا تكون لسانه شفرة تجرى على أوداجه.

هذا و كلامه عليه السلام قريب من كلام النّبىّ صلّى الله عليه و آله «البلاء موكل بالمنطق»^{٧٤٣}.

فأخذه شاعر فقال:

احفظ لسانك أن تقول فتبتلى
إنّ البلاء موكل بالمنطق

^{٧٤٤} و قال ابن هرمة:

و امسك بأطراف الكلام فإنّه
نجاتك ممّا خفت أمرا مجمما

ص: ٣٤٨

فلست على رجع الكلام بقادر
إذ القول عن زلّاته فارق الفما

و كائن ترى من وافر العرض صامتا
و آخر أردى نفسه إن تكلمّا

^{٧٤١} (١) عيون الأخبار للقتيبي ٢: ١٧٩.

^{٧٤٢} (٢) عيون الأخبار ٢: ١٧٦.

^{٧٤٣} (٣) من لا يحضره الفقيه ٤: ٣٧٩ ح ٥٧٩٧ الباب ٢.

^{٧٤٤} (٤) المحاسن ٢: ٦٣.

و قال آخر:

و ليس يموت المرء من عثرة الرجل

يموت الفتى من عثرة بلسانه

و عثرته بالرجل تبرأ على مهل

فعثرته من فيه ترمى برأسه

^{٧٤٥} هذا، و قالوا: كان حسان بن ثابت يضرب بلسانه روثه أنفه من طوله و كان يقول: و الله لو وضعته على شعر لحلقه أو على صخرة لفلقه. و الظاهر أنه قاله استعارة، أى: من حدة شعره فى هجاءه.

و فى (المروج): كان الأمين فى نهاية الشدة و القوة إلا أنه كان عاجز الرأى غير مفكر فى أمره، و حكى أنه اصطبح يوما و قد كان خرج أصحاب اللبايد و الحراب على البغال - و هم الذين كانوا يصطادون السباع - إلى سبع كان بلغهم خبره بناحية كوثى و القصر، فاحتالوا فى السبع إلى أن أتوا به فى قفص من خشب على جمل بختى فحط بباب القصر و ادخل فمثل فى صحن القصر و الأمين مصطفى فقال: خلوا عنه و شيلوا باب القفص. فقبل له: إنه سبع هائل أسود و حش. فقال: خلوا عنه. فشالوا باب القفص فخرج سبع أسود له شعر عظيم مثل الثور فزأر و ضرب بذنبه الأرض فتهارب الناس و غلقت الأبواب فى وجهه، وبقى الأمين وحده جالسا موضعه غير مكترث بالأسد، فقصده الأسد حتى دنا منه ف ضرب الأمين بيده إلى مرفقة أرمنيه، فامتنع منه بها و مد السبع يده إليه فجذبها الأمين و قبض على أصل اذنيه و غمزته ثم هزّه و دفع به إلى خلف فوقع السبع ميتا على مؤخره، و تبادر الناس الأمين فإذا أصابعه و مفاصل يديه قد زالت عن مواضعها، فأتى بمجبر فردّ عظام أصابعه

ص: ٣٤٩

إلى مواضعها فشقوا بطن الأسد فإذا مرارته انشقت عن كبده ^{٧٤٦}.

و فى الخبر: جاء رجل إلى النبى صلى الله عليه و آله فقال: أو صنى. قال: احفظ لسانك.

قال: أو صنى. قال: احفظ لسانك. قال: أو صنى. قال: احفظ لسانك و هل يكبّ الناس على مناخرهم الا حصائد ألسنتهم ^{٧٤٧}.

و عنهم عليهم السلام: يعذب الله اللسان بعذاب لا يعذب به شيئا من الجوارح.

فيقول: أى: رب عذبتنى بعذاب لم تعذب به شيئا من الجوارح. فيقال له: خرجت منك كلمة فبلغت مشارق الأرض و مغاربها فسفك و انتهك به الأموال و الفروج ^{٧٤٨}.

^{٧٤٥} (١) المحاسن و الأضداد للبيهقي ٢: ٦١.

^{٧٤٦} (١) مروج الذهب ٣: ٢٠.

^{٧٤٧} (٢) الكافي ٢: ١١٣ الرواية ٣.

^{٧٤٨} (٣) الكافي ٢: ١١٥ الرواية ١٦.

الحكمة (١٧٩) و قال عليه السلام:

اللَّجَاجَةُ تُسَلُّ الرَّأْيَ «تسل» بضمّ التاء - من السل.

و عنه عليه السلام: من استطاع أن يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق بأن لا ينزل به مكروه أبدا. قيل: و ما هن؟ قال: العجلة، و التواني، و اللجاج، و العجب^{٧٤٩}.

و فى (المروج): قال معاوية: قَبَّحَ اللَّهُ اللجّاجَ إِنَّهُ لعقور، ما ركبته قط إلّا خذلت^{٧٥٠}.

و فى (أنساب البلاذرى) كان ابن الزبير رجلا إذا عرض له الرأى أمضاه

ص: ٣٥٠

من غير رؤية و لا مشاورة، فكتب إلى عبد الله بن مطيع فى نفى بنى أمية عن المدينة إلى الشام و مروان يومئذ شيخهم و ابنه عبد الملك ناسكهم و من يصدرون عن رأيه، و كان بعبد الملك جدري ظهر به، فأشخصهم ابن مطيع، فحمل مروان ابنه عبد الملك على جمل و شدّه عليه شداً، فدخلهم من إخراجهم من المدينة أمر عظيم، فاجتمع وجوه قريش إلى ابن الزبير فقالوا: إنّما بعثت أفاعى لا يبيل سليمها، أمثل مروان و بنى أمية يشخصون إلى الشام. فوجّه ابن الزبير رسولا إلى ابن مطيع بكتاب يأمره فيه بإقرار بنى أمية بالمدينة و ترك إشخاصهم، فأتبعهم حتى و افاهم بأدنى أرض الشام، فعرض عليهم الانصراف فأبوا، و قال عبد الملك - و قد نقه من مرضه - للرسول: قل لأبى خبيب: إنّنا نقول «لا حول و لا قوة إلّا بالله» يصنع الله لنا^{٧٥١}.

الحكمة (١٨١) و قال عليه السلام:

ثَمَرَةُ التَّقْرِيطِ النَّدَامَةُ وَ ثَمَرَةُ الْحَزْمِ السَّلَامَةُ فى (العقد): قالوا: لا ينبغي للعاقل أن يستصغر شيئا من الخطأ و الزلل، فانه متى استصغر الصغير يوشك أن يقع فى الكبير، فقد رأينا الملك يؤتى من العدو المحتقر، و رأينا الصحة تؤتى من الداء اليسير، و رأينا الأنهار تتدفق من الجداول الصغار^{٧٥٢}.

و قالوا: لا يكون الذم من الرعية لراعيها إلّا لإحدى ثلاث: كريم قصر به عن قدره فاحتمل لذلك ضغنا، أو لثيم بلغ ما لا يستحق فأورثه ذلك بطرا،

^{٧٤٩} (٤) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٤٣ الرواية ٣٤ الباب ١٦، و ٧٨: ٦٥ الرواية ١٤٤ الباب ١٦.

^{٧٥٠} (٥) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠.

^{٧٥١} (١) الأنساب، للبلاذري.

^{٧٥٢} (٢) لم نعثر عليه فى العقد الفريد.

ص: ٣٥١

و رجل منع حظّه من الإنصاف فشكا تفريطا.

و قيل لرجل سلب ملكه: ما الذى سلبك ملكك؟ قال: دفع شغل اليوم إلى غد، و التماس عدّة بتضييع عدد، و استكفاء كلّ مخدوع عن عقله.

١٨

الحكمة (١٨٢) و (٤٧١) و قال عليه السلام:

لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ - كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ أَقُول: رواه (الروضة الكليني - الكافي - الروضة ج ٨ ص ٢ ح ٤) و أكثروا الكلام فى أفضليّة الصمت و الكلام^{٧٥٣}، ففى (ديوان المعانى): عن أبى تمام قال: تذاكرنا الكلام و الصمت فى مجلس سعيد بن عبد العزيز، فقال: ليس النجم كالقمر، إنّك إنّما تمدح السكوت بالكلام و لا تمدح الكلام بالسكوت^{٧٥٤}.

و قال بعضهم:

لئن ندمت على سكوتى مرة
لقد ندمت على الكلام مرارا

^{٧٥٥} و قيل: لو كان بعض الكلام من ورق لكان جلّ السكوت من ذهب^{٧٥٦}.

إِلَّا أَنَّ الصَّوَابَ: أَنَّ الْكَلَامَ مِنْ حَيْثُ هُوَ أَفْضَلُ، فَقَدْ قَالَ تَعَالَى «خُلِقَ الْإِنْسَانُ»^{٧٥٧}، «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ»^{٧٥٨} و قال عز و جل «فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ»

ص: ٣٥٢

«لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ»^{٧٥٩}.

و قال النبى صلى الله عليه و آله: المرء بأصغريه قلبه و لسانه^{٧٦٠}.

^{٧٥٣} (١) روضة الكافي للكليني ٨: ٢ ح ٤.

^{٧٥٤} (٢) ديوان المعاني ١: ١٤٩.

^{٧٥٥} (٣) الطرائف: ٥٨، كذلك المستطرف ١: ١٨٧، لملك في الفرس.

^{٧٥٦} (٤) الطرائف: ٥٨.

^{٧٥٧} (٥) الرحمن: ٣.

^{٧٥٨} (٦) الرحمن: ٤.

^{٧٥٩} (١) يوسف: ٥٤.

^{٧٦٠} (٢) بحار ٧: ٤ ح ١.

و قال أمير المؤمنين عليه السلام: المرء مخبوء تحت لسانه^{٧٦١}.

فإن كان للكلام مقتضى فلا خير فى السكوت، و ان لم يكن فلا خير فى الكلام، كما قال عليه السلام. فكلامه عليه السلام هو القول الفصل فى المقام. و لبعضهم:

عجبت لإزراء العبي بنفسه
و صمت الذى [قد] كان بالقول أعلما

و فى الصمت ستر فى العبي و إنما
صحيفة لب المرء أن يتكلما

و أراد جمع ذم الحجاج و شتمه لسليمان بن عبد الملك لأنّ الحجاج أراد خلعه، فقال بعضهم: أنّه قنور بن قنور- و أتى بكلمات من هذا القبيل- فقال سليمان: ما هذا الشتم. فقال آخر: إنّ عدو الله كان يتزيّن تزين المومسة و يصعد المنبر فيتكلّم بكلام أولياء الله و ينزل فيعمل عمل الجابرة. فقال سليمان: هذا الكلام.

هذا و ابن أبى الحديد لم ينقل العنوان إلّا من الأخير، مع أنّ الأول فى جميع النسخ، و صدقه ابن ميثم فهو مما كرّره المصنف سهوا^{٧٦٢}.

١٩

الحكمة (١٨٦) و قال عليه السلام:

لِلظَّالِمِ الْبَادِي غَدًا بِكَفِّهِ عَضَّةٌ أَقُولُ: إِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ «لِلظَّالِمِ الْبَادِي» لِأَنَّ الْمُنْتَقِمَ لَا لَوْمَ عَلَيْهِ، قَالَ

ص: ٣٥٣

تعالى «فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ»^{٧٦٣} و قال تعالى «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا»^{٧٦٤} و قالوا: البادىء أظلم.

و أما الظالم البادىء فقد قال تعالى «وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا»^{٧٦٥}.

و فى (الكامل) فى قصة قتل المقتدر و حرب مونس معه: كان المقتدر قد أمر فنودى: من جاء بأسير فله عشرة دنانير و من جاء برأس فله خمسة دنانير. فلما انهزم أصحابه لقيه جمع من أصحاب مونس فشهبوا عليه سيوفهم فقال: ويحكم أنا الخليفة. قالوا

^{٧٦١} (٣) بحار ٤٠: ١٦٣ ح ٥٤.

^{٧٦٢} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٩.

^{٧٦٣} (١) البقرة: ١٩٤.

^{٧٦٤} (٢) الشورى: ٤٠.

^{٧٦٥} (٣) الفرقان: ٢٧.

قد عرفناك يا سفله أنت خليفة إبليس تبذل في كل رأس خمسة دنانير و في كل أسير عشرة دنانير، فضرب على عاتقه و ذبح و أخذوا عليه جميع ما عليه حتى تركوه مكشوف العورة فستره بعضهم بحشيش^{٧٦٦}.

هذا و ابن أبي الحديد قدّم العنوان من هنا قريبا من ثلاثين عنوانا^{٧٦٧}.

٢٠

الحكمة (٢١٥) و قال عليه السلام:

الْخِلَافُ يَهْدِمُ الرَّأْيَ أَقُولُ: إِنَّ الرَّأْيَ كَبْيَانٌ، وَ الْخِلَافُ هَدْمٌ لَهُ، وَ الشَّوَاهِدُ لَهُ كَثِيرَةٌ، وَ مِنْهَا قِصَّةُ جَذِيمَةِ الْأُبْرَشِ وَ مَخَالَفَتِهِ رَأْيَ قَيْصَرَ. وَ مِنْهَا قِصَّةُ هَوَازِنَ فِي حَنِينٍ

ص: ٣٥٤

و مخالفة رئيسهم دريد في رأيه.

٢١

الحكمة (٢٢٣) و قال عليه السلام:

إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ قَالُوا: الْغُلْطُ يُوجِبُ الْغُلْطَ. وَ قَالَ الْمَأْمُونُ - لَهَا شَمِي رَفَعَ صَوْتَهُ عَلَى آخِرِ -: الصَّوَابُ: فِي الْأَسَدِّ لَا الْأَشَدِّ.

و قال العتابي: لو سكت من لا يعلم عما لا يعلم سقط الاختلاف.

و كان المفضل الضبي إذا لم يرض الجواب أنشد الذي أجابه قول الفرزدق:

أعد نظرا يا عبد قيس فإنما أضاءت لك النار الحمار المقيدا

٧٦٨

٢٢

^{٧٦٦} (٤) الكامل ٨: ٢٤٢.

^{٧٦٧} (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٦٩، عنوانه برقم (١٥٢).

^{٧٦٨} (١) ديوان الفرزدق: ١٨٠ و فيه «فريما» بدلا من «فإنما».

الحكمة (٢٢١) و قال عليه السلام:

يُسَسِّ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ أَقُولُ: و قال النبي صَلَّى الله عليه و آله: اتَّقُوا الظُّلْمَ فَإِنَّهُ ظِلْمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^{٧٦٩}. و قال تعالى «إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ»^{٧٧٠}. قال الصادق عليه السلام: المرصاد قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة و كما أنَّ عدوان العباد بئس الزاد للمعاد بئس الرياش للمعاش^{٧٧١}.

ص: ٣٥٥

قال النبي صَلَّى الله عليه و آله: ما أتاني جبرئيل قط إلَّا و عطني و آخر قوله لى «إِيَّاكَ و مشاركة الناس فَإِنَّهَا تَكْشِفُ الْعَوْرَةَ و تذهب بالعزّ - و فى خبر - فَإِنَّهَا تَوْرَثُ الْمَعْرَةَ و تظهر المعورة»^{٧٧٢}.

و عن الصادق عليه السلام: من زرع العداوة حصد ما بذر^{٧٧٣}.

٢٣

الحكمة (٢٤١) و قال عليه السلام:

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ - أَشَدُّ مِنْ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ و الحكمة (٣٤١) و قال عليه السلام:

يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ - أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ أَقُولُ: الأصل فيهما واحد، و قد غفل المصنّف فى الثانى عن الأول و إلّا لقال بعد الأول: «و روى بلفظ آخر»، أو نبّه فى الثانى على مرّه بلفظ آخر.

و كيف كان ففى (الكافى): دخل رجلان على الصادق عليه السلام فى مداراة بينهما، فلما سمع كلامهما قال: أما إنّه ما ظفر أحد بخير من ظفر بالظلم، أما إنَّ المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من مال المظلوم، و من يفعل الشرّ فلا ينكر الشرّ إذا فعل به، إنّما يحصد ابن آدم ما يزرع، و ليس يحصد أحد من المرّ حلوا و لا من الحلو مرّا. فاصطلح الرجلان قبل أن يقوموا^{٧٧٤}.

و عنه عليه السلام: من ظلم سلط الله عليه من يظلمه أو سلط على عقبه أو على

ص: ٣٥٦

^{٧٦٩} (٢) الكافى ٢: ٣٣٢.

^{٧٧٠} (٣) الفجر: ١٤.

^{٧٧١} (٤) الكافى ٢: ٣٣١.

^{٧٧٢} (١) بحار الأنوار ٧٣: ٤٠٨ الرواية ١٣.

^{٧٧٣} (٢) البحار ٧٣: ٤٠٩ الرواية ١٥.

^{٧٧٤} (٣) الكافى ٢: ٣٣٤ ح ٢٢.

عقب عقبه، يقول تعالى «وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا»^{٧٧٥}.

و عنه عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبي في مملكة جبار أن اتته و قل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء و اتخاذ الأموال، و إنما استعملتك لتكفّ عنى أصوات المظلومين، و إنني لم أدع ظلامتهم و إن كانوا كفّاراً^{٧٧٦}.

و عن الباقر عليه السلام: ما انتصر الله من ظالم إلّا بظالم، قال تعالى: «وَكَذَلِكَ نُؤَلِّى بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ»^{٧٧٧}.

فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): عن (كتاب العبر): كان المعروف بـبكبوش وزير لجلال الدولة بن بويه و استولى على أمره، فقبط بـبكبوش على رجل من نباه البصرة و صادره و استأصله و خلاه كالميت، فلما كان فى بعض الأيام ركب بـبكبوش فى مركب عظيم فصادف الرجل فقال له الرجل: الله بينى و بينك، و الله لأرمينك بسهام الليل، فأمر بـبكبوش بالإيقاع به فضرب حتى ترك ميتا و قال له: هذه سهام النهار قد أصابتك. فلما كان بعد ثلاثة أيام قبض جلال الدولة على بـبكبوش و اجلس فى حجرة على حصير و وكلّ به من يسىء إليه، فدخل الفراشون لكنس الحجرة و شيل الحصير الذى تحته فوجدت رقعة فأخذها الفراشون و سلّموها إلى ابن الهدد (فراش سالار) فقال: من طرحها؟

فقال: ما دخل أحد و لا خرج. و قرئت فإذا فيها:

لها أمد و للأمد انقضاء

سهام الليل لا تخطى و لكن

تأمل فيك ما صنع الدعاء

أنهزاً بالدعاء و تزدريه

ص: ٣٥٧

فأخبر جلال الدولة بشرح القصة، فأمر الفراشين بضرب فكّه حتى تقع أسنانه و عذبّ بكلّ نوع حتى هلك^{٧٧٨}.

٢٤

الحكمة (٢٧٥) و قال عليه السلام:

إِنَّ الطَّمْعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ وَ ضَامِنٌ غَيْرُ وَفَىٍّ - وَ رُبَّمَا شَرَقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيّهِ - وَ كُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ - عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ لِفَقْدِهِ - وَ الْأَمَانِيُّ تَعْمَى أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ - وَ الْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ «الطمع مورد غير مصدر و ضامن غير وفى» شبه عليه السلام الطمع تارة بمن يوردك الماء و لا يصدرك فتهلك و اخرى بمن يضمن لك نيلك المقصود و لا يفى لك فتخيّب.

^{٧٧٥} (١) الكافي ٢: ٣٣٤ ح ١٣، و الآية ٩ من سورة النساء.

^{٧٧٦} (٢) بحار الانوار ١٤: ٤٦٤ ح ٣٦ باب ٣١.

^{٧٧٧} (٣) الكافي ٢: ٣٣٤ الرواية ١٩، و الآية ١٢٩ من سورة الأنعام.

^{٧٧٨} (١) التذكرة، لسبط ابن الجوزي: ٣٩٠ - ٣٩١.

و يصدّق ما قاله عليه السلام طمع و افد البراجم فأورده و لم يصدره و ضمن له و لم يف. و شرحه أنّ أسعد بن المنذر- كان مسترضعا في بني دارم- انصرف ذات يوم من صيده و به نبذ، فبعث كما تعبت الملوك، فرماه رجل من بني دارم بسهم فقتله، فغزاهم أخوه عمرو بن هند ملك الحيرة فقتلهم يوم القصيبة و يوم أواره، ثم أقسم ليحرقن منهم مائة فأخذ تسعة و تسعين رجلا منهم فقتلهم في النار ثم أراد أن يبرّ قسمه فأتى بعجوز فقالت:

ألا فتى يفدى هذه العجوز ثم قالت: هيهات صارت الفتيان حمما. و مر وافد البراجم- و هم بنو مالك بن حنظلة- فاشتم رائحة اللحم فظنّ أنّ الملك يتخذ طعاما، فعرج إليه فأتى به إليه فقال له: من أنت؟ قال: وافد البراجم. فقال: الشقى وافد البراجم. ثم أمر به فقتل في النار، فعيرت بنو تميم لطمع البرجمي في أكل الشواء بحب الطعام، فقال بعضهم:

ص: ٣٥٨

بآية ما يحبون الطعاما	ألا أبلغ لديك بني تميم
فسرك أن يعيش فجىء بزاز	إذا ما مات ميت من تميم
أو الشيء الملفف في البجاد	بخبز أو بتمر أو بلحم
ليأكل رأس لقمان بن عاد	تراه ينقب البطحاء حولا

^{٧٧٩} «و ربما شرق شارب قبل ربه» مسكين ابن آدم مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل تؤلمه البقعة و تتنتنه العرقعة و تقتله الشرقة.

«و كلما عظم قدر الشيء المتنافس فيه عظمت الرزية لفقده» في (الكافي):

كتب الجواد عليه السلام إلى رجل: ذكرت مصيبتك بابنك الذي كان أحب ولدك إليك، إنّما يأخذ الله تعالى من الولد و غيره أذكى ما عند أهله ليعظم به أجر المصاب بالمصيبة ^{٧٨٠}.

«و الأمانى تعمى أعين البصائر»، «و غرّتكم الأمانى حتى جاء أمر الله» ^{٧٨١}، «ليس بأمانيتكم و لا أمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يُجزّ به» ^{٧٨٢}.

و في (أمالى الشيخ): عن أبي المفضل عن رجل عن ابن السكيت عن الهادي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إياكم و الإيصال بالمنى فإنّها من بضائع العجزة.

^{٧٧٩} (١) الأغاني ٢٢: ١٩٢، و هو لابن الصعق العامري.

^{٧٨٠} (٢) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ١٠.

^{٧٨١} (٣) الحديد: ١٤.

^{٧٨٢} (٤) النساء: ١٢٣.

و أنشد ابن السكيت:

إذا ما رمى بى الهم فى ضيق مذهب
رمت بالمنى عنه إلى مذهب رحب

٧٨٣ «و الحظ يأتي من لا يأتيه» فى (الكامل) - بعد ذكر استيلاء على بن بويه فى

ص: ٣٥٩

سنة (٣٢٢) على شيراز:- طلب الجند أرزاقهم فلم يكن عنده ما يعطيهم، فكاد ينحل أمره فقعده فى غرفة دار الإمارة يفكر فى أمره، فرأى حيّة خرجت من موضع فى سقف تلك الغرفة و دخلت فى ثقب هناك، فدعا الفرّاشين ففتحوا الموضع فرأوا و راءه بابا فدخلوه إلى غرفة أخرى و فيها عشرة صناديق مملوءة مالا و مصوغا و كان فيها ما قيمته خمسمائة ألف ديناراً فأنفقها و ثبت ملكه إن كان قد أشرف على الزوال.

و حكى أنّه أراد أن يفصل ثيابا فدّلّوه على خيّاط كان لياقوت - صاحب شيراز قبله - فأحضره فحضر خائفا و كان أصم، فقال له عماد الدولة على بن بويه: لا تخف فإنّما أحضرناك لتفصّل ثيابا. فلم يفهم ما قال، فابتدأ و حلف بالطلاق إنّ الصناديق التى عنده لياقوت ما فتحتها. فتعجب من هذا الاتفاق فأمره بإحضارها فأحضر ثمانية صناديق فيها مال و ثياب قيمته ثلاثمائة ألف دينار، ثم ظهر له من ودائع ياقوت يعقوب و عمرو ابني ليث جملة كثيرة فامتلاّت خزائنه و ثبت ملكه ٧٨٤.

٢٥

الحكمة (٢٨٥) و قال عليه السلام:

يَبْنِكُمْ وَ بَيْنَ الْمُوعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغُرَّةِ أَى: فلا تتعظون، كمن لا يستضىء بالنور إذا كان بينه و بينه حجاب، و المراد حتّهم على إزالة حجاب الغرّة «يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَ لَا يَغُرَّنَّكُمُ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» ٧٨٥ فان لم يسعوا فى رفع

ص: ٣٦٠

الحجاب يضرب لهم حجاب فى القيامة «يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَ الْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ لَهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَ ظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَ لَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَ تَرَبَّصْتُمْ وَ ارْتَبْتُمْ وَ غَرَّكُمْ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَ غَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ» ٧٨٦.

٢٦

٧٨٣ (٥) الأماي للشيخ: ٥٨.

٧٨٤ (١) الكامل ٨: ٢٧٦ - ٢٧٧.

٧٨٥ (٢) فاطر: ٥.

٧٨٦ (١) الحديد: ١٣ - ١٤.

الحكمة (٣٤٧) و قال عليه السلام:

النَّاءُ بِأَكْثَرِ مِنَ الْإِسْتِحْقَاقِ مَلَقُ قَالَتْ بَنُو تَمِيمٍ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ - كَمَا فِي (العيون) -: اِثْنِ عَلَيْنَا بِشَعْرِكَ.

فقال: افعلوا حتى أثنى^{٧٨٧}.

و قال عمرو بن معديكرب:

فلو أن قومي أنطقني رماحهم
نطقت و لكن الرماح أجرت

و تقول العرب: لا تهرف قبل أن تعرف، أى: لا تطنب في الثناء قبل الاختبار^{٧٨٨}.

«و التقصير عن الاستحقاق عى أو حسد» مدح رجل من أشراف تميم آخر منهم عند النبي صلى الله عليه و آله في وفدهم عليه، فقال الممدوح: قصّر في وصفي. فذمه المادح ثم قال: ما كذبت في مدحي الأول و صدقت في ذمّي الثاني. رضيت عنه فقلت فيه أحسن ما أعرفه، و أغضبني فقلت فيه شرّ ما أعرفه. فأعجب

ص: ٣٤١

النبي صلى الله عليه و آله كلامه و قال: إن من البيان لسحرا^{٧٨٩}.

٢٧

الحكمة (٣٤٨) و قال عليه السلام:

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ الْحِكْمَةُ (٤٧٧) و قال عليه السلام:

أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهَا صَاحِبُهُ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِمَا وَاحِدٌ، وَ قَدْ غَفَلَ الْمُصَنِّفُ فِي الثَّانِي عَنِ الْأَوَّلِ حَتَّى يَنْبَهُ عَلَى ذَلِكَ كَمَا هُوَ دَائِبُهُ، وَ مَفَادُهُمَا وَاحِدٌ. وَ الْمُرَادُ أَنَّ كُلَّ ذَنْبٍ عَدَّهُ صَاحِبُهُ هَيِّنًا وَ خَفِيفًا يُصِيرُ أَشَدَّ ذَنْبٍ وَ لَوْ كَانَ ذَنْبًا صَغِيرًا.

قال النبي صلى الله عليه و آله - كما روى في (الكافي) -: اتَّقُوا الْمُحَقَّرَاتِ مِنَ الذُّنُوبِ فَإِنَّهَا لَا تَغْفِرُ بَأَنْ يَذَنْبَ وَ يَقُولُ طُوبَى لِي لَوْ لَمْ يَكُنْ لِي غَيْرُ ذَلِكَ^{٧٩٠}.

^{٧٨٧} (٢) العيون ٣: ١٦٩.

^{٧٨٨} (٣) عيون الأخبار ٣: ١٦٩.

^{٧٨٩} (١) الفقيه ٤: ٣٧٩ الرواية ٥٨ الباب ٢.

^{٧٩٠} (٢) الكافي ٢: ٢٨٧ ح ١.

و قال الصادق عليه السلام- كما روى أيضا- إنَّ النبيَّ صَلَّى الله عليه و آله نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: إيتوني بحطب. فقالوا: نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب.

قال: فليأت كلَّ إنسان بما قدر عليه. فأتوا بما صار بعضه على بعض.

فقال صَلَّى الله عليه و آله: هكذا تجتمع الذنوب، إيتاكم و المحقرات من الذنوب، فإنَّ لكلَّ شيء طالبا. يقول تعالى «وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ»^{٧٩١}.

ص: ٣٦٢

و في دعاء أبي حمزة: إلهي ما عصيتك و أنا بربوبيتك جاحد، و لا بأمرك مستخف، و لا لو عيذك متهاون، و لا لعقوبتك متعرّض، و لكن خطيئة عرضت و سولت لي نفسي و غلبني هواي و أعانتني عليها شقوتي^{٧٩٢}.

و تارك الصلاة كافر دون الزاني، لأنَّ الزاني يزني من غلبة الشهوة و تارك الصلاة يتركها استخفافا بها. و قالوا عليهم السلام: لا تنال شفاعتنا مستخفا بالصلاة^{٧٩٣}. هذا، و نقل ابن المعتز في (بديعه) العنوان بلفظ آخر فقال: قال على عليه السلام: «إنَّ أعظم الذنوب ما صغر عند صاحبه»^{٧٩٤}.

٢٨

الحكمة (٣٦٢) و قال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ فِي (الكافي) عن النبي صَلَّى الله عليه و آله: ثلاث من لقي الله تعالى بهنَّ دخل الجنة من أى باب شاء: من حسن خلقه، و خشى الله في المغيب و المحضر، و ترك المراء و إن كان محققا^{٧٩٥}.

و عن ابن أبي ليلى: لا أمارى أخى فإمّا أن اكذبه و إمّا أن اغضبه^{٧٩٦}.

٢٩

الحكمة (٨٤) و اعلموا أنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ- وَ مُجَالَسَةُ أَهْلِ الْهُوَى مُنْسَاءٌ لِلْإِيمَانِ

ص: ٣٦٣

^{٧٩١} (٣) الكافي ٢: ٢٨٨ ح ٣، و الآية ١٢ من سورة يس.

^{٧٩٢} (١) مفاتيح الجنان: ٣٤٥.

^{٧٩٣} (٢) فقيه من لا يحضره الفقيه ١: ٢٠٦ ح ٦١٨، و هو للإمام الصادق عليه السلام.

^{٧٩٤} (٣) البديع لابن المعتز: ٣٧.

^{٧٩٥} (٤) الكافي ٢: ٣٠٠ ح ٢.

^{٧٩٦} (٥) العقد الفريد ٣: ٢٠.

وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ - جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ - وَالصَّادِقُ عَلَى شُرْفٍ مُنْجَاهٌ وَكَرَامَةٌ - وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاهُ وَ مَهَانَةٌ - وَلَا تَحَاسَدُوا - فَإِنَّ الْحَسَدَ يَأْكُلُ الْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ - وَلَا تَبَاغُضُوا فَإِنَّهَا الْحَالِقَةُ - وَاعْلَمُوا أَنَّ الْأَمَلَ يُسْهِى الْعَقْلَ - وَيُنْسِي الذِّكْرَ فَكَذِّبُوا الْأَمَلَ - فَإِنَّهُ غُرُورٌ وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ «وَعَلِّمُوا أَنْ يَسِيرَ الرِّيَاءُ شَرْكَ» روى باب رياء (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: كل رياء شرك، و من عمل للناس كان ثوابه على الناس، و من عمل لله كان ثوابه على الله^{٧٩٧}.

و عنه عليه السلام: قال تعالى: أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبل منه ألا ما كان خالصا^{٧٩٨}.

«و مجالسة أهل الهوى منسأة للإيمان» فسر ابن أبي الحديد^{٧٩٩} «منسأة» بالنسيان و تبعه ابن ميثم و الخوئي. و الصواب: كونه من «نسيئة البيع» و من قولهم «نسأت الإبل عن الحوض» إذا أخرتها و دفعتها عنه، و يقال للعصا منسأة لكونها آله دفع المكروه و تأخيرها. قال شاعر:

أمن أجل حبل لا أباك ضربته بمنسأة قد جر حبلك أحبلا

^{٨٠٠} و قال آخر:

إذا دببت على المنسأة من هرم فقد تباعد عنك اللهو و الغزل

و بالجملة المراد بالمنسأة العصا، قال تعالى في سليمان عليه السلام «تَأْكُلُ مِنْسَأَتُهُ».

ص: ٣٦٤

«و محضرة للشيطان» روى مجالسة أهل معاصي (الكافي) عن الجعفرى قال: قال لى أبو الحسن عليه السلام: مالى رأيته عند عبد الرحمن بن أبي يعقوب فقلت: إنه خالى. فقال: إنه يقول فى الله قولاً عظيماً، يصف الله و لا يوصف، فإما جلست معه و تركتنا و إما جلست معنا و تركته. فقلت: هو يقول ما شاء، أى شىء على منه إذا لم أقل بقوله. فقال: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت بالذى كان من أصحاب موسى - و كان أبوه من أصحاب فرعون - فتخلف ليعظ أباه و يلحقه بموسى فمضى أبوه و هو يراغمه حتى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً، فأتى موسى عليه السلام الخبر فقال: هو فى رحمة الله و لكن النقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قاربت المذنب دفاع^{٨٠١}.

^{٧٩٧} (١) الكافي ٢: ٣٠١ ح ٣.

^{٧٩٨} (٢) الكافي: ٢٩٥ ح ٩.

^{٧٩٩} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٦ الخطبة ٨٥.

^{٨٠٠} (٤) لسان العرب ١٤: ١١٨، و البيت منسوب لأمير المؤمنين عليه السلام.

^{٨٠١} (١) الكافي ٢: ٣٧٤ ح ٢.

«جانبوا الكذب فإنَّ الكذب مجانب للإيمان» قال تعالى «إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ»^{٨٠٢} و روى باب كذب (الكافي) عنه عليه السلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله و جدّه^{٨٠٣}.

و عن الباقر عليه السلام: إنَّ الكذب هو خراب الإيمان^{٨٠٤}.

«الصادق على شرف منجاء و كرامة» هكذا في (المصرية)^{٨٠٥}، و لكن في (ابن أبي الحديد)^{٨٠٦} و ابن ميثم و الخوئي و الخطيب: «الصادق على شفا منجاء و كرامة» فهو الصحيح.

ص: ٣٦٥

و روى باب صدق (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنَّ الرجل ليصدق حتى يكتبه الله صديقاً^{٨٠٧}.

و عن الصادق عليه السلام: إنَّ العبد ليصدق حتى يكتب عند الله من الصادقين و يكذب حتى يكتب عند الله من الكاذبين، فإذا صدق قال تعالى: صدق و برّ، و إذا كذب قال تعالى: كذب و فجر^{٨٠٨}.

و في (تاريخ بغداد): كان لربيع بن خراش ابنان عاصيان زمن الحجاج، فقبل للحجاج إنَّ أباهما لم يكذب قط فلو أرسلت إليه فسألته عنهما، فأرسل إليه أين ابناك؟ فقال: هما في البيت. قال: قد عفونا عنهما لصدقك^{٨٠٩}.

و في السير: إنَّ الحجاج أراد قتل أحد من أسارى أصحاب ابن الأشعث فقال له: لا تقتلني كان ابن الأشعث يوماً يسبّك و أنا نهيته. فقال: لك شاهد. قال نعم، و دعا أحد من الأسارى فشهد له، فقال الحجاج: أنت نهيته. قال: لا. قال:

لم. قال: لأنني كنت مبغضك. فقال الحجاج: عفوت عنكما الأول لدفاعه عني و الثاني لصدقه^{٨١٠}.

«و الكاذب على شفا» هكذا في (المصرية)^{٨١١} و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب و الخوئي): «على شرف»^{٨١٢} فهو الصحيح، و إنما «شفا» كان في السابقة، و (المصرية) عكست.

ص: ٣٦٦

^{٨٠٢} (٢) النحل: ١٠٥.
^{٨٠٣} (٣) الكافي ٢: ١٠٥ ح ٨.
^{٨٠٤} (٤) الكافي ٢: ٣٣٩ الرواية ٤.
^{٨٠٥} (٥) الطبعة المصرية: ٢٠٣.
^{٨٠٦} (٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٣٥٤، الخطبة (٨٥)، شرح الخوئي ٦: ١٢٤ الخطبة (٨٥)، و شرح ابن ميثم البحراني ٢: ٢٨١ الخطبة (٨٣) أما الخطبة النسخية فكما ذكر العلامة انظر ص ٥٧ في النسخة الخطية.
^{٨٠٧} (١) الكافي ٢: ٣٣٨ الرواية ٢.
^{٨٠٨} (٢) الكافي ١: ١٠٥ ح ٩.
^{٨٠٩} (٣) تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣.
^{٨١٠} (٤) لم نعثّر عليه في تراجم الحجاج و لا في كتب التاريخ الشهيرة.
^{٨١١} (٥) الطبعة المصرية لمحمّد عبده: ٢٠٣.
^{٨١٢} (٦) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٣٥٤، ابن ميثم ٢: ٢٨١ و النسخة الخطية كذلك انظر ص ٥٧ من النسخة الخطية، و شرح الخوئي كذلك ٦: ١٢٤.

«مهواة» أى: هوى و سقوط.

«و مهانة» أى: حقارة مصدر «مهن».

فى (أمالى القالى): خرج أو فى بن مطر الخزاعى و جابر الرزامى و مالك الرزامى - من مازن - ليغيروا على بنى أسد بن خزيمه، فلقوهم فقتل مالك و أرتث أو فى جريحا، فقال لجابر: احملنى. قال: إن بنى أسد قريب و أنت ميت لا محالة، و أن يقتل واحد خير من أن يقتل اثنان. قال: فازحف بى إلى عمايه. قال:

فضاء لا يسترك منها شيء. قال: فانهض بى إلى قساس قال: ما قساس إلّا حرمله لبنى أسد. قال: فى أوان. قال إنّما ذلك تحت أيديهم. فأتى الحى فأخبرهم أنّ أوفى و مالكا قد قتلا ثم أن أوفى تحامل إلى بعض المياه فتعالج به حتى برئ، ثم أقبل فقال رجل من القوم و جابر فيهم - لو لا أن الموتى لم يأن بعثها لأنبأتكم أنّ هذا أو فى - قال أبو عبيدة: فانسل جابر من القوم فما يدرى أين وقع و لا ولده إلى الساعة استحياء من القوم من الكذبة التى كذبها^{٨١٣}.

و عنه عليه السلام: الكذب يهدى إلى الفجور و الفجور يهدى إلى النار، و لا يزال أحدكم يكذب حتى لا يبقى فى قلبه موضع ابرة صدق فيسمى عند الله كذابا^{٨١٤}.

و فى (كامل المبرد): روى أنّ أشراف الكوفة كانوا يظهرن بالكناسة فيتحدّثن على دوابهم حتى تطردن الشمس، فوقف عمرو بن معديكرب الزبيدى و خالد بن الصعقب النهدي، فأقبل عمرو يحدثه فقال: أغرنا مرة على بنى نهد فخرجوا مستزعين - أى مقدمين - لخالد بن الصعقب فحملت عليه فطعنته فأرديته ثم ملت بالصمصامة فأخذت رأسه، فقال خالد خلل - أى:

ص: ٣٦٧

استتر - أبا ثور ان قتيلك هو المحدث^{٨١٥}.

و قال ابن أبى الحديد: قال الشاعر:

أو عادة السوء أو [من] قلّة الأدب

لا يكذب المرء إلّا من مهانته

من كذبة المرء فى جدّ و [فى] لعب

لعض جيفة كلب خير رائحة

^{٨١٦} «و لا» و فى (ابن ميثم و الخطيب): «لا»^{٨١٧}.

^{٨١٣} (١) ذيل الأمالى: ٩١.

^{٨١٤} (٢) بحار الأنوار للمجلسي ٧٢: ٢٥٩ ح ٢٤.

^{٨١٥} (١) الكامل للمبرد ٢: ٥٦٢ - ٥٦٣.

^{٨١٦} (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٦: ٣٦٠.

«تحاسدوا فإن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب» في (معارف ابن قتيبة): كان امية بن أبي الصلت قرأ الكتب المتقدمة و رغب عن عبادة الأوثان - و كان يخبر أن نبيا قد أطل زمانه و كان يؤمل أن يكون هو - فلما بلغه مبعث النبي صلى الله عليه و آله كفر به حسدا، قالوا: و لما أنشد النبي شعره قال صلى الله عليه و آله: آمن بلسانه و كفر بقلبه^{٨١٨}.

و حسد قابيل هابيل فقتله.

و قال الخوئي: روى أن رجلا كان يغشى بعض الملوك و يقوم بحذائه و يقول له: أحسن إلى المحسن بإساءته فإن المسيء سيكفيك إساءته. فحسده رجل على ذلك المقام و الكلام فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك و يقول ما يقول يزعم أن الملك أبخر. فقال الملك: و كيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعوه إليك فإنه إذا دنا منك وضع يده على أنفه لثلاث يشم ريحة البخر. فقال له: انصرف حتى أنظر. فخرج الحاسد و دعا الرجل إلى منزله فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده و قام بحذاء الملك على عادته

ص: ٣٤٨

فقال ذلك المقال، فقال له الملك: ادن مني. فدنا و وضع يده على فيه حذرا من أن يشم الملك منه رائحة الثوم. فقال الملك في نفسه: ما أرى فلانا إلّا صدق - و كان الملك لا يكتب بخطه إلّا لجائزة أو صلة - فكتب له كتابا بخطه إلى عامل من عماله «إذا أتاك حامل كتابي هذا فاذبحه و اسلخه و حش جلدته تبنا و ابعث به إلى»، فأخذ الكتاب و خرج، فلقبه الرجل الذي سعى به فقال: ما هذا الكتاب؟

قال: خط الملك بجائزة لي. قال: هبه لي. فوهبه له و أخذه و مضى إلى العامل، فقال العامل: في كتابك أن أذبحك و أسلخك. قال: إن الكتاب ليس هو لي فالله الله في أمري حتى تراجع الملك. فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه و سلخه و حش جلدته تبنا و بعث به. ثم دعا الرجل كعادته إلى الملك و قال مثل مقالته، فتعجب الملك و قال: ما فعلت بالكتاب؟ فقال: لقيني فلان فاستوهبه مني فوهبته له. قال: إنه ذكر لي أنك تزعم أنني أبخر. قال: ما قلت ذلك. قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: لأنه أطعمني طعاما فيه ثوم فكرهت أن تشمه.

قال: صدقت ارجع إلى مكانك فقد كفاك المسيء إساءته^{٨١٩}.

«و لا تباغضوا فإنها الحالقة» أي: الخصلة التي من شأنها أن تحلق الدين كما يحلق موسى الشعر.

و في قطيعة رحم (الكافي): قال النبي صلى الله عليه و آله: ألا و إن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر و لكن حالقة الدين^{٨٢٠}.

^{٨١٧} (٣) في شرح ابن ميثم ورد لفظ «و لا» بخلاف ما ذكره، أما الخطية فقد ورد «لا»: انظر شرح ابن ميثم ٦: ٢٨٨ الخطية ٥٧.

^{٨١٨} (٤) المعارف لابن قتيبة: ٦٠.

^{٨١٩} (١) شرح الخوئي: ١٦١-١٦٢.

^{٨٢٠} (٢) الكافي ٢: ٣٤٦ ح ١.

و قال الصادق عليه السلام: اتقوا الحالقة فإنها تميت الرجال. قلت: فما الحالقة؟

قال: قطيعة الرحم^{٨٢١}.

ص: ٣٦٩

«و اعلموا أنَّ الأمل يسهى العقل» فى (النهاية): السهو فى الشىء تركه عن غير علم، و السهو عنه تركه مع العلم، و منه قوله تعالى: «الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ»^{٨٢٢}.

«و ينسى الذكر» و قال تعالى: «فَأَعْرِضْ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا»^{٨٢٣}.

«فأكذبوا الأمل فإنه غرور و صاحبه مغرور» و فى المثل: «أغر من ظبى مقمر»^{٨٢٤} لأنه يخرج فى الليلة المقمرة يرى أنه النهار فتأكله السباع.

٣٠

الحكمة (١٨٠) و قال عليه السلام:

الطَّمْعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ أَقُولُ: قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

تعفف و عش حراً و لا تك طامعا
فما قطع الأعناق إلّا المطامع

٨٢٥ ...

و قالوا: العبد حر إذا قنع، و الحر عبد إذا طمع^{٨٢٦}.

ص: ٣٧٠

٣١

الحكمة (٢٢٦) و قال عليه السلام:

^{٨٢١} (٣) الكافي ٢: ٣٤٦ ح ٢.
^{٨٢٢} (١) النهاية لابن الاثير ٢: ٤٣٠ مادة (سهى) و الآية ٥ من سورة الماعون.
^{٨٢٣} (٢) النجم: ٢٩.
^{٨٢٤} (٣) المنجد فى اللغة للويس معلوف: ١٠٣٠.
^{٨٢٥} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٤١٣.
^{٨٢٦} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٢١٣.

الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ الدُّلِّ أَقُولُ: قال الشاعر:

رَأَيْتُ مَخِيلَةً فَطَمَعَتْ فِيهَا وَ فِي الطَّمَعِ الْمَذَلَّةُ لِلرَّقَابِ

^{٨٢٧} و قال آخر:

طَمَعْتُ بِلَيْلَى أَنْ تَرِيْعَ وَ إِنَّمَا تَقْطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعِ

^{٨٢٨} و قال أعرابي: إِنَّ الْأَمَالَ قَطَعْتَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ كَالسَّرَابِ غَرٌّ مَنْ رَأَاهُ وَ أَخْلَفَ مَنْ رَجَاهُ.

٣٢

الحكمة (٢١٩) و قال عليه السلام:

أَكْثَرُ مَصَارِعِ الْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ الْمَطَامِعِ أَقُولُ: قالوا: ما الخمر صرفها بأذهب لعقول الرجال من الطمع.

و سئل عليه السلام: ما ثبات الإيمان؟ فقال: الورع. فقليل له: و ما زواله؟ قال:

الطمع ^{٨٢٩}.

و قال ابن أبي الحديد: قال الشاعر:

إِذَا حَدَّثْتَكَ النَّفْسَ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَا حَوَتْ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكُذِّبْ

ص: ٣٧١

و إِيَّاكَ وَ الْأَطْمَاعَ إِنَّ وَ عَوْدَهَا رِقَارِقُ آلٍ أَوْ بَوَارِقُ خَلْبٍ

^{٨٣٠} هذا، و قالوا: رَأَى أَشْعَبُ الطَّمَاعِ سَلًّا لَا يَصْنَعُ سَلًّا فَقَالَ: أَوْ سَعَهَا. قال له:

مَالِكٌ وَ ذَاكَ؟ قَالَ: لَعَلَّ صَاحِبَهَا يَهْدِي لِي فِيهَا شَيْئًا يَوْمًا.

^{٨٢٧} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٨٥.

^{٨٢٨} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١.

^{٨٢٩} (٣) عن الصادق عليه السلام عن الحسين بن علي ذكره المجلسي في بحار الأنوار ٧: ٣٠٥ الرواية ٢٣.

^{٨٣٠} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١.

الحكمة (٢٥٥) و قال عليه السلام:

الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ - لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدُمُ - فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ «الْحِدَّةُ» بالكسر من حد يحد - بالكسر -.

و فى الخبر: الغضب جمره توقد فى جوف ابن آدم، ألم تروا إلى حمرة عينيه و انتفاخ أو داجه^{٨٣١}.

أيضا: إذا غضب أحدكم ليقعد إن كان قائما و يضطجع إن كان قاعدا^{٨٣٢}.

و قال شاعر:

احذر مغايظ أقوام ذوى أنف
إن المغيظ جهول السيف مجنون

هذا، و فى (العيون): كان المنصور ولى سلمة بن قتيبة البصرة، و ولى مولى له كور البصرة و الإبله، فورد كتاب مولاه أن سلما ضربه بالسياط، فاستشاط المنصور و قال: علىّ تجرأ سلم لأجعلنه نكالا، فقال له ابن عياش - و كان جريئا عليه - إن سلما لم يضرب مولاك بقوة و لا قوة أبيه و لكنك قلدته سيفك و أصعدته منبرك فأراد مولاك أن يطأطىء منه ما رفعت و يفسد ما

ص: ٣٧٢

صنعت فلم يحتمل ذلك، إن غضب العربى فى رأسه فإذا غضب لم يهدأ حتى يخرج به بلسان أو يد، و إن غضب النبى فى استه فإذا غضب و خرى ذهب غضبه. فضحك المنصور و قال: فعل الله بك يا منتوف و فعل، و كف عن سلم.

هذا مثل الحدة فى أعقاب الندامة العجلة، و كانت العرب تكنى العجلة أم الندامة، قالوا: إن صاحب العجلة يقول قبل أن يعلم، و يجب قبل أن يفهم و يعزل قبل أن يفكر، و يقطع قبل أن يقدر، و يحمد قبل أن يجرب، و يذم قبل أن يختبر، و من كان معه أحد هذه الخلال يندم البتة فكيف مع الجميع^{٨٣٣}.

ص: ٣٧٣

الفصل الخامس و الاربعون فى آداب المعاشرة

ص: ٣٧٥

^{٨٣١} (٢) فى الكافي ٢: ٣٠٤ ح ١٢، الغضب جمره من الشيطان و نقل المجلسي ما يماثله عن النبي صلى الله عليه و آله انظر ٧٣: ٢٧٢ ح ٢٣ الباب ١٣٢.

^{٨٣٢} (٣) ذكره المجلسي عن دعوات الراوندي ٨٠: ٣١٢ بلفظ آخر.

^{٨٣٣} (١) العيون للقتبي، ١: ٢٩٠ - ٢٩١.

الحكمة (٩) و قال عليه السلام:

خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مِتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ - وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ أَقُولُ: فِي (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال أبو حمزة الثمالي: حدثنا إبراهيم بن سعيد عن الشعبي عن ضرار بن زمرة قال: أوصى أمير المؤمنين عليه السلام بنيه فقال: يا بني عاشروا الناس بالمعروف معاشره إن عشتُم حنوا إليكم و إن متُّم بكوا عليكم ثم قال:

و أن يكثرُوا بعدى الدعاء على قبري

يريد بذاكم أن يهشوا لطاعتي

و ان كنت عنهم غائبا أحسنوا ذكرى

و أن يمنحوني في المجالس ودَّهم

٨٣٤

ص: ٣٧٤

و مثله عن (مناقب ابن الجوزي).

و في (أمالى الشيخ) عن أبي المفضل مسندا عن الباقر عليه السلام: لما احتضر أمير المؤمنين عليه السلام جمع بنيه حسنا و حسينا و ابن الحنفية و الأصغر من ولده، فوصّاهم و كان في آخر وصيته «عاشروا الناس عشرة إن غبتم حنوا إليكم و إن فقدتم بكوا عليكم، يا بني إن القلوب جنود مجتدة تتلاحظ بالمودة و تتناجي بها و كذلك هي في البغض، فإذا أحببتهم الرجل من غير خير سبق منه إليكم فارجوه، و إذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منه إليكم فاحذروه»^{٨٣٥}.

«خالطوا الناس مخالطة» قد عرفت أن في رواية أخرى: «عاشروا الناس بالمعروف معاشره»^{٨٣٦}.

في (قرب الاسناد): عن الصادق عليه السلام أن عليا عليه السلام صاحب ذميا فقال له الذمي: أين تريد؟ قال عليه السلام: الكوفة. فلما عدل الطريق بالذمي عدل معه علي عليه السلام، فقال له الذمي: أ لست زعمت أنك تريد الكوفة فقد تركت الطريق.

فقال له: قد علمت. فقال: و لم عدلت معي؟ قال عليه السلام من تمام الصبغة أن يشيع الرجل صاحبه إذا فارقه، كذلك أمرنا نبينا. فقال: لا جرم إنما تبعه من تبعه لأفعاله الكريمة، أشهدك أنني على دينك. فرجع الذمي معه عليه السلام، فلما عرفه أسلم^{٨٣٧}.

^{٨٣٤} (١) التذكرة لسبط ابن الجوزي: ١٥٢.

^{٨٣٥} (١) الأمالى للشيخ: المجلس السادس و العشرون: ٥٩٥ ح ١٢٣٢ المجلس (٢٦).

^{٨٣٦} (٢) بحار الأنوار للمجلسي ٧٨: ٧٦ ح ٤٧.

و قال بعضهم: إنّما الناس أحاديث، فإن استطعت أن تكون أحسنهم حديثاً فافعل.

«إنّ متّم معها بكوا عليكم» في (تاريخ بغداد): كان ابن أبي دؤاد مؤلفاً لأهل

ص: ٣٧٧

الأدب من أى بلد كانوا، و قد كان ضمّ إليه جماعة يعولهم و يموتهم، فلما مات اجتمع ببابه جماعة منهم فقالوا: أ يدفن من كان على ساقفة الكرم و تاريخ الأدب و لا يتكلّم فيه إنّ هذا لو هن و تقصير. فلما طلع سريره قام ثلاثة منهم فقال أحدهم:

اليوم مات نظام الفهم و اللسن
و مات من كان يستدعى على الزمن
و اظلمت سبل الآداب إذ حجبت
شمس المعارف فى غيم من الكفن

و تقدّم الثانى فقال:

ترك المنابر و السرير تواضعا
و له منابر لو يشا و سرير
و لغيره يجبى الخراج و إنّما
يجبى إليه محامد و أجور

و قام الثالث فقال:

و ليس نسيم المسك ريح حنوطه
و لكنه ذاك النناء المخلف
و ليس صرير النعش ما يسمعونه
و لكنها أصلاب قوم تقصف

^{٨٣٨} و فى (الأغانى): عن مسرور خادم الرشيد: لما أمرنى بقتل جعفر دخلت عليه و عنده أبو زكار الأعشى و هو يغنيه بصوت لم أسمع بمثله:

فلا تبعد فكلّ فتى سيأتى
عليه الموت يطرق أو يغادى
و كلّ ذخيرة لا بدّ يوما
و إن بقيت تصير إلى نفاذ
و لو يفدى من الحدثان شيء
فديتك بالطريف و بالتلاذ

^{٨٣٧} (٣) قرب الاسناد للحميوي القمي: ١٠.

^{٨٣٨} (١) تاريخ بغداد ٤: ١٥٠.

فقلت له: في هذا والله أتيتك، فأخذت بيده فأقامته وأمرت بضرب عنقه.

فقال لي أبو زكار: نشدتك الله إلا ألحقتني به. فقلت له: وما رغبتك في ذلك؟ قال:

إنه أغناني عن سواه بإحسانه فما أحب أن أبقى بعده^{٨٣٩}...

ص: ٣٧٨

و فيه: كان الفضل الرقاشي منقطعا إلى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم وكانوا يصلون به على الشعراء و يروون أولادهم شعره و يدونونها القليل منها و الكثير تعصبا له و حفظا لخدمته و تنويها باسمه و تحريكا لنشاطه، فحفظ ذلك لهم، فلما نكبوا صار إليهم في حبسهم فأقام معهم مدة أيامهم ينشدهم حتى ماتوا، ثم رثاهم فأكثر من رثائهم^{٨٤٠}، و كان فني في حبهم حتى خيف عليه، فمن قوله في جعفر:

كم هاتف بك من باك و باكية
يا طيب للضيف إذ تدعى و للجار
إن يعدم القطر كنت المزن بارقة
لمع الدنانير لا ما خيل السارى

^{٨٤١} و منه قوله:

فلا يبعدنك الله عنى جعفرا
بروحى و لو دارت على الدوائر
فأليت لا أنفك أبكيك ما دعت
على فنن و رقاء أو طار طائر

^{٨٤٢} و قال المدائني: لما دارت الدوائر على آل برمك و أمر بقتل جعفر بن يحيى و صلب اجتاز به الرقاشي، فوقف يبكي أحراً بكاء ثم أنشأ يقول:

أما و الله لو لا خوف واش
و عين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك و استلمنا
كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يابن يحيى
حساما حتفه السيف الحسام

^{٨٣٩} (٢) الأغاني ٧: ٢٢٧.

^{٨٤٠} (١) الأغاني ١٦: ٢٤٥.

^{٨٤١} (٢) الأغاني ١١: ٢٣٥، نسبه (ليلى بنت عبد الله).

^{٨٤٢} (٣) الأغاني ١٦: ٢٤٨.

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد فأحضره، فقال له: ما حملك على ما قلت؟ فقال: كان إليّ محسنا فلما رأيته على الحال التي هو عليها

ص: ٣٧٩

حرّكني إحسانه فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلته. قال: و كم كان يجرى عليك؟ قال: ألف دينار في كلّ سنة. قال: قد أضعفناها لك^{٨٤٣}.

و في كتاب (أخبار بني العباس) عن خادم المأمون قال: طلبني الخليفة ليلا- و قد مضى من الليل ثلثة- فقال: بلغني أنّ شيخا يحضر ليلا إلى آثار دور البرامكة و ينشد شعرا و يذكرهم و يندبهم و يبكي عليهم، فاذهب مسرعا إلى ذاك الموضع و استتر خلف بعض الجدر، فإذا رأيت الشيخ قد جاء و بكى و ندبه و أنشد أبياتا فائتني به. فأتيته فإذا بغلام قد أتى و معه بساط و كرسي حديد و إذا شيخ قد جاء و له جمال و عليه مهابة، فجلس على الكرسي و جعل يبكي و ينتحب و يقول:

ولما رأيت السيف جندل جعفرا

و نادى مناد للخليفة في يحيى

بكيت على الدنيا و زاد تأسفى

عليهم و قلت الآن لا تنفع الدنيا

مع أبيات. فلما فرغ قبضنا عليه و قلنا أجب الخليفة، ففرع و قال: دعني أوصي. فأخذ من بعض الدكاكين ورقة و كتب وصيته و سلّمها إلى غلامه فأدخلته على الخليفة فقال له: بما استوجب البرامكة معك ما تفعله في خرائب دورهم. قال: كنت من أولاد الملوك و كنت في دمشق فزالت الدولة عنّي و ركبني الدين حتى احتجت إلى بيع بيتي، فأشاروا عليّ بالخروج إلى البرامكة، فخرجت مع نيف و ثلاثين امرأة و صبيا و صبيّة حتى دخلنا بغداد و نزلنا في بعض المساجد فدعوت ببعض ثياب كنت أعددتها فلبستها و خرجت و تركتهم جياعا، فاذا أنا بمسجد مزخرف و في جانبه شيخ بأحسن زى و على الباب خادمان و في الجامع جماعة جلوس، فطمعت في القوم و دخلت و أنا أقدم رجلا و أؤخر أخرى و العرق يسيل مني، و إذا بخادم قد أقبل

ص: ٣٨٠

و دعاهم فقاموا فدخلوا دار يحيى بن خالد فدخلت معهم و إذا يحيى جالس على دكة له وسط بستان، فسلمنا و هو يعدنا مائة و واحدا و بين يديه عشرة من ولده، و إذا بأمرد نبت العذار في خديه قد أقبل من بعض المقاصير و بين يديه مائة خادم متمطقون في وسط كلّ منهم منطقة من ذهب يقرب وزنها من ألف متقال، و مع كلّ منهم مجمره من ذهب في كلّ مجمره قطعة من العود و العنبر السلطاني، فوضعه بين يدي الغلام و جلس إلى جنب يحيى، فقال يحيى للقاضي: تكلم و زوج ابنتي فلانة من

^{٨٤٣} (١) الأغاني ١٦: ٢٤٩.

ابن أخى هذا. فخطب خطبة النكاح و زوجته و شهد أولئك الجماعة و أقبلوا علينا بالنار ببنادق المسك و العنبر فالتقطت ملء كمي و نظرت فإذا نحن بين يحيى و ولده و الغلام مائة و اثنا عشر نفرا و إذا بمائة و اثنا عشر خادما قد أقبلوا و مع كلّ خادم صينية من فضة على كلّ صينية ألف دينار، فوضعوا بين يدي كلّ رجل مئاة صينية، فرأيت القاضي و المشايخ يضعون الدنانير فى أكمامهم و يجعلون الصواني تحت آباطهم و قاموا و بقيت لا أجسر على أخذ الصينية، فغمزنى الخادم فأخذتها و جعلت أتلفت إلى ورائى مخافة أن أمنع من الذهاب و يحيى يلاحظنى فقال: ما لى أراك تتلفت يمينا و شمالا؟ فقصصت عليه قصتى فقال للخادم:

إبتنى بولدى موسى. و قال له: يا بنى هذا رجل غريب فخذة إليك و احفظه بنعمتك. فأخذ يدي و أدخلنى داره و أقمت عنده يومى و ليلتى فى الدّ عيش، فلما أصبح دعا بأخيه العباس و قال له: أمرنى الوزير بالعطف على هذا الفتى و قد علمت اشتغالى فى بيت الخليفة فأقبضه إليك و أكرمه. ففعل ثم تسلمنى فى الغد أخوه أحمد، ثم تداولوا بى فى عشرة أيام و لا أعرف خبر عيالى و صبيانى.

فلما كان اليوم الحادى عشر جاءنى خادم و قال: اخرج إلى عيالك

ص: ٣٨١

بسلام. فقلت: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» سلبت الصينية و الدنانير، فرفع الخادم سترا ثم آخر ثم آخر إلى خمسة، فلما رفع الأخير رأيت حجرة كالشمس حسنا و نورا و استقبلنى منها رائحة العود و نفحات المسك، و إذا بعيالى و صبيانى يتقبلون فى الحرير و الديباج، و حمل إلى مائة ألف درهم و عشرة آلاف دينار و منشور لضيعتين و تلك الصينية التى كنت أخذتها بما فيها من الدنانير و البنادق، و أقمت مع البرامكة فى دورهم ثلاث عشرة سنة لا يعلم الناس أنا من البرامكة أم غريب، فلما جاءتهم البلية أجحفتنى عمرو بن مسعدة و ألزمنى فى هاتين الضيعتين من الخراج ما لا يفى دخلهما به، فلما تحامل علىّ الدهر كنت أقصد فى آخر الليل خرابات دورهم فأندبهم و أذكر حسن صنيعهم و أبكى عليهم. فقال الخليفة: علىّ بعمرو بن مسعدة، فأتى به فقال له:

تعرف هذا؟ قال: بعض صنائع البرامكة. قال: كم ألزمته فى ضيعته؟ قال: كذا و كذا. فقال له: رد إليه كلّ ما أخذته منه و أفرغهما له ليكونا له و لعقبه من بعده.

فعلا نحيب الرجل، فلما رأى الخليفة كثرة بكائه قال له: يا هذا قد أحسنا إليك فما يبكيك؟ قال: و هذا أيضا من صنيع البرامكة لو لم آت خراباتهم فأبكيهم و أندبهم حتى اتصل خبرى بالخليفة من أين كنت أصل إلى الخليفة، فدمعت عينا الخليفة و قال: لعمرى هذا أيضا من البرامكة فأبكيهم و أشكرهم^{٨٢٤}.

^{٨٢٤} (١) لم نعثر على كتاب اخبار بني العباس في المطبوعات و المخطوطات، و يقول حاجي خليفة عن الكتاب إنه لأحمد بن يعقوب المصري و لعبد الله بن الحسين بن بدر المتوفى سنة ٣٧٢، انظر كشف الظنون ١: ٢٦.

و فى (العيون): كان سعيد بن عمرو مؤاخيا ليزيد بن المهلب، فلما حبس عمر ابن عبد العزيز، يزيد و منع من الدخول عليه، أتاه سعيد فقال له: لى على يزيد خمسون ألف درهم و قد حلت بينى و بينه فإن رأيت أن تأذن لى فأقتضيه.

فاذن لى فدخل عليه فسر به يزيد و قال له: كيف وصلت إلى. فقال: بهذا التدبير.

ص: ٣٨٢

فقال يزيد: و الله لا تخرج إلّا و هى معك. فامتنع سعيد فحلف يزيد ليقبضها.

فقال ابن الرقاع:

لم أر محبوسا من الناس واحدا
سعيد بن عمرو إذا أتاه أجازه
حبا زائرا فى السجن غير يزيد
بخمسين ألف عجلت لسعيد

^{٨٤٥} «و ان عشتم حنوا إليكم» من (حنا) أى: عطف و مال.

فى (مستجد التنوخي): مرض قيس بن سعد بن عبادة فاستبطأ إخوانه فقليل: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الدين. فقال: أخزى الله ما لا يمنع الإخوان من الزيارة. ثم أمر مناديا فنادى: من كان لقيس عليه حق فهو منه فى حل. فكسرت درجته بالعشى لكثرة من عاده ^{٨٤٦}.

و فى (الجهشياري): ذكر مخلد بن إبان قال: كنت أكتب لمنصور بن زياد، فشخص منصور مع الرشيد إلى خراسان - و كان ابنه محمد بن منصور سخيا سريا و كان الرشيد يسميه فتى العسكر - فأمرنى بحفظ الأموال و المقام معه على السواد بحضرة محمد الأمين ببغداد، فكنت مع محمد بن منصور و عمل على تزويج ابنه زياد بن محمد بن منصور، فسأل محمد الأمين أن يزوره فى أصحابه و قواده و كتابه من غير أن يقدم فى هذا قولاً إلى، فأجابه الأمين ثم دعانى فخبّرنى الخبر فقلت له: هذا أمر علينا فيه غلظة و نحتاج إلى مال جليل. فقال: قد وقع هذا و لا حيلة فى إبطاله - و كان موضع بابه يضيق عن عشر دواب - فقلت له: فإن لم تنظر فى المال و النفقة فمن أين لنا راحة تقوم فيها دواب الناس. فقال: لا و الله ما أدري و التدبير و الأمر إليك.

ففكرت فى إحسانهم إلى جيرانهم، فخرجت إلى مسجد على بابه فجمعتهم

ص: ٣٨٣

^{٨٤٥} (١) عيون الاخبار ١: ٣٤٤، و ذكره ابن قتيبة أيضا فى الشعر و الشعراء: ٤١٠، طبع دار الكتب العلمية.
^{٨٤٦} (٢) المستجد فى أخبار الأجواد للتنوخي: ١٧٦.

و أعلمتهم ما عزم عليه محمد ابن منصور من أمر ابنه و استزارته الأمين و أنه لا رحبة له، و سألتهم تفرغ منازلهم و إعارتنا إيّاها جمعة أو عشرة أيام حتى نهدمها ثم نبنيها إذا استغنيينا عنها أحسن بناء. قلت لهم هذا القول و أنا خائف ألا يجيبوني. فقالوا جميعا بلسان واحد: نعم كرامة و مسرة، غدا نفرغها.

فشكرت ذلك لهم و قاموا من حضرتي و أخذوا في تفرغها - و كان أكثرها باللبن و الاختصاص - فهدمناها و جعلنا مكانها رحبة و أتانا الأمين و أنفقنا أموالا جليلة، و كانت الغو إلى في تغارات فضة و أكثر الشمع من عنبر في طساس ذهب، ثم انقضى العرس فبنيت للجيران منازلهم بالجص و الآجر^{٨٤٧}.

و في (كامل المبرد): كان القعقاع بن شور إذا جالسه أحد و عرفه بالقصد إليه جعل له نصيبا في ماله و أعانه على عدوّه له في حاجته و غدا إليه بعد المجالسة شاكرًا له حتى شهر بذلك، و فيه يقول القائل:

و لا يشقى بقعقاع جليس

و كنت جليس قعقاع بن شور

و عند السوء مطراق عبوس

ضحوك السن إن أمروا بخير

و جالس رجل قوما من مخزوم، فأساءوا عشرته و سعوا به إلى معاوية، فقال:

فلست جليس قعقاع بن شور^{٨٤٨} و من جهل أبو
جهل أخوكم

شقيت بكم و كنت لكم جليسا

غزا بدرا بمجرمة و تور

و في (تاريخ بغداد) عن عون بن محمد الكندي قال: لعهدى بالكرخ ببغداد و ان رجلا لو قال ابن أبي دؤاد مسلم لقتل في مكانه، ثم وقع الحريق في الكرخ - و هو الذي ما كان مثله قط، كان الرجل يقوم في صينية شارع الكرخ

ص: ٣٨٤

فيرى السفن في دجلة - فكلّم ابن أبي دؤاد المعتصم في الناس و قال له: رعيتك في بلد آبائك و دار ملكهم نزل بهم هذا الأمر فاعطف عليهم بشيء يفرّق فيهم يمسك أروماقهم و يبنون به ما انهدم عليهم و يصلحون به أحوالهم. فلم يزل ينازله حتى أطلق لهم خمسة آلاف ألف درهم. فقال له: إن فرقها عليهم غيرى خفت ألا يقسم بينهم بالسوية فائذن لي في تولى أمرها ليكون الأجر أوفر و الثناء أكثر. قال: ذلك إليك. فقسمها على مقادير الناس و ما ذهب منهم بنهاية ما يقدر عليه من الاحتياط و احتاج إلى زيادة، فازدادها من المعتصم و غرم من ماله في ذلك غرما كثيرا. فكانت هذه من فضائله التي لم يكن لأحد مثلها.

^{٨٤٧} (١) الجهشياري: ٢٦٦ - ٢٦٧.

^{٨٤٨} (٢) الكامل للمبرد ١٠: ١٥٢.

فلعهدي بالكرخ لو إن إنسانا قال «زر ابن أبي دؤاد و سخ» لقتل.

فيه أيضا: اعتلّ ابن أبي دؤاد فعاده المعتصم و قال له: إنني نذرت إن عافاك الله أن أتصدّق بعشرة آلاف دينار. فقال له: اجعلها لأهل الحرمين فقد لقوا من غلاء الأسعار عنفا. فقال: نويت أن أتصدّق بها ههنا و أنا اطلق لأهل الحرمين مثلها. فقيل للمعتصم في ذلك - لأنه عادة و ليس يعود إخوته و أجلاء أهله - فقال: و كيف لا أعود رجلا ما وقعت عيني عليه قط إلّا ساق إلى أجرا أو أحب لي شكرا أو أفادني فائدة تنفعني في دنياي و ديني، و ما سألتني حاجة لنفسه قط^{٨٤٩}.

و بالعكس من أساء معاشره الناس يجتنبه الناس في حياته و يشمتون بموته بعد وفاته، قالوا: لما مات أبو عبيدة معمر بن المثنى - مع كثرة تاليه في الفنون المختلفة حتى قيل فيه إن علم الجاهلية و الاسلام كان عنده - لم يحضر جنازته أحد لأنه لا يسلم منه شريف و لا غيره.

و في (تاريخ بغداد): ولى معاذ بن معاذ - و كان له منزلة من الرشيد -

ص: ٣٨٥

قضاء البصرة، فلم يحمدا أمره و كثر الكارهون له و الرقاع عليه، فلما صرف عن القضاء أظهر أهل البصرة السرور به و نحروا الجزور و تصدّقوا بلحمها و استتر في بيته خوف الوثوب عليه ثم شخص مختفيا^{٨٥٠}.

و قالوا: لما نكب المعتصم الفضل بن مروان شمت به الناس لرداء أفعاله و أخلاقه، فقيل فيه:

فليس له باك من الناس يعرف

لتبكي على الفضل بن مروان نفسه

و فارقها و هو الظلوم المعنف

لقد صحب الدنيا منوعا بخيرها

على أي شيء فاتنا منه نأسف

إلى النار فليذهب و من كان مثله

^{٨٥١} و في (اليقوبي): سخط المتوكل بعد أربعين يوما من خلافته على محمد بن عبد الملك الزيات و استصفى أمواله و عذبه حتى مات، كان شديد القسوة قليل الرحمة كثير الاستخفاف بهم لا يعرف له إحسان إلى أحد و لا معروف عنده و كان يقول: الحياء و الرحمة ضعف، و السخاء حمق. فلما نكب لم ير إلّا شامت به و فرح بنكبته^{٨٥٢}.

و في (الطبري): قيل في الأمين بعد قتله:

^{٨٤٩} (١) تاريخ بغداد ٤: ١٤٩.

^{٨٥٠} (١) تاريخ بغداد ٤: ١٤٩ - ١٥٠.

^{٨٥١} (٢) تاريخ بغداد لليقوبي ٤: ١٣٢.

^{٨٥٢} (٣) تاريخ اليقوبي ٢: ٤٨٤.

لم نبكيك لما ذا للطرب
يا أبا موسى و ترويح اللعب
و لترك الخمس في أوقاتها
حرصا منك على ماء العنب
و شنيف انا لا أبكي له
و على كوثر لا أخشى العطب
لم تكن تعرف ما حدّ الرضا
لا و لا ما حد الغضب

^{٨٥٣} و في (أنساب البلاذري): كان عمرو بن الزبير عظيم الكبر شديد العجب،

ص: ٣٨٦

و له يقال: «عمرو لا يكلم، من يكلمه يندم».

٢

الحكمة (٣٦٠) و قال عليه السلام:

لَا تَظُنَّنْ بِكَلِمَةٍ خَرَجْتَ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا - وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا أَقُولُ: رَوَى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَتَاهُ أَخَاهُ الْمُؤْمِنَ أَمَاتَ الْإِيمَانَ مِنْ قَلْبِهِ كَأَنَّمِيَائِ الْمَلْحِ فِي الْمَاءِ ^{٨٥٤}.

هذا، و قال ابن أبي الحديد: قال ثمامة: نكب الرشيد على بن عيسى بن ماهان و ألزمه مائة ألف دينار أدّى منها خمسين ألف دينار و بلج بالباقي، فأقسم الرشيد إن لم يؤد اليوم قتله، و كان ابن ماهان عدوا للبرامكة مكاشفا، فلما علم أنه مقتول سأل أن يمكن من الناس يستنجدهم ففسح له في ذلك، فمضى و معه وكيل الرشيد إلى باب يحيى و جعفر فأسبلا عليه و صححا من صلب أموالهما خمسين ألف دينار و استخلصاه، فنقل بعض المنتصحين لهما إليهما أن ابن ماهان قال في آخر ذاك اليوم متمثلا:

فما بقيا على تركتmani
و لكن خفتما صرر النبال

فقال يحيى للناقل: إن المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه.

و قال جعفر: و من أين لنا أنه عنانا و لعلّه أراد أمرا آخر في تمثله ^{٨٥٥}...

^{٨٥٣} (٤) تاريخ الطبري ٤: ٩٤.

^{٨٥٤} (١) الكافي ٢: ٣٦١ ح ١.

^{٨٥٥} (٢) شرح ابن أبي الحديد الجهشباري ٢٠: ٢٧٧.

قلت: نقله (الجهشياري) بطريق آخر كما مر في فصل المكارم، و الكلام فيما كان المقال محتملا للخير لا في مثله و إنما حملة يحيى عليه تكراً^{٨٥٦}.

ص: ٣٨٧

٣

الحكمة (٣٥) و قال عليه السلام:

مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ - قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ هَكَذَا فِي (المصرية)^{٨٥٧} و الصواب: «ما» كما في غيرها - لا يعلمون.
أقول: كان المغيرة بن الأسود المعروف بالأقيشر يغضب إذا قيل له أقيشر. فمرّ يوماً بقوم من بني عبس فقال رجل منهم: يا أقيشر، فسكت ساعة ثم قال:

أ تدعوني الأقيشر ذاك اسمي و أدعوك ابن مطفئة السراج
تتاجي خدنها بالليل سرا و ربّ الناس يعلم ما تتاجي

^{٨٥٨} فسمّى الرجل «ابن مطفئة السراج» و ولده يسبون بذلك إلى اليوم.

و دسّ جرير رجلا إلى الأقيشر و قال قل له: إنّي جئت لأهجو قومك و تهجو قومي، فصار إليه فقال له ذلك، فقال له: ممّن أنت؟ قال: من تميم. فقال:

فلا أسدا أسبّ و لا تميما و كيف يحلّ سب الأكرمين
و لكن التقارض حل بيني و بينك يابن مضرطة العجينا

فسمّى الرجل «ابن مضرطة العجين»^{٨٥٩}.

و قالوا: شهد أعرابي عند معاوية بشيء كرهه، فقال له معاوية: كذبت.

فقال له الأعرابي: الكاذب و الله متزمل في ثيابك. فقال معاوية: هذا جزاء من عجل.

^{٨٥٦} (٣): ٢٢٨.

^{٨٥٧} (١) الطبعة المصرية: ٦٦٦ ح ٣٥.

^{٨٥٨} (٢) الأغاني ١١: ٢٥٣.

^{٨٥٩} (٣) الشعر و الشعراء: ٤٧٢ طبعة دار الكتب العلمية.

و قالوا: قل خيرا تسمع خيرا. قل خيرا تغنم^{٨٦٠}.

و من العجب أن ذلك مؤثر حتّى فى العشاق، فقالوا: كان ذو الرمة المعروف بعشق مية قائلا فيها أشعارا كثيرة، فمكثت مية زمنا طويلا لا تراه و تسمع شعره، فجعلت لله عليها أن تنحر بدنة إن رآته، فلما رآته رأت رجلا أسود دميما. فقالت: و اسوأته - كأنها لم ترضه - فقال ذو الرمة:

على وجه مى مسحته من ملاحه
و تحت الثياب الشين لو كان باديا
ألم تر أن الماء يخبث طعمه
و إن كان لون الماء أبيض صافيا

^{٨٦١} و قالوا: و فد ملاعب الأسنة مع إخوته و معهم لبید - و هو غلام - على النعمان ابن المنذر، فوجدوا عنده الربيع بن زياد العبسى - و كان ينادم النعمان و كانوا له أعداء، فكان إذ خلا الربيع بالنعمان طعن فيهم و ذكر معايبهم، ففعل ذلك بهم مرارا، فدخلوا عليه يوما فرأوا منه تغيرا و جفاء و قد كان يكرمهم قبل ذلك - إلى أن قال - غدوا بلبید معهم إلى النعمان فوجدوه يتغدى و معه الربيع و هما يأكلان ليس معه غيره، فلما فرغ من الغداء دخلوا عليه فذكروا له حاجتهم فاعترض الربيع فى كلامهم فقام لبید يرتجز و يقول:

يا ربّ هيجا هى خير من دعه
نحن بنو أم البنين الأربعة
المطعمون الجفنة المذذعة
يا واهب الخير الكثير من سعه
أكل يوم هامتى مقرّعه
و من خيار عامر بن صعصعه
و الضاربون الهام تحت الخيضة
إليك جاوزنا بلادا مسبعة
مخبر عن هذا خبيرا فاسمعه
مهلا أبيت اللعن لا تأكل معه
و إنّه يدخل فيها إصبعة
إنّ استه من برص ملمعه

يدخلها حتى يوارى أشجعه
كأنما يطلب شيئا أطعمه

^{٨٦٠} (١) نهج البلاغة ١٠: ١٣٧.
^{٨٦١} (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٣٩.

^{٨٦٢} فالتفت النعمان إلى الربيع شزرا يرمقه فقال: أكذا أنت؟ قال: لا والله لقد كذب عليّ و انصرف. فبعث إليه النعمان بضعف ما كان يحبوه به و أمره بالانصراف إلى أهله. فكتب إليه الربيع: إنني قد تخوفت أن يكون قد و قر في صدرك ما قال ليبد و لست برائم حتى تبعث من يجردني فيعلم من حضر من الناس أني لست كما قال. فأرسل إليه: إنك لست صانعا بانتفانك مما قال ليبد شيئا و لا قادرا على ما زلت به الألسن فالحق بأهلك^{٨٦٣}.

٤

الحكمة (١٥٨) و قال عليه السلام:

عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ وَ ارْذُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ أَقُولُ: فِي (المعجم) عن أبي الفضل بن ثوابه قال: قدم البحتری النبل على أحمد الاسكافي مادحا له فلم يشبه، فهجاه بقصيدة أولها «قصّة النبل فاسمعوها عجاب» و جمع إلى هجائه إياه هجاء بنى ثوابه، و بلغ ذلك أبي فبعث إليه بألف درهم و ثيابا و دابة بسرجهها و لجامها، فردّه و قال: قد أسلفتكم إساءة فلا يجوز معه قبول صلتكم. فكتب إليه أبي: أما الإساءة فمغفورة و المعذرة مشكورة، و الحسنات يذهبن السيئات، و ما يأسو جراحك مثل يدك، و قد رددت إليك ما رددته عليّ، و أضعفته فإن تلافيت ما فرط منك أثبنا و شكرنا و إن لم تفعل احتملنا و صبرنا. فقبل البحتری: ما بعث به إليه. و كتب إلى أبي:

كلامك و الله أحسن من شعري، و قد أسلفتني ما أخجلني، و حملتني ما أثقلني،

ص: ٣٩٠

و سيأتيك ثنائى. ثم غدا عليه بقصيدة أولها «ضلال لها ما ذا أرادت من الصدّ» و قال فيه أيضا ما أوله «برق أضاء العقيق من صرمة» و ما أوله «إن دعاه داعى الهوى فأجابه» فلم يزل أبي بعد ذلك يصله و يتابع برّه لديه حتى افترقا^{٨٦٤}.

و فى (شعراء القتيبي): كان بشر بن أبي حازم الأسدى فى أول أمره يهجو أوس بن حارثة بن لام الطائى، فأسرته بنو نيهان من طى فركب إليهم أوس فاستوهبه منهم و أراد إحراقه، فقالت له سعدى امه: قَبِّحَ اللَّهُ رَأْيَكَ أَكْرَمَ الرَّجُلِ وَ أَحْسَنَ إِلَيْهِ فَإِنَّهُ لَا يَمْحُو مَا قَالَ غَيْرَ لِسَانِهِ. ففعل فجعل بشر مكان كل قصيدة هجاء قصيدة مدح^{٨٦٥}.

و فى (كامل المبرد): كان النعمان بن المنذر دعا بحلة و عنده و فود العرب من كل حى، فقال: احضروا فى غد فأني ملبس هذه الحلة أكرمكم.

^{٨٦٢} (١) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ١٥: ٣٦٣-٣٦٤، ذكر الأبيات في ديوان لبدي: ٩٢-٩٣ بدل أطمعه «ضيعه».

^{٨٦٣} (٢) ذكره الأصفهاني في الأغاني ١٥: ٣٦٣-٣٦٤.

^{٨٦٤} (١) معجم الادباء ٤: ١٥٥-١٥٦.

^{٨٦٥} (٢) الشعراء للقتبي: ٤٩.

فحضر القوم جميعاً إلّا أوس بن حارثة، فقيل له: لم تخلفت؟ فقال: إن كان المراد غيري فأجمل الأشياء إلّا أكون حاضراً، وإن كنت أن المراد فسأطلب و يعرف مكانى. فلما جلس النعمان لم ير أوساً، فقال: اذهبوا إلى أوس فقولوا له: احضر آمنًا ممّا خفت. فحضر فألبس الحلة، فحسده قوم من أهله فقالوا للحطيئة: اهجه و لك ثلاثمائة ناقة، فقال الحطيئة: كيف أهجو رجلاً لم يكن فى بيتى أثاث و لا مال إلّا من عنده. ثم قال:

كيف الهجاء و ما تنفكّ صالحة من آل لام بظهر الغيب تأتيني

فقال لهم بشر بن أبى حازم: أنا أهجوه لكم، فأخذ الإبل و فعل، فأغار أوس على الإبل فاكسحها فجعل لا يستجير حيّاً إلّا قال قد أجزتك إلّا من أوس- و كان بشر فى هجائه أوساً ذكر أمّه- فأتى به فدخل أوس على أمّه فقال: قد

ص: ٣٩١

أتينا ببشر الهاجى لك ولى فما ترين فيه؟ فقالت: أو تطيعنى فيه؟ قال: نعم.

قالت: أرى أن تردّ عليه ماله و تغفو عنه و تحبوه و أحبه فإنّه لا يغسل هجاءه إلّا مدحه. فخرج إليه فقال له: إنّ أمى سعدى التى كنت تهجوها قد أمرت فيك بكذا و كذا. فقال: لا جرم و الله لا مدحت أحداً حتى أموت غيرك، ففيه يقول:

إلى أوس بن حارثة بن لام ليقضى حاجتى فى من قضاها

و ما وطىء الثرى مثل ابن سعدى و لا لبس النعال و لا احتذاها

^{٨٦٤} و قال ابن أبى الحديد الأصل فيه قوله تعالى «ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِى بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِىٌّ حَمِيمٌ» ^{٨٦٧}.

و فى (كامل المبرّد): عن ابن عائشة: قال رجل من أهل الشام: دخلت المدينة فرأيت رجلاً راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً و لا ثوباً و لا مسمناً و لا دابةً منه، فمال قلبى إليه، فسألت عنه فقيل: هذا الحسن بن على. فامتأّ قلبى له بغضا و حسدت عليّاً أن يكون له ابن مثله، فصرت إليه و قلت له: أنت ابن أبى طالب؟ فقال: أنا ابن ابنه. قلت: فبك و بأبيك- أسبهما- فلما انقضى كلامى قال:

أحسبك غريباً؟ قلت: أجل. قال: فمل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك أو إلى مال و اسيناك أو إلى حاجة عاوناك. فانصرفت عنه و ما على الأرض أحد أحبّ إلىّ منه ^{٨٦٨}.

و قال محمود الوراق:

^{٨٦٦} (١) الكامل للمبرّد ١: ١٩٨-١٩٩.

^{٨٦٧} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٣٧٨، و الآية ٣٤ من سورة فصلت.

^{٨٦٨} (٣) الكامل للمبرّد ١: ٣٥٠.

إني شكرت لظالمي ظلمي

و غفرت ذاك له على علم

و رأيته أسدى إليّ يدا

لما أبان بجهله حلمي

ص: ٣٩٢

رجعت إساءته عليه و إحساني

فعاد مضاعف الأجر

و غدوت ذا أجر و محمده

و غدا بكسب الظلم و الإثم

فكأنما الاحسان كان له

و أنا المسيء إليه في الحكم

ما زال يظلمني و أرحمه

حتى بكيت له من الظلم

^{٨٦٩} اخذ هذا المعنى من قول رجل من قريش، قال له رجل منهم: إني مررت بآل فلان و هم يشتمونك شتما رحمتك منه. قال: أ فسمعتني أقول إلّا خيرا؟

قال: لا. قال: فأيّاهم فارحم.

قلت: شعر الوراق و كلام القرشي غير مربوط بالمقام كما لا يخفى ^{٨٧٠}.

٥

الحكمة (١٧٧) و قال عليه السلام:

ازْجُرِ الْمُسِيءَ بِنَوَابِ الْمُحْسِنِ أَقُولُ: فِي (كُنَايَاتِ الْجِرْجَانِي): كَانَ الْمَخْبِلُ السَّعْدِيُّ فِي سَفَرٍ، فَأَمَّ بَيْتًا ضَخْمًا فِي يَوْمٍ حَارٍ، فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ سَلَّمَ فَقِيلَ لَهُ: أَيُّ الشَّرَابِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ أَنْبِئْ أُمَّ مَاءٍ أَمْ لَبَنٌ؟ قَالَ: أَيْسَرُهُ وَ أَوْجَدُهُ. قَالَتْ: اسْقُوا الرَّجُلَ مَاءً تَمْرًا، وَ أَمَرَتْ فَذَبَحَتْ لَهُ شَاءً وَ صَنَعَتْ فَأَكَلَ وَ شَرَبَ، فَلَمَّا رَاحَ قَالَ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مِنْ مَنْزِلٍ فَمَا رَأَيْتَ أَكْرَمَ مِنْكَ. قَالَ: فَإِذَا امْرَأَةً ضَخْمَةً فَقَالَ لَهَا: مَا اسْمُكَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ؟

قالت: رهوا. قال: سبحان الله أما وجد أهلك اسما يسمونك به أحسن من هذا؟

^{٨٦٩} (١) الكامل للمبرد ١: ٣٤٩، و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ٣٧٨ - ٣٧٩.

^{٨٧٠} (٢) الكامل للمبرد ١: ٣٤٩، و ذكره ابن أبي الحديد في شرحه ١٨: ٣٧٨ - ٣٧٩.

فقلت: سميتني أنت به. قال: إنا لله أخليده أنت؟ قالت: نعم. قال: و اسوأته و الله لا هجوت بعدك امرأة- أو قال تميمية- أبدا وأنشأ يقول:

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنني سأعتب ربي بعدها و أتوب

ص: ٣٩٣

و اشهد ربّ الناس أن قد ظلمتها و جرت عليها و الهجاء كذوب

و الأصل فيه أن الزبرقان زوج اخته خليدة هزالا من بنى جشم بن عوف بعد أن قتل الهزال جارا للزبرقان، فقال المخبل:

و أنكحت هزالا خليدة بعد ما زعمت لعمر الله أنك قاتله

فأنكحته رهوا كأن عجانها مشيق أهاب أوسع السِّلح ناجله

يلاعبها فوق الفراش و جاركم بذى شبرمان تزال مفاصله

و الرهو: الواسع^{٨٧١}.

و فى (تذكرة سبط بن الجوزي) قال الزهرى: خرج على بن الحسين عليه السلام يوما من المسجد فتبعه رجل فسبّه، فلحقته العبيد و الموالى فهمّوا بالرجل فقال: دعوه. ثم قال له: ما ستر الله عنك من أمرنا أكثر، ألك حاجة نعينك عليها؟ فاستحيى الرجل، فألقى عليه السلام عليه خميصة كانت عليه و أعطاه ألف درهم، فكان الرجل بعد ذلك إذا رآه يقول: أشهد أنك من أولاد الرسول^{٨٧٢}.

و قال ابن سعد: كان هشام بن اسماعيل المخزومي و الى المدينة، و كان يؤذى على بن الحسين عليه السلام و يشتم عليّا على المنبر و ينال منه، فلما ولى الوليد عزله و أمر به ان يوقف للناس، فقال هشام «و الله ما أخاف إلّا من على بن الحسين إنّه رجل صالح يسمع قوله» فأوصى على بن الحسين عليه السلام أصحابه و مواليه و خاصّته ألا يتعرّضوا له، ثم مرّ على عليه السلام فى حاجته عليه. فما عرض له. فناده هشام- و هو واقف للناس- الله أعلم حيث يجعل رسالته^{٨٧٣}.

ص: ٣٩٤

^{٨٧١} (١) الكنايات للجرجاني: ٨٣- ٨٤.

^{٨٧٢} (٢) التذكرة لسبط بن الجوزي: ٢٤٠.

^{٨٧٣} (٣) تذكرة الخواص: ٣٣٧- ٣٣٨.

الحكمة (١٧٨) و قال عليه السلام:

اَخْضِدِ الشَّرَّ مِنْ صَدْرٍ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ أَقُولُ: قال ابن أبي الحديد هذا يفسر على وجهين: أحدهما يعني «لا تضر لأخيك سوءاً فإنك إلّا تضر ذاك لا يضر هو لك سوءاً لأنّ القلوب يشعر بعضها ببعض» والثاني يعني «لا تعظ الناس و لا تنههم عن منكر إلّا و أنت مقلع عنه فإنّ الواعظ الذي ليس يزكى لا ينجع وعظه و لا يؤثر نهيه»^{٨٧٤}.

قلت: المعنى الثاني الذي قاله بمراحل عن المقام، و أما الأوّل و إن كان قريباً إلّا أنّه قاصر عن أداء المراد، فمجرد عدم إضرار الشرّ لغيرك لا يكفي في قلعه من صدر غيرك إذا كان مضراً لشرّ لك، بل بإظهار آثاره له.

و مما يناسبه ما في (الأغاني): حضر حمّاد عجرد و مطيع بن أيّاس مجلس محمد بن خالد أمير الكوفة، فتمازحا فقال حمّاد:

أنت إنسان رفيع

يا مطيع يا مطيع

و إلى الشرّ سريع

و عن الخير بطيء

فقال مطيع:

الأصل عديم

إن حمّادا لثيم

بهن العير يهيم

لا ترى الدهر إلّا

فقال حمّاد: و يلك أ ترميني بدائك و الله لو لا كراحتي لتمادى الشرّ و لجأج الهجاء لقلت لك قولاً يبقى و لكن لا افسد مودّتك و لا اكافئك إلّا بالمديح. فقال:

لمطيع بن أيّاس

كلّ شيء لى فداء

ص: ٣٩٥

فى لين و شماس

رجل مستلمح

و عيني برأسى

عدل روى بين جنبى

^{٨٧٤} (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤١١.

الحكمة (٣١٤) و قال عليه السلام:

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ - فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ أَقُول: أمّا قوله عليه السلام «ردوا الحجر من حيث جاء» فذكره الكرمانى فى (أمثاله)^{٨٧٦} و قال: «يعنى لا تقبل الضيم و ارم من رماك» إلّا أنّ كونه مثلاً لغيره عليه السلام غير معلوم أولاً، و إنّما المثل قولهم «رمى فلان بحجره» ذكره العسكري فى (أمثاله)^{٨٧٧} و قال: أى رمى بقرنه.

قال الأحنف لعلّى عليه السلام - حين بعث معاوية عمرا حكما -: إنّك قد رميت بحجر الأرض و من كاد الإسلام و أهله عصرا و هو سن قريش و داهية العرب و قد رضيت بأبى موسى و هو رجل يمان و ما تدرى نصيحته ضم به رجلا من قريش و اجعلنى ثانيا فليس صاحب عمرو إلّا من دنا حتى يظنّ أنّه قد بالغه و هو منه بمنزلة النجم. فقال عليه السلام: و الله ما أردت التحكيم و لا رضيت به و قد أبى الناس إلّا أبا موسى و غلبونى^{٨٧٨}.

و كون معناه ما ذكره غير معلوم ثانيا، بل الظاهر أنّ المعنى «ادفع الشر بشر من جنسه».

ص: ٣٩٦

و فى (تاريخ بغداد) فى محمد بن جعفر الادمى العمارى عن ابن الاكفانى قال: قال أبى: حججت فى بعض السنين و حجّ فى تلك السنة البغوى و الادمى القارى فلما صرنا بالمدينة جاءنى البغوى فقال: ههنا رجل ضرير قد جمع حلقة فى مسجد النبىّ صلى الله عليه و آله و لقد يقصّ و يروى الأخبار المفتعلة، فإن رأيت أن نمضى إليه لننكر عليه و نمنعه. فقلت له: أنّ كلامنا لا يؤثر مع هذا الجمع الكثير و لسنا ببغداد فيعرف موضعنا، و لكن ههنا أمر آخر و هو الصواب. و أقبلت على الادمى و كان أحسن الناس صوتا بالقرآن و أجهرهم بالقراءة فما هو إلّا ان ابتداء بالقراءة حتى انفلت الحلقة و انفصلوا عنه و أحاطوا بنا يسمعون قراءة الادمى و تركوا الضرير وحده، فسمعتة يقول لقائده: خذ بيدى فهكذا تزول النعم^{٨٧٩}.

هذا، و من لطائف الصاحب أنّ ابن فارس لما أرسل إليه من همدان كتابه المترجم بالحجر قال: «ردوا الحجر من حيث جاء».

و أمّا قوله عليه السلام: «فإنّ الشر لا يدفعه إلّا الشرّ» فالمراد به واضح، و يوضح المراد من الأول و نذكر له أمثلة.

^{٨٧٥} (١) الأغاني ١٤: ٣٥٧ - ٣٥٨.

^{٨٧٦} (٢) ذكره الميداني «ردّ الحجر» ١: ٣١٨.

^{٨٧٧} (٣) جمهرة الأمثال للعسكري: ٣١٢.

^{٨٧٨} (٤) تاريخ الخلفاء ١: ١٣١، ما تفق معه.

^{٨٧٩} (١) تاريخ بغداد ٢: ١٤٧.

الأول: فى (كامل الجزرى): كان الحسن بن مخلد، و موسى بن عبد الملك قد انقطعا إلى عبيد الله بن يحيى بن خاقان - وزير المتوكل - و كان الحسن على ديوان الضياع و موسى على ديوان الخراج، فكتب نجاح بن سلمة الكاتب رقعة إلى المتوكل أنّهما خانا و أنّه يستخرج منهما أربعين ألف ألف، فقال له المتوكل: بكرّ علىّ غدا حتى أدفعهما إليك. فغدا و قد رتب أصحابه لأخذهما، فلقيه عبيد الله و قال له: أنا أشير عليك بمصالحتهما و تكتب رقعة أنّك كنت شاربا و تكلمت ناسيا و أنا أصلح بينكما و أصلح الحال عند المتوكل. و لم

ص: ٣٩٧

يزل يخدعه حتى كتب خطّه بذلك، فصرفه و أحضر الحسن و موسى و عرفهما الحال و أمرهما أن يكتبا فى نجاح و أصحابه بألفى ألف دينار، ففعلا فأخذ عبيد الله الرقعتين و أدخلهما على المتوكل و قال: قد رجع نجاح عمّا قال و هذه رقعة موسى و الحسن يتقبلان بما كتبا، فخذ ما ضمنا عليه ثم تعطف عليهما فتأخذ منهما قريبا منه. فأمر المتوكل بدفع نجاح إلى موسى و الحسن، فأخذه و أولاده فأقروا بنحو مائة و أربعين ألف دينار سوى الغلات و الغرس و الضياع، فقبض ذلك أجمع و ضرب ثم عصرت خصيته حتى مات^{٨٨٠}.

الثانى: فيه أيضا: بعث عثمان ابن الزبير لمدد عبد الله بن أبى سرح، فلما دخل العسكر لم ير فى القتال ابن أبى سرح فقليل إنّ سمع منادى جرجير - خصمه - يقول «من قتل عبد الله فله مائة ألف دينار و ازوجه ابنتى» فيخاف الحضور، فذهب ابن الزبير عنده و قال له: تأمر مناديا ينادى «من أتانى برأس جرجير نفلته ماله و زوجته ابنته و استعملته على بلاده». ففعل ذلك و صار جرجير يخاف أشدّ من ابن أبى سرح^{٨٨١}.

الثالث: فى (وزراء الجهشيارى): شخص عمر بن هبيرة إلى هشام بن عبد الملك، فتكلّم بكلام استحسنه هشام، فأقبل على سعيد بن الوليد الكلبي و قال: ما مات من خلف مثل هذا. فقال له سعيد: ليس هناك أما تراه يرشح جبينه يضيق صدره. فقال ابن هبيرة: ما لذلك رشت يا سعيد و لكن لجلوسك و لست بأهلى^{٨٨٢}.

الرابع: أيضا: كان سعيد الكلبي يحبّ أن يفسد حال ابن هبيرة عند

ص: ٣٩٨

هشام و كان يسير إذا ركب هشام بالبعد منه - و كان هشام معجبا بالخيّل - فاتخذ سعيد عدّة خيل جياد و أضمرها و أمر المجريّن لها أن يعارضوا هشاما إذا ركب، فان سألهم قالوا: إنّها لابن هبيرة فركب هشام يوما فعورض بالخيّل فنظر إلى قطعة من الخيل حسنة فقال: لمن هذه؟ فقالوا: لابن هبيرة.

^{٨٨٠} (١) الكامل ٧: ٨٨ - ٨٩.

^{٨٨١} (٢) المصدر نفسه ٣: ٨٩ - ٩٠.

^{٨٨٢} (٣) الوزراء للجهشيارى: ٥٩.

فاستشاط غضبا وقال: و اعجباه اختان ما اختان ثم هو يباريني في الخيل، علىّ به. فدعى به من جانب الموكب، فجاء مسرعا فقال: ما هذه و لمن هي؟

و رأى الغضب في وجهه، فعلم أنّه قد كيد فقال: خيل لك علمت عجبك بها و انا عالم بجيادها فاخترتها و طلبتها من مظانّها فمر بقبضها. فأمر بقبضها، و كان ذلك سبب إقباله عليه و لم يتهيا لسعيد أن يتكلّم و إنّما ظنّ أنّ هشاما يغضب و لا يسأل فتتم الحيلة على صاحبه فانعكست الحيلة عليه حيلة له^{٨٨٣}.

الخامس: في (المروج): ذكر رجل من الكتاب أن إسحاق بن ابراهيم - أخا زيد بن ابراهيم - حدّثه أنّه كان يتقلّد الصيمرة و السيروان و أنّ إبراهيم بن العباس اجتاز به يريد خراسان و المأمون بها و قد بايع بالعهد لعلي بن موسى الرضا عليه السلام و قد امتدحه بشعر يذكر فيه فضل آل على عليهم السلام و أنّهم أحقّ بالخلافة من غيرهم، فاستحسن القصيدة و سأله أن ينسخها لى ففعل و وهبت له ألف درهم و حملته على دابة، و ضرب الدهر من ضربه إلى أن ولّى ابراهيم ديوان الضياع مكان موسى بن عبد الملك - و كنت أحد عمّال موسى - و كان يحب أن يكشف أسباب موسى، فعزلني و أمرني أن تعمل مؤامرة فعملت و كثر علىّ فيها فحضرت للمناظرة عنها فجعلت أحتجّ بما لا يدفع فلا يقبله و يحكم لى الكتاب فلا يلتفت إلى حكمهم و يسمعنى فى خلال ذلك بدعا من الكلام، إلى أن أوجب علىّ الكتاب اليمين على باب من الأبواب فحلفت عليه

ص: ٣٩٩

فقال: ليست يمين السلطان عندك يميننا لأنك رافضى. فقلت له: تأذن فى الدنو منك. فاذن لى، فقلت: ليس مع تعريضك بمهجتي للقتل صبر و هاهو المتوكل ان كتبت إليه بما أسمع منك لم آمنه على نفسى، و قد احتملت كلّ ما جرى سوى الرفض، و الرافضى من زعم أنّ عليّا عليه السلام أفضل من العباس و أنّ ولده عليهم السلام أحقّ بالخلافة من ولد العباس. قال: و من ذلك؟ قلت: أنت و خطك عندى به. و أخبرته بالشعر. فوالله ما هو إلّا أن قلت ذلك له حتى سقط فى يده، ثم قال: أحضر الدفتر الذى بخطى. فقلت له: هيهات، لا و الله أو توثق لى بما أسكن إليه أنّك، لا تطالبني بشيء ممّا جرى على يدي و تخرق هذه المؤامرة و لا تنظر لى فى حساب. فحلف لى على ذلك، و خرق العمل المعمول و أحضرته الدفتر فوضعه فى خفّه و انصرفت و قد زالت عني المطالبة^{٨٨٤}.

السادس: فى (تاريخ بغداد): لمّا عزل شريك عن القضاء تعلّق به رجل ببغداد فقال: لى عليك ثلاثمائة درهم فأعطنيها. قال: و من أنا؟ قال: شريك القاضى. قال: و من أين هي لك؟ قال: ثمن هذا البغل الذى تحتك. قال: نعم تعال.

فجاء يمشى معه حتى بلغ الجسر. قال: من ههنا. فقام إليه الشرط فقال: خذوا هذا فاحبسوه لئن اطلقتموه لأخبرنّ أبا العباس. فقالوا: إنّ هذا الرجل يتعلّق بالقاضى إذا عزل فيدعى عليه فيفتدى منه، و قد تعلّق بالأحمر حين عزل عن واسط فأخذ منه أربعمئة درهم فقال: هكذا. قالوا: نعم فكلمّ فيه، فأبى أن يطلقه. فقال له أبو العباس: إلى كم تحبس هذا الرجل؟ قال: حتى

^{٨٨٣} (١) الوزراء و الكتاب للجيشياري: ٢٩.

^{٨٨٤} (١) المروج ٤: ٢٣.

يرد على سلمة الأحمر أربعمائة درهم. فردّ على سلمة أربعمائة، فجاء سلمة إلى شريك فشكر له فقال له: يا ضعيف كلّ من سألك مالك أعطيته إيّاه^{٨٨٥}.

ص: ٤٠٠

السابع: في (نسب قريش مصعب الزبيري): كان عبد الملك غضب غضبة فكتب إلى هشام بن اسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة عامله على المدينة و أبو أمّ ابنه هشام أن أقم آل على يشتمونه و آل ابن الزبير يشتمون ابن الزبير. فأبى الجميع و كتبوا وصاياهم فركبت أخت له إليه و قالت: فان كان لابد من أمر فمر آل على يشتمون آل الزبير و مر آل الزبير يشتمون آل على. قال: هذه أفعّلها. فاستبشر الناس بذلك - إلى أن قال بعد إباء الحسن بن الحسن لشتّم آل الزبير و قبول أبي هاشم بن محمد بن الحنفية لذلك و عدم حضور عامر بن عبد الله بن الزبير لذلك حتى قيل لهشام إنّه لا يفعل أ تقتله؟ و قال عامر: إنّ بني أمية يغرون بشتّم على و ما يريد الله بذلك إلّا رفعتّه، فإن الله لم يرفع شيئا فاستطاع أحد خفضه. فقدم ثابت بن عبد الله بن الزبير - و كان غائبا و هو ابن خالة الحسن بن الحسن - على هشام و قال له: كنت غائبا فاجمع لى الناس آخذ بنصيبى. فقال له هشام: و ما تريد فلود من حضر أنّه لم يحضر. قال: لتفعلن أو لأكتبن إلى عبد الملك، فجمع له الناس فقام فقال: «لَعْنُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ»^{٨٨٦} - إلى أن قال - لعن الله الأشدق لطيم الشيطان المتمنى ما ليس له هو أقصر ذراعا و أضيّق باعا، ألا لعن الله الأحول الأنعل المترادف الأسنان المتوثب في الفتنة و ثوب الحمار المقيد محمد بن أبى حذيفة رامى أمير المؤمنين براءوس الافانين، ألا لعن الله عبيد الله الأعور بن عبد الرحمن بن سمرّة شرّ العصاة اسما و ألامها مرعا و أقصرها فرعا لعنه الله و لعن التى تحته - يعرض بأّم هشام بن اسماعيل و كان عبيد الله خلف عليها بعد اسماعيل

ص: ٤٠١

- فلما بلغ ثابت هذا القول أمر به هشام إلى الحبس و قال: ما أراك تشتم إلّا رحم.

الخليفة. فقال له ثابت: إنهم عصاء مخالفون فدعنى حتى أشفى الخليفة منهم، فلم يزل ثابت فى السجن حتى بلغ خبره عبد الملك فكتب أن اطلقوه فإنه إنما شتم أهل الخلاف^{٨٨٧}.

قلت: إنّ ثابتاً لعن محمد بن أبى حذيفة لكونه من بنى عبد شمس، و مراده بوثوبه فى الفتنة إنكاره على عثمان بدعه و إعلانه شناعه، كان من الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر حقّا حتى قتلوه على ذلك فكان ثابت أولى باللعن منه.

٨

الحكمة (١٥٩) و قال عليه السلام:

^{٨٨٥} (٢) تاريخ بغداد، لم نعثر عليه في ترجمة شريك بن عبد الله القاضي ٩: ٢٧٩ و ما بعده.

^{٨٨٦} (١) المائدة: ٧٨ - ٧٩.

^{٨٨٧} (١) نسب قريش: ٤٧ - ٤٩ يتصرف.

مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ - فَلَا يُلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنُّ أَقُولُ: رواه (الكافي الكليني - الكافي - ج ٨ ص ٥٢ ح ١٣٧) عن السكوني عن الصادق عليه السلام عنه عليه السلام^{٨٨٨}، ورواه أمالي الشيخ الصدوق - الأمالي - ص ١٨٢ الصدوق^{٨٨٩} عن أبي الجارود عن أبي جعفر عن أبيه عنه عليهم السلام، وروى (الاختصاص الشيخ المفيد - الاختصاص - ص ٢٢٦) عن أبي الجارود قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: «من أوقف نفسه موقف التهمة فلا يلو من من أساء به الظن، و من كتم سره كانت الخيرة بيده»^{٨٩٠}.

و روى (أمالي ابن الشيخ الطوسي - الأمالي - ابن الشيخ) عن العقيلي أنه عليه السلام قال لابنه الحسن «و إياك و مواطن التهمة و المجلس المظنون به السوء، فإن قرين السوء

ص: ٤٠٢

يغرّ جليسه»^{٨٩١}.

و في (المستطرفات) عن جامع الزنطي عن الصادق عليه السلام: اتقوا مواقف الريبة، و لا يقفن أحدكم مع أمه في الطريق فإنه ليس كل أحد يعرفها^{٨٩٢}.

و قال ابن أبي الحديد: رأى بعض الصحابة النبي صلى الله عليه وآله واقفا في درب من دروب المدينة و معه امرأة فسلم عليه فرد عليه، فلما جاوزه ناداه فقال: هذه زوجتي فلانة. فقال: أو فيك يظن؟ فقال: إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم^{٨٩٣}.

قلت: إنما روى (سنن أبي داود) في باب (المعتكف يدخل البيت) عن صفية أتيت النبي صلى الله عليه وآله أزوره ليلا - و كان معتكفا - فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقبلني فمر رجلان من الأنصار فلما رأيا النبي صلى الله عليه وآله أسرعا فقال:

على رسلكما إنها صفية بنت حي. قالوا: سبحان الله يا رسول الله. قال: إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئا^{٨٩٤}.

٩

الحكمة (٤٠١) و قال عليه السلام:

^{٨٨٨} (٢) الكافي للكليني ٨: ٥٢ ح ١٣٧.

^{٨٨٩} (٣) الأمالي للصدوق: ١٨٢، رواه مسندة.

^{٨٩٠} (٤) الاختصاص: ٢٢٦.

^{٨٩١} (١) الأمالي الشيخ المفيد - الأمالي - ص ٣٣٥ للمفيد: ٣٣٥.

^{٨٩٢} (٢) المستطرفات لابن إدريس: ٦٢ ورد بلفظ «الريب» و ليس «الريبة»، عنه في البحار ٧٥: ٩١، و الوسائل ٨: ٤٢٣.

^{٨٩٣} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٣٨٠.

^{٨٩٤} (٤) السنن لأبي داود ٢: ٣٣٣ ح ٢٤٧٠.

مُقَارِبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ أَقُولُ: وَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ أَحْسَنَ مَا يَأْلَفُ بِهِ النَّاسُ قُلُوبَ أَوْدَائِهِمْ وَ نَفُوا بِهِ الضَّغْنَ عَنْ قُلُوبِ أَعْدَائِهِمْ، حَسَنَ الْبَشَرِ عِنْدَ لِقَائِهِمْ وَ التَّفَقُّدَ عَنْهُمْ فِي غَيْبَتِهِمْ

ص: ٤٠٣

و البشاشة عند حضورهم^{٨٩٥}.

قلت: وَ كَانَ «و البشاشة...» كَانَ نَسْخَةً بَدْلِيَّةً مِنْ «حَسَنَ الْبَشَرِ...» مَعَ التَّقْدِيمِ وَ التَّأْخِيرِ.

و فِي (المعجم): كَانَ الْوَائِقُ يَجْرِي عَلَى الْمَازِنِيِّ كُلِّ شَهْرٍ مِائَةُ دِينَارٍ لِأَنَّهُ أَجَابَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى «وَمَا كَانَتْ أُمُكُ بَعِيًّا»^{٨٩٦} لَمْ يَلَمْ يَقُلْ «بَعِيَّةً» جَوَابًا صَحِيحًا. قَالَ الْمَازِنِيُّ: وَ لَمَّا مَاتَ الْوَائِقُ ذَكَرْتُ لِلْمَتَوَكِّلِ فَأَشْخَصَنِي فَلَمَّا دَخَلْتُ إِلَيْهِ رَأَيْتُ مِنَ الْعَدَّةِ وَ السِّلَاحِ وَ الْأَتْرَافِ مَا رَاعَنِي وَ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَ خَشِيتُ إِنْ سَأَلْتُ عَنْ مَسْأَلَةٍ أَلَّا أَجِيبَ فِيهَا، فَلَمَّا مَثَلَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَ سَلَّمْتُ قُلْتُ: أَقُولُ كَمَا قَالَ الْاِعْرَابِيُّ:

لا تقولوها و أدلوها دلوا
إن مع اليوم أخاه غدوا

فَلَمْ يَفْهَمْ عَنِّي مَا أَرَدْتُ وَ اسْتَبْرَدْتُ فَأَخْرَجْتُ - وَ الْقَلْبُ رَفَعَ السَّيْرَ وَ الدَّلُو إِدْنَؤُهُ - ثُمَّ دَعَانِي بَعْدَ ذَلِكَ فَقَالَ: أَنْشَدْنِي أَحْسَنَ مَرثِيَّةٍ قَالَتْ الْعَرَبُ. فَأَنْشَدْتُهُ قَوْلَ أَبِي ذُوَيْبٍ «أَمِنَ الْمَنُونُ وَ رَبِيبُهَا تَتَوَجَّعُ» وَ قَصِيدَةَ مَتَمِّمٍ «لَعَمْرِي وَ مَا دَهْرِي بَتَّابِينَ هَالِكٍ» وَ قَوْلَ كَعْبِ الْغَنَوِيِّ «تَقُولُ سَلِيمِي مَا لَجَسْمُكَ شَاحِبًا» وَ قَصِيدَةَ مُحَمَّدِ بْنِ مَنَازِرٍ «كُلَّ حَيٍّ لَاقَى الْحَمَامَ يُوْدِي» فَكَانَ كُلَّمَا أَنْشَدْتُهُ قَصِيدَةً يَقُولُ لَيْسَتْ بِشَيْءٍ. ثُمَّ قَالَ: مِنْ شَاعِرِكُمُ الْيَوْمَ بِالْبَصْرَةِ؟ قُلْتُ: عَبْدُ الصَّمَدِ بْنُ الْمَعْدِلِ. قَالَ: فَأَنْشَدْنِي لَهُ. فَأَنْشَدْتُهُ أَيْبَاتَا قَالَهَا فِي قَاضِيْنَا ابْنَ رِبَاحٍ:

أيا قاضية البصرة
قومي فارقصي قطرة

و مري بروشنك فما ذا
البرد و الفترة

اراك قد تشيرين
عجاج القصف يا حرة

ص: ٤٠٤

بتجذيفك خديك
و تجعديك للطرة

^{٨٩٥} (١) بحار الأنوار ٧٨: ٥٧ ح ١٢٤ الباب (١٦).
^{٨٩٦} (٢) مريم: ٢٨.

فاستحسنها و استطار لها و أمر لى بجائزته، فجعلت أتعلم له أن احفظ أمثالها فأنشده إذا وصلت إليه فيقبلنى^{٨٩٧}.

و فى (تاريخ بغداد): شهد أبو دلامة عند ابن أبى ليلى لامرأة على حمار هو و رجل آخر من أصحاب القاضى، فعدل الرجل و لم يعدل أبا دلامة و قال للمرأة زيدنى شاهدا، فأنت أبا دلامة فأخبرته، فأتى ابن أبى ليلى فأنشده:

إن الناس غطونى تغطيت عنهم

و إن بحثوا عنى ففيهم مباحث

و إن حفروا بثرى حفرت بئارهم

ليعلم قومى كيف تلك النبائث

فقال ابن أبى ليلى: أجزنا شهادتك يا أبا دلامة. و بعث إلى المرأة و قال لها: كم ثمن حمارك؟ قالت: أربعمائه. فأعطاه أربعمائه^{٨٩٨}.

و أيضا: قدم مؤمل بن إهاب الرملة فاجتمع عليه أصحاب الحديث- و كان ذعرا ممتنعا- فألحوا عليه فامتنع أن يحدثهم، فمضوا بأجمعهم و ألفوا منهم فثنين فتقدموا إلى السلطان فقالوا له: إن لنا عبدا خلاصيا له علينا حق صحبة و تربية و قد كان أدبنا و أحسن لنا التأدب و آلت بنا الحال إلى الإضافة بحمل المجرة و طلب الحديث، و إنا أردنا بيعه فامتنع علينا. فقال لهم السلطان:

و كيف أعلم صحّة ما ذكرتم؟ قالوا: إن معنا بالباب جماعة من حملة الآثار و طلاب العلوم و ثقات الناس يكتفى بالنظر إليهم دون المسألة عنهم و هم يعلمون ذلك، فتأذن بوصولهم إليك لتسمع منهم. فأدخلهم السلطان و سمع مقالتهم و وجّه خلف (مؤمل) بالشرط و الأعوان يدعونه إلى السلطان، فتعذّر فجذبوه و جرروه و قالوا: أخبرنا أنّك قد استطعمت الإباق. فصار معهم إلى

ص: ٤٠٥

السلطان، فلما دخل عليه قال له: ما يكفيك ما أنت فيه من الابق حتى تتعزز على سلطانك؟ امضوا به إلى الحبس. فحبس، و كان مؤمل من هيئته أنّه أصفر طوال خفيف اللحية يشبه عبيد أهل الحجاز، فلم يزل فى حبسه أيّاما حتى علم بذلك جماعة من اخوانه فصاروا إلى السلطان و قالوا: هذا فى حبسك مظلوم.

فقال لهم: و من ظلمه؟ قالوا: أنت قال: ما أعرف من هذا شيئا. قالوا: الشيخ الذى اجتمع عليه جماعة. فقال: ذاك العبد الآبق. فقالوا: ما هو بآبق بل هو إمام من أئمة المسلمين فى الحديث. فأمر بإخراجه و سأله عن حاله فأخبره كما أخبره الذين جاءوا يذكرون له حاله، فصرفه و سأله أن يحلّه، فلم ير مؤمل بعد ذلك ممتنعا امتناعه الأول^{٨٩٩}.

أيضا: قدم شريك القاضى البصرة فأبى أن يحدثهم، فاتبعوه حين خرج و جعلوا يرمونه بالحجارة.

^{٨٩٧} (١) المعجم ٧: ١٢٠.

^{٨٩٨} (٢) تاريخ بغداد ٨: ٤٩٠.

^{٨٩٩} (١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١٣: ١٨٢.

فى (الجهشيارى): كان يحيى البرمكى إذا رأى من الرشيد شيئاً ينكره لم يستقبله بالإنكار و ضرب له الأمثال و حكى له عن الملوك و الخلفاء ما يوجب مفارقة ما أنكره و يقول «فى النهى إغراء و هو من الخلفاء أخرى، فإنّك و إن لم تقصد إغراءه إذا نهيته أغريته»^{٩٠٠}.

و فى (المروج): إنّ الأمين لما حلف للرشيد بما حلف له به - أى فيما عهد إليه أبوه فى أخيه - و أراد الخروج من الكعبة ردّه جعفر البرمكى و قال له: فان غدرت بأخيك خذلك الله - حتى فعل ذلك ثلاثاً - فاضطغت بذلك أم الأمين على جعفر، فكانت أحد من حرّض الرشيد عليه و على ما نزل به.

ص: ٤٠٦

و من لا يصانع فى امور كثيرة يضرس بأنياب و يوطأ بمنسم

^{٩٠١} و فى (بيان الجاحظ): قال الشاعر:

تحامق مع الحمقى إذا ما لقيتهم
فإننى رأيت المرء يشقى بعقله
و لا تلقهم بالعقل إن كنت ذا عقل
كما كان قبل اليوم يسعد بالعقل

^{٩٠٢} و قال آخر:

و أنزلنى طول النوى دار غربه
فحامقته حتى يقال سجيّه
إذا شئت لا قيت امرأ لا أشاكله
و لو كان ذا عقل لكنت اعاقله

^{٩٠٣} و أنشدنى آخر:

و للدهر أيام فكن فى لباسه
و كن أكيس الناس إذا كنت فيهم
كلبسته يوماً أجدّ و أخلقا
و إن كنت فى الحمقى فكن أنت أحمقا

^{٩٠٤} و قال شاعر:

^{٩٠٠} (٢) الجهشيارى: ٢٠٣.
^{٩٠١} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٥٤.
^{٩٠٢} (٢) بيان الجاحظ ١: ٢٤٥ مع تغيير.
^{٩٠٣} (٣) المصدر نفسه ٤: ٢١.

إن تلقك الغربه في معشر
فدارهم ما دمت في دارهم
قد أجمعوا فيك على بغضهم
و أرضهم ما دمت في أرضهم

و قال حمد الخطابي:

ما دمت حيّا فدار الناس كلهم
فإنما أنت في دار المداراة

ص: ٤٠٧

إن من يدر داري و من لم يدر سوف يرى
عما قليل نديما للندامات

٩٠٥

١٠

الحكمة (٣٦٢) و قال عليه السلام:

مَنْ ضَنَّ بِعَرَضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ أَقُولُ: فِي (الكافي): عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: قَالَ جَبْرِئِيلُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: إِيَّاكَ وَ مَلَا حَاةَ الرِّجَالِ^{٩٠٦}.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: إِيَّاكُمْ وَ الْمِرَاءَ وَ الْخُصُومَةَ، فَانَّهُمَا يَمْرِضَانِ الْقُلُوبَ عَلَى الْإِخْوَانِ وَ يَنْبِتُ عَلَيْهَا النِّفَاقَ^{٩٠٧}.

و عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: ثَلَاثٌ مَنْ لَقِيَ اللَّهَ تَعَالَى بِهِنَّ دَخَلَ الْجَنَّةَ مِنْ أَى بَابٍ شَاءَ: مَنْ حَسَنَ خَلْقَهُ، وَ خَشِيَ اللَّهَ فِي الْمَغِيبِ وَ الْمَحْضَرِّ، وَ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَ إِنْ كَانَ مُحَقَّقًا^{٩٠٨}.

هذا، و فِي (كِتَابِ سَيَبُوه): «إِيَّاكَ الْأُسْدُ» لَا يَجُوزُ بَدُونِ وَائِ بَيْنَهُمَا. وَ عَنْ ابْنِ أَبِي إِسْحَاقَ جَوَازَهُ فِي الشَّعْرِ لِقَوْلِهِ:

إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْمِرَاءَ فَإِنَّهُ
إِلَى الشَّرِّ دَعَاءٌ وَ لِلشَّرِّ جَالِبٌ

^{٩٠٤} (٤) بَيَانُ الْجَاهِظِ ٤: ٢١.

^{٩٠٥} (١) مَعْجَمُ الْأَدْبَاءِ ١٠: ٢٧٢.

^{٩٠٦} (٢) الْكَافِي ٢: ٣٠١ ح ٦.

^{٩٠٧} (٣) الْكَافِي ٢: ٣٠٠ ح ١.

^{٩٠٨} (٤) الْكَافِي ٢: ٣٠٠ ح ٢.

ص: ٤٠٩

الفصل السادس و الاربعون فى الاصدقاء

ص: ٤١١

١

الحكمة (١١) قال عليه السلام:

أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ - وَ أَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفَرَ بِهِ مِنْهُمْ «أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان» نظيره ما فى (العلل)، قال الأصمغ: كَانَ أمير المؤمنين عليه السلام إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَبِّخَ الرَّجُلَ يَقُولُ لَهُ: «وَاللَّهِ لَأَنْتَ أَعْجَزُ مَنْ تَارَكَ الْغَسْلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ لَا يَزَالُ فِي هَمٍّ إِلَى الْجُمُعَةِ الْآخَرِ»^{٩١٠}.

و كذا ما عنه عليه السلام: أسوأ الناس حالا من لم يثق بأحد لسوء ظنه و لم يثق به أحد لسوء فعله^{٩١١}.

و فى (الظرائف و اللطائف):

ص: ٤١٢

تكثر من الاخوان ما استطعت أنهم

عماد اذا ما استنجدتهم و ظهير

و ما يكثر ألف خل و صاحب

و ان عدوا واحدا لكثير

^{٩١٢} الصديق عمدة الصديق و عدته، و نصرته و عقدته، و ربيعه و زهرته، و مشتريه و زهرته، و لقاء الصديق روح الحياة، و اسم الممات، و الحاجة إلى الأخ المعين كالحاجة إلى الماء المعين^{٩١٣}.

و قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

^{٩٠٩} (٥) الكتاب لسبويه، ١: ٢٧٩.^{٩١٠} (١) العلل: ٢٨٥ ح ٢.^{٩١١} (٢) بحار الأنوار ٧٨: ٩٣ ح ١٠٤ من حديث مفصل الباب ١٦.^{٩١٢} (١) الظرائف و اللطائف: ٧٥.^{٩١٣} (٢) الظرائف و اللطائف: ٧٦.

أخاك أخاك إنَّ من لا أخا له
كساع إلى الهيجا بغير سلاح
و إنَّ ابن عم المرء - فاعلم - جناحه
و هل ينهض البازي بغير جناح
لعمرك ما مال الفتى بذخيرة
و لكن اخوان الصفاء الذخائر

^{٩١٤} و كان أيوب السخيتاني اذا بلغه موت أخ له يقول: كأنما سقط عضو مني.

و قال جعفر بن محمد عليهما السلام: لكل شيء حلية و حلية الرجل أوداؤه^{٩١٥}.

و فى الخبر: لما قتل بمؤتة جعفر بكى النبي صلى الله عليه و آله و قال: المرء كثير بأخيه^{٩١٦}.

«و أعجز منه من ضيَّع من ظفر به منهم» نظيره ما فى (تاريخ بغداد) ان شعيب بن حرب أراد أن يتزوج بامرأة فقال لها: انى سيىء الخلق.

قالت: و أسوأ خلقا منك من أحوجك إلى أن تكون سيىء الخلق. فقال: أنت

ص: ٤١٣

اذن امرأتى^{٩١٧}.

٢

الحكمة (٢٣٩) و قال عليه السلام:

مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَّ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ - وَ مَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِيَّ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ «مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَّ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ» أبو المعافى:

ان التواني أنكح العجز بنته
و ساق إليها حين زوجها مهرا
فراشا و طيئا ثم قال لها اتكى
فقصر كما عندى لأن تلدا الفقرا

^{٩١٨} قيل - لما قتل الصغد سعيد بن عثمان و كان عبد الرحمن بن ارطان بن سيحان معه فى الدار فلم ينصره:

^{٩١٤} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١١٣.

^{٩١٥} (٤) الكافي ٢: ٦١٥ ح ٩.

^{٩١٦} (٥) بحار الأنوار ٢١: ٥٧ ح ٨ الباب ٢٤.

^{٩١٧} (١) تاريخ بغداد ٩: ٢٤٠.

ان المؤاكل لم تصدق مودته

و فرعنه ابن ارطاء بن سيحانا

و قال البحتري في اسماعيل بن شهاب:

ازرى به من غدره بصديقه

و عقوقه لأخيه ما ازرى به

في كل يوم وقفه بفنائيه

تخزى الشريف وردة عن بابه

اسمع لغضبان تثبت ساعة

فبداك قبل هجائه بعتابه

الله يسهر في مديحك ليله

متململا و تنام دون ثوابه

يقظان ينتخب الكلام كأنه

جيش لديه يريد أن يلقي به

فأتى به كالسيف رقرق صيقل

ما بين قائم سنخه و ذبابه

و حجبته حتى توهم أنه

هاج اتاك بشتنه و سبابه

ص: ٤١٤

و اذا الفتى صحب التباعد و اكتسى

كبرا على فلست من أصحابه

^{٩١٩} «و من أطاع الواشى ضييع الحقوق» في (الأغاني): كان الحرث بن مارية الغساني - ملك الشام - مكرماً لزهير بن جناب الكلبي ينادمه و يحادثه، فقدم على الملك رجلاً من بني نهد بن زيد يقال لهما سهل و حزن ابنا رزاح و كان عندهما حديث من أحاديث العرب، فاجتباهما الملك و نزلا بالمكان الأثير منه فحسدهما زهير فقال: أيها الملك و الله هما عين لذي القرنين - يعنى المنذر الأكبر - عليك و هما يكتبان إليه بعورتك و خلل ما يريان منك. قال: كلا. فلم يزل به زهير حتى أوغر صدره، و كان اذا ركب يبعث إليهما ببعيرين يركبان معه فبعث إليهما بناقة واحدة فعرفا الشر، فلم يركب أحدهما و توقف فقال له الآخر:

فإلاً تجللها يعالوك فوقها

و كيف توقى ظهر ما أنت راكبه

فركبها مع أخيه، و مضى بهما فقتلا ثم بحث عن أمرهما فوجده باطلا، فطرد زهيراً و شتمه ^{٩٢٠}.

^{٩١٨} (٢) ربيع الأبرار للزمخشري ٣: ٦١٠.

^{٩١٩} (١) ديوان البحتري ٢: ١٣٨.

^{٩٢٠} (٢) الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني ٥: ١١٨.

الحكمة (٣٨) و قال عليه السلام لابنه الحسن:

يَا بُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعًا وَ أَرْبَعًا - لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ - أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ وَ أَكْبَرَ الْفَقْرِ الْحَقُّ - وَ أَوْحَشَ الْوَحْشَةَ الْعُجْبُ وَ أَكْرَمَ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ - يَا بُنَيَّ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ - فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ - وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ - فَإِنَّهُ يَقْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونُ إِلَيْهِ -

ص: ٤١٥

وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ - وَ إِيَّاكَ وَ مُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ - فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يَقْرُبُ عَلَيْكَ الْبُعِيدَ وَ يَبْعُدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ قول المصنف: «و قال عليه السلام لابنه الحسن» و في (الكافي):^{٩٢١} إِنَّ السَّجَادَ عَلَيْهِ السَّلَامَ وَصَّى ابْنَهُ الْبَاقِرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ الْأَخِيرَةِ، وَ زَادَ: وَ إِيَّاكَ وَ مُصَاحِبَةَ الْقَاطِعِ لِرَحْمِهِ، فَأَتَى وَجَدْتَهُ مَلْعُونًا فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي ثَلَاثَةِ مَوَاضِعَ، قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: «فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَ أَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ»^{٩٢٢}، «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَ لَهُمْ سُوءُ الدَّارِ»^{٩٢٣}، «الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَ يَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ»^{٩٢٤}.

قوله عليه السلام: «احفظ عني أربعا و أربعا» لم يقل عليه السلام ثمانيا لأنَّ الكلَّ ليست من واد واحد بل أربع منها من واد و أربع من واد.

«لا يضرُّك ما عملت معهن» هو دليل على أهمية تلك الأربع. و تلك الأربع:

«أغنى الغنى العقل» روى (الكافي) عن الباقر عليه السلام: لما خلق الله تعالى العقل استنطقه ثم قال له: أقبل. فأقبل، ثم قال له: أدبر. فأدبر، ثم قال: و عزتي و جلالتي ما خلقت خلقا هو أحبُّ إليَّ منك و لا أكملتكَ إلَّا فيمن أحب، أما إنِّي إِيَّاكَ أَمَرُ وَ إِيَّاكَ أَنْهَى وَ إِيَّاكَ اعاقب و إِيَّاكَ اثيب^{٩٢٥}.

ص: ٤١٦

«و أكبر الفقر الحمق» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: إنَّ الثَّوَابَ عَلَى قَدْرِ الْعَقْلِ، إِنْ رَجَلَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهُ فِي جَزِيرَةٍ مِنْ جَزَائِرِ الْبَحْرِ خَضَاءَ نَضْرَةِ كَثِيرَةِ الشَّجَرِ ظَاهِرَةِ الْمِيَاهِ، وَ إِنْ مَلَكَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مَرَّ بِهِ فَقَالَ:

^{٩٢١} (١) الكافي ٢: ٣٧٦ ح ٧.

^{٩٢٢} (٢) محمد: ٢٢-٢٣.

^{٩٢٣} (٣) الرعد: ٢٥.

^{٩٢٤} (٤) البقرة: ٢٧.

^{٩٢٥} (٥) الكافي ١: ١٠ ح ١.

يا ربّ أرني ثواب عبدك هذا. فأراه الله فاستقلّه، فأوحى إليه ان اصحبه فأتاه في صورة أنسى فقال له: من أنت؟ رجل عابد بلغني مكانك و عبادتك في هذا المكان فأتيته لأعبد الله معك، فكان معه يومه ذلك. فلما أصبح قال له: ان مكانك لنزه و ما يصلح إلّا للعبادة. فقال العابد: ان لمكاننا هذا عيبا. قال:

و ما هو؟ قال: ليس لرّبنا بهيمة، فلو كان له حمار لرعيناه في هذا الموضع فان هذا الحشيش يضيع. فأوحى تعالى إلى الملك: أنما اثيبه على قدر عقله^{٩٢٦}.

و عن (مناقب ابن الجوزي): قال أمير المؤمنين عليه السلام: لا يزال العقل و الحمق يتغالبان على الرجل إلى ثمانية عشر سنة، فإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه^{٩٢٧}.

و في (عيون القتيبي): قال أعرابي: لو صورّ الحمق لأضاء معه الليل - يعني تكون ظلمة الليل بالنسبة إليه مضيئة^{٩٢٨}.

و في كتاب (كليلة و دمنه): الأدب يذهب عن العاقل السكر و يزيد الأحق سكرًا، كما أن النهار يزيد كلّ ذي بصر بصرا و يزيد الخفافيش سوء بصر^{٩٢٩}.

ص: ٤١٧

و في (مجالس الشيخ) مسندا عن الباقر عليه السلام قال: أردت سفرا فأوصى إلى أبي فقال: و إياك أن تصاحب الأحق أو تخلطه، ان الأحق هجنة، غائبا كان أو حاضرا، ان تكلم فضحه حمقه و ان سكت قصر به عيه، و ان عمل أفسد، و ان استرعى أضاع، لا علمه من نفسه يغنيه و لا علم غيره ينفعه، لا يطيع ناصحه و لا يستريح مقارنه، تودّ أمّه أنّها ثكلته و امرأته أنّها فقدته، و يودّ جاره بعد داره، و جلسيه الوحدة من مجالسته، ان كان أصغر من في المجلس أعبى من فوقه و ان كان أكبرهم أفسد من دونه^{٩٣٠}.

هذا، و قالوا: أرسل عجل بن لجيم فرسا له في حلبة فجاء سابقا، فقيل له سمّه يعرف به، فقام ففقا عينه و قال: قد سمّيته أعور، فقال شاعر:

و أيّ عباد الله أنوك من عجل

رمتني بنو عجل بداء أبيهم

فأضحت به الأمثال تضرب بالجهل

أليس أبوهم عار عين جواده

^{٩٢٦} (١) الكافي ١: ١١ ح ٨.
^{٩٢٧} (٢) ذكره المجلسي في بحار الأنوار ١: ٩٦ ح ٢٩، أما كتاب مناقب الامام علي لابن الجوزي فهو غير موجود، و يبدو أنه كان موجودا في عهد المجلسي حيث ذكر في ٧٨: ٦٤٠: أقول وجدت في مناقب ابن الجوزي مفصلا في كلام أمير المؤمنين عليه السلام و أحببت إيراده.
^{٩٢٨} (٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ٢٨٠.
^{٩٢٩} (٤) نقلها في كليلة و دمنه و رفعه ابن قتيبة في عيون الأخبار ٣: ٢٨١، و يبدو أن العلامة التستري نقلها من عيون الاخبار.
^{٩٣٠} (١) المجالس للشيخ ٢: ٢٢٦.

٩٣١ و قالوا: قال أبو كعب القاص في قصصه: إن النبي قال: في كبد حمزة ما علمتم فادعوا الله أن يطعمنا من كبد حمزة. و قال مرة في قصصه: اسم الذئب الذي أكل يوسف كذا و كذا. فقليل له: ان يوسف لم يأكله الذئب. فقال: فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف^{٩٣٢}.

و قالوا: خرج الخليفة يوم عيد إلى المصلّى و الطبول تضرب بين يديه و الأعلام تخفق على رأسه، فقال رجل: اللهم لا طبل إلّا طبلك. فقليل له: لا تقل

ص: ٤١٨

هكذا فليس لله طبل. فبكي و قال: رأيتم يجيء هو وحده لا يضرب بين يديه طبل و لا ينصب على رأسه علم، فإذا هو دون الأمير.

«و أوحش الوحشة العجب» روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ان عيسى عليه السلام كان من شرائعه السبح في البلاد، فخرج في بعض سيحه و معه رجل من أصحابه قصير و كان كثير اللزوم لعيسى، فلما انتهى عيسى عليه السلام إلى البحر قال: «بسم الله» بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء. فقال الرجل القصير - حين نظر إلى عيسى عليه السلام جازه - «بسم الله» بصحة يقين منه، فمشى على ظهر الماء و لحق بعيسى، فدخله العجب بنفسه فقال: هذا عيسى روح الله يمشى على الماء و أنا أمشي على الماء، فما فضله علىّ. فرمس في الماء فاستغاث بعيسى عليه السلام فتناولوه فأخرجوه ثم قال له: ما قلت يا قصير؟ قال: قلت كذا و دخلني عجب. فقال عليه السلام له: لقد وضعت نفسك في غير الموضع الذي وضعك الله فيه فمقتك فتب إلى الله تعالى^{٩٣٣}.

«و أكرم الحسب حسن الخلق» روى (الكافي) أن النبي صلى الله عليه و آله قال لبنى عبد المطلب: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فالتقوهم بطلاقة و حسن البشر^{٩٣٤}.

و عن الصادق عليه السلام: هلك رجل على عهد النبي صلى الله عليه و آله فأتى الحفارين فاذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إلى النبي فقالوا: ما يعمل حديدنا في الأرض فكأنما يضرب به في الصفاء. فقال: و لم، ان كان صاحبكم حسن الخلق إيتوني بقدر من ماء، فأتوه به فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشا ثم قال:

احفروا فحفروا فكأنما كان رملا يتهايل عليهم^{٩٣٥}.

ص: ٤١٩

^{٩٣١} (٢) عيون الأخبار ٢: ٤٣.

^{٩٣٢} (٣) عيون الأخبار ٢: ٤٦.

^{٩٣٣} (١) الكافي ٦: ٣٠٦ ح ٣.

^{٩٣٤} (٢) الكافي ٢: ١٠٣ ح ١.

^{٩٣٥} (٣) بحار الأنوار ٧١: ٣٧٦ ح ٨ الباب ٩.

و عنه عليه السلام: اذا خالطت الناس فان استطعت ألّا تخالط أحدا من الناس إلا كانت يدك العليا عليه فافعل، فان العبد يكون فيه بعض التقصير من العباد و يكون له حسن الخلق فيبلغه الله بحسن خلقه درجات الصائم القائم^{٩٣٦}.

و فى خبر: ان قوما لم يكن بأس فى أحسابهم سلبوها لسوء خلقهم، و ان قوما لم يكونوا ذوى أحساب اعطوا لحسن خلقهم.

«يا بنى إِيَّاك و مصادقةُ الأحقق فَإِنَّهُ يريد أن ينفعك فيضرّك» فى (الكامل):

كان أبو الحسن بن الفرات يقول: ان المقتدر يقتلنى - فصَحَّ قوله - فمن ذلك أنه عاد من عنده يوما و هو مفكّر كثير الهمّ، فقليل له فى ذلك فقال: كنت عند المقتدر فما خاطبته فى شيء من الأشياء إلّا قال لى: نعم. قلت له الشيء و ضده، فى كلّ ذلك يقول: نعم. فقليل له: هذا لحسن ظنّه بك و ثقته بما تقول و اعتماده على شفقتك. فقال: لا و الله و لكنّه أذن لكلّ قائل، و ما يؤمنى أن يقال له مر بقتل الوزير فيقول: نعم. و الله إنّه قاتلى:

اتّق الأحمق أن تنصحه	انما الأحمق كالثوب الخلق
كلّما رقعت منه جانبا	حرّكته الريح و هنا فانخرق
أو كصدع فى زجاج بيّن	أو كفتق و هو يعيبى من رتق
و اذا جالسته فى مجلس	أفسد المجلس منه بالخرق
و اذا نهته كي يرعوى	زاد جهلا و تمادى فى الحمق

و قال آخر:

فان النوك للاحساب غول	و أهون دائه داء العياء
و من ترك العواقب مهملات	فأيسر سعيه سعى العناء
فلا تنقن بالنوكى لشيء	و لو كانوا بنى ماء السماء

ص: ٤٢٠

و ليسوا قابلى أدب فدعهم و كن من ذاك منقطع الرجاء

^{٩٣٦} (١) الكافي ٢: ١٠١ ح ٢٤.

^{٩٣٧} و من أمثالهم «أنت شولة الناصحة» قال ابن السكيت: كانت (شوله) أمةً لعدوان، رعناء و كانت تنصح لمواليها فتعود نصيحتها و بالا عليها لحمقها^{٩٣٨} و في (الأغاني): كان الوليد بن يزيد يوما جالسا و عنده عمر الوادي و أبو رقية - و كان ضعيف العقل، و كان يمسك المصحف على ام الوليد - فقال الوليد لعمر الوادي، و قد غناه صوتا: أحسنت و الله أنت جامع لذتي. و أبو رقية مضطجع و هم يحسبون نائما، فرفع رأسه إلى الوليد فقال له: و انا جامع لذات أمك. فغضب الوليد و هم به فقال له عمر الوادي: ما يعقل أبو رقية و هو صاح فكيف و هو سكران. فأمسك عنه^{٩٣٩}.

«و إياك و مصادقة البخل فإنه يقعد» و نقل الطبعة (المصرية)^{٩٤٠} «يبعد» غلط.

«عنك أحوج ما تكون إليه» ألف سهل بن هارون - متولى خزائن حكمة المأمون - رسالة في مدح البخل و أرسلها إلى الحسن بن سهل، فوقع الحسن عليها: لقد مدحت ما ذمّ الله و حسنت ما قبح، و ما يقوم صلاح لفظك بفساد معناك، و قد جعلنا ثواب عملك سماع قولك فما نعطيك شيئا^{٩٤١}.

«و إياك و مصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه» أي: الحقيقير اليسير.

كان ابراهيم الصولي صديقا لابن الزيات، فولّى ابن الزيات الوزارة و الصولى على الأهواز، فقصده ابن الزيات و وجّه إليه بأبى الجهم و أمره

ص: ٤٢١

بكشفه فتحامل عليه تحاملا شديدا، فكتب إليه يشكو أبا الجهم و يقول: هو كافر لا يبالى ما عمل. و كتب إليه:

و كنت أخى بإخاء الزمان	فلما نبا حربت حربا عوانا
و كنت أذم إليك الزمان	فأصبحت فيك أذم الزمانا
و كنت اعدك للنائبات	فما أنا أطلب منك الأمانا

^{٩٤٢} ثم وقف الواثق على تحامله عليه، فرفع يده عنه و أمره أن يقبل منه ما رفعه و يرد إلى الحضرة مصونا، فلما أحسن بذلك بسط في ابن الزيات و هجاه هجاء كثيرا فقال:

^{٩٣٧} (١) الكامل للمبرد: ٨: ١٥٣ - ١٥٤.
^{٩٣٨} (٢) إصلاح المنطق لابن السكيت: ٣٢٢.
^{٩٣٩} (٣) الأغاني ٧: ٨٦.
^{٩٤٠} (٤) الطبعة المصرية: ٦٦٧ الحكمة (٣٨).
^{٩٤١} (٥) ذكرها الجاحظ في أول رسائل البخلاء الجزء الاول.
^{٩٤٢} (١) الأغاني ١٠: ٥٧.

و سمت بها إخوانك الذلّ و الرغما

قدرت فلم تضرر عدوا بقدرة

من الناس من يأبى الدنية و الذما

و كنت ملياً بالتى قد يعافها

٩٢٣ و قال:

فأوقدت من ضغن علىّ سعيها

دعوتك فى بلوى أَلَمّت صروفها

كداعية بين القبور نصيرها

و انى إذا أدعوك عند ملمة

و فى (الأغاني): قال بشار:

الا تحرك عرق فى است

و ما تحرك أير فامتلا شبقا

ثم قال: فى است من. و مر به تسنيم بن الحوارى فسَلَّم عليه فقال «فى است تسنيم» فقال له: أى شىء ويلك؟ فقال: لا تسل. فقال: قد سمعت ما أكره فاذا ذكر لى سببه. فأنشده البيت. فقال: ويلك أى شىء حملك على هذا؟ قال: سلامك علىّ. قال: لا سلّم الله عليك و لا علىّ إن سلّمت عليك

ص: ٤٢٢

بعدها. و بشار يضحك^{٩٤٤}.

«و إِيّاك و مصادقة الكذاب، فإنّه كالسرّاب يقربّ عليك البعيد و يبعد عليك القريب» السرّاب: الذى تراه نصف النهار كأنه ماء.

فى (المناقب): كتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن خصال، فكان فيما سأله: أخبرنى عن لا شىء. فتحرّج فقال عمرو بن العاص: وجّه فرسا فارها إلى عسكر على ليّباع، فاذا قيل للذى معه: بكم؟ يقول: بلا شىء، فعسى أن تخرج المسألة. فجاء الرجل إلى عسكر أمير المؤمنين فمر عليه السلام به و معه قنبر فقال: يا قنبر ساومه. فقال: بكم الفرس. قال: بلا شىء. قال: يا قنبر خذ منه. قال: اعطنى لا شىء. فأخرجه إلى الصحراء و أراه السرّاب فقال: و كيف؟ قال: أما سمعت الله تعالى يقول «يَحْسِبُهُ الظَّمَانُ ماءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئاً»^{٩٤٥}.

٤

^{٩٤٣} (٢) الأغاني ١٠: ٥٧.

^{٩٤٤} (١) الأغاني ٤: ١٤٢، بيت الشعر الذى يبدأ بـ «و ما تحرك» غير كامل. و لفظ (است) مضاف، و بعده عدة نقاط...

^{٩٤٥} (٢) المناقب ٢: ٣٨٣ و الآية (٣٩) من سورة النور العيون.

الحكمة (٦٥) و قال عليه السلام:

فَقَدْ الْأَحَبُّ غُرْبَةً فِي (العيون): قال أيوب السخيتاني: اذا بلغ موت أخ لى فكأنما سقط عضو منى. و فى الخبر «المرء كثير بأخيه» و قال:

لعمرك ما مال الفتى بذخيرة
و لكن اخوان الثقات الذخائر

٩٤٦ و قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

فلا تحسبى ان الغريب الذى نأى
و لكن من تتاين عنه غريب

ص: ٤٢٣

اذا ما مضى القرن الذى كنت فيهم
و خلفت فى قرن أنت غريب

٩٤٧ و مثله قوله عليه السلام: «الغريب من ليس له حبيب».

٥

الحكمة (١٣٤) و قال عليه السلام:

لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقًا حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ - فِي نَكْبَتِهِ وَ غَيْبَتِهِ وَ وَقَاتِهِ أَقُولُ: فى (كامل المبرد): قال على عليه السلام
ثلاثة لا يعرفون إلّا فى ثلاث: لا يعرف الشجاع إلّا فى الحرب، و لا الحليم إلّا عند الغضب، و لا الصديق إلّا عند الحاجة^{٩٤٨}.

و عن الصادق عليه السلام: الصداقة محدودة، فمن لم تكن فيه تلك الحدود فلا تنسبه إلى كمال الصداقة، و من لم يكن فيه
شئ من تلك الحدود فلا تنسبه إلى شئ من الصداقة، أولها: أن تكون سريره و علانيته لك واحدة، و الثانية: أن يرى زينك
زينه و شينك شينه، و الثالثة: لا يغيره عنك مال و لا ولاية، و الرابعة: أن لا يمنعك شئ مما تصل إليه مقدرته، و الخامسة: لا
يسلمك عند النكبات^{٩٤٩}.

^{٩٤٦} (٣) ٣: ١.

^{٩٤٧} (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٢١٠.

^{٩٤٨} (٢) الكامل فى الأدب للمبرد ١: ١٨٤.

^{٩٤٩} (٣) الكافي للكليني ٢: ١٣٩ ح ٦، و شروع الحديث: لا تكون الصداقة إلّا بحدودها ...

و عنه عليه السلام: من غضب عليك ثلاث مرّات فلم يقل فيك شراً فاتخذته لنفسك صديقاً^{٩٥٠}.

و فى (العيون): قال على كرم الله وجهه:

أخوك الذى ان أحوجتك ملمة
من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ص: ٤٢٤

و ليس أخوك الحق من إن تشعبت
عليك أمور ظل يلحاك لائما

^{٩٥١} «و لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه فى نكته» قال الشاعر:

احذر مودة ما ذق
شاب المرارة بالحلاوة
يحصى الذنوب عليك
أيام الصداقة للعداوة

^{٩٥٢} و قال آخر:

سعيد بن عثمان بن عفان لا يرى
لصاحبه قرضا عليه و لا فرضا

و فى (نسب قريش ابن بكار): قال النبىّ صلى الله عليه و آله يوم بدر بعد ظفّره: من لقي أبا البختري - و هو ابن هاشم بن الحارث بن أسد بن عبد العزى - فلا يقتله.

و كان ممّن قام فى الصحيفة و كان يدخل الطعام على بنى هاشم فى الشعب.

فقال المجذر بن زياد: فلقيته فقلت: ان النبىّ صلى الله عليه و آله أمرنا أن لا نقتلك. فقال: أنا و زميلي - و معه رجل - فقلت: لا. فقال:

لا يسلم ابن حرّة زميله
حتى يموت أو يرى سبيله

^{٩٥٠} (٤) بحار الأنوار، ٧٤: ١٧٣ ح ٢ الباب ١١.

^{٩٥١} (١) عيون الأخبار لبن قتيبة ٣: ٥٠.

^{٩٥٢} (٢) المصدر نفسه ٣: ١٠٧.

فقتلهما^{٩٥٣} و في (صداقة التوحيدى): قال الاسكندر لديوجانس: بم يعرف الرجل أصدقاءه؟ قال: بالشدائد، لأن كل أحد في الرخاء صديق^{٩٥٤}.

و في (وزراء الجهشيارى): طلبت دولة العباسية عبد الحميد الكاتب- كاتب الاموية- و كان صديقا لابن المقفع- ففاجأهما الطلب و هما فى بيت، فقال الذين دخلوا عليهما: أيكما عبد الحميد. فقال كل واحد منهما: أنا. خوفا من أن ينال صاحبه بمكره. و خاف عبد الحميد أن يسرعوا إلى ابن المقفع فقال:

ص: ٢٢٥

ترفقوا فإن فيّ علامات و كلوا بنا بعضكم و يمضى بعض يذكر تلك العلامات لمن وجه بكم. ففعلوا ذلك، و أخذوا عبد الحميد^{٩٥٥}.

أيضا: كانت بين ابن المقفع و عماره بن حمزة مؤدّة، فأنكر أبو جعفر على عماره فى وقت من الأوقات شيئا و نقله إلى الكوفة- و كان ابن المقفع اذ ذاك بها- فكان يأتيه فيزوره، فبينما هو ذات يوم عنده إذ ورد على عماره كتاب و كيله بالبصرة يعلمه أنّ ضيعة مجاورة لضيعة لا تصلح ان ملكها غيره و ان أهلها قد بذلوا له ثلاثين ألف درهم و أنّه ان لم يبتاعها فالوجه ان يبيع ضيعة.

فقرأ عماره الكتاب و قال: ما أعجب هذا، و كيلنا يشير علينا بالابتياح مع الاضاقة و الإملاق و نحن إلى البيع أحوج. و كتب إلى وكيله ببيع ضيعة و الانصراف إليه، و سمع ابن المقفع الكلام و انصرف إلى منزله و أخذ سفتجة إلى الوكيل بثلاثين ألف درهم و كتب إليه على لسان عماره انى قد كتبت إليك ببيع ضيعتى، ثم حضرني مال و قد أنفذت إليك سفتجة فابتع الضيعة المجاورة لك و لا تبع ضيعتى و أقم مكانك. و أنفذ الكتاب بالابتياح مع رسول قاصد، فورد على الوكيل و قد باع الضيعة، ففسخ البيع و ابتاع الضيعة المجاورة، و كتب إلى عماره يذكر الأمر و أنّه قد صارت لك ضيعة نفيسة. فلما قرأ عماره الكتاب أكثر التعجب و لم يعرف السبب و سأل عمّن حضر عند ورود كتاب الوكيل، فقيل له: ابن المقفع، فعلم أنّه من فعله، فلما صار إليه بعد أيام و تحدّثا قال عماره له: بعثت بتلك الثلاثين ألف درهم إلى الوكيل و كنّا إليها ههنا أحوج، قال: فان عندنا فضلا. و بعث إليه بثلاثين ألفا أخرى^{٩٥٦}.

و حكى ان سفيان لمّا أمر بتقطيع ابن المقفع و طرحه فى التنور- يعنى

ص: ٢٢٦

من طرف المنصور- قال له: و الله لتقتلنى و تقتل بقتلى ألف نفس و لو قتل مائة مثلك ما وفوا بواحد، ثم قال:

^{٩٥٣} (٣) لمصعب بن الزبير نسب قريش: ٢١٣ و قد سها العلامة التستري في ذكر اسم المؤلف الأصلي لكتاب نسب قريش.

^{٩٥٤} (٤) الصداقة للتوحيدى: ٧٠.

^{٩٥٥} (١) الوزراء للجهشيارى: ٨٠.

^{٩٥٦} (٢) الوزراء و الكتاب للجهشيارى: ١٠٩- ١١٠.

إذا ما مات مثلي مات شخص

يموت بموته خلق كثير

و أنت تموت وحدك ليس يدري

بموتك لا الصغير و لا الكبير

^{٩٥٧} و في (تاريخ بغداد): قال محمد بن عبد الرحمن أبو جعفر الصيرفي:

بعث إلى الحكم بن موسى أنه يحتاج إلى نفقة، و لم يك عندي إلّا ثلاثة آلاف درهم، فوجّهت بها إليه، فلما صارت في قبضته وجّهه إليه خلاد بن أسلم أنه يحتاج إلى نفقة، فوجّه بها كلّها إليه. و احتجت أنا إلى نفقة فوجّهت إلى خلاد أنني أحتاج إلى نفقة فوجّه بها كلّها إليّ، فلما رأيته مصرورة في خرقته و هي الدراهم بعينها أنكرت ذلك، فبعثت إلى خلاد: ما قصة هذه الدراهم؟ فاخبرني ان الحكم بن موسى بعث بها إليه، فوجّهت إلى الحكم منها بألف و وجهت إلى خلاد منها بألف و أخذت منها ألفاً^{٩٥٨}.

و في (المروج): عن الواقدي قال: كان لي صديقان أحدهما هاشمي و كنا كنفس واحدة، فالتني ضيقة شديدة و حضر العيد، فقالت امرأتى: أما نحن في أنفسنا فنصبر على البؤس و الشدة، و أما صبياننا هؤلاء فقد قطعوا قلبي رحمة لهم، لأنهم يرون صبيان الجيران قد تزيّنوا في عيدهم و أصلحوا ثيابهم و هم على هذه الحال من الثياب الرثة، فلو احتلت بشيء تصرفه في كسوتهم.

فكتبت إلى صديقي الهاشمي أسأله التوسعة علىّ لما حضر العيد، فوجّه إليّ كيساً مختوماً ذكر أن فيه ألف درهم، فما استقر قراره إذ كتب إليّ الصديق

ص: ٤٢٧

الآخر يشكو مثل ما شكوت إلى صاحبي، فوجّهت إليه الكيس بحاله و خرجت إلى المسجد، فأقمت فيه ليلي مستحييا من امرأتى، فلما دخلت عليها استحسنت ما كان مني و لم تعنفني عليه، فبينما أنا كذلك إذ وافى صديقي الهاشمي و معه الكيس كهيئته فقال لي: اصدقني عمّا فعلت في ما وجهت إليك.

فعرفته الخبر فقال: إنك وجهت إليّ و ما أملك على الأرض، إلّا ما بعثت به إليك.

و كتبت إلى صديقنا المواساة فوجّه بكيسي بخاتمي. فتواسينا الألف أثلاثا، و أخرجنا إلى المرأة قبل ذلك مائة درهم، و نمى الخبر إلى المأمون فدعاني فشرحت له الخبر، فأمر لنا بسبعة آلاف دينار لكل واحد ألف دينار و للمرأة ألف دينار^{٩٥٩}.

و في (كامل المبرد): لبعضهم:

^{٩٥٧} (١) الوزراء و الكتاب: ١١٠.

^{٩٥٨} (٢) تاريخ بغداد، لم نعثر عليه في ترجمة محمد بن عبد الرحمن الصيرفي ٢: ٣١٢ و ترجمة الحكم ابن موسى القنطري ٨: ٢٢٦.

^{٩٥٩} (١) المروج: ٣٣-٣٤.

فتى غير محبوب الغنى عن صديقه

و لا مظهر الشكوى إذا النعل زلت

رأى خلتي من حيث يخفى مكانها

فكانت قذى عينيه حتى تجلّت

^{٩٦٠} و فى (المعجم) للصولى:

و لكن عبد الله لما حوى الغنى

و صار له من بين اخوانه مال

رأى خلّة منهم تسدّ بماله

فساهمهم حتى استوت بهم الحال

^{٩٦١} «و غيبته» لا كما فى اللسان. قال ابن برى: قال بجير بن عنمة الطائي:

و ان مولاي ذو يعاتبنى

لا أحنه عنده و لا جرمه

ينصرنى منك غير معتذر

يرمى و رائى بأمسّهم و املمه

و قال الآخر:

ص: ٤٢٨

أنى يكون أخوا أو ذا محافظة

من كنت فى غيبه مستشعرا وجلا

إذا تغيب لم تبرح تظنّ به

سوءا و تسأل عما قال أو فعلا

و قيل:

و ليس أخى من ودّنى رأى عينه

و لكن أخى من ودّنى و هو غائب

و قيل:

و ليس محبّا من يدوم وداده

مع الوصل لكن من يدوم مع الصّدّ

^{٩٦٠} (٢) الكامل للمبرّد ١: ١٨٤.

^{٩٦١} (٣) المعجم ١: ١٦٧.

هذا، و فى (الحلية): خرج أبو تراب الرملى سنة من مكّة فقال لأصحابه:

خذوا اسم طريق الجادة حتى آخذ طريق تبوك. فقالوا له: الحرّ شديد. قال: لا بدّ و لكن إذا دخلتم رملّة فانزلوا عند فلان صديق لى. فنزلوا عليه فشوى لهم أربع قطع لحم، فلما وضع بين أيديهم جاءت الحدأة فأخذت قطعة منها. فقلنا: لم يكن رزقنا فأكلنا الباقي، فلما كان بعد يومين خرج أبو تراب من المفازة، فقلنا:

هل وجدت فى الطريق شيئاً. فقال: لا إلّا يوم كذا رمى إلى حدأة بقطعة شواء حار. فقلنا له: قد تغذينا منه فأنه من عندنا أخذت الحدأة. فقال: كذا كانت الصداقة^{٩٦٢}.

فى المروج: ذكر للمنصور تديبر هشام فى حرب كانت له، فبعث إلى رجل ينزل رصافه هشام يسأله عن تلك الحرب، فقدم عليه فقال له: أنت صاحب هشام. قال: نعم قال: فأخبرنى كيف فعل فى حرب دبّرها سنة كذا و كذا. قال: فعل رضى الله عنه فيها كذا و كذا، و فعل رحمه الله كذا و كذا. فأغاظ ذلك المنصور فقال له: قم عليك غضب الله تطأ بساطى و تترحم على عدوى.

فقام الشيخ و هو يقول: ان لعدوك قلادة فى عنقى لا ينزعها إلّا غاسلى. فأمر برده و قال له: كيف؟ قال: أنه كفانى الطلب و صان وجهى عن السؤال فلم أقف

ص: ٤٢٩

على باب عربى و لا عجمى، أفلا يجب علىّ أن أذكره إلّا بخير. فقال المنصور:

بلى و الله، لله أم نهضت عنك، أشهد أنك نهضت حرّة^{٩٦٣}.

و قال المدائنى: قال المنصور صحبت رجلاً ضريراً إلى الشام و كان يريد مروان بن محمد بشعر قال فيه - إلى أن قال - و حجبت فى سنة (١٤١) فنزلت فى جبل زور فى الرمل أمشى لنذر كان علىّ، فإذا أنا بالضرير، فأومأت إلى من كان معى فتأخروا و دنوت منه فأخذت بيده، فقال: من أنت؟

قلت: رفيقك إلى الشام فى أيام بنى امية و أنت متوجه إلى مروان، فتنفّس و أنشأ يقول:

و بناتهم بمضيعة أيتام

آمت نساء بنى امية منهم

و النجم يسقط و الجدود تنام

نامت جدودهم و أسقط نجمهم

^{٩٦٢} (١) الحلية ١٠: ١٦٤ - ١٦٥.

^{٩٦٣} (١) المروج ٣: ٢٨٥.

خلت المنابر و الأسرة منهم

فعلهم حتى الممات سلام

فقلت له: كم أعطاك مروان؟ قال: أغناني فلا أسأل بعده أحدا - إلى أن قال - فقلت: أنا أبو جعفر المنصور. فقال: اعذر فإن ابن عمك محمداً صلى الله عليه و آله قال «جبلت النفوس على حب من أحسن إليها و بغض من أساء إليها» فهممت به ثم تذكرت الصحبة فأطلقته^{٩٦٤}.

و في (الأغاني): في أبي الأسد: لما مات ابراهيم الموصلي قيل لأبي الأسد - و كان صديقه - ألا ترثيه فقال:

تولّى الموصلي فقد تولّى

بشاشات المزاهر و القيان

و أى فلاحه بقيت فتبقى

حياة الموصلي على الزمان

ستبكيه المزاهر و الملاهى

و يسعدهن عاتقة الدنان

ص: ٤٣٠

و تبكيه الغوية اذ تولّى

و لا تبكيه تاليه القرآن

فقيل له: ويحك فضحته و قد كان صديقك. فقال: هذه فضيحة عند من لا يعقل، أمّا من يعقل فلا، و بأى شيء كنت أذكره و أرثيه أ بالفقه أم بالزهد أم بالقراءة، و هل يرثى إلّا بهذا و شبهه^{٩٦٥}.

٤

الحكمة (٢١٨) و قال عليه السلام:

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُلْمِ الْمَوَدَّةِ فِي (الطرائف): قال بعض الحكماء لا ينفع العلاج في أربعة: العداوة إذا خالطها الحسد و المرض إذا خالطه الهرم، و الفقر إذا خالطه الكسل، و الشح إذا خالطه الكبر^{٩٦٦}.

و قال ابن أبى الحديد الإنسان لا يحسد نفسه. قيل لحكيم: ما الصديق؟

فقال: انسان هو أنت إلّا أنّه غيرك^{٩٦٧}.

^{٩٦٤} (٢) مروج الذهب ٣: ٢٨٥.

^{٩٦٥} (١) الأغاني ١٤: ١٤٠ - ١٤١.

^{٩٦٦} (٢) الطرائف و الطرائف: ٧٨.

و من أدعية الحكماء: اللهم اكفني بوائق التفات، و احفظني من كيد الأصدقاء^{٩٦٨}.

و للمثقب العبدى:

فأعرف منك غثى من سمينى

فإمّا أن تكون أخى بحقّ

عدواً أتقيك و تتقيني

و إلّا فاطرحنى و اتركنى

٩٦٩

ص: ٤٣١

٧

الحكمة (٢٦٨) و قال عليه السلام:

أَحِبِّ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا - عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا - وَ ابْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا - عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا أَقُول:
كون هذا كلامه عليه السلام رواه أبو هلال العسكري أيضا في (أمثاله أبو هلال العسكري - الأمثال - ص ١٣٢) جاعلا ذلك مثلا
له عليه السلام^{٩٧٠}، لكن الخطيب في (تاريخه ٣ الخطيب - تاريخ بغداد - ج ١١ ص ٤٢٨) في على بن زكريا رواه عن أبي
هريرة عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ^{٩٧١}، وَ أَمَّا (أمالى الشيخ الطوسى - الأمالى - ص ٧٠٣ ح ١٥٠٥ الشيخ) فرواه فيما رواه
عن أبي المفضل عنه عليه السلام عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، وَ رواه فيما رواه عن الغضائرى عن زيد بن على عن أبيه
هكذا: قال: قال على عليه السلام: لا يكن حبك كلفا وَ لا بغضك تلفا، أحب حبيبك هونا ما وَ ابغض بغضك هونا ما^{٩٧٢}.

رواه في (مجلسه) فى ١٣ من شهر رمضان، فيمكن أن يكون لفظ العنوان للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ لفظ الأخير له عليه
السلام:

و عن الصادق عليه السلام: لا تطلع صديقك من سرّك إلّا على ما لو اطلع عليه عدوك ما يضرّك، فإنّ الصديق قد يكون عدواً
يوما ما^{٩٧٣}.

و فى (ديوان أبى الأسود): قال أبو الأسود لابنه - وَ كان له صديق من باهلة يكثر زيارته وَ غشيانه:

^{٩٦٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩.

^{٩٦٨} (٤) المصدر نفسه: ١٩: ٣٩.

^{٩٦٩} (٥) المصدر نفسه ١٠: ١١٠، ذكره أيضا ابن قتيبة: ٢٥٠، دار الكتب العلمية.

^{٩٧٠} (١) الأمثال، لأبي هلال العسكري: ١٣٢.

^{٩٧١} (٢) التاريخ للخطيب ١١: ٤٢٨.

^{٩٧٢} (٣) الأمالى للشيخ: ٧٠٣ ح رقم (١٥٠٥).

^{٩٧٣} (٤) بحار الأنوار ٧٤: ١٧٧ ح ١٥ باب ١١.

أحب إذا أحببت حبًا مقاربا
فأنك لا تدري متى أنت نازع
و ابغض إذا أبغضت غير مباعد
فأنك لا تدري متى أنت راجع

ص: ٤٣٢

و كن معدنا للحلم و اصفح عن الخنى
فأنك راء ما حييت و سامع

٩٧٤ .

و قال النمر بن تولب:

و احببت حبيبك حبًا رويدا
فليس يعولك ان تصرما
و ابغض بغيضك بغضا رويدا
إذا أنت حاولت أن تحكما

٩٧٥- أى: تصير حكيما- و فى (صداقة التوحيدى): قيل لديوجانس: ما الذى ينبغى للرجل أن يتحفّظ منه؟ قال: من حسد أصدقائه و مكر أعدائه ٩٧٦ .

و فى (الأغانى): قال أبو عبيدة: ما زال بشّار يهجو حمّاد عجرد و لا يرفث فى هجائه حتى قال حماد: من كان مثل أبيك- يا أعمى- أبوه فلا أبا له، أنت ابن برد مثل برد فى النذالة و الرذالة- فى أبيات، فلما بلغت بشّارا أطرق طويلا ثم قال: جزى الله ابن نهبي خيرا.

ف قيل له: علام تجزيه الخير؟ فقال: و الله لقد كنت أردّ على شيطاني أشياء من هجائه إبقاء على المودة و لقد أطلق من لساني ما كان مقيدا عنه و اهدفنى عورة ممكنة منه، فلم يزل بعد ذلك يذكر أم حمّاد فى هجائه حتى ماتت ٩٧٧ .

و فى الطرائف:

احذر عدوك مرة
و احذر صديقك ألف مرة
فلربما انقلب الصديق
فكان أخبر بالمضرة

٩٧٤ (١) ديوان أبي الأسود الدؤلي: ١٣٨- ١٣٩ .

٩٧٥ (٢) الأغاني ٢٢: ٢٨١ .

٩٧٦ (٣) الصداقة للتوحيدي: ٧٠ .

٩٧٧ (٤) الأغاني ١٤: ٣٢٧ .

و بالأسرار لا تركز إليه

تحذر من صديقك كل يوم

ص: ٤٣٣

سوى من كان معتمدى عليه

سلمت من العدو فما دهانى

٩٧٩ وفى السير ان معاوية لما الحق زيادا به و ولّاه البصرة- بعد ان كان و اليها من قبل أمير المؤمنين عليه السلام- صعد المنبر و قال: قد رحلت عنكم و أنا أعرف صديقى من عدوى ثم قدمت عليكم و قد صار العدو صديقا مناصحا و الصديق عدوا مكاشحا، فليشتمل كل امرئ على ما فى صدره و لا يكون لسانه شفرة تجرى على أوداجه، و ليعلم أحكم إذا خلا بنفسه أنى قد حملت سيفى بيدي فان أشهره لم أغمده- ثم نزل.

٨

الحكمة (٢٩٥) أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ وَ أَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ- فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ- وَ صَدِيقُكَ صَدِيقُكَ وَ عَدُوُّكَ عَدُوُّكَ- وَ أَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ- وَ عَدُوُّكَ صَدِيقُكَ وَ صَدِيقُكَ عَدُوُّكَ أقول: أما كون صديق الصديق صديقا فلأن مناسب المناسب مناسب، و أما كون العدو صديقا فلأن ضد المناسب، و لذا كان الحجاج يعجبه المختار مع اختلاف مذهبهما فى حب أهل البيت عليهم السلام و بغضهم، و كان مصعب أمر بقطع كف المختار و دقها بمسمار على الجدار، فأمر الحجاج بإنزالها و دفنها، فكان المختار عدو الحجاج ابن الزبير مع كونه من طائفته ثقيف.

قال البحترى:

عدو عدوى أو صديق صديقى

و ان أحق الناس منى بخلة

٩٨٠

ص: ٤٣٤

و أما كون العدو الصديق عدوا فلأن ضد المناسب غير مناسب، و أما كون صديق العدو عدوا فلأن مناسب الضد غير مناسب.

٩٧٨ (٥) الظرائف: ٧٨، و ذكره ابن ابي الحديد فى شرح نهج البلاغة ١٦: ٣٩.

٩٧٩ (١) الظرائف: ٧٨.

٩٨٠ (٢) البحترى ٢: ١٢٠، يهجو فيه أحمد بن طولون.

و فى (العقد الفريد): و فد دحية الكلبي على على عليه السلام، فما زال يذكر معاوية و يطريه فى مجلسه، فقال له على عليه السلام:

صديق عدوى داخل فى عداوتى و ائى لمن ودّ الصديق و دود

فلا تقربن منى و أنت صديقه فان الذى بين القلوب بعيد

^{٩٨١} و فى هذا المعنى قول العتابي:

تود عدوى ثم تزعم ائنى صديقك ان رأى عنك لعازب

^{٩٨٢} هذا، و فى (الطبرى): كان عبد الملك و مصعب و هما بالمدينة يتحدثان إلى حبي، فقيل لها: قتل مصعب. فقالت: تعس قاتله. قيل: قتله عبد الملك. قالت بأبي القاتل و المقتول ^{٩٨٣}.

٩

الحكمة (٣٠٨) و قال عليه السلام:

مَوَدَّةُ الْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ و عن الرضا عليه السلام: مودة عشرين سنة قرابة، و العلم أجمع لأهله من الآباء ^{٩٨٤}.

و فى (المروج): كان من قبل سابور ذى الأكتاف من الساسانية يسكن

ص: ٤٣٥

بغرى المدائن، و سكن سابور الجانب الشرقى منها و بنى هناك الأيوان المعروف بایوان كسرى، و قد كان أبرويز أتمّ مواضع من بناء هذا الأيوان.

و كان الرشيد نازلا على دجلة بالقرب من الأيوان، فسمع بعض الخدم من وراء الستر يقول لآخر: هذا الذى بنى هذا الأيوان أراد أن يصعد عليه إلى السماء.

فأمر الرشيد أن يضرب مائة عصا، و قال لمن حضره:

^{٩٨١} (١) العقد الفريد لابن عبد ربه ٢: ٦٠٣.
^{٩٨٢} (٢) هو كلثوم بن عمرو العتابي: لم نعثر على هذا البيت فى ترجمته فى معجم الادباء ٢٦: ١٩، لكنه ذكر ابیاتا من القصيدة.

^{٩٨٣} (٣) تاریخ الطبري ٥: ١٠.
^{٩٨٤} (٤) بحار الأنوار: ٧٤: ١٧٥ ح الباب ٨ ١١.

ان الملك نسبة، و الملوك به اخوة، و ان الغيرة بعثتى على أدبه لصيانة الملك و ما يلحق الملوك للملوك^{٩٨٥}.

«و القربة إلى المودة أحوج» هكذا فى الطبعة (المصرية)^{٩٨٦} و الصواب:

«و القربة أحوج إلى المودة» كما فى (ابن أبى الحديد^{٩٨٧} و ابن ميثم و النسخة الخطية).

«من المودة إلى القربة» فى (أدب كاتب الصولى): قال ابراهيم بن العباس الصولى:

أميل مع الذمام على ابن عمى و اقضى للصديق على الشقيق

و إما تلفنى حرا مطاعا فأنك واجدى عبد الصديق

^{٩٨٨} و قال ابن أبى الحديد قيل لرجل: أخوك أحب إليك أم صديقك؟ قال: أنما أحب أخى إذا كان صديقا^{٩٨٩}.

و فى (الأغاني) عن العتابة:

ص: ٤٣٦

أنى بلوت الناس فى حالاتهم و خبرت ما و صلوا من الأسباب

فاذا القربة لا تقرب قاطعا و اذا المودة أقرب الأنساب

٩٩٠

١٠

الحكمة (٤١٥) و قال عليه السلام:

^{٩٨٥} (١) المروج ١: ٢٨٤.
^{٩٨٦} (٢) الطبعة المصرية: ٧٣٠ الحكمة (٣١٠).
^{٩٨٧} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٢١٤ الحكمة (٣١٤)، كذلك شرح ابن ميثم ٥: ٣٩٧ الحكمة (٢٩٢). سقطت العبارة من النسخة الخطية المتوفرة عند المحقق.
^{٩٨٨} (٤) أدب الكتاب للصولى: ١٠٠.
^{٩٨٩} (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ٢١٤.
^{٩٩٠} (١) الأغاني ١٣: ١١٧.

زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ تُقْصَانُ حَظًّا - وَ رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ أَقُولُ: كان ابن الزبير راغبا في أهل الشام و كانوا زاهدين فيه، فقال يوما: وددت ان لي بكل عشرة من أهل العراق رجلا من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. فقال له أبو حاضر: مثلنا و مثلك كما قال الأعشى:

علقتها عرضا و علقت رجلا
غيري و علق اخرى غيرها الرجل

^{٩٩١} أحبك أهل العراق و أحببت أهل الشام، و أحب أهل الشام عبد الملك.

و قال الشاعر:

كلانا يا معاذ يحب ليلي
بقي و فيك من ليلي التراب
شركتك في هوى من كان حظي
و حظك من تذكرها العذاب

^{٩٩٢} أيضا:

ان البلية ان تحب
و لا يحبك من تحبه
و يصد عنك بوجهه
و تلح أنت فلا تعب

و قال أبو العيناء - كما في (تاريخ بغداد):

لعمرك ما حق امرئ لا يعد لي
على نفسه حقاً على بواجب

ص: ٤٣٧

و ما أنا للنائي على بوده
من الصد و الهجران ملت بجانب
و لكنّه ان مال يوما بجانب

^{٩٩١} (٢) ديوان الأعشى: ١٣١.
^{٩٩٢} (٣) البيان و التبیین ١: ٣٠١.

^{٩٩٣} و قال له أحمد بن أبي دؤاد - كما في (المعجم) - ما أشد ما أصابك في ذهاب بصرك؟ قال: ابتداء غيري بالسلام، و كنت أحب أن أكون أنا المبتدئ، و ان أحدث من لا يقبل على حديثي و لا أراه و لو رأيت لا يقبل لما حدثته.

و كان دعبل - كما فيه - يتعجب من قول ابراهيم الصولي:

ان أمراً ضمن بمعرفه
عنى لمبذول له عذرى
ما أنا بالراغب فى خيره
ان كان لا يرغب فى شكرى

^{٩٩٤} و قال المثقب العبدى، كما فى (الشعراء):

فانى لو تخالفنى شمالى
بنصر لم تصاحبها يمينى
إذن لقطعتها و قلت بينى
كذلك أجتوى من يجتوينى

^{٩٩٥} و لبعضهم:

و لو ان بعضى رابنى لقطعته
و انى بقطع الرائبى لجدير

أيضا:

فلقد تدوم لذى الصفاء مودتى
و اذا لويت بتت ذا اللبان

١١

الحكمة (٤٧٩) و قال عليه السلام:

شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكَلِّفَ لَهُ قَالَ الرضى لأن التكليف مستلزم للمشقة

ص: ٤٣٨

^{٩٩٣} (١) تاريخ بغداد ٣: ١٧٧.

^{٩٩٤} (٢) المعجم: ٢٨٩ - ٢٩٠.

^{٩٩٥} (٣) الشعر و الشعراء لابن قتيبة: ٢٥٠، مع وجود اختلاف، دار الكتب العلمية.

و هو شر لازم عن الأخ المتكلف له فهو شر الإخوان أقول: هكذا في (المصرية)، و هو تخليط منها، فان قوله «لأن التكليف ...» كان حاشية خلطته بالمتن^{٩٩٦}، فان (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و النسخة الخطية) لم تنقله^{٩٩٧}، و لأنه خارج عن موضوع كتابه، فان كتابه أنما هو مجرد نقل كلماته عليه السلام لا شرح كما في مجازاته النبوية، و انما قد يفسر بعض غريب لغاته أو يصف بلاغة بعض فقراته عليه السلام الزائدة مع ان أين مثل هذا الكلام المبتذل من كلمات الرضى و تعبيراته، بل قوله «لأن التكليف» غلط لأنه لم يرد تكليف بل تكلف، و اما قوله «قال الرضى» فزيد بعد الخلط توضيحا بزعمه.

هذا و الأصل في كلامه عليه السلام «شرّ الإخوان من تكلف له» ان بعض أصحابه عليه السلام دعاه إلى أن يصير ضيفه، فأجابه بشرط أن لا يتكلف له.

قال ابن قتيبة في (عيونه): دعا رجل عليّا عليه السلام: إلى طعام فقال عليه السلام:

نأتيك على أن لا تتكلف ما ليس عندك و لا تدّخر عنّا ما عندك. و كان عليه السلام يقول «شرّ الإخوان من تكلف له»^{٩٩٨}.

و رواه التوحيدى في (صداقته) أيضا مرفوعا عنه عليه السلام لكن مع زيادة و هي «و خيرهم من أحدث لك رؤيته ثقة به و أهدت إليك غيبته طمأنينة إليه»^{٩٩٩}.

و في (الكافي): عن مرّازم بن حكيم ان حارثا الأعور أتى أمير المؤمنين عليه السلام و قال: أحب أن تكرمى بأن تأكل عندى. فقال له: على ألا تتكلف

ص: ٢٣٩

لى شيئا. و دخل فأتاه الحارث بكسر، فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يأكل، فقال له الحارث: ان معى دراهم - و أظهرها فاذا هى فى كمه - فان أذنت لى اشتريت لك شيئا غيرها. فقال عليه السلام له: هذه ممّا فى بيتك^{١٠٠٠}، و رواه الكشى^{١٠٠١}.

و روى (الكافي): عن صفوان بن يحيى قال: جاءنى عبد الله بن سنان فقال: هل عندك شيء؟ قلت: نعم، فبعثت ابنى فأعطيته درهما يشتري به لحما و بيضا فقال لى: أين أرسلت ابنك، فأخبرته فقال: ردّه عندك زيت. قلت: نعم.

قال: هاته فأتى سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول «هلك امرؤ احتقر لأخيه ما يحضره و هلك امرؤ احتقر من أخيه ما قدم إليه»^{١٠٠٢}.

^{٩٩٦} (١) الطبعة المصرية: ٧٦٧ الحكمة (٤٦٣).
^{٩٩٧} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤٩ الحكمة (٤٨٤) كذلك ابن ميثم ٥: ٤٦٧ لا وجود للنص في النسخة الخطية المتوفرة لدى المحقق.
^{٩٩٨} (٣) العيون، لابن قتيبة ٣: ٢٣١.
^{٩٩٩} (٤) الصداقة، للتوحيدى: ٥٣.
^{١٠٠٠} (١) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٤.
^{١٠٠١} (٢) الكشى: ٨٩ رواه بشكل آخر.
^{١٠٠٢} (٣) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٣.

و قال أبو الأسود في الحُضين العنبري:

سُنت من الأصحاب من لست بارحا
ادامله دمل السقاء المخرق

١٠٠٣ و قال إسحاق الموصلي:

نعم الصديق صديق لا يكلّفني
ذبح الدجاج و لا شئ الفرائج

١٠٠٤ و في (العيون): سئل أقرى أهل اليمامة كيف ضبطتم القرى؟ قال: بآنا لا تتكلف ما ليس عندنا^{١٠٠٥} هذا، و في (الحلية): جاء فتح الموصلي إلى صديق له فلم يجده في المنزل، فقال للخادم: اخرجني إلى كيس أخي، فأخرجته فأخذ منه درهمين

ص: ٤٤٠

و جاء الصديق فأخبرته الجارية بمجيء فتح و أخذه الدرهمين فقال: ان كنت صادقة فأنت حرة. فنظر فاذا هي صادقة، فعثقت^{١٠٠٦}.

١٢

الحكمة (٤٨) و قال عليه السلام:

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ يُقَالُ حَشَمَهُ وَ أَحْشَمَهُ إِذَا أَغْضَبَهُ وَ قِيلَ أَخْجَلَهُ أَوْ احْتَشَمَهُ طَلَبَ ذَلِكَ لَهُ وَ هُوَ مَظْنَةٌ مَفَارَقَتِهِ أَقُولُ: هُوَ كَسَابِقِهِ، قَوْلُهُ «يُقَالُ حَشَمَهُ...» حَاشِيَةٌ خَلَطَتْ بِالْمَتْنِ لِعَدَمِ وَجُودِهِ فِي (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و النسخة الخطيئة)^{١٠٠٧} و لخروجه من موضوع النهج كما عرفت في سابقه، مع أن قوله «و احتشمه: طلب ذلك له» بلا معنى.

هذا، و قال ابن الأعرابي: الحشمة الاستحياء و الغضب. و قال الأصمعي:

١٠٠٣ (٤) ديوان أبي الأسود الدولي: ١٣٠، ذكر البيت هكذا:

سُنت من الصحبان من لست زائلا

اواصله وصل السقاء المخرق

١٠٠٤ (٥) عيون الأخبار ٣: ٢٣٣.

١٠٠٥ (٦) عيون الأخبار ١: ٢٣٤.

١٠٠٦ (١) الحلية ٨: ٢٩٣.

١٠٠٧ (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠: ٢٥١ الحكمة (٤٨٥)، ابن ميثم: شرح نهج البلاغة ٦: ٤٦٨، أما النسخة الخطية فقد سقط النص منها.

الحشمة أنما هو بمعنى الغضب لا الاستحياء. نقل ذلك عنهما الجوهري، و الصحيح ما قال الأول من مجيء الحشمة بمعنى الاستحياء و الانتباض ايضا كما يدلّ عليه موارد استعماله في الأخبار و الأشعار^{١٠٠٨}.

أما الأخبار ففي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: المؤمن لا يحتشم من أخيه، و لا أدري أيّهما أعجب الذي يكلف أخاه اذا دخل ان يتكلف له أو المتكلف لأخيه^{١٠٠٩}.

ص: ٤٤١

و عن عنبسة بن مصعب: أتينا أبا عبد الله عليه السلام و هو يريد الخروج إلى مكّة، فأمر بسفرة فوضعت بين أيدينا فقال: كلوا. فأكلنا، فقال: أبيتُم أبيتُم أنّه كان يقال: اعتبر حبّ القوم بأكلهم. فأكلنا و ذهب الحشمة^{١٠١٠}.

و عن عبد الرحمن بن الحجاج: أكلنا مع أبي عبد الله عليه السلام فأتينا بقصعة من أرز فجعلنا نعذر فقال عليه السلام: ما صنعتُم شيئا، ان أشدّكم حبّا لنا أحسنكم أكلا عندنا. قال: فرفعت كشحة المائدة. فقال: نعم الآن. و أنشأ يحدثنا ان النبيّ صلّى الله عليه و آله أهدى إليه قصعة أرز من ناحية الأنصار، فدعا سلمان و المقداد و أبا ذر فجعلوا يعذرون في الأكل فقال: ما صنعتُم شيئا أحسنكم حبّا لنا أحسنكم أكلا عندنا. فجعلوا يأكلون أكلا جيّدا. ثم قال أبو عبد الله عليه السلام: رحمهم الله و رضى عنهم و صلّى عليهم^{١٠١١}.

و أما الأشعار فقال شاعر في ابن الزبير:

لعمرك ان قرص أبي خبيب بطيء النضج محشوم الأكيل

^{١٠١٢} - الأكيل: من يؤاكلك - و قال الكميت:

و رأيت الشريف في أعين الناس و ضيعا و قل منه احتشامي

^{١٠١٣} و يؤيد ذلك قول نفطويه:

ما استمتع الناس بشيء كما يستمتع الناس بحسم الحشم

^{١٠٠٨} (٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

^{١٠٠٩} (٤) الكافي ٦: ٢٧٦ ح ٢.

^{١٠١٠} (١) الكافي للكليني ٦: ٢٧٩ ح ٥.

^{١٠١١} (٢) الكافي للكليني ٦: ٢٧٨ ح ٢.

^{١٠١٢} (٣) الصحاح للجوهري ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

^{١٠١٣} (٤) المصدر نفسه ٤: ١٩٠٠ مادة (حشم).

و به صرّح ابن دريد، قال في (جمهرته): حشم الرجل أتباعه الذين يغضبون بغضبه - إلى أن قال - و ليس تعرف العرب الحشمة إلّا الغضب أو

ص: ٤٤٢

الانقباض عن الشيء^{١٠١٤}.

هذا، و في (عيون ابن قتيبة): كتب رجل إلى صديق له: وجدت المودة منقطعة ما كانت الحشمة عليها متسلطة، و ليس يزيل سلطان الحشمة إلّا المؤانسة و لا تقع المؤانسة إلّا بالبر و الملاطفة^{١٠١٥}.

و في (المعجم): عن الشرمقاني: كان أحمد بن أبي خالد الضرير مثيرا ممسكا لا يكسر رأس رغيف له، أنما يأكل عند من يختلف إليهم، لكنّه كان أديب النفس عاقلا حضر يوما مجلس عبد الله بن طاهر فقدم إليه طبق عليه قصب السكر و قد قشر و قطع كاللحم، فأمره أن يتناول فقال: ان لهذا لفاظة ترتجع من الأفواه و أنا أكره ذلك في مجلس الأمير. فقال له: تناول فليس بصاحبك من احتشمك و احتشمته اما أنّه لو قسم عقلك على مائة رجل لصار كل رجل منهم عاقلا^{١٠١٦}.

و في (أدب كاتب الصولي): قال هشام: قد مرّت لذات الدّنيا كلّها على يدي و فعلى فما رأيت ألذّ من محادثة صديق ألقى التحفّظ بيني و بينه^{١٠١٧}.

١٣

الحكمة (٤٣٤) و قال عليه السلام:

أخبر ثقّله قال الرضي: و من الناس من يروى هذا للرّسول صلى الله عليه و آله، و ممّا يقوّى أنّه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب عن ابن الأعرابي قال

ص: ٤٤٣

المؤمن: لو لا أن عليا قال «أخبر ثقّله» لقلت أقله تخبر أقول: ذكره أبو هلال العسكري في أمثاله أبو هلال العسكري - الأمثال - ص ٦٩ و قال: لفظه الأمر و معناه الخبر يعنى اذا اختبرتهم قليتهم^{١٠١٨}. و القلي: البغض. قال تعالى: «إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْفَالِينَ»^{١٠١٩}.

^{١٠١٤} (١) الجمهرة لابن دريد ١: ٥٣٨ - ٥٣٩.

^{١٠١٥} (٢) العيون لابن قتيبة ٣: ٤٣.

^{١٠١٦} (٣) المعجم ٣: ٢١ - ٢٢.

^{١٠١٧} (٤) أدب الكاتب: ٢٣٧.

^{١٠١٨} (١) الأمثال، لأبي هلال العسكري: ٦٩ الديوان (الخطوب).

^{١٠١٩} (٢) الشعراء: ١٦٨.

و قال زهير:

لعمرك و الامور معيّرات
لقد باليت مظعن ام أو في
و في طول المعاشرة التقالى
و لكن أم أو في لا تبالى

١٠٢٠ و الهاء في «تقله» مثلها في قولهم «يا زيد امشه» (لبيان الحركة) و نظم المصنف معنى كلامه عليه السلام فقال:

من كشف الناس لم يسلم له أحد
و الناس داء فخل الداء مستورا

١٠٢١ «أخبر تقله» قال سويد بن الصامت:

ألا رب من يدعى صديقا و لو ترى
مقالته كالشحم ما دام شاهدا
مقالته بالغيب ساءك ما يفرى
و بالغيب مأثور على ثغرة النحر

و قال معن بن أوس:

و لقد بدا لى ان قلبك ذاهل
كلّ يجامل و هو يخفى بغضه
عنى و قلبى لو بدا لك أذهل
ان الكريم على القلى يتجمل

و قال أبو بكر الأرجاني قاضى تستر - كما فى (كامل الجزرى):

و لما بلوت الناس أطلب عندهم
تطلعت فى حالى رخاء و شدة
أخا ثقة عند اعتراض الشدائد
و ناديت فى الأحياء هل من مساعد

ص: ٤٤٤

فلم أر فيما ساءنى غير شامت
و لم أر فيما سرّنى غير حاسد

١٠٢٠ (٣) ديوان زهير: ٥٧، ورد لفظ «الامور» في الديوان بلفظ «الخطوب».
١٠٢١ (٤) ديوان الشريف الرضي ١: ٥٢٥.

١٠٢٢ وقال ابن الحريرى - كما فى (معجم الحموى):

لا تغتر ببنى الزمان ولا تغل
عند الشدائد لى أخ و نديم
جريتهم فاذا المعاصر عاقر
والآل آل و الحميم حميم

١٠٢٣ و قيل فى الاختبار بسؤال المآل:

إذا شئت ان تلفى أحاك معبسا
وجداه فى الماضين كعب و حاتم
فكشفه عما فى يديه فأنما
يكشف أخبار الرجال الدراهم

و قيل أيضا:

و لو انى جعلت أمير جيش
لما قاتلت إلّا بالسؤال
فان الناس ينهزمون منه
و قد ثبتوا لأطراف العوالى

و قال ابن أبى الحديد: قال أبو العلاء:

جريت دهرى و أهليه فما تركت
لى التجارب فى ود امرىء غرضا^{١٠٢٤}

و قال آخر:

و كنت أرى ان التجارب عدّة
فخانت ثقات الناس حتى التجارب

١٠٢٥ و قال آخر:

١٠٢٢ (١) الكامل للجزري ١١: ١٤٧.
١٠٢٣ (٢) المعجم ١٦: ٢٧١ و هو القاسم بن علي بن محمد الحريري.
١٠٢٤ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٨١.
١٠٢٥ (٤) شرح النهج ١٩: ٣٢٥.

عتبت على سلم فلما فقدته

و جربت أقواما رجعت إلى سلم

ذممتك أولا حتى اذا ما

بلوت سواك عاد الذم حمدا

و لم أحمذك من خير و لكن

وجدت سواك شرّاً منك جدا

فعدت إليك مضطرا ذليلا

لأنى لم أجد من ذاك بدا

ص: ٤٤٥

كمجهود تحامى أكل ميت

فلما اضطر عاد إليه شدا

^{١٠٢٦} و قال عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر:

رأيت فضيلا كان شيئا ملففا

فأبرزه التمحيص حتى بداليا

^{١٠٢٧} قلت: نقل البيت الأخير من (كامل المبرد)^{١٠٢٨}، و الصواب في المصراع الأول: «و ان حسينا كان شيئا ملففا».

روى (أغاني أبي الفرج) عن الجوهرى عن النوفلى عن ابراهيم بن يزيد الخشاب قال: كان عبد الله بن معاوية صديقا للحسين بن عبيد الله بن عبد الله بن العباس - و كانا يرميان بالزندقة - فقال الناس: انما تصافيا على ذلك. ثم دخل بينهما شيء فتهاجرا، فقال له عبد الله:

و ان حسينا كان شيئا ملففا

فمحسه التكشيف حتى بداليا

و عين الرضا عن كل عيب كليله

و لكن عين السخط تبدى المساويا

و أنت أخى ما لم تكن لى حاجة

فان عرضت أيقنت ان لا أخاليا

^{١٠٢٩} و فى (مجالس ثعلب): يقال: ان بنى فلان مثل بنات أوبر يظنّ ان فيهم خيرا فاذا خبروا لم يكن فيهم خير. قال: و الواحد: ابن أوبر.^{١٠٣٠}

^{١٠٢٦} (١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٨١.

^{١٠٢٧} (٢) شرح نهج البلاغة: ٢٠: ٨١.

^{١٠٢٨} (٣) الكامل للمبرّد ١: ١٨٣.

^{١٠٢٩} (٤) الأغاني لأبي الفرج ١٢: ٢٣٣.

^{١٠٣٠} (٥) المجالس لثعلب: ٣٠٢.

«قال الرضى» هكذا فى (المصرية) ١٠٣١، و ليس من النهج بدليل خلو النسخة الخطية عنه بل و (ابن ميثم) أيضا ١٠٣٢.

ص: ٤٤٦

«و من الناس من يروى هذا للرسول» قلت: و منهم من يرويه لأبى الدرداء كابن قتيبة ١٠٣٢ و الجوهرى ١٠٣٤، قال الثانى: و اما قول أبى الدرداء «وجدت الناس أخير تقلهم» فيريد أنك اذا أخبرتهم قليتهم. و فى (أمثال العسكرى):

و المثل لأبى الدرداء فيما زعم بعضهم، و روى عن النبىّ صلى الله عليه و آله أيضا ١٠٣٥.

و الصواب ما حقّه المصنف، فان المأمون كان أعرف. و تكلم أبى الدرداء بما نقل عنه (الصحيح) لا يدلّ على كونه الأصل فى هذا، فاذا ثبت عنه عليه السلام كان هو الأصل و يكون أبو الدرداء كالتمثيل بكلامه عليه السلام كما هو شأن المتمثلين بالأمثال.

و روى (الروضة) عن الصادق عليه السلام قال: خالط الناس تخبرهم، و متى تخبرهم تقلهم ١٠٣٦.

هذا، و فى (ابن أبى الحديد) ١٠٣٧ يدل ما فى (المصرية) ١٠٣٨ – للرسول :-

«لرسول الله» كما ان فى (ابن ميثم) «للنبى» ١٠٣٩.

«و مما يقوى أنه من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ما حكاه ثعلب» هو أبو العباس أحمد بن يحيى، قال فى (المعجم): و لد سنة مائتين و توفى سنة (٢٩١) و كان رأى أحد عشر خليفة أولهم المأمون و آخرهم المكتفى، و كان سبب وفاته أنه انصرف من الجامع و بيده دفتر ينظر فيه و قد شغله عمّا سواه، فصدمته دابة

ص: ٤٤٧

فسقط على رأسه فى هوّة من الطريق أخذ ترايبها فلم يقدر على القيام فحمل إلى منزله فمات.

قال ثعلب: حفظت كتب الفراء ولى (٢٥) سنة، و لما أتقنت النحو أكببت على الشعر و المعانى و الغريب و لزممت ابن الاعرابى بضع عشرة سنة ١٠٤٠.

١٠٣١ (٦) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).
١٠٣٢ (٧) الخطية: ٣٢٨، لا وجود للعبارة أما ابن ميثم (شرح نهج البلاغة) ٥: ٤٥٢ فقد وردت العبارة.
١٠٣٣ (١) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١.
١٠٣٤ (٢) الجوهرى الصحاح ٢: ٦٤٢ مادة (خير).
١٠٣٥ (٣) الأمثال للعسكري: ٦٩.
١٠٣٦ (٤) الروضة للكافي ٨: ١٧٦ ح ١٩٦.
١٠٣٧ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠).
١٠٣٨ (٦) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).
١٠٣٩ (٧) فى شرح ابن ميثم للرسول ٦: ٤٥٢.
١٠٤٠ (١) معجم الادباء ٥: ١٠٤ - ١٠٥.

«عن ابن الاعرابي» هكذا في (المصرية)^{١٠٤١} و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) قال: حدّثنا ابن الاعرابي. و ابن الاعرابي هو محمد بن زياد، قال ثعلب:

انتهى علم اللغة و الحفظ إليه، و كان يزعم ان الأصمعي و أبا عبيدة لا يحسنان قليلا و لا كثيرا، توفي في خلافة الواثق.

«قال المأمون» هكذا في (المصرية)^{١٠٤٢} و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و النسخة الخطية): «قال المأمون»^{١٠٤٣}.

في (الأغاني): كان ابراهيم بن المهدي شديد الانحراف عن عليّ عليه السلام فحدث يوما للمأمون أنّه رأى عليّا في النوم فقال له: من أنت؟ فأخبره أنّه علي بن أبي طالب فمشينا حتى جئنا قنطرة، فذهب يتقدّمني لعبورها، فأمسكته و قلت له: إنّما أنت رجل تدعى هذا الأمر بامرأه، و نحن أحقّ به منك، فما رأيت له في الجواب بلاغة كما يوصف عنه. فقال له المأمون: و أى شيء قال لك؟

فقال: ما زادني على ان قال: «سلاما سلاما» فقال له المأمون: قد و الله أجابك أبلغ جواب. قال: و كيف؟ قال: عرفك أنّك جاهل لا يجاوب مثلك، قال تعالى

ص: ٤٤٨

«وَ إِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا»^{١٠٤٤} فخرج ابراهيم و قال: ليتني لم أحدّثك بهذا الحديث^{١٠٤٥}.

و في (المروج): كان المأمون يظهر التشيع و ابراهيم بن المهدي التسنن، فقال المأمون:

إذا المرجى سرّك أن تراه يموت لحينه من قبل موته

فجدّد عنده ذكرى عليّ و صلّ على النبيّ و آل بيته

فقال ابراهيم:

إذا الشيعي جمجم في مقال فسرّك أن ييوح بذات نفسه

فصلّ على النبيّ و صاحبيه وزيريه و جاريه برمسه

^{١٠٤١} (٢) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).
^{١٠٤٢} (٣) الطبعة المصرية: ٧٥٨ الحكمة (٤٢٠).
^{١٠٤٣} (٤) ابن أبي الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠)، نسخة ابن ميثم: ٥- ٤٥٢ «قال المأمون» أمّا في الخطية: ٣٢٨ فقد وردت عبارة «قال قال».
^{١٠٤٤} (١) الفرقان: ٦٣.
^{١٠٤٥} (٢) الأغاني ١٠: ١٢٦.

و ذكروا ان المأمون أمر بإشخاص سليمان بن محمد الخطابي من البصرة، فلما مثل بين يديه قال له: أنت القائل: العراق عين الدنيا، و البصرة عين العراق و المريد عين البصرة، و مسجدى عين المريد، و أنا عين مسجدى.

و أنت أعور فاذن عين الدنيا عوراء. قال: لم أقل ذلك و ما أظن أحضرتنى لذلك.

قال: بلغنى أنك أصبحت فوجدت على سارية من سواري مسجدك «رحم الله علياً أنه كان تقياً» مرت بمحوه. قال: كان «لقد كان نبياً» فأمرت بإزالته. فقال له المأمون: كذبت كانت القاف أصح من عينك الصحيحة، و الله لو لا ان أقيم لك سوقا عند العامة لأحسنت تأديبك^{١٠٤٦}.

و فى (غيبه الشيخ): عن محمد بن عبد الله بن الأفضس قال: كنت عند المأمون فصرف ندماءه و احتبسنى، ثم أخرج جواريه و ضربن و تغنين، فقال

ص: ٤٤٩

لبعضهنّ: لما رثيت من بطوس قطنا. فأنشأت تقول:

من عتره المصطفى أبقى لنا حزنا

سقىا لطوس و من أضحى بها قطنا

حقاً على كلّ من أضحى بها شجنا

أعنى أبا حسن المأمون ان له

فجعل يبكى حتى أبكاني، ثم قال: ويلك أ يلمزنى أهل بيتى و أهل بيتك ان أنصب أبا الحسن علماً - إلى أن قال - قال و الله لأحدثنك بحديث عجيب فاكتمه:

لما حملت زاهريه بيدر أتيته فقلت له: جعلت فداك بلغنى ان موسى بن جعفر و جعفر بن محمد و محمد بن على و على بن الحسين و الحسين بن على عليهم السلام كانوا يزجرون الطير و لا يخطئون، و أنت وصى القوم و عندك علم ما كان عندهم و زاهريه حظيتى و قد حملت غير مرّة كل ذلك تسقط. فقال عليه السلام: لا تخش من سقطها فستسلم و تلد غلاما صحيحا أشبه الناس بأمه قد زاد الله فى يده اليمنى خنصرا و فى رجله اليمنى خنصرا - إلى أن قال - فما شعرت إلّا بالقيمه و قد أتتنى بالغلام - كما وصفه - زائد اليد و الرجل كأنه كوكب درى، فأردت أن أخرج من الأمر يومئذ و أسلم ما فى يدي إليه، فلم تطاوعنى نفسى لكن دفعت إليه الخاتم فقلت: دبر الأمر فليس عليك منى خلاف^{١٠٤٧}.

^{١٠٤٦} (٣) المروج ٣: ٤١٧.
^{١٠٤٧} (١) الغيبة للشيخ: ٧٤.

و فى (العقد): قال الجاحظ: قال سهل بن هارون: لقد كانت البرامكة مع تهذيب أخلاقهم و كريم أعراقهم و سعة آفاقهم و رونق سياقتهم و معسول مذاقتهم و بهاء أشراقهم و نقاوة أعراضهم و تهذيب أغراضهم و اكتمال الخير فيهم فى جنب محاسن المأمون كالنقطة فى البحر و الخردلة فى المهمة القفر^{١٠٤٨}.

ص: ٤٥٠

«لو لا أنّ عليّا عليه السلام قال: اخبر تقله لقلت أقله تخبر» قال ابن أبى الحديد ليس مراده بقوله «أقله» حقيقة القلى و البغض بل الهجر و القطيعة، أى: قاطع أخاك محربا له هل يبقى على عهدك^{١٠٤٩}.

و من كلام عتبة بن أبى سفيان: طيروا الدّم فى وجوه الشّبّان، فان حلموا و أحسنوا الجواب فهم هم و إلّا فلا تطمعوا فيهم. أى: اغضبوهم لأن الغضب يحمر وجهه.

قلت: فعلى ما قاله يكون معنى «أقله» أخبره فيرجع إلى الأول، فلم عكس فلا بد أنّه أراد بقوله «أقله» القلى حقيقة، و ذلك لأن من لم يكن قاليا لا يرى عيبا حتى يصير مختبرا، فمر قول عبد الله بن معاوية:

و عين الرضا عن كلّ عيب كليله و لكن عين السخط تبدى المساويا

و عن مخارق: أنشدت المأمون قول أبى العتاهية:

و انى لمحتاج إلى ظلّ صاحب يروق و يصفون كدرت عليه

^{١٠٥٠} فقال لى: أعد. فأعدت سبع مرّات فقال: يا مخارق خذ منى الخلافة و اعطنى هذا الصاحب.

هذا، و فى (كامل المبرد): يروى ان بلال بن أبى بردة بن أبى موسى وفد على عمر بن عبد العزيز بخصاصه فسدك بسارية من المسجد فجعل يصلى إليها و يديم الصلاة، فقال عمر للعلاء بن المغيرة: ان يكن سرّ هذا كعلانيته فهو رجل أهل العراق غير مدافع. فقال العلاء: أنا آتيك بخبره. فأتاه و هو يصلى بين المغرب و العشاء، فقال: اشفع صلاتك فان لى إليك حاجة ففعل، فقال له العلاء: قد عرفت حالى من الخليفة، فان أنا أشرت بك على ولاية العراق فما

ص: ٤٥١

^{١٠٤٨} (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٥: ٥٨. أورد عبارة «الرشيد» بدلا من المأمون و عبارة «المأمون» وردت فى الإمامة و السياسة لابن قتيبة و فى بعض الاصول.

^{١٠٤٩} (١) شرح ابن أبى الحديد ٢٠: ٨٠ الحكمة (٤٤٠).

^{١٠٥٠} (٢) ديوان أبى العتاهية: ٤٦٤ فى الصديق الصادق.

تجعل لي؟ قال عمالتي سنة- و العمالة بالضم أجره العامل - و كان مبلغها عشرين ألف ألف درهم. قال: فاكتب لي بذلك. فأسرع إلى منزله و كتب له بذلك.

فأتى عمر بالكتاب، فلما رآه كتب إلى و إلى الكوفة: ان بلالا غرنا بالله فكدنا نغتر، فسبكناه فوجدناه خبنا كله، و لا تستعن على عملك بأحد من آل أبي موسى^{١٠٥١}.

١٤

الحكمة (٣٩٣) و قال عليه السلام:

لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ - فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَ يَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ أَقُولُ: فِي (الكافي) عنه عليه السلام إذا صعد المنبر قال: ينبغي للمسلم ان يجتنب مواخاة الثلاثة: الماجن و الأحمق و الكذاب، فأما الماجن فيزين لك فعله و يحب أن تكون مثله و لا يعينك على أمر دينك و معادك، و مدخله و مخرجه عليك عار، و أما الأحمق فإنه لا يشير عليك بخير و لا يرجي لصرف السوء عنك، و لو أجهد نفسه، و ربما أراد منفعتك فضررك، فموته خير من حياته، و سكوته خير من نطقه، و بعده خير من قربه، و أما الكذاب فإنه لا يهنيك معه عيش، ينقل إليك الحديث و ينقل حديثك حتى أنه يحدث بالصدق فلا يصدق و يغري بين الناس بالعداوة...^{١٠٥٢}.

و في خبر آخر عنه عليه السلام: لا عليك أن تصحب ذا العقل و ان لم تحمد كرمه، و لكن انتفع بعقله و احترس من سيئ أخلاقه، و لا تدعن صحبة الكريم فان لم تنتفع بعقله، و لكن انتفع بكرمه بعقلك و افرر الفرار كله

ص: ٤٥٢

من اللئيم الأحمق^{١٠٥٣}.

هذا، و نقل الكراجكي في (كنزه) عنه عليه السلام في الأصدقاء غير ما نقله المصنف فقرات منها: الناس اخوان، فمن كانت اخوته في غير ذات الله فهي عداوة، و ذلك قوله عز و جل: «الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ»^{١٠٥٤}، ابذل لصديقك كل المودة و لا تبذل له كل الطمأنينة، و اعطه كل المواساة و لا تنفض إليه بكل الأسرار، توفي الحكمة حقها و الصديق واجبه، احتمل زلة وليك لوقت و ثبة عدوك، من وعط أخاه سراً فقد زانه و من وعظه علانية فقد شانه، من كرم المرء بكاؤه على ما مضى من زمانه و حنينه إلى أوطانه و حفظه قديم اخوانه. اذا كان للمخالطة موضعا لا تكثرن العتاب فإنه يورث الضغينة و يجر إلى البغيضة^{١٠٥٥}.

^{١٠٥١} (١) الكامل للمبرد ١: ٣٩٠.

^{١٠٥٢} (٢) الكافي ٢: ٣٧٦ ح ٦.

^{١٠٥٣} (١) الكافي ٢: ٣٧٥ ح ٥.

^{١٠٥٤} (٢) الزخرف: ٦٧.

^{١٠٥٥} (٣) الكنز، للكراجكي: ٩٣ - ٩٤.

و عن (التحفة) عنه عليه السلام: ابذل لأخيک مالک و دمک، و لعدوک عدلک و إنصافک، و للعامة بشرک و احسانک، تسلم على الناس و یسلموا علیک^{١٠٥٦}.

هذا، و قال عبد الله بن طاهر:

أمیل مع الذمام على ابن عمی
و ان الفیتنی ملکا مطاعا
و آخذ للصديق من الشفيق
فأنک واجدى عبد الصديق

١٠٥٧

ص: ٤٥٣

الفصل السابع و الاربعون فی التعازی و التهانی

ص: ٤٥٥

١

الحكمة (٢٩١) و قال عليه السلام و قد عزى الأشعث عن ابن له:

يَا؟ أَشْعَثُ؟ إِنْ تَحْزَنُ عَلَى ابْنِكَ - فَقَدْ اسْتَحَقَّتْ مِنْكَ ذَلِكَ الرَّحْمُ - وَ إِنْ تَصْبِرُ فِي اللَّهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ - يَا؟ أَشْعَثُ؟ إِنْ صَبَرْتَ - جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْجُورٌ - وَ إِنْ جَزَعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَ أَنْتَ مَأْزُورٌ - يَا؟ أَشْعَثُ؟ ابْنُكَ سَرَكٌ وَ هُوَ بَلَاءٌ وَ فِتْنَةٌ - وَ حَزَنُكَ وَ هُوَ ثَوَابٌ وَ رَحْمَةٌ أَقُولُ: قول المصنف: «و قد عزى الأشعث عن ابن له» أما روى الكليني الكليني - الكافي - ج ٣ ص ٢٦١ ح ١٠٥٨٤٠ و ابن أبي شعبة ابن أبي شعبة الحراني - تحفة العقول - ص ١٤٥ أنه عليه السلام عزاه عن أخ له بهذا الكلام بدون فقرة «سرك...»، و بدون كلمة «على ابنك»، ففي (الكافي): علي بن محمد عن صالح بن أبي حماد رفعه قال: جاء أمير المؤمنين عليه السلام إلى الأشعث يعزيه بأخ له يقال له عبد الرحمن، فقال له: ان جزعت فحقّ الرحم أتيت، و ان صبرت فحقّ الله

ص: ٤٥٦

^{١٠٥٦} (٤) التحفة: ٢١٢.

^{١٠٥٧} (٥) الأغاني ١٢: ١١٠.

^{١٠٥٨} (١) الكافي ٣: ٢٦١ ح ٤٠ و التحفة لابن أبي شعبة الحراني: ١٤٥.

أديت، على أنك ان صبرت جرى عليك القضاء و أنت محمود و ان جزعت جرى عليك القضاء و أنت مذموم. فقال له الأشعث: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ». فقال عليه السلام له: أ تدرى ما تأويلها؟ قال: لا، أنت غاية العلم و منتهاه. فقال عليه السلام: اما قولك^{١٠٥٩} «إِنَّا لِلَّهِ» فأقرار منك بالملك، و اما قولك «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» فأقرار منك بالهلك.

و مثله الثانى فى (تحفه)^{١٠٦٠}، و رواه المبرد فى (كامله المبرد- الكامل- ج ٣ ص ١١٧٤) من قوله «ان صبرت- إلى- و أنت مأزور»^{١٠٦١}.

و كيف كان، فالتعزية مندوب إليها، ففى الخبر: قال داود عليه السلام: إلهى ما جزاء من يعزى الحزين و المصاب ابتغاء مرضاتك؟ قال: أن أكسوه رداء من أردية الايمان أستره به من النار و أدخله به الجنة^{١٠٦٢}.

و فى الخبر: قال موسى عليه السلام: يا رب ما لمن عزى التكللى؟ قال: أظله فى ظلى يوم لا ظل إلا ظلى^{١٠٦٣}.

أيضا قال النبى صلى الله عليه و آله: من عزى مصابا كان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجر المصاب شىء^{١٠٦٤}.

هذا، و روى الخطيب فى محمد بن بشر البغدادى ان النبى صلى الله عليه و آله عزى معاذ بن جبل- و هو وال باليمن- عن ابن له، فكتب إليه: أعظم الله لك الأجر و ألهمك الصبر و رزقك الصبر عند البلاء و الشكر عند الرخاء، أنفسنا و أموالنا

ص: ٤٥٧

و أهلونا من مواهب الله الهنيئة و عواريه المستودعة، يمتعنا بها إلى أجل معدود و يقضيها لوقت معلوم، و حقه علينا هناك اذا أبلانا الصبر، فعليك بتقوى الله و حسن العزاء، فان الحزن لا يرد ميتا و لا يؤخر أجلا، و ان الأسف لا يرد ما هو نازل بالعباد^{١٠٦٥}.

«يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحققت منك ذلك» هكذا فى (المصرية)^{١٠٦٦} و الصواب: «ذلك منك» كما فى (ابن أبى الحديد)^{١٠٦٧} و ابن ميثم و النسخة الخطيئة).

«الرحم» لشاعر:

^{١٠٥٩} (١) الكافي ٣: ٢٦١ ح ٢٠.
^{١٠٦٠} (٢) التحف: ١٤٥.
^{١٠٦١} (٣) الكامل للمبرد ٣: ١١٧٤.
^{١٠٦٢} (٤) بحار الأنوار ٨٣: ٩٥ ح ٤٦ الباب ١٦.
^{١٠٦٣} (٥) بحار الأنوار ٨٢: ١١٣، ح ٥٧ الباب ١٦.
^{١٠٦٤} (٦) الكافي ٣: ٢٠٥ ح ٢.
^{١٠٦٥} (١) الخطيب ٢: ٨٩.
^{١٠٦٦} (٢) فى الطبعة المصححة «ذلك منك»: ٧٢٧ الحكمة (٢٩٣).
^{١٠٦٧} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٩: ١٩٢، وردت عبارة «منك ذلك» فى شرح ابن ميثم ٥: ٣٩١ ح ٢٧٥ أما النسخة الخطية فقد سقط النص منها.

و سميته يحيى ليحيا و لم يكن

إلى رد أمر الله فيه سبيل

تيمنت فيه الفال حين رزقته

و لم أدر ان الفال فيه يفيل

١٠٦٨ في (الجزري) في وقائع سنة (٦١٢): توفي ولد الخليفة - وكان يلقب الملك المعظم - و حزن عليه الخليفة حزنا لم يسمع بمثله حتى أنه أرسل إلى أطراف الأصحاب ينهاتهم عن إنفاذ رسول إليه يعزيه بولده، و لم يقرأ كتابا و لا سمع رسالة و انقطع و خلا بهوموم و أحزانه، و روى عليه من الحزن و الجزع ما لم يسمع بمثله، و مشى جميع الناس بين يدي التابوت إلى تربة جدته عند قبر معروف الكرخي، و لما أدخل التابوت اغلقت الأبواب و سمع الصراخ العظيم من داخل التربة، فقل ان ذلك صوت الخليفة، و اما العامة ببغداد فأنهم وجدوا عليه وجدا شديدا، و دامت المناجاة عليه في أقطار بغداد ليلا و نهارا، و لم يبق

ص: ٤٥٨

ببغداد محلة إلّا و فيها النوح، و لم تبق المرأة إلّا و أظهرت الحزن^{١٠٦٩}.

و عن الزبير بن بكار: ان ابن الزبير خطب بعد قتل المصعب أخيه: أتانا من العراق خبر أحزننا و أفرحنا، فأما الذي أحزننا فإن لفراق الحميم لدعة يجدها حميمه عند المصيبة^{١٠٧٠}.

«و ان تصبر ففى الله» أى: فى ثوابه «من كل مصيبة خلف».

قال الجاحظ: كان علىّ عليه السلام اذا عزى قوما قال: ان تجزعوا فأهل ذلك الرحم، و ان تصبروا ففى ثواب الله عوض من كل فائت، و ان أعظم مصيبة أصيب بها المسلمون محمد صلى الله عليه و آله.

و قال سهل بن هارون: التهنة بأجل الثواب أولى من التعزية على عاجل المصيبة.

«يا أشعث ان صبرت جرى عليك القدر و أنت مأجور».

خطوب المنايا صرحت عن مواهب

مواهب أجر من نتاج المصائب

روى ان داود عليه السلام مات له ولد فحزن عليه، فأوحى إليه: ما كان يعدل هذا الولد عندك؟ قال: ملء الأرض ذهباً. قال تعالى فلك عندى ملء الأرض ثوابا^{١٠٧١}.

^{١٠٦٨} (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٩٤.

^{١٠٦٩} (١) الكامل للجزري ١٢: ٣٠٨.

^{١٠٧٠} (٢) الموفقيات: ٥٤٠.

^{١٠٧١} (٣) بحار الأنوار ٨٢: ١٢١ ح ١٤ ب ١٧.

«وإن جزعت جرى عليك القضاء و أنت مأزور» ماضى مأزور «وزر» من باب علم و حسب و شرف، و أصله موزور، و أنما قيل مأزور فى قبال مأجور و لو أفرد عنه يقال موزور.

ص: ٤٥٩

و فى (المعجم): عن الصولى قال: لما مات غلام أبى الجهم - من عمّال ابن الزيات - خاطب ملك الموت و قال:

تركت عبيد بنى طاهر و قد ملأوا الأرض عرضا و طولا

و أقبلت تسعى إلى واحدى ضارا كأنى قتلت الرسولا

فسوف ادين بترك الصلاة و اصطبح الخمر صرفا شمولا

^{١٠٧٢} و قالوا: كان رجل من عاد مسمى بحمار، فمات أولاد له بصاعقة فكفر كفرا عظيما، فلا يمر بأرضه أحد إلّا دعاه إلى الكفر، فان أجابه و إلّا قتله، و به يضرب المثل فى قولهم «أكفر من حمار».

و قيل: المصيبة واحدة إن صبرت، و إلّا فمصيبتان، و المصيبة بالأجر أعظم من المصيبة بالآخر.

ان يكن ما أصبت به جليلا فذهاب العزاء فيه أجلّ

كل آت لا شك آت و ذوال جهل معنى و الهم و الحزن فضل

و لما مات ابنا الفرزدق قال:

فما ابنك إلّا من بنى الناس فاصبرى فلن يرجع الموتى حنين المآتم

و فى (الجزرى): مات ابن للسلطان ملك شاه فى سنة (٤٧٤) فجزع عليه جزعا شديدا و حزن عليه حزنا عظيما و منع من أخذه و غسله حتى تغيّرت رائحته و أراد قتل نفسه مرّات ^{١٠٧٣}.

«يا أشعث ابنك» هكذا فى (المصرية) ^{١٠٧٤} و لكن كلمة «ابنك» زائدة قطعاً لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب)، و أما «يا أشعث» فإنما

^{١٠٧٢} (١) المعجم ١: ١٦٩.

^{١٠٧٣} (٢) الكامل فى التاريخ لبن الاثير ١٠: ١٢٢.

^{١٠٧٤} (٣) الطبعة المصححة لا وجود لها: ٧٢٧.

ص: ٤٦٠

هى فى الأول^{١٠٧٥}.

«سرّك و هو بلاء و فتنة» «إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ»*^{١٠٧٦}.

«و حزنك و هو ثواب و رحمة» عزى رجل الهادى بن المهدي العباسى عن ابن له فقال:

كان لك من زينة الحياة الدّنيا
و هو اليوم من الباقيات الصالحات

و قال الطائي:

عليك بثوب الصبر إذ فيه ملبس
فإن ابنك المحمود بعد ابنك الصبر

و فى (الطبرى): قدم المهدي البصرة فمر فى سكة قريش - و كانوا يتشأمون بها - و صاحب شرطته أمامه و ابنته البانوقة بينه و بين صاحب الشرطة فى هيئة الفتيان عليها قباء أسود و منطقة و شاشة متقلدة السيف و كان ثدياها قد رفعها القباء، ثم ماتت ببغداد فأظهر عليها المهدي جزعا لم يسمع بمثله، فجلس للناس يعزونه، فأكثر الناس و أجمعوا على أنّهم لم يسمعوا تعزية أو جز و أبلغ من تعزية شبيب ابن شيبه، فقال له: الله خير لها منك، و ثواب الله خير لك منها، و أنا أسأل ألا يحزنك و لا يفتنك^{١٠٧٧}.

و روى (الاستيعاب) عن ابراهيم بن الأستر عن أبيه عن أم ذر زوجة أبي ذر قالت: بكيت. فقال أبو ذر: ما يبكيك؟ فقلت: ما لى لا أبكى و أنت تموت بفلاة - إلى أن قال - فقال: فابشرى و لا تبكى، فأنى سمعت النّبي صلّى الله عليه و آله يقول: لا يموت بين امرئين مسلمين ولدان أو ثلاثة فيصبران و يحتسبان فيريان النار أبدا، و قد مات لنا ثلاثة من الولد - ...^{١٠٧٨}.

ص: ٤٦١

و فى (كامل المبرد): قالت الخنساء ترثى أخاها معاوية بن عمرو من أبيها و أمّها:

أريقى من دموعك و استفيقى
و صبرا ان أطق و لن تطيقى

إلى أن قالت:

^{١٠٧٥} (١) شرح نهج البلغة لابن ميثم ٥: ٣٩١ ح ٧٥.

^{١٠٧٦} (٢) التّغاين: ١٥.

^{١٠٧٧} (٣) تاريخ الطبري الاستيعاب ٦: ١٦٩.

^{١٠٧٨} (٤) ١: ٢٥٣ - ٢٥٤.

فلا والله لا تسلاك نفسى

لفاحشة أتيت ولا عقوق

ولكنى رأيت الصبر خيرا

من النعلين والرأس الحليق

وقال فى معنى البيت الأخير: ان المرأة اذا كانت أصيبت بحميم جعلت فى يديها نعلين تصفق بهما صدرها و وجهها^{١٠٧٩}.

و نظرت أعرابية إلى امرأة حولها عشرة من بنيتها كأنهم الصقور، فقالت: لقد ولدت لكم حزنا طويلا.

وقيل لأعرابية مات ابنها: ما أحسن عزاءك. فقالت: ان فقدى إياه آمننى من المصيبة بعده^{١٠٨٠}.

هذا، و قيل لأعرابى: كيف حزتك اليوم على ولدك؟ فقال: ما ترك حب الغداء والعشاء لى حزنا.

٢

الحكمة (٤١٣) و قال عليه السلام:

مَنْ صَبَرَ صَبَرَ الْأَحْرَارَ وَالْأَسْلَافَ سُلُو الْأَغْمَارَ - وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ ع - قَالَ؟ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ؟ مُعْزِيًا إِنْ صَبَرْتَ صَبَرَ الْأَكَارِمَ -
وَالْأَسْلَافَ سُلُو الْبَهَائِمَ

ص: ٤٦٢

«من صبر صبر الأحرار و إلّا سلا سلو الأغمار».

الأصل فى سلا «سلا سلوا» مثل قعد قعودا، و أما «سلى سليا» فلغة. قال أبو زيد: السلو: طيب نفس الألف عن ألفه، كما أنّ الأصل فى العمر الصبى الذى لا عقل له، و يقال لكلّ من لا خير فيه و لا غناء عنده.

و فى (المروج): اعتلت حباة مغنية يزيد بن عبد الملك و كانت ذات يوم غنته فطرب طربا ثم قال: أريد أن أطير.

فقال: فعلى من تدع الامة؟ قال: إليك. و أقام أياما لا يظهر للناس، ثم ماتت فأقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت، فقيل: ان الناس يتحدثون بجزعك و ان الخلافة تجلّ عن ذلك، فدفنها و أقام على قبرها فقال:

فان تسل عنك النفس أو تدع الهوى

فبالأأس تسلو النفس لا بالتجلّد

^{١٠٧٩} (١) الكامل للمبرّد ٣: ١٢١٧.

^{١٠٨٠} (٢) نهاية الارب ٥: ١٦٤.

و قالوا أيضا: لماً توفيت أكْبَ عليها يتشممها أياما حتى أنتنت - إلى أن قال - و طعن في جنازتها فدفنوه إلى سبعة عشر يوما^{١٠٨١}.

«و في خبر آخر أنه قال للأشعث بن قيس معزيا: إن صبرت صبر الأكارم و إلّا سلوت سلو البهائم»^{١٠٨٢}.

قال ابن أبي الحديد: حكاه أبو تمام فقال:

و قال على في التعازي لأشعث

و خاف عليه بعض تلك المآثم

أتصبر للبلوى عزاء و حسبة

فتوَجُر أم تسلو سلو البهائم

^{١٠٨٣} قلت: و قد أخذه آخر فقال:

إذا أنت لم تسل اضطبارا و حسبة

سلوت على الأيام مثل البهائم

ص: ٤٦٣

و في خبر آخر رواه المبرّد في (كامله): كان على عليه السلام يقول عند التعزية:

«عليكم بالصبر فإنّ به يأخذ الحازم و إليه يعود الجازع»^{١٠٨٤} و في خبر آخر رواه ابن أبي شعبة في (تحفه) أنّه عليه السلام عزّى ابن عباس عن مولود صغير له مات فقال: لمصيبة في غيرك لك أجرها أحبّ إلىّ من مصيبة فيك لغيرك ثوابها، فكان لك الأجر لا بك و حسن لك العزاء لا عنك و عوضك الله عنه مثل الذي عوضه منك^{١٠٨٥}.

و في (تنبيه القالي) عن حذيفة: ما خلق الله تعالى شيئا إلّا صغيرا ثم يكبر إلّا المصيبة فإنّه خلقها كبيرة ثم تصغر^{١٠٨٦}.

و في (الأغاني): كثر بكاء غيلان بن سلمة الثقفي على ابنه نافع لما قتل مع خالد بن الوليد بدومة الجندل، فعوتب في ذلك فقال: و الله لا تسمح عيني بمائها فأضنّ به على نافع، فلما تطاول العهد انقطع ذلك فقال: بلى نافع و بلى الجزع و فنيّت الدموع و اللحاق به قريب^{١٠٨٧}.

هذا، و في (كامل المبرّد): قال ابن عياش: نزلت بي مصيبة أو جعنتني فذكرت قول ذي الرمة:

^{١٠٨١} (١) المروج ٣: ١٩٨.

^{١٠٨٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٥٠.

^{١٠٨٣} (٣) المصدر نفسه ٢٠: ٥٠.

^{١٠٨٤} (١) الكامل لأبي العباس المبرّد ٣: ١١٧٤.

^{١٠٨٥} (٢) تحف العقول لأبي شعبة: ١٤٥.

^{١٠٨٦} (٣) ذكره في النوادر و ليس في التنبيه: ١٩٦.

^{١٠٨٧} (٤) الأغاني ١٣: ٢٠٨.

لعل انحدار الدمع يعقب راحة

من الوجد أو يشفى نجي البلايل

فخلوت فيكيت فسلوت^{١٠٨٨}.

ص: ٤٦٤

٣

الحكمة (٤٤٨) و قال عليه السلام:

مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتِلَاءُ اللَّهِ بِكِبَارِهَا أَقُولُ: في (كامل المبرد): قال علي بن الحسين عليه السلام حين مات ابنه فلم ير منه جزع، فسئل عن ذلك فقال: أَمَرْنَا نَتَوَقَّعَهُ فَلَمَّا وَقَعَ لَمْ نَنْكَرْهُ^{١٠٨٩}.

و قيل: ان حارث بن عبد الله الباهلي كان له بنون سبعة حلب لهم في علبه فمَج فيها أفعى فبعث بها إليهم فشربوها فماتوا جميعا، و هلك لجار له شاء فجعل يعلن بالبكاء عليها، فقال قائل:

يبكى جهارا غير اسرار

يا أيها الباكي على شاته

ما لقي الحارث في الدار

ان الرزيئات و أمثالها

^{١٠٩٠} و قالوا: دخل كعب البقر الهاشمي على محمد بن عبد الله بن طاهر يعزيه بأخيه فقال: أعظم الله مصيبة الأمير. فقال: أما فيك فقد فعل^{١٠٩١}.

٤

الحكمة (١٨٩) و قال عليه السلام:

مَنْ لَمْ يُنْجِهِ الصَّبْرُ أَهْلَكَهُ الْجَزَعُ أَقُولُ: كما في يزيد بن عبد الملك في جاريته حباة أهلكه الجزع لما لم يصبر فمات بعدها بأيام^{١٠٩٢}.

ص: ٤٦٥

^{١٠٨٨} (٥) الكامل في الأدب ١: ٨٠.

^{١٠٨٩} (١) الكامل للمبرد ٣: ١٢٠٤.

^{١٠٩٠} (٢) الكامل للمبرد ٣: ١٢٠٤.

^{١٠٩١} (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٨: ١٦١.

^{١٠٩٢} (٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٠٩.

و روى (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: ان الصبر و البلاء يستبقان إلى المؤمن فيأتيه البلاء و هو صبور، و ان الجزع و البلاء يستبقان إلى الكافر فيأتيه البلاء و هو جزوع^{١٠٩٣}.

و عنه عليه السلام قال: لا تعدن مصيبة أعطيت عليها الصبر و استوجبت من الله تعالى عليها الثواب، إنما المصيبة التي يحرم صاحبها أجرها و ثوابها اذا لم يصبر عند نزولها^{١٠٩٤}.

هذا، و في (الحلية) مات للشبلي ابن كان اسمه غالبا فجزت امه شعرها عليه، و كان للشبلي لحية كبيرة فأمر بحلق الجميع، فقبل له: يا استاذ ما حملك على هذا؟ فقال: جزت هذه شعرها على مفقود فكيف لا أحلق لحيتي أنا على موجود^{١٠٩٥}.

قلت: و من العجب، هذا أحد معروفى مشايخ الصوفية و هذه أعماله، مع أنه نقل عن خير النساج قال: جاءنا الشبلي و هو سكران فنظرنا و لم يكلمنا، فانهجم على الجنيد فى بيته و هو جالس مع امرأته مكشوفة الرأس فهيمت أن تغطي رأسها فقال لها الجنيد: لا عليك ليس هو هناك. قال فصفق على رأس الجنيد و أنشأ يقول:

«عودونى الوصال و الوصال عذب»...

١٠٩٦

و قال: قال رجل: نراك جسيما بدينا و المحبة تضمنى. فأنشأ:

أحب قلبى و ما درى بدنى
و لو درى ما أقام فى السمن

١٠٩٧ و نقل ان أبا بكر بن مجاهد قال له: أخبرت أنك تحرق الثياب و الخبز

ص: ٤٦٦

و الأطعمة و ما ينتفع به الناس من منافعهم و مصالحهم، أين هذا من العلم و الشرع؟ فقال له: قول الله «فَطْفِقْ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ»^{١٠٩٨} أين هذا من العلم؟ فسكت ابن مجاهد و قال: كأنى لم أقرأها قط^{١٠٩٩}.

قلت: و كفاهما خزيا استدلالا و اقتناعا.

١٠٩٣ (١) الكافي ٣: ٢٢٣ ح ٣.

١٠٩٤ (٢) الكافي ٣: ٢٢٤ ح ٧.

١٠٩٥ (٣) الحلية ١٠: ٣٧٠.

١٠٩٦ (٤) الحلية ١٠: ٣٦٧.

١٠٩٧ (٥) الحلية ١٠: ٣٧١.

١٠٩٨ (١) ص ٣٣.

١٠٩٩ (٢) الحلية ١٠: ٣٧٤.

الحكمة (٣٥٧) وَ عَزَى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ:

إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأٌ - وَ لَا إِلَيْكُمْ أَنْتَهَى - وَ قَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا يُسَافِرُ فَعَدُوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ - فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَ إِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ» أَى: الموت الذى نزل بصاحبهم.

«ليس لكم بدأ» هكذا فى النسخ، و لكن الظاهر ان الأصل «ليس بكم بدأ».

«و لا إليكم انتهى» أخذ المعنى الفرزدق فقال لما مات ابنه مخاطبا لامرأته:

و قد رزى الأقوام قبلى بآبائهم و اخوانهم فاقنى حياء الكرائم

و مات أبى و المنذران كلاهما و عمرو بن كلثوم شهاب الأرقام

و قد كان مات الأقرعان و حاجب و عمرو أبو عمرو و قيس بن عاصم

و قد مات بسطام بن قيس بن خالد و مات أبو غسان شيخ اللهازم

و قد مات خيرا هم فلم يهلكاهم عشية بانا رهط كعب و حاتم

فما ابنك إلا من بنى الناس فاصبرى فلن يرجع الموتى حنين المآتم

١١٠٠

ص: ٤٦٧

و عَزَى رَجُلٌ آخَرَ فَقَالَ: وَ الْعَجَبُ كَيْفَ يَعَزَى مَيِّتٌ مَيِّتًا عَنْ مَيِّتٍ.

و فى (عيون الصدوق): نعى إلى الصادق عليه السلام اسماعيل بن جعفر و هو أكبر أولاده - و هو يريد أن يأكل و قد اجتمع ندماؤه - فتبسّم ثم دعا بطعامه و قعد معهم و جعل يأكل أحسن من أكله سائر الأيام و يحثّهم على الأكل و يضع بين أيديهم و يعجبون منه ألا يرون للحزن أثرا، فلما فرغوا قالوا: يا بن رسول الله لقد رأينا عجا، أصبت بمثل هذا الابن و أنت كما ترى. قال: و مالى لا أكون كما ترون و قد جاءنى خبر أصدق الصادقين أنّى مَيِّتٌ و إياكم، ان قوما عرفوا الموت فجعلوه نصب أعينهم لم ينكروا من يخطفه الموت منهم و سلموا لأمر خالفهم عزّ و جل^{١١٠١}.

^{١١٠٠} (٣) ديوان الفرزدق ٢: ٢٠٦.

^{١١٠١} (١) العيون للصدوق ٢: ٢، و نقله المجلسي في بحار الأنوار ٤٧: ١٨ ح ٧.

«و قد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه في بعض أسفاره» هكذا في (المصرية)^{١١٠٢} و الصواب: «سفراته» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١١٠٣}.

«فإن قدم عليكم و إلّا فأنتم قدمتم عليه» أخذ كلامه عليه السلام هذا الحجاج، فكتب إلى الوليد في جواب تعزيتة له بأخيه محمّد: ما التقيت أنا و محمد منذ كذا و كذا سنة إلّا عاما واحدا، و ما غاب عنّي غيبة، أنا لقرب اللقاء فيها أرجى من غيبته هذه في دار لا يفترق فيها.

و قال البحتري للذفافي في أخيه:

نودی كما أودی و نشرب كأسه المملأ و نسلک نهجه المسلوكا

^{١١٠٤} و قال أخو لبید:

ص: ٤٦٨

و انا و اخوان لنا قد تتابعوا لکالمغتدى و الرائح و المتهجر

و فی (أمالی القالی): قال رجل من محارب يعزّي ابن عم له على ولده:

و ان أخاک الکاره الورد وارد و أنّک مرأى من أخیک و مسمع

و أنّک لا تدري بأيّة بلدة صداک و لا عن أى جنبيک تصرع

أ تجزع ان نفس أتاها حمامها فهلا التی عن بین جنبيک تدفع

^{١١٠٥} و قالوا: مات ابن لسليمان بن على فجزع عليه جزعا شديدا حتى امتنع من الطعام و الشراب و جعل الناس يعزّونه فلا يحفل بذلك، فدخل عليه يحيى بن منصور فقال: عليكم نزل كتاب الله فأنتم أعلم بفرائضه، و منكم كان رسول الله صلى الله عليه و آله فأنتم أعلم بسنته، و لست ممّن يعلم من جهل و لا يقوّم من عوج، و لكن اعزّيک ببیت شعر. قال: هاته. قال:

و هون ما ألقى من الوجد أنّی اساکنه فی داره اليوم أو غد

^{١١٠٢} (٢) الطبعة المصرية المصححة: ٧٤٠ الحكمة (٣٥٧).

^{١١٠٣} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٤.

^{١١٠٤} (٤) ديوان البحتري ٢: ٩٠.

^{١١٠٥} (١) الأمالی للقالی: ١٠٥، ذیل الأمالی.

١١٠٦ قال: أعد فأعاد. فقال: يا غلام الغداء.

و قال ابن أبي الحديد قال ابراهيم بن المهدي في ولد له:

يُثوب إلى أو طانه كلّ غائب	و أحمد في الغياب ليس يثوب
تبدل دارا غير داري و جيرة	سواي و أحداث الزمان تنوب
أقام بها مستوطنا غير أنّه	على طول أيام المقام غريب
واني - و ان قدّمت قبلي - عالم	بأني - و إن أبطأت عنك - قريب
و ان صباحا نلتقي في مساءه	صباح إلى قلبي الغداة حبيب

١١٠٧ و قال وضّاح اليمن في رثاء أبيه و أخيه لما أتاها نعيهما:

ص: ٤٦٩

سأصبر للقضاء فكلّ حي	سيلقي سكرة الموت المذوق
فما الدّنيا بقائمة و فيها	من الأحياء ذو عين رموق
و للأحياء أيام تقضى	يلف ختامها سوقا بسوق
كذلك يبعثون و هم فرادي	ليوم فيه توفية الحقوق

١١٠٨ هذا و في (كامل المبرّد): قال رجل من أصحابنا: شهدت رجلا في طريق مكّة معتكفا على قبر و هو يردّد شيئا و دموعه تكفّ من لحيته، فدنوت لأسمع ما يقول، فجعلت العبرة تحول بينه و بين الإبانة، فقلت له: يا هذا. فرفع رأسه إليّ و كأنما هب من رقده فقال: ما تشاء. فقلت: أعلى أيبك تبكي؟ قال: لا. قلت.

فعلى ابنك؟ قال: لا، و لا على نسيب و لا صديق و لكن على من هو أخصّ منهم.

قلت: أو يكون أحد أخص ممّن ذكرت؟ قال: نعم من أخبرك عنه، ان هذا المدفون كان عدواً لي من كلّ باب، يسعى علىّ في نفسي و في مالي و في ولدي، فخرج إلى الصيد أياّس ما كنت من عطبه و أكمل ما كان من صحته، فرمى ظبيّا فأفصده فذهب

١١٠٦ (٢) البيان و التبيين للجاحظ ٣: ٩٧.

١١٠٧ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٤.

١١٠٨ (١) الأغاني ٦: ٢٢٩.

ليأخذه فإذا هو قد أنفذه حتى نجم سهمه من صفحة الظبي، فعثر فتلقى بفؤاده ظبئ السهم فلحقه أولياؤه فانتزعوا السهم و هو و
الظبي ميتان، فنمى إلى خبره فأسرعت إلى قبره مغتبطا بفقده، فأنى لضاحك السن إذ وقعت عيني على صخرة فرأيت عليها
كتابا فهلم فاقراه- و أو ما إلى الصخرة- فاذا عليها:

و ما نحن إلّا مثلهم غير اننا أقمنا قليلا بعدهم و تقدّموا

قلت: اشهد أنك تبكى على من بكأوك عليه أحقّ من النسيب^{١١٠٩}.

قلت: لأنّه بكاء على نفسه و لا أعزّ من نفسه.

ص: ٤٧٠

هذا، و قالوا: مات ابن لصالح بن عبد القدوس المرمي بالزندقة، فجزع عليه فقال له أبو الهذيل: لا أعرف لحزنك وجها اذا كان
الناس عندك كالزرع.

قال: انما أتوجع عليه لأنّه لم يقرأ كتاب الشكوك. قال: ما هو؟ قال: كتاب وضعته من قرأه يشكّ فيما كان حتى يتوهم أنّه لم
يكن، و فيما لم يكن حتى يتوهم أنّه قد كان. فقال له أبو الهذيل: فشك أنت في موت ابنك و اعمل على أنّه لم يمّت و ان كان
قد مات، و شك أيضا في أنّه قد قرأ كتاب الشكوك و ان كان لم يقرأه.

هذا، و له عليه السلام كلام آخر لم ينقله المصنّف ذكره المبرّد في (كامله) فقال في باب اختصار الخطب: كان على بن أبي طالب
عليه السلام يقول عند التعزية:

«عليكم بالصبر فانّ به يأخذ الحازم و إليه يعود الجازع»^{١١١٠}.

٤

الحكمة (٣٥٤) وَ هُنَّا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بَغْلَامٌ وَلَدَ لَهُ- فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِكَ الْفَارِسُ- فَقَالَ ع لَا تَقُلْ ذَلِكَ- وَ لَكِنْ قُلْ شَكَرْتُ
الْوَاهِبَ- وَ بُورِكَ لَكَ فِي الْمُؤْهُوبِ- وَ بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ رُزِقَتْ بِهِ قَوْلُ الْمَصْنَفِ: «و هُنَّا بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا فَقَالَ لِيَهْنِكَ
الْفَارِسُ» في (عيون القتيبي): قال الناجي: كنت عند الحسن البصري فقال رجل: ليهنك الفارس. فقال الحسن: لعلّه يكون
بغلا^{١١١١}.

«فقال عليه السلام لا تقل ذلك». و كما نهى عن «ليهنك الفارس» في الولادة نهى

^{١١٠٩} (٢) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٥٥.

^{١١١٠} (١) الكامل للمبرّد ٣: ١١٧٤، مرّ في صفحة ١٢١.

^{١١١١} (٢) العيون للقتبي ٣: ٦٨.

ص: ٤٧١

عن «بالرفاء و البنين» فى التزويج، ففى (تاريخ بغداد): قدم عقيل البصرة فتزوج امرأة فقالوا: بالرفاء و البنين. فقال: لا تقولوا ذلك، فإن النبى صلى الله عليه و آله نهانا عن ذلك و أمرنا أن نقول: «بارك الله لك و بارك عليك»^{١١٢}.

هذا و فى (فتوح البلاذرى): دمون الذى تزوج أبو موسى الأشعرى ابنته فولدت له أبا بردة خطبة بالبصرة و فيه قالوا: الرفاء و البنون و خبز و كمون فى بيت الدمون^{١١٣}.

و قالوا: فارق شقيق بن مسليل امرأة و قال لها:

إذا ما فعلت و لا بالبنينا

فأما نكحت فلا بالرفا

اعد لظهرک سوطا متينا

إذا حملت إلى داره

و كذلك نهى عن قول «استأثر الله بفلان» فى التكنية عن موته، ففى (صفين نصر): لما قدم على عليه السلام الكوفة نزل على باب المسجد، فدخل و صلى ثم تحول و جلس إليه الناس، فسأل عن رجل من أصحابه كان ينزل الكوفة فقال قائل «استأثر الله به» فقال عليه السلام: ان الله لا يستأثر بأحد من خلقه، انما أراد الله بالموت اعزاز نفسه و إذلال خلقه^{١١٤}. و قرأ «وَكُنْتُمْ أََمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ»^{١١٥}.

و كذلك نهى عن قولهم «طاب استحمامك».

ففى (الكافى): قال أبو مريم الأنصارى: ان الحسن بن على عليه السلام خرج من الحمام فلقبه انسان فقال: طاب استحمامك. فقال يا لكع و ما تصنع باللاست ههنا، فقال: «طاب حميك». فقال: أما تعلم ان الحميم العرق. قال «طاب

ص: ٤٧٢

حمامك» قال: فاذا طاب حمامى فأى شىء لى؟ قال: طهر ما طاب منك و طاب ما طهر منك^{١١٦}.

هذا، و فى (الصحيح): كانت العرب تقول فى الجاهلية اذا ولد لأحدهم بنت: «هنيئا لك النافجة» أى المعظمة لمالك لأنك تأخذ مهرها فتضمه إلى مالك فينفج^{١١٧}.

^{١١٢} (١) تاريخ بغداد ١١: ٤٢.

^{١١٣} (٢) الفتوح للبلاذري: ٤٩٢.

^{١١٤} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥.

^{١١٥} (٤) البقرة: ٢٨.

^{١١٦} (١) الكافى ٦: ٥٠٠ ح ٢١.

^{١١٧} (٢) الصحيح ١: ٣٤٥.

و قال ابن أبي الحديد كانت تحية الجاهلية: «أبيت اللعن» فنهى عنها و جعل عوضها «سلام عليكم»^{١١١٨}.

قلت: انما كان «أبيت اللعن» عندهم تحية الملوك، و السلام تحية لجميع الناس فكيف يكون بدلا عنه؟

«و لكن قل شكرت الوهاب و بورك لك في الموهوب و بلغ أشده و رزقت به» في حديث الأربعمئة، عنه عليه السلام في أمر الدين و الدنيا: اذا هنأتم الرجل عن مولود ذكر فقولوا: بارك الله لك في هبته و بلغ أشده و رزقت به^{١١١٩}.

و في (كامل المبرّد): يروى عن علي عليه السلام أنّه افتقد عبد الله بن عباس فقال:

ما باله لم يحضر؟ فقالوا: ولد له مولود. فأتاه فهنأه فقال: «شكرت الوهاب و بورك لك في الموهوب» ما سمّيته؟ قال: أو يجوز أن أسميه حتى تسميه؟

فأمر به فأخرج إليه فأخذه و حنكه و دعا له ثم ردّه إليه و قال له: «خذ إليك أبا الأملاك، قد سمّيته عليّا و كنيته أبا الحسن». فلما قام معاوية قال لابن عباس ليس لكم اسمه و كنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه^{١١٢٠} هذا، و في (اليتيمة):

ص: ٤٧٣

كتب بعض العلوية إلى صاحب: رزقت مولودا فسمّه و كنّه. فوقع في رقعة «أسعدك الله بالفارس الجديد و الطالع السعيد، فقد و الله ملاً العين قرّة و النفس مسرة و الاسم على ليعلى الله ذكره و الكنية أبو الحسن ليحسن الله أمره، فأني أرجو له فضل جدّه و سعادة جدّه، و قد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال قصدت به مقصد الفال رجاء أن يعيش مائة عام و يخلص خلاص الذهب الأبر من نوب الأيام، و السلام»^{١١٢١}.

و قيل لأعرابي و لد له ولد: جعله الله برّاً تقياً. فقال: لا بل جباراً عصياً يخافه أعداؤه و يؤمله أصدقاؤه.

ص: ٤٧٥

الفصل الثامن و الاربعون في آداب الحرب

ص: ٤٧٧

١

^{١١١٨} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٧٠.

^{١١١٩} (٤) حديث الأربعمئة:

^{١١٢٠} (٥) الكامل، للمبرّد ٢: ٥٧٢-٥٧٣.

^{١١٢١} (١) يتيمة الدهر ٣: ٢٣١.

الخطبة (١١) و من كلام له ع لابنه؟ محمد بن الحنفية؟- لما أعطاه الراية؟ يوم الجمل؟ تَزُولُ الْجِبَالُ وَ لَا تَزُلُ- عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ أَعْرَ اللَّهُ جُمُجُمَتَكَ- تَدُ فِي الْأَرْضِ قَدَمَكَ- اِرْمِ بِبَصْرِكَ أَقْصَى الْقَوْمِ وَ غَضَّ بِصْرِكَ- وَ أَعْلَمُ أَنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «و من كلام له عليه السلام» و فى نسخة (ابن ميثم) «و من كلامه عليه السلام»^{١١٢٢}.

«لابنه محمد بن الحنفية» اشتهر بالنسبة إلى أمه خولة الحنفية. قال ابن أبي الحديد هـى بنت جعفر بن قيس بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة. قال قوم: إنها من سبايا الردة فى أيام أبى بكر على

ص: ٤٧٨

يد خالد بن الوليد فى ارتداد بنى حنيفة و ادعاء مسيلمة النبوة^{١١٢٣}.

و قال المدائنى: إنها من سبايا اليمن فى أيام النبى صلى الله عليه و آله فى ارتداد زبيد مع عمرو بن معديكرب، و كانت زبيد سبتها من بنى حنيفة فصارت فى سهم على عليه السلام، فقال له النبى صلى الله عليه و آله: إن ولدت منك غلاما فسمه باسمى و كنهه بكنتى^{١١٢٤}.

و قال البلاذرى فى (تاريخ أشرافه): ان بنى أسد أغارت على بنى حنيفة فى أيام أبى بكر فسبواها و قدموا بها المدينة فباعوها من على عليه السلام، و بلغ قومها خبرها فقدموا على على و أخبروه بموضعها منهم فأعتقها و تزوجها^{١١٢٥}.

قلت: و فى (المروج): عن كتاب أخبار النوفلى: قال الوليد بن هشام المخزومى: خطب ابن الزبير فنال من على عليه السلام، فبلغ ذلك ابنه محمد بن الحنفية فجاء و وضع له كرسي قدامه فعلاه و قال: يا معشر قريش شاهت الوجوه أ ينتقص على عليه السلام و أنتم حضور، ان عليا كان سهما صائبا أحد مرامى الله على أعدائه، يقتلهم لكفرهم و يهوعهم مآكلهم، فتقل عليهم فرموه بصرفة الأباطيل فان تكن لنا فى الأيام دولة ننثر عظامهم و نحسر عن أجسادهم و الأبدان يومئذ بالية، «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ». فعاد ابن الزبير إلى خطبته و قال: عذرت بنى الفواطم يتكلمون، فما بال ابن الحنفية؟ فقال محمد: يا ابن ام رومان و ما لى لا أتكلّم، أ ليست فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله حليّة أبى و ام اخوتى، أو ليست فاطمة بنت أسد بن هاشم

ص: ٤٧٩

جدّتى، أو ليست فاطمة بنت عمرو بن عائذ جدّة أبى، أما و الله لو لا خديجة بنت خويلد ما تركت فى بنى أسد عظما إلّا هشمته^{١١٢٦} «لما أعطاه الراية يوم الجمل» قال ابن أبى الحديد لما تقاعس محمد يوم الجمل عن الحملة و حمل على عليه السلام بالراية فضضع أركان عسكر الجمل، دفع إليه الراية و قال له: امح الاولى بالاخري و هذه الأنصار معك. و ضمّ إليه

^{١١٢٢} (١) فى شرح نهج البلاغة لبين ميثم ١: ٢٨٦، «و من كلام له».

^{١١٢٣} (١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٤.

^{١١٢٤} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٤.

^{١١٢٥} (٣) تاريخ الأشراف، للبلاذري ٢: ٢٠١.

^{١١٢٦} (١) المروج ٣: ٨٩ دار المعرفة و الآية (٢٢٧) من سورة الشعراء.

خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين فى جمع منهم من أهل بدر، فحمل حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم و أبلى بلاء حسنا، فقال خزيمة لعلّى عليه السلام: أما إنّه لو كان غير محمد اليوم لا فتضح، و لئن كنت خفت عليه الجبن و هو بينك و بين حمزّه و جعفر لما خفناه عليه، و ان كنت أردت أن تعلمه الطعان فطالما علّمته الرجال.

و قالت الأنصار: يا أمير المؤمنين لو لا ما جعل الله تعالى للحسن و الحسين عليهما السلام لما قدمنا على محمد أحدا من العرب. فقال على عليه السلام: أين النجم من الشمس و القمر، أما إنّه قد أغنى و أبلى و له فضله و لا ينقصه فضل صاحبيه عليه، و حسب صاحبكم ما انتهت به نعمة الله تعالى إليه فقالوا: إنا و الله ما نجعلها كالحسن و الحسين عليهما السلام و لا نظلمهما له و لا نظلمه - لفضلهما عليه - حقه. فقال على عليه السلام: اين يقع ابنى من ابنى النبى؟ فقال خزيمة:

محمد ما فى عودك اليوم و صمّة	و لا كنت فى الحرب الضروس معردا
أبوك الذى لم يركب الخيل مثله	على و سمّاك النبىّ محمّدا
فلو كان حقّا من أبيك خليفة	لكنت و لكن ذاك ما لا يرى بدا

ص: ٤٨٠

و أنت بحمد الله أطول غالب	لسانا و انداها بما ملكت يدا
و أقربها من كلّ خير تريده	قريش و أوفاهها بما قال موعدا
و أطعنهم صدر الكمى برمحه	و أكساهم للهام عضبا مهندا
سوى أخويك السيدين كلاهما	امام الورى و الداعيان إلى الهدى
أبى الله أن يعطى عدوك مقعدا	من الأرض أو فى اللوح مرقى و مصعدا

^{١١٢٧} قلت: و فى (المروج): جاء ذو الشهادتين إلى على عليه السلام فقال له: لا تنكس اليوم رأس محمد و اردد إليه رأيتّه. به و ردّ عليه الراية و قال:

اطعنهم طعن أبيك تحمد	لا خير فى الحرب اذا لم توقد
----------------------	-----------------------------

بالمشرفى و القنا المشرد^{١١٢٨} قوله عليه السلام «تَزُولُ الجبال و لا تَزُلُ» الأصل فى كلامه عليه السلام قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ»^{١١٢٩}.

قال ابن أبى الحديد فى أخبار صفين: ان بنى عك- و كانوا مع أهل الشام- حملوا فى يوم حجرا و عقلوا أنفسهم بعمائمهم و تحالفوا أنا لا نفر حتى يفر هذا الحكر- أى الحجر- تبدل عك الجيم كافا^{١١٣٠}.

ص: ٤٨١

قلت: و فى (الأغاني): كان عوف بن مالك عمّ المرقش الأكبر من فرسان بكر ابن وائل و هو القاتل يوم قصة: يا لبكر بن وائل أ فى كل يوم فرارا، محلو فى لا يمر بى رجل من بكر منهزما إلّا ضربته بسيفى. و برک يقاتل فسمى يومئذ المبرك.

«عض على ناجذك» فى (الصحيح): الناجذ: آخر الأضراس، و للإنسان أربعة نواجذ فى أقصى الأسنان بعد الارحاء، و يسمى ضرس الحلم لأنه ينبت بعد البلوغ و كمال العقل، يقال «ضحك حتى بدت نواجذه»: اذا استغرب فيه^{١١٣١}.

و فى (الأساس): أبدى ناجذه اذا بالغ فى ضحكه أو غضبه. قال بشر:

اذا ما الحرب أبدت ناجذيتها غداة الروح و التقت الجموع

^{١١٣٢} و بين عليه السلام وجه أمره بالعض على الناجذ فى موضع آخر بكونه أنبى للسيوف عن الهام. قالوا: لأن عظام الرأس تصلب حينئذ.

«أعر الله جمجمتك» فى (الصحيح): الجمجمة عظم الرأس المشتتل على الدماغ^{١١٣٣}.

قال ابن أبى الحديد يمكن أن يكون فى كلامه عليه السلام اشعار أنه لا يقتل فى تلك الحرب، لأن العارية مردودة، و لو قال له «بع الله جمجمتك» لكان ذلك اشعارا له بالشهادة^{١١٣٤}.

قلت: بل أعلمه ببقاء أجله، ففى المروج بعث عليه السلام إلى ابنه محمد- و كان صاحب رايته- احمل على القوم، فأبطأ كان بإزائه قوم من الرماة ينتظر نفاد سهامهم، فأتاه عليه السلام فقال له: هلّا حملت؟ فقال: لا أجد متقدما إلّا على سهم أو

ص: ٤٨٢

^{١١٢٨} (٢) المروج ٢: ٣٦٧.

^{١١٢٩} (٣) الصف: ٤.

^{١١٣٠} (٤) شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٨٤، و كذلك وقعة صفين: ٣٢٩، لنصر بن مزاحم.

^{١١٣١} (١) الصحيح للجوهري ٢: ٥٧١، مادة (نجذ).

^{١١٣٢} (٢) الأغاني، راجع ترجمة هاشم الفند الزماني ٢٤: ٩٣-٩٥.

^{١١٣٣} (٣) الصحيح للجوهري ٤: ١٨٩١.

^{١١٣٤} (٤) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٢.

سنان، و أتى لمنتظر نفاذ سهامهم ثم أحمل. فقال عليه السلام: أحمل بين الأسنة فان للموت عليك جنة^{١١٣٥}.

«تد» من وتد يتد.

«فى الأرض قدمك» أى: اجعل قدمك ثابتة كالوتد. قال الشاعر:

لاقت على الماء جديلا واتدا
و كان لا يخلفها المواعدا

قال تعالى «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»^{١١٣٦}.

«ارم ببصرك أقصى القوم» فى (العقد): قال على عليه السلام: من أكثر النظر فى العواقب لم يشجع^{١١٣٧}.

«و غص بصرك» فى (العقد): كان قتيبة بن مسلم يقول لأصحابه: اذا غزوتهم فأطيلوا الأظفار و قصّوا الشعر، و الحظوا الناس شزرا و كلموهم رمزا و اطعنوهم و خزا^{١١٣٨}.

و كان ابو مسلم يقول لقواده: اشعروا قلوبكم الجراء، فأنا من اسباب الظفر^{١١٣٩}.

«و اعلم أن النصر من عند الله سبحانه» فى (العقد):^{١١٤٠} كتب أنو شيروان إلى مرازيته: عليكم بأهل السخاء و الشجاعة فإنهم أهل حسن الظن بالله^{١١٤١}.

ص: ٤٨٣

فى (المروج): حمل محمد بن الحنفية فسكن بين الرماح و النشاب، فوقف فأتاه على عليه السلام فضربه بقائم سيفه و قال: أدرك عرق من أمك - و أخذ الراية و حمل و حمل الناس معه، فما كان القوم إلّا كرماد اشتدت به الريح فى يوم عاصف^{١١٤٢}.

و فى (جمل المفيد): قال محمد بن عبد الله بن عمر بن دينار: قال على عليه السلام لابنه محمد: خذا الراية و امض - و هو خلفه - فناداه يا أبا القاسم. فقال: يا بنى لا يستفزتك ما ترى قد حملت الراية و أنا أصغر منك فما استفزنى عدوى، و ذلك أنتى لم أبارز أحدا إلّا حدثنى نفسى بقتله، فحدثت نفسك بعون الله تعالى بظهورك، و لا يخذلك ضعف النفس فان ذلك أشدّ الخذلان. قال: يا أباه أرجو أن أكون كما تحب. قال: فالزم رايتك، فان اختلفت الصفوف فقف مكانك و بين أصحابك، فان لم

^{١١٣٥} (١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٦٦.

^{١١٣٦} (٢) الأنفال: ٤٥.

^{١١٣٧} (٣) العقد الفريد ابن عبد ربه ١: ٩٧.

^{١١٣٨} (٤) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

^{١١٣٩} (٥) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

^{١١٤٠} (٦) المصدر نفسه ١: ١٣٤.

^{١١٤١} (٧) المصدر نفسه ١: ١٠٠.

^{١١٤٢} (١) المروج ٢: ٣٦٦.

تبين من أصحابك فاعلم أنهم سيرونك. قال محمد: و والله انى لفى وسط أصحابى و صاروا كلهم خلفى و ما بينى و بين القوم أحد يردّهم عنى و أنا اريد أن أتقدّم فى وجوه القوم، فما شعرت إلّا بأبى خلفى قد جرد سيفه و هو يقول: لا تقدم حتى أكون أمامك. فتقدّم بين يدى يهرول و معه طائفة من أصحابه، فضرب الذين فى وجهه فنظرت إليه يفرج الناس يمينا و شمالا و يسوقهم أمامه، فأردت أن أجول فكرهت خلافه حتى انتهى إلى الجمل و حوله أربعة آلاف مقاتل من بنى ضبة و الأزد و تميم و غيرهم و صاح:

اقطعوا البطان. فأسرع محمد بن أبى بكر فقطعه و اطلع الهودج^{١١٤٣}.

و قال ابن جريح: لما ردّ على عليه السلام الراية إلى ابنه محمد قال له: احسن حملها و توسّط أصحابك و لا تخفض عليها و اجعلها مستشرفة يراها

ص: ٤٨٤

أصحابك. ففعل. فقال عمّار لمحمد: ما أحسن ما حملت الراية اليوم. فقال له على عليه السلام: بعد ما ذا. فقال عمّار: ما العلم إلّا بالتعلّم^{١١٤٤}.

و عن المدائنى و الواقدى: زحف على عليه السلام بنفسه نحو الجمل و دفع الراية إلى ابنه محمد و قال: أقدم بها حتى تركزها فى عين الجمل و لا تقفن دونه، فتقدّم فرشقته السهام، فأنفذ إليه على عليه السلام يستحثه، فلما أبطأ عليه جاء بنفسه من خلفه فوضع يده اليسرى على منكبيه الأيمن و قال له: اقدم لا أم لك.

فكان محمد اذا ذكر ذلك يبكى و يقول: لكانى أجد ريح نفسه فى قفاى، و الله لا أنسى ذلك أبدا. فتناول الراية منه بيده اليسرى و ذو الفقار مشهور فى يده اليمنى، ثم حمل فغاص فى عسكر الجمل ثم رجع و قد انحنى سيفه فأقامه بركبته. فقال له بنوه و أصحابه و الأشتر و عمّار: نحن نكفيك، فلم يجب أحدا منهم و لا ردّ إليهم بصره و ظلّ ينحط و يزأر زئير الأسد حتى فرقه من حوله و تبادروه و أنّه لطامح بصره نحو عسكر البصرة لا يبصر من حوله و لا يردّ حوارا ثم دفع الراية إلى محمد، ثم حمل حملة ثانية وحده فدخل وسطهم ف ضربهم بالسيف قدما قدما و الرجال تفرّ من بين يديه و تنحاز عنه يمنة و شامة، حتى خضّب الأرض بدماء القتلى، ثم رجع و قد انحنى سيفه فأقامه بركبته فأعصوب به أصحابه و ناشدوه الله فى نفسه و فى الإسلام و قالوا:

أنك ان تصب يذهب الدين. فقال: و الله ما أريد بما ترون إلّا وجه الله و الدار الآخرة. ثم قال لمحمد: هكذا اصنع يا بن الحنفية. فقال الناس: من الذى يستطيع يا أمير المؤمنين ما تستطيعه.

^{١١٤٣} (٢) الجمل للمفيد: ١٩٦.

^{١١٤٤} (١) الجمل للمفيد: ١٩٢.

و روى الواقدي - كما فى (جمل المفيد) - عن ابن الحنفية قال: فالتقينا و أبى خلفى بين كنفى يقول: يا بنى تقدّم. فقلت: ما أجد متقدّماً إلّا على الأسنة،

ص: ٤٨٥

فغضب و قال: أقول لك تقدّم و تقول هكذا، ثق بالله و تقدّم بين يدى على الأسنة.

و تناول الرواية منى، و تقدّم يهرول بها فأخذتني حدّه فلحقته و قلت: أعطنيها.

فأعطانيها و قد عرفت ما وصف لى، ثم تقدّم بين يدى و جرد سيفه فرمقت لضربه و اذا يورد السيف و يصدره و لا أرى فيه دما يسرع اصداره فيسبق الدم - إلى أن قال - و صاح: يا ابن أبى بكر اقطع البطان. فقطعه و تلقوا الهودج - فكأن و الله الحرب جمره صبّ عليها الماء^{١١٤٥}.

٢

الحكمة (٢٣٣) و قال عليه السلام لابنه الحسن:

لَا تَدْعُونَّ إِلَى مُبَارَزَةٍ وَ إِن دُعِيتَ إِلَيْهَا فَأَجِبْ - فَإِنَّ الدَّاعِيَ بَاغٍ وَ الْبَاغِيَ مَضْرُوعٌ أقول: رواه المبرد فى (كامله المبرد - الكامل فى الأدب) -^{١١٤٦}، و روى (الكافى الكلينى - الكافى - باب (طلب مبارزته) ج ٥ ص ٣٤ ح ٢) نظيره، روى فى باب (طلب مبارزته) أن رجلا دعا بعض بنى هاشم إلى البراز، فأبى أن يبارزه، فقال له على عليه السلام: ما منعك أن تبارزه. قال: كان فارس العرب و خشيت أن يغلبنى.

فقال عليه السلام: أنه بغى عليك، و لو بارزته لغلبته، و لو بغى جبل على جبل لهد الباغى^{١١٤٧}.

و فى (صفين نصر) - بعد ذكر قتل جمع كثير من أهل الشام - أن ابرهه بن الصباح الحميرى - و كان من رؤساء أصحاب معاوية - قام فقال: ويلكم يا معشر أهل اليمن و الله انى لأظن أن الله قد اذن لفنائكم، و يحكم خلوا بين هذين

ص: ٤٨٦

الرجلين فليقتلا فأيهما قتل صاحبه ملنا معه جميعا. فبلغ ذلك عليا عليه السلام. فقال:

^{١١٤٥} (١) الجمل للمفيد: ١٩١.
^{١١٤٦} (٢) لم نعثر عليه فى الكامل فى الأدب لكنّه موجود فى العقد الفريد - العقد الفريد - ج ١ ص ١٠٢: ١٠٢.
^{١١٤٧} (٣) الكافى فى الكلينى ٥: ٣٤ ح ٢.

صدق ابرهه، و الله ما سمعت بخطبة منذ وردت أهل الشام أنا بها أشد سرورا منى بهذه. و بلغ معاوية كلام ابرهه فتأخر آخر الصفوف و قال لمن حوله: أنى لأظن ابرهه مصابا فى عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: و الله ان ابرهه لأفضلنا دينا و رأيا و بأسا، و لكن معاوية كره مبارزة على.

فبرز عروة بن داود الدمشقى فقال: يا أبا الحسن ان كان معاوية كره مبارزتك فهلم إلى، فتقدم إليه على عليه السلام، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنه ليس لك بخطر. فقال عليه السلام: و الله ما معاوية اليوم بأعظم لى منه دعونى و إياه. ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين سقطت إحداهما يمينه و الاخرى يسره فارتج العسكران لهول الضربة ثم قال عليه السلام «يا عروة اذهب فأخبر قومك، أما و الذى بعث محمدا بالحق لقد عاينت النار و أصبحت من النادمين» و قال عبد الله ابن عبد الرحمن الأنصارى:

إذ تقحمت فى حما اللهوات

عرو يا عرو قد لقيت حماما

ضيغما فى أباطل الحومات

أعليا - لك الهوان - تنادى

ما أن يهوله المقلقات

ليس لله فارس كأبى السبلين

بالخير يرجو الثواب بالسابقات

مؤنا بالقضاء محتسبا

لا و لا ما يجيء بالآفات

ليس يخشى كرهه فى لقاءه

و ضراب المقامع المحميات

فلقد ذقت فى الجحيم نكالا

ان يكون القتل بالمقفرات

يا بن داود قد وقيت ابن هند

و حمل ابن عم لعروة على عليه السلام فألحقه بعروة و معاوية واقف على التل يبصر و يشاهد، فقال: تبا لهذه الرجال و قبحا، أما فيهم من يقتل هذا مبارزة أو غيلة أو فى اختلاط الفيلق و ثوران النقع. فقال له الوليد بن عقبة:

ص: ٤٨٧

ابرز إليه أنت فإنك أولى الناس بمبارزته. فقال: و الله لقد دعانى إلى البراز حتى استحييت من قريش، و إننى و الله لا أبرز إليه و ما جعل العسكر إلّا وقاية للرئيس. و قال معاوية لبسر بن أرطاة: أتقوم لمبارزته؟ فقال: ما أحد أحق بها منك، و إذ أبيتموه فأنا له، و كان أتى بسرا من الحجاز ابن عم له يخطب ابنته فقال له: انى سمعت أنك وعدت من نفسك أن تبارز عليا فما يدعوك إلى ذلك؟

قال: الحياء خرج منى شىء فأنا أستحي أن أرجع عنه.

فغدا على عليه السلام منقطعاً من خيله و معه الأشر، فاستقبله بسر و ناداه:

ابرز إلى أبا حسن، فأنحدر إليه على عليه السلام على تَوَدَّةٍ غير مكترث به حتى إذا قاربته طعنه و هو دارع، فألقاه إلى الأرض فقصده بسر أن يكشفها ليستدفع بأسته، فانصرف عنه على عليه السلام مستدبراً له، فعرفه الأشر حين سقط فقال له عليه السلام: هذا بسر عدو الله و عدوك. فقال عليه السلام دعه عليه لعنة الله أبعد أن فعلها - و كان قبله عمرو بن العاص فعل ذلك - فقال النضر بن الحارث:

له عورة وسط العجاجة بادية

أفى كل يوم فارس تندبونه

و يضحك منها فى الخلاء معاوية

يكف بها عنه على سنانه

و عورة بسر مثلها حذ و حاذية

بدت أمس من عمرو فقتع رأسه

سبيلكما لا تلقيا الليث ثانية

فقولاً لعمرو و ابن اوطاة أبصرا

هما كانتا و الله للنفس واقية

و لا تحمدا إلا الحيا و خصاكما

^{١١٤٨} هذا، و فى (الطبرى) فى غزوة احد: قال طلحة بن عثمان صاحب لواء المشركين: يا معشر أصحاب محمد أنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيفوكم إلى النار و يعجلكم بسيفونا إلى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي إلى الجنة أو يعجلنى بسيفه إلى النار. فقام إليه على عليه السلام فقال: و الذى نفسى بيده لا

ص: ٤٨٨

أفارقك حتى اعجلك أو تعجلنى. فضربه فقطع رجله فسقط فانكشفت عورته فقال: أنشدك الله و الرحم يابن عم. فتركه فكبر النبى صلى الله عليه و آله و قال له: ما منعك أن تجهز عليه؟ قال: ان ابن عمى ناشدنى حين انكشفت عورته فاستحييت منه ^{١١٤٩}.

ثم مورد كلامه عليه السلام فيمن دعا شخصا خالصا إلى المبارزة بكونه باغيا مصروعا دون من دعا إلى المبارزة عاما فيمكن ألا يكون بمصروع.

و فى (صفين نصر): ذكر صعصعة ان كريب بن الصباح من آل ذى يزن - و لم يكن فى أهل الشام أشهر منه شدة بالبأس - برز و نادى من يبارز، فبرز إليه المرتفع بن وضاح الزبيدى فقتل المرتفع ثم نادى من يبارز، فبرز إليه الحارث بن جلاح فقتله، ثم نادى من يبارز فبرز إليه عائذ بن مسروق الهمدانى فقتل عائذا، ثم رمى بأجسادهم بعضها فوق بعض ثم قام عليها بغيا و اعتداء،

^{١١٤٨} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٧.

^{١١٤٩} (١) تاريخ الملوك للطبرى ٢: ١٩٤.

ثم نادى هل من مبارز، فبدر إليه على عليه السلام ثم ناداه: ويحك يا كريب إني احذرك و أدعوك إلى سنة الله و سنة رسوله، ويحك لا يدخلك ابن آكلة الأكباد النار.

فأجاب: ما أكثر ما سمعنا هذه المقالة منك فلا حاجة لنا فيها، أقدم اذا شئت من يشتري سيفي و هذا أثره. فقال على عليه السلام: لا حول و لا قوة إلّا بالله. ثم مشى إليه، فلم يمهله ان ضربه ضربة خر منها قتيلًا يتشطح في دمه.

ثم نادى عليه السلام من يبارز. فبرز إليه الحارث بن وداعة الحميري فقتله. ثم نادى من يبارز، فبرز إليه المطاع بن المطلب العبسي فقتله. ثم نادى من يبارز، فلم يبرز إليه أحد. فنادى: يا معشر المسلمين «الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ»^{١١٥٠}.

ص: ٤٨٩

هذا، و في (صفين نصر): مرّ على عليه السلام- و معه بنوه- نحو الميسرة و النبل يمرّ بين عاتقه و منكبيه، و ما من بنيه أحد إلّا يقيه بنفسه و يكره علىّ ذلك- إلى أن قال- فبصر به أحمر مولى أبي سفيان أو بعض بنى أميّة فقال علىّ: و ربّ الكعبة قتلني الله إن لم أقتلك. فأقبل نحوه عليه السلام، فخرج إليه كيسان مولى على فقتله مولى بنى أميّة، ثم خالط عليًا ليضربه بالسيف فانتهزه على عليه السلام، فوقع يده في جيب درعه فجذبه ثم حمله على عاتقه و رجلاه تختلفان على عنقه ثم ضرب به الأرض فكسر منكبه و عضده و شد ابنه الحسين و محمد عليه فضرباه و على عليه السلام ينظر إليهما حتى قتلاه، ثم أقبلًا إلى أبيهما و الحسن عليه السلام معه قائم قال: يا بنى ما منعك أن تفعل كما فعل أخواك؟

قال: كفياني يا أمير المؤمنين^{١١٥١}.

و في (الطبري): لمّا لحق الحر بالحسين عليه السلام قال يزيد بن سفيان التميمي: لو أنّي رأيته حين خرج لأتبعته السنان. ثم لما حمل الحر عليهم قال الحصين بن تميم ليزيد: هذا الحر الذي كنت تتمني؟ قال: نعم. فخرج إليه و قال له: هل لك يا حر في المبارزة؟ قال: نعم. فبرز له فكأنما كانت نفسه في يده فما لبثه حين خرج إليه أن قتله^{١١٥٢}.

و في (الأغانى)- في وقعة دولاب- قال سلامة الباهلي: لمّا قتلت نافع بن الأزرق رئيس الأزارقة فإذا أنا برجل ينادى و أنا واقف في خميس بنى تميم يعرض علىّ المبارزة، و جعل يطلبني و أنا أنتقل من خميس إلى خميس و ليس يزايلني، فصرت إلى رحلى ثم رجعت فدعاني، فلما أكثر خرجت إليه فاختلفنا ضربتين فضربته فصرعته و نزلت فأخذت رأسه و سلبته، فإذا هي امرأته قد

ص: ٤٩٠

^{١١٥٠} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٥ و الآية (١٩٤) من سورة البقرة.

^{١١٥١} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٩.

^{١١٥٢} (٢) تاريخ الملوك و الامم للطبري: ٤: ٣٣٠.

رأيتني حين قتلته فخرجت لتثأربه^{١١٥٣}.

و في (عيون القتبيي) و غيره: قال أبو الأغر التميمي: اني لو اقف يوم صفين إذ نظرت إلى العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب و هو على فرس أدهم و كأن عينيه عينا أفعى، فبينما هو يلين من عريكته إذ هتف به هاتف من أهل الشام يقال له عرار بن أدهم: يا عباس هلم إلى البراز فبرز إليه العباس فقتله - إلى أن قال - فقال له على عليه السلام: ألم أنهك و حسنا و حسينا و عبد الله بن جعفر أن تخلوا مراكزكم و تبارزوا أحدا. قال: ان ذلك لكذلك. قال فما عدا مما بدأ. قال: أ فادعى إلى البراز فلا أجيب جعلني الله فداك؟ قال: نعم طاعة إمامك أولى بك من إجابة عدوك، و د معاوية أن لا يبقى من بني هاشم نافخ ضربة إلا طعن في نيطة إطفاء لنور الله. ثم رفع يديه و قال: اللهم اشكر للعباس مقامه و اغفر ذنبه فاني قد غفرت له^{١١٥٤}.

و مما ينخرط في هذا الباب من ان من دعا غيره إلى المبارزة يكون باغيا و الباغي مصروع هالك، قصة عمرو بن الليث الصفار مع اسماعيل بن أحمد الساماني، ففي (الكامل): سار عمرو في سنة (٢٨٧) إلى اسماعيل فأرسل إليه اسماعيل أنك و ليت دنيا عريضة و أنما في يدي ما وراء النهر و أنا في ثغر فاقنع بما في يدك و اتركني في هذا الثغر. فأبى فذكر له شدة العبور بنهر بلخ فقال: لو شئت أن اسكره ببدر الأموال لفعلت. فنزل بلخ فسار اسماعيل نحوه و أخذ عليه النواحي، فصار عمرو كالمحاصر فندم على ما فعل، فاقتتلوا فلم يكن بينهم كثير قتال حتى انهزم عمرو فولّى هاربا و مر في طريقه بأجمة فقال لعامة من معه: امضوا في الطريق. و سار هو و نفر يسير في الأجمة، فوحلت به

ص: ٤٩١

دابته فمضى من معه و جاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيرا، فسيّره اسماعيل إلى المعتضد فحبس حتى قتل^{١١٥٥}.

٣

الخطبة (١٢١) و من كلام له عليه السلام قاله لأصحابه في ساعة الحرب:

وَ أَيْ أَمْرٍ مِنْكُمْ أَحْسَنُ مِنْ نَفْسِهِ - رَبَّاطَةٌ جَاشَ عِنْدَ اللَّقَاءِ - وَ رَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلًّا - فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ - أَلَّتِي فَضَّلَ بِهَا عَلَيْهِ - كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ - فَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ - إِنَّ الْمَوْتَ طَالِبٌ حَيْثُ لَا يَفُوتُهُ الْمُقِيمُ - وَ لَا يُعْجِزُهُ الْهَارِبُ - إِنَّ أَكْرَمَ الْمَوْتِ الْقَتْلُ - وَ الَّذِي نَفْسُ؟ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ بِيَدِهِ - لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ - مِنْ مِيتَةٍ عَلَى الْفِرَاشِ فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ أَقُولُ: رواه الواقدي مع تأخير و تقديم و زيادات، ففي (جمل الشيخ المفيد - الجمل - ص ١٥٠ و ١٥١ المفيد): روى الواقدي عن عبد الله بن عمر بن علي عليه السلام عن أبيه قال: لما سمع أبي أصوات الناس يوم الجمل - و قد ارتفعت - قال لابنه محمد: ما يقولون؟ قال: يقولون يا ثارات عثمان. فشدّ عليه، و أصحابه يقولون له: ارتفعت الشمس. و هو يقول لهم: الصبر أبلغ حجة. ثم قام خطيبا يتوكأ على قوس عربية و قال بعد الحمد و الصلاة: أما بعد، فان الموت طالب حيث لا يفوته الهارب و لا يعجزه فأقدموا و لا تتكلموا، و هذه الأصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل و اختلاف، إنّا كنّا نؤمر في

^{١١٥٣} (١) الأغاني ٦: ١٤٤.

^{١١٥٤} (٢) العيون للقتبيي ١: ١٨٠.

^{١١٥٥} (١) الكامل لابن الأثير ٧: ٥٠١ - ٥٠٢.

الحرب بالصمت، فعضواً على الناجذ و اصبروا لوقع السيوف، فوالذى نفسى بيده لألف ضربةً بالسيف أهون علىّ من موته على فراشى، فقاتلوهم صابرين محتسبين، فان الكتاب معكم و السنّة معكم و من كانا معه

ص: ٤٩٢

فهو القوى أصدقوهم، فأى امرئ أحسّ من نفسه شجاعةً و اقداماً و صبراً عند اللقاء فلا يبطرنه و لا يرى ان له فضلاً على من دونه، و ان رأى من أخيه فشلاً و ضعفاً فليذبّ عنه كما يذبّ عن نفسه، فان الله لو شاء لجعله مثله...^{١١٥٦}.

و روى صدره (إرشاد الشيخ المفيد- الإرشاد- ص ١٣٤ المفيد) مع زيادات فقال: لمّا دخل عليه السلام البصرة حرّض أصحابه على الجهاد و قال فى جملة كلامه: انهدّوا إليهم و كونوا أشدّاء عليهم و القوهم صابرين تعلمون أنّكم منازلوهم و مقاتلوهم و لقد و طّنتم أنفسكم على الطعن الدعسى و الضرب الطلحفى و مبارزة الأقران و أى امرئ منكم- إلى قوله «فلو شاء الله لجعله مثله» مع اختلاف يسير^{١١٥٧}.

و روى ذيله (الكافى الكلينى- الكافى- ج ٥ ص ٥٣ ح ٤) مع زيادات فقال: على بن ابراهيم عن أبيه عن ابن محبوب رفعه أنّه عليه السلام خطب يوم الجمل- إلى أن قال- أيّها الناس ان الموت لا يفوته المقيم و لا يعجزه الهارب، ليس عن الموت محيص و من لم يقتل يمت ان أكرم الموت القتل^{١١٥٨}.

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام» لو كان قال «و من خطبة له عليه السلام» كان أيضاً صحيحاً لما عرفت من رواية الكلينى و الواقدى من كون كلامه عليه السلام خطبةً.

«قال لأصحابه فى ساعة الحرب» هكذا فى (المصرية)^{١١٥٩} و مثله (ابن أبى الحديد)^{١١٦٠} لكن فى (ابن ميثم): «قال لأصحابه وقت الحرب» و هو الأصح حيث ان نسخته بخط مصنفه مع أنّه يصدقه (الخطبة). و كيف كان فلو كان قال «قبل

ص: ٤٩٣

الحرب» أو «لمّا أراد الحرب» حيث ان فى رواية الواقدى بعد ذكر الخطبة «ثم دعا عليه السلام بدرعه فلبسه» كان أحسن^{١١٦١}.

و كيف كان فقد عرفت أن المراد حرب الجمل و لم يتفطن له الشراح حتى قال الخوئى: لم أظفر بعد على أنّه أىّ حرب.

قوله عليه السلام «و أى امرئ منكم أحسّ» أى: وجد. و الأصل فيه سمع حسّه.

^{١١٥٦} (١) الجمل للمفيد: ١٥٠- ١٥١ و هي رواية الواقدي.

^{١١٥٧} (٢) الإرشاد، للمفيد: ١٣٤.

^{١١٥٨} (٣) الكافي للكليني ٥: ٥٣ ح ٤.

^{١١٥٩} (٤) الطبعة المصرية: ٢٨٩.

^{١١٦٠} (٥) شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ٧: ٣٠٠ رواية (١٢٢).

^{١١٦١} (١) الجمل: ١٥٠- ١٥١ و هي رواية الواقدي.

«من نفسه رباطة جأش» الأصل في الجأش الهمز^{١١٦٢}، و في (الصحيح): يقال «فلان رابط الجأش» و الجأش الرواع إذا اضطرب عند الفزع، أى يربط نفسه عن الفرار لشجاعته.

«عند اللقاء» أى: لقاء العدو في الحرب.

«و رأى من أحد من إخوانه فشلا» أى: جينا.

«فليذب» أى: يدفع العدو.

«عن أخيه بفضل نجدته» أى: زيادة شجاعته.

«كما يذب عن نفسه» العدو لأن مقصد الكل واحد إقامة الدين و تقويته.

و في (الطبرى) فى وقعة الطف: قاتل عمرو بن خالد الصيداوى و جابر بن الحارث السلمانى و سعد مولى عمر بن خالد و مجمع بن عبد الله العائذى فى أول القتال، فشدوا مقدمين بأسيا فهم على عسكر ابن سعد، فلما و غلوا عطفوا عليهم فأخذوا يحوزونهم و قطعوهم من أصحابهم غير بعيد، فحمل عليهم العباس بن على فاستنقذهم، فجاءوا قد جرحوا، فلما دنا منهم عدوهم شدوا بأسيا فهم فقتلوا فى أول الأمر فى مكان واحد^{١١٦٣}.

ص: ٤٩٤

«فلو شاء الله لجعله» أى: المنحس من نفسه رباطة جأش.

«مثله» أى: مثل أخيه الذى رأى منه فشلا، فيجب عليه الذب عنه شكرا.

«إن الموت طالب حثيث» أى: سريع.

«لا يفوته المقيم» «أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشِيدَةٍ»^{١١٦٤}.

«و لا يعجزه الهارب» «قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ»^{١١٦٥}.

«ان أكرم الموت القتل» فلم لا يذب عن أخيه خوف القتل. و زاد فى (ابن ميثم) «بالسيف»^{١١٦٦}.

^{١١٦٢} (٢) شرح منهاج البراعة لحبيب الله الخوئي ٨: ١٥١.

^{١١٦٣} (٣) تاريخ الملوك و الأمم للطبرى ٤: ٣٤٠.

^{١١٦٤} (١) النساء: ٧٨.

^{١١٦٥} (٢) الجمعة: ٨.

^{١١٦٦} (٣) ابن ميثم ٣: ٥٥.

«و الذى نفس ابن أبى طالب بيده لألف ضربة بالسيف أهون على» هكذا فى (المصرية)^{١١٦٧} و كلمة «على» زائدة لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١١٦٨}.

«من ميتة على الفراش فى غير طاعة الله» هكذا فى (المصرية) أخذنا من (ابن أبى الحديد) فى قوله «فى غير طاعة الله» حيث جعله بين قوسين كما هو دأبه فى ما يأخذ منه، و ليس فى (ابن ميثم)، و الظاهر زيادته لصحة نسخة ابن ميثم و لعدم وجوده فى رواية الواقدي و رواية الكليني المتقدمين، و لأنّ المقام لا يقتضيه^{١١٦٩}.

هذا، و قد عرفت أن رواية الواقدي «و الذى نفسى بيده لألف ضربة

ص: ٤٩٥

بالسيف أهون على من موتة على فراشى».

فى (العقد): كانوا يتمادحون بالموت قتلا و يتهاجون بالموت على الفراش و يقولون فيه: مات حتف أنفه، و أول من قاله النبىّ صلى الله عليه و آله.

و خطب ابن الزبير لما بلغه قتل أخيه مصعب فقال: ان يقتل فقد قتل أبوه و أخوه و عمّه، إنا و الله لا نموت حتفا و لكن تحت ظلال السيوف^{١١٧٠}.

و قال ابن أبى الحديد روى أنّه قيل لأبى مسلم الخراسانى: ان فى بعض الكتب المنزلة: «من قتل بالسيف فبالسيف يقتل» فقال: القتل أحبّ إلى من اختلاف الأطباء و النظر فى الماء و مقاساة الدواء فذكر ذلك للمنصور فقال: قد أبلغناه محبته. قلت: و قال المنصور له وقت قتله:

فاستوف بالكيل أبا مجرم

زعمت أن الدين لا يقتضى

أمرّ فى الحلق من العلقم

سقيت كأسا كنت تسقى بها

^{١١٧١} و فى (الطبرى): كان أبو مسلم قتل فى دولته و حروبه ستمائة ألف صبرا^{١١٧٢}.

٤

^{١١٦٧} (٤) فى الطبعة المصرية: العبارة هي «ابن ابى طالب» راجع: ٢٨٩.
^{١١٦٨} (٥) ابن ابى الحديد شرح نهج البلاغة لم ترد العبارة، ٧: ٣٠٠ اما ابن ميثم شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥.
^{١١٦٩} (٦) راجع المصادر المتقدمة فى الهوامش ٥، ٦.
^{١١٧٠} (١) العقد الفريد لابن عبد ربه ١: ١٠١.
^{١١٧١} (٢) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ٧: ٣٠٣.
^{١١٧٢} (٣) تاريخ الطبرى ٦: ١٣٧.

الكتاب (١٦) و كان يقول عليه السلام لأصحابه عند الحرب:

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةً بَعْدَهَا كَرَّةٌ - وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمَلَةٌ - وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا - وَطُتُّوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا - وَادْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ وَالضَّرْبِ الطَّلْحَفِيِّ - وَامْتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ

ص: ٤٩٦

لِلْفِشْلِ - فَوَ الَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ - مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنْ اسْتَسْلَمُوا وَ أَسْرُوا الْكُفْرَ - فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ أَقُول: أنما ذكره في باب الكتب و الملحق بها من اليهود و الوصايا لأنه عطفه كسابقه على قوله في (١٤) «و من وصية له عليه السلام لعسكره»، و لو كان ذكره في الأول أو الثالث كان له وجه أيضا.

قول المصنف: «و كان يقول عليه السلام» هكذا في (المصرية)^{١١٧٣} و مثله ابن أبي الحديد و لكن في (ابن ميثم): «و كان عليه السلام يقول»^{١١٧٤}.

«لأصحابه عند الحرب» ظاهر ذيل العنوان «فو الذى ...» دليل على أنه عليه السلام قاله فى صفين، لأن معاوية هو الذى ما أسلم و لكن استسلم، إلّا أن الظاهر أن المصنف التقط من مواضع، فرواه (الكافى) بدون ذيله، فروى فى باب ما يوصى عليه السلام عند القتال أنه عليه السلام قال: و إذا حملتم فاحملوا فعل رجل واحد، و عليكم بالتحامى، فان الحرب سجال، لا يشتدن عليكم كربة بعد فرة، و لا حملة بعد جولة، و من ألقى إليكم السلم فاقبلوا منه، و استعينوا بالصبر فان بعد الصبر النصر من الله عز و جل ان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده و العاقبة للمتقين^{١١٧٥}.

قوله عليه السلام «لا يشتدن عليكم فرة بعدها كربة و لا جولة بعدها حملة» لانجبار الاولى بالثانية، و أنما يجب أن يشتد عليهم فرة بدون كربة و جولة بدون حملة، ثم قد عرفت ان (الكافى) رواه بلفظ آخر.

«و اعطوا السيوف حقوقها» فان المقصود من حملها الضرب بها، قال:

ص: ٤٩٧

بأيدي رجال لم يشيموا سيوفهم و لم تكثر القتلى بها حين سلت

^{١١٧٦} أى اذا سلّوها لم يشيموها إلّا بعد كثرة القتلى بها، و من لا يعطى السيف حقّه يكون كمن قيل فيه:

^{١١٧٣} (١) راجع الطبعة المصرية: شرح محمد عبده: ٥٣٢، و كذا ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٥: ١١٤ الرواية: ١٦.

^{١١٧٤} (٢) ابن ميثم ٤: ٣٨٦ الرواية ١٦.

^{١١٧٥} (٣) الكافى للكليني ٥: ٤١.

^{١١٧٦} (١) لسان العرب ٤: ٥٧.

«و وطئوا» هكذا في (المصرية)^{١١٧٧} و نقله ابن ميثم «و وطنوا» و نسب «وطئوا» إلى رواية^{١١٧٨}.

«للجنوب مصارعها» فسره بعضهم بأن المراد جنوبيهم، فيكون كناية عن أمرهم بالعزم على القتل في سبيل الله، و فسره بعضهم بأن المراد جنوب الأعداء فيكون كناية عن إحكام الضرب ليحصل هلاكهم.

«و اذ مروا» أى حثوا، و فى (الصحاح): تذامر القوم أى حث بعضهم بعضاً، و ذلك فى الحرب^{١١٧٩}.

«أنفسكم على الطعن الدعسى» أى: الشديد، فعن أبى عبيد: المداعس الصم من الرياح.

«و الضرب الطلخفى» بالكسر فالفتح أى: الشديد، و مر فى سابقه عن (الإرشاد) أنه عليه السلام قال فى الجمل: «و لقد وطنتم أنفسكم على الطعن الدعسى و الضرب الطلخفى»^{١١٨٠}.

و فى (الجمهرة) ضرب طلخف و طلحف شديد و طلخفى و طلخفى

ص: ٤٩٨

بالحاء و الخاء، و الطلخف رباعى ذكره ابن دريد فى الرباعى^{١١٨١}.

و قول ابن أبى الحديد: «اللام زائدة» غلط، و منشأ و همه أن (الصحاح) عنون طخف ثم قال و بزيادة اللام و هو أعم^{١١٨٢}.

«و أميتوا الأصوات» أى: اخفوها أو اعدموها بالصمت.

«فأنه أطرده» أى: أذفع.

«للفشل» أى الجبن.

سمع أبو طاهر الجنابى ضواء عسكر المقتدر و دبابهم و بوقاتهم و هم عشرون ألفاً و أبو طاهر فى مائة و خمسين رجلاً ما كان يسمع لهم صوت حتى كأن الخيل ليس لها حممة، فقال أبو طاهر لبعض أصحابه: ما هذا الزجل؟ قال: فشل. قال: أجل^{١١٨٣}.

^{١١٧٧} (٢) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

^{١١٧٨} (٣) ابن ميثم: ٤: ٣٨٨ و الرواية ٤: ٣٨٦.

^{١١٧٩} (٤) الصحاح للجوهري: ٦٦٥.

^{١١٨٠} (٥) الإرشاد للمفيد: ١٣٤ من صفحة ١٦٣.

^{١١٨١} (١) جمهرة اللغة لابن دريد: ٤: ١١٤٢.

^{١١٨٢} (٢) شرح نهج البلاغة لبني أبي الحديد: ١٥: ١١٤.

«فو الذي» هكذا في (المصرية)^{١١٨٤} و الصواب: «و الذي» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيب)^{١١٨٥}، و لأنه لا معنى للتفريع له على ما قبله.

«فلق الحبة و برأ» أى خلق.

«النسمة» أى: الإنسان.

«ما أسلموا» لله.

«و لكن استسلموا» للنبي صلى الله عليه و آله لما قهرهم يوم فتح مكة.

«و أسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا عليه» هكذا في (المصرية)^{١١٨٦} و مثله ابن

ص: ٤٩٩

أبي الحديد و لكن في (ابن ميثم و الخطيب): «عليه أعوانا».

«أظهروه»^{١١٨٧}. في (صفيين نصر): قال شيخ من بكر بن وائل: كنا مع على عليه السلام بصفيين فرفع عمرو بن العاص شقة خميسة سوداء في رأس رمح، فقال ناس: هذا لواء عقده له النبي صلى الله عليه و آله. فبلغ عليا عليه السلام فقال: ان النبي أخرج هذه الشقة و قال: من يأخذها بما فيها؟ فقال عدو الله عمرو: و ما فيها؟ قال: ألا تقاتل بها مسلما و لا تفر بها من كافر. فأخذها و قد و الله فريها من المشركين و قاتل بها اليوم المسلمين، و الذي فلق الحبة ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر فلما وجدوا أعوانا رجعوا إلى عداوتهم منا إلا إنهم لم يدعوا الصلاة^{١١٨٨}.

و فيه قال منذر العلوي: قال محمد بن الحنفية لما أتاهم الله من أعلى الوادي و من أسفله و ملأوا الأودية كتائب: استسلموا حتى وجدوا أعوانا^{١١٨٩}.

و فيه: قال حبيب بن أبي ثابت: قال رجل في صفيين لعمار: ألم يقل النبي صلى الله عليه و آله: قاتلوا الناس حتى يسلموا فاذا أسلموا عصموا منى دماءهم و أموالهم. قال: بلى و لكن و الله ما أسلموا و لكن استسلموا و أسروا الكفر حتى وجدوا عليه أعوانا^{١١٩٠}.

^{١١٨٣} (٣) لم نعثر عليه في كتب التاريخ و التراجم.

^{١١٨٤} (٤) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

^{١١٨٥} (٥) انظر ابن أبي الحديد ١٥: ١١٤.

^{١١٨٦} (٦) الطبعة المصرية: ٥٣٢.

^{١١٨٧} (١) انظر ابن أبي الحديد ١٥: ١١٤.

^{١١٨٨} (٢) وقعة صفيين، لنصر ابن مزاحم: ٢٤١-٢٤٢ طبعة مصر.

^{١١٨٩} (٣) المصدر نفسه: ٢٤٢ طبعة مصر و هو منذر الثوري.

^{١١٩٠} (٤) وقعة صفيين لنصر بن مزاحم: ٢٤٣ طبع مصر.

و مما يدلّ على كفر معاوية ما رواه نصر مسندا عن رجل شامى قال:

سمعت النبیّ صلیّ الله علیه و آله يقول: شرّ خلق الله خمسة: إبليس، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الأوتاد، و رجل من بنى اسرائیل ردّهم عن دينهم و رجل من هذه الامة يبایع على كفره عند باب له قال الرجل: فلما رأيت معاوية يبایع عند باب

ص: ٥٠٠

له ذكرت قول النبیّ صلیّ الله علیه و آله فلحقت بعلى عليه السلام فكنت معه^{١١٩١}.

و ما رواه مسندا عن جابر الأنصارى قال: قال النبیّ صلیّ الله علیه و آله: يموت معاوية على غير ملّتی^{١١٩٢}.

و ما رواه مسندا عن الحسن البصرى قال: قال النبیّ صلیّ الله علیه و آله: اذا رأيت معاوية يخطب على منبرى فاقتلوه^{١١٩٣}.

قال الحسن: قال أبو سعيد الخدری: فلم نفعل و لم نفلح^{١١٩٤}.

٥

الكتاب (١١) و من وصیة له عليه السلام وصی بها جيشا بعته إلى العدو:

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بَعْدُ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ - فَلْيَكُنْ مُعْسَكْرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ - أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ - كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِذَاءٌ وَ دُونَكُمْ مَرَدًّا - وَ لَتَكُنْ مَقَاتِلُكُمْ مِنْ وَجْهِ وَاحِدٍ أَوْ اثْنَيْنِ - وَ اجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ - وَ مَنَاقِبِ الْهَضَابِ - لِنَلَّا يَأْتِيَكُمْ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانٍ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ - وَ اعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ - وَ عُيُونَ الْمُقَدِّمَةِ طَلَائِعُهُمْ وَ إِيَّاكُمْ وَ التَّفَرُّقَ - فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعًا - وَ إِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعًا - وَ إِذَا غَشِيَكُمْ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كَيْفَةً - وَ لَا تَذُقُوا النَّوْمَ إِلَّا غَرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً أَقُول: رواه نصر بن مزاحم فى (صفينه نصر بن مزاحم - وقعة صفين - ص ١٢٢)^{١١٩٥} و ابن أبى شعبة فى (تحفه ابن أبى شعبة - تحف العقول - ص ١٣٠)^{١١٩٦}

ص: ٥٠١

و الدينورى فى (طواله الدينورى - الأخبار الطوال - ص ١٥٦)^{١١٩٧}. ففى الأول: عمرو بن سعد عن يزيد بن خالد قال: ان عليّا عليه السلام حين أراد المسير من النخيلة دعا زياد بن النضر و شريح بن هانى - و كانا على مذبح و الأشعريين - بعثهما فى

^{١١٩١} (١) المصدر نفسه: ٢١٧.

^{١١٩٢} (٢) بحار الأنوار ٣٣: ١٨٧ ح ٤٦٥ ب ١٧.

^{١١٩٣} (٣) بحار الأنوار ٣٣: ١٨٦، ح ٤٦١ - ٤٦٢ ب ١٧.

^{١١٩٤} (٤) المصدر نفسه.

^{١١٩٥} (٥) وقعة صفين لنصر ابن مزاحم: ١٢٢.

^{١١٩٦} (٦) تحف العقول لابن أبى شعبة: ١٣٠.

^{١١٩٧} (١) الطوال للدينورى: ١٥٦.

اثنى عشر ألفا على مقدّمته شريح على طائفة و زياد على جماعة، فأخذ شريح يعتزل بمن معه من أصحابه على حدة و لا يقرب بزياد، فكتب زياد إليه عليه السلام: أما بعد فإنك و ليتنى أمر الناس و ان شريحا لا يرى لى عليه طاعة و لا حقًا، و ذلك من فعله بى استخفافا بأمرك و تركا لعهدك. و كتب إليه شريح: أما بعد فان زيادا حين اشتركته فى أمرك و وليته جندا من جنودك تنكّر و استكبر و مال به العجب و الخيلاء و الزهو إلى ما لا يرضاه الربّ تعالى، فان رأى أمير المؤمنين أن يعزله عنّا و يبعث مكانه من يحب فليفعل فإنّا له كارهون.

فكتب عليه السلام إليهما: أما بعد فانى قد وليت مقدّمى زياد بن النضر و أمرته عليها و شريح على طائفة منها أمير، فان ائتما جمعكما بأس فزياد على الناس و ان افترقتما فكلّ واحد منكما أمير على الطائفة التى وليناه أمرها، و اعلمنا ان مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلائعهم، فاذا ائتما خرجتما من بلادكما فلا تساما من توجيه الطلائع و من نقض الشعاب و الشجر و الخمر فى كلّ جانب كيلا يغير كما عدو أو يكون لهم كمين، و لا تسيروا الكتائب من لدن الصباح إلى المساء إلّا على تعبئة، فان دهمكم دهم أو غشيكم مكروه كنتم قد تقدّمتم فى التعبئة، و اذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم فى قبل الاشراف أو سفاح الجبال أو أثناء الأنهار كيما يكون ذلك ردءا و تكون مقاتلتكم من وجه أو اثنين، و اجعلوا رقباءكم فى صياصى الجبال و بأعلى

ص: ٥٠٢

الأشراف و مناكب الأنهار يرون لكم لثلا يأتىكم عدو من مكان مخافة أو أمن، و إيّاكم و التفرق، و اذا نزلتم فانزلوا جميعا و اذا رحلتم فارحلوا جميعا، و اذا غشيكم ليل فنزلتم فحفوا عسكركم بالرماح و الأترسة، و رماحكم يلون ترستكم و رماحكم، و ما أقمتكم فكذاك فافعلوا كيلا تصاب لكم غفلة و لا تلفى لكم غرة، فما قوم حفوا عسكرهم برماحهم و ترستهم من ليل أو نهار إلّا كانوا كأنهم فى حصون، و احرسا عسكر كما بأنفسكما، و إيّاكما أن تذوقوا نوما حتى تصبحا إلّا غرارا أو مضمضة، ثم ليكن ذلك شأنكما و دأبكما حتى تنتهيا إلى عدوكم، و ليكن عندى كلّ يوم خبر كما و رسول من قبلكما، فانى - و لا شىء إلّا ما شاء الله - حثيث السير فى آثار كما، و عليكم فى حربكما بالتودة و إيّاكم و العجلة إلّا أن تمكّنكم فرصة بعد الإعذار و الحجّة، و إيّاكما أن تقاتلا حتى أقدم عليكم إلّا أن تبدأ أو يأتىكما أمرى.

و فى الثانى - بعد ذكر وصيته إلى زياد بن النضر - ثم أردفه بكتاب يوصيه و يحذّره، و فيه: اعلم ان مقدّمه القوم عيونهم ...

و فى الثالث: لما اجتمع إلى علىّ عليه السلام قواصيه و انضمت إليه أطرافه تهيأ للمسير من النخيلة، فدعا زياد بن النضر و شريح بن هانى، فعقد لكلّ واحد منهما على سته آلاف فارس و قال: ليس كلّ واحد منكما منفردا عن صاحبه، فان جمعكما حرب فأنت يا زياد الأمير، و اعلمنا أن مقدّمه القوم عيونهم و عيون المقدّمه طلائعهم ...^{١١٩٨}.

قول المصنف: «و من وصيّة له عليه السلام وصّى بها جيشا» قد عرفت من رواية نصر المتقدّمه أنّه عليه السلام كتب بالعنوان إلى رئيسى جيشه زياد بن النضر و شريح بن هانى فى جعلهم مقدّمه له إلى الشام. و كذا من رواية (التحف)

ص: ٥٠٣

المتقدّمة، و اما رواية الدينورى المتقدّمة فالظاهر أنّه أراد الاختصار و ذكر المجلد.

«بعثه إلى العدو» و هو معاوية و أهل الشام.

قوله عليه السلام «فاذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم» أى مكان معسكركم.

«فى قبل» أى: استقبال.

«الاشراف» أى: الأمكنة العالية. قال شاعر:

كبر حتى لم يستطع ان يركب حماره إلّا من مكان عال

و أقود للشرف الرفيع حمارى «أو سفاح الجبال» فى (الصاح):^{١١٩٩} سفح الجبل أسفله حيث يسفح فيه الماء و هو مضطجعه.

«أو أثناء الأنهار» فى (الصاح): الثنى من الوادى و الجبل منعطفه^{١٢٠٠}.

«كيما يكون لكم رداء» أى: عوننا على الظفر.

«و دونكم مردا» للعدو.

«و لتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين» لثلا يحاصرکم العدو.

«و اجعلوا لكم رقباء» أى رصدا. و قالوا: الاكليل رقيب الثريا اذا طلعت احدهما عشاء غابت الاخرى.

«فى صياصى الجبال» أى: حصونها.

«أو بمنابك الهضاب» جمع الهضبة: الجبل المنبسط على وجه الأرض، و منابكها رؤوسها.

ص: ٥٠٤

^{١١٩٩} (١) الصاح للجوهري ١: ٣٧٥ مادة (سفح).
^{١٢٠٠} (٢) الصاح للجوهري ٤: ٢٢٩٤ مادة (ثنى).

«لئلا يأتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن» في (كامل المبرّد): كان المهلب يثّ الاحراس في الأمن كما يثّهم في الخوف، و يذكرى العيون في الأمصار كما يذكرىها في الصحارى، و يأمر أصحابه بالتحرّز و يخوّفهم البيات و ان بعد منهم العدو و يقول: احذروا أن تكادوا كما تكيدون و لا تقولوا غلبنا فالضرورة تفتح باب الحيلة.

و لما اجتمعت الخوارج بأرجان فنفتحهم المهلب نفحة رجعوا، فأكنن للمهلب في غمض من غموض الأرض يقرب من عسكره مائة فارس ليغتالوه، فسار المهلب يطوف بعسكره و يتفقد سواده، فوقف على جبل فقال: ان من التدبير لهذه المارقة أن تكون قد أكننت في سفح هذا الجبل كميناً، فبعث عشرة فوارس فاطلعوا على المكننة، فلما علموا أنّهم قد علموا بهم قطعوا القنطرة و يثسوا من ناحيته.

قال قطري بن الفجاءة - و هو أحد رؤسائهم - لأصحابه: المهلب من قد عرفتموه ان أخذتم بطرف ثوب أخذ بطرفه الآخر، يمدّه اذا أرسلتموه و يرسله اذا مددتموه لا يبدؤكم الا أن تبدءوه الا أن يرى فرصة فينتهزها، فهو الليث المبر و الثعلب الرواغ و البلاء المقيم^{١٢٠١}.

«و اعلموا ان مقدّمه القوم» في (الصحاح):^{١٢٠٢} مقدّمه الجيش - بكسر الدال - أوله.

«عيونهم» في (الصحاح): و العين الديدبان و الجاسوس.

«و عيون المقدّمه طلائعهم» في (الصحاح):^{١٢٠٣} طليعة الجيش من يبعث

ص: ٥٠٥

ليطلع طلع العدو.

«و إيّاكم و التفرّق فاذا نزلتم فانزلوا جميعاً و اذا ارتحلتم فارتحلوا جميعاً» و في (المروج): كانت سياسة يعقوب بن الليث الصفار أنّه كان بأرض فارس و قد أباح الناس أن يرتعوا، ثم حدث أمر أراد الرحيل من تلك الكورة، فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع، فروى رجل من أصحابه قد أسرع إلى دابته و الحشيش في فمها فأخرجه من فيها مخافة أن تلوكه بعد سماعة النداء، و أقبل على الدابة مخاطباً لها بالفارسية «دواب را از تر بریدند» يعنى قطعوا الدواب عن الرطبة.

و روى في عسكره في ذلك الوقت رجل من قواده ذو مرتبة و الدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه و بين بشرته، فقليل له في ذلك، فقال: نادى منادى الأمير البسوا السلاح و كنت أغتسل من جنابة، فلم يسعنى التشاغل بلبس الثياب^{١٢٠٤}.

^{١٢٠١} (١) الكامل للمبرّد ٣: ١٠٨٢.

^{١٢٠٢} (٢) الصحاح للجوهري ٤: ٢٠٠٨ مادة (قدم).

^{١٢٠٣} (٣) الصحاح للجوهري ٤: ٢١٧٠ مادة (عين).

^{١٢٠٤} (١) المروج للمسعودي ٤: ١١٤.

«وإذا غشيكم الليل فاجعلوا الرماح كَفَّةً» بالضم، فعن الأصمعي: كلَّ ما استطال نحو كفَّة الثوب و كفَّة الرمل فهو بالضمّ، و كلَّ ما استندار نحو كفَّة الميزان و كفَّة الصائد و كفَّة اللثة فهو بالكسر.

«ولا تذوقوا النوم إلَّا غرارا» أى: قليلا، و الأصل فيه الغرور، و هو ما يتغرغر به من الأدوية. و عن الأصمعي: يقال غارت الناقة تغار غرارا قل لبنها، و منه غرار النوم و هو قلاته.

و قال اعرابي:

لا أذوق النوم إلَّا غرارا مثل حسو الطير ماء الثماد

«أو مضمضة» قال المروح السلمي:

لما اتكأن على النمارق مضمضت بالنوم أعينهن غير غرار

ص: ٥٠٦

و قال آخر على نقل (الأساس):

يمسح بالكفين وجها أبيضاً إذا الكرى فى عينه تمضمضا

^{١٢٠٥} و على نقل (الصحاح):

و صاحب نبهته لينهضا إذا الكرى فى عينه تمضمضا

^{١٢٠٦} و لحسان على ما فى (ديوانه):

ما بال عينك يا حسان لم تتم ما ان تغمض إلا مؤثم القسم

١٢٠٧

٦

^{١٢٠٥} (١) أساس البلاغة للزمخشري: ٤٣١ مادة (مضمض).
^{١٢٠٦} (٢) الصحاح للجوهري ٢: ١١٠٦ مادة (مضمض).
^{١٢٠٧} (٣) ديوان حسن بن ثابت: ٣٠٠٩.

الكتاب (١٢) و من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف مقدمة له:

اتَّقِ اللَّهَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ - وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ - وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ - وَ سِرِّ الْبَرْدَيْنِ وَ غَوِّرْ بِالنَّاسِ - وَ رَفِّهِ فِي السَّيْرِ وَ لَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ - فَإِنَّ اللَّهَ جَعَلَهُ سَكَنًا وَ قَدَرَهُ مَقَامًا لَا ظَنًّا - فَأَرْحَ فِيهِ بَدَنَكَ وَ رَوْحَ ظَهْرِكَ - فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ - أَوْ يَنْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ - فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَ سَطًا - وَ لَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوً مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْسِبَ الْحَرْبَ - وَ لَا تَبَاعَدَ مِنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ - حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي - وَ لَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَانُهُمْ عَلَى قِتَالِهِمْ - قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ أَقُولُ: المفهوم من كتب السير أن وصيته عليه السلام إلى معقل إلى قوله «فسر

ص: ٥٠٧

على بركة الله»، و أما ما بعده «فاذا لقيت العدو...»، فأنما وصيته عليه السلام إلى الأشتر حين بعثه مددا لزياد بن النضر و شريح بن هاني - و كان عليه السلام قدمهما من قرقيسا إلى معاوية.

اما الأول، ففي (صفين نصر) عن أبي الوداك قال: ان عليا عليه السلام بعث معقل بن قيس في ثلاثة آلاف و قال له: خذ على الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقعة فإني موافيه. و سكن الناس و آمنهم، و لا تقاتل إلّا من قاتلك، و سر البردين و غور الناس و أقم الليل و رفّه في السير، و لا تسر أول الليل فان الله جعله سكنا، أرح فيه بدنك و جندك و ظهرك، فاذا كان السحر أو حين ينبطح الفجر فسر. فخرج حتى أتى الحديثة و هي اذ ذاك منزل الناس - أنما بنى مدينة الموصل بعد ذاك مروان بن محمد - فاذا هم بكبشين ينتطحان و مع معقل رجل من خثعم يقال له شداد بن أبي ربيعة قتل بعد ذلك مع الحرورية، فأخذ يقول ايه ايه. فقال معقل: ما تقول؟ فجاء رجلا نحو الكبشين فأخذ كل واحد كبشا ثم انصرفا.

فقال الخثعمي لمعقل: لا تغلبون و لا تغلبون. قال له معقل: من أين علمت ذلك؟ قال: أما أبصرت الكبشين أحدهما مشرق و الآخر مغرب التقيا فاقتتلا و انتطحا فلم يزل كل واحد منهما من صاحبه منتصفا حتى أتى كل واحد منهما صاحبه فانطلق به.

ثم مضوا حتى أتوه عليه السلام بالرقعة^{١٢٠٨}.

و أمّا الثاني فروى نصر^{١٢٠٩} و الطبري^{١٢١٠} أن عليا عليه السلام أرسل إلى الأشتر ان

ص: ٥٠٨

زيادا و شريحا ارسلنا إلى يعلماني أنهما لقيا أبا الأعور السلمي في جند من أهل الشام بسور الروم، فنبأني الرسول أنه تركهم متوافقين، فالتجأ إلى أصحابك النجا، فاذا أتيتهم فأنت عليهم، و إياك أن تبدأ القوم بقتال إلّا أن يبدءوك حتى تلقاهم و تسمع منهم، و لا يجزئك شأنهم على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم مرّة بعد مرّة، و اجعل على ميمنتك زيادا و على ميسرتك

^{١٢٠٨} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٨.

^{١٢٠٩} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٥٣.

^{١٢١٠} (٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٦٤.

شريحاً، وقف بين أصحابك وسطاً و لا تدن منهم دنو من يريد أن ينشب الحرب و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس حتى أقدم إليك فاني حثيث السير إليك إن شاء الله^{١٢١١}.

قول المصنف: «و من وصية له عليه السلام لمعقل بن قيس الرياحي» في (الطبري): خرج المستورد الخارجي على المغيرة لما كان والياً على الكوفة من قبل معاوية، فقال المغيرة لقبیصة رئيس شرطته: الصق لي بشيعة على فأخرجهم مع معقل فان معقلاً كان من رؤساء أصحابه، فاذا بعث بشيعته الذين كانوا يعرفون فاجتمعوا جميعاً استأنس بعضهم إلى بعض و تناصحوا و هم أشد استجلالاً لدماء هذه المارقة و أجراً عليهم من غيرهم، و قد قاتلوا معهم قبل هذه المرة - إلى أن قال - فمشى المستورد و معقل كلّ منهما إلى صاحبه و بيد المستورد الرمح و بيد معقل السيف، فأشرح المستورد الرمح في صدر معقل حتى خرج السنان من ظهره، فضربه معقل بالسيف على رأسه حتى خالط السيف أمّ الدماغ فخرّاً ميتين^{١٢١٢}.

«حين أنفذه إلى الشام في ثلاثة آلاف» قد عرفت من رواية نصر^{١٢١٣}

ص: ٥٠٩

أنّه عليه السلام أنفذه من الطريق في ثلاثة آلاف من المدائن و قال له: خذ على محل الموصل ثم نصيبين ثم القنى بالرقّة، فأتاه عليه السلام بالرقّة.

قوله عليه السلام «اتق الله الذي لا بدّ لك من لقائه» «يا أيّها الإنسان إنك كادحٌ إلى ربّك كدحاً فمُلاقِيهِ»^{١٢١٤}.

«و لا منتهى لك دونه» «ألا تزرّ وازرةً وزرَ أخرى و أن ليسَ للإنسانِ إلّا ما سعى و أن سعيه سوف يَرى ثمّ يُجزّاهُ الجزاءَ الأوْفى و أن إلى ربّكَ المُنتهى»^{١٢١٥}.

«و سر» أمر من السير.

«البردين» أي: الغداة و العشي.

«و غور بالناس» في (الجمهرة): غوّروا اذا نزلوا في الهاجرة و أراحوا^{١٢١٦}.

«و رفّه بالسير» أي: وسّع به عليهم من (رفّه من خناقه).

«و لا تسرّ أول الليل فان الله جعله سكناً» «فالقُ الإصباح و جعلَ اللَّيْلَ سَكَنًا»^{١٢١٧}.

^{١٢١١} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٥٣، و تاريخ الطبري ٣: ٥٦٤.

^{١٢١٢} (٢) تاريخ الأمم و الملوك للطبري ٤: ١٤٤.

^{١٢١٣} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٥ - طبع النجف.

^{١٢١٤} (١) الانشقاق: ٦.

^{١٢١٥} (٢) النجم: ٣٨ - ٤٢.

^{١٢١٦} (٣) جمهرة اللغ لابن دريد ٣: ١٢٦٧.

«و قدره مقاما لا ظعنا» أى: حركة.

«فأرح» أى: اعط الراحة، قال النابغة:

و صدر أراح الليل عازب همّه.

«فيه بدنك و روحٌ ظهرك» قال ابن أبى الحديد: أمره عليه السلام أن يريح فى الليل بدنه و ظهره و هى الإبل. و (بنو فلان مظهرون) أى: لهم ظهر ينقلون عليه كما

ص: ٥١٠

تقول منجبون أى لهم نجائب^{١٢١٨}.

و قال الراوندى: «الظهور الخيول» و ليس بصحيح^{١٢١٩}.

قلت: الأظهر كون الظهر أعم من الخيل و الإبل، فالعسكر معهم خيل يركبون عليها و إبل يحملون عليها، فلو لم يكن الظهر هنا أعمّ لكان عليه السلام يقول «و روح ظهرك و خيلك». و أيضا قال فى (النهاية): فى حديث الخيل: «و لم ينس حقّ الله فى رقابها و لا ظهورها» حقّ الظهور ان يحمل عليها منقطعا به أو يجاهد عليها، و منه الحديث الآخر: «و من حقّها إفقار ظهرها...»^{١٢٢٠}.

اللهم إلّا أن يقال ان الحديثين أعم، لأنّ فيهما «ظهور الخيل» و «ظهر الخيل»، و هو غير الظهر المطلق، كما أنّه يمكن أن يقال اقتصر عليه السلام فى ترويح الإبل لأنّ أتعابها أكثر بحمل الأتقال بخلاف الخيل التى يركبها الرجال.

«فاذا وقفت حين ينبطح» أى: ينبسط.

«السحر أو حين ينفجر» أى: ينشق.

«الفجر فسر على بركة الله، فاذا لقيت العدو فقف من أصحابك وسطا» فى (عيون القتبي) ^{١٢٢١}: قرأت فى الاثنين: من سنّة الحرب أن يرتاد للقلب مكانا مشرفا، فان أصحاب الميمنة و الميسرة لا يقهرون و لا يغلبون، و ان زالتا بعض الزوال ما ثبت القلب.

«و لا تدن من القوم دنوّ من يريد أن ينشب» أى ينشئ.

^{١٢١٧} (٤) الأنعام: ٩٦.

^{١٢١٨} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٥: ٩٤.

^{١٢١٩} (٢) منهاج البراعة للقطب الراوندى: عنده ٣: ٢٥ «روح ظهرك».

^{١٢٢٠} (٣) النهاية لابن الأثير ٣: ١٦٦.

^{١٢٢١} (٤) العيون للقتبي ١: ١١٢.

الحرب، و لا تباعد منهم تباعد من يهاب البأس» أى: يخاف الحرب.

«حتى يأتيك أمرى» و قد عرفت ان فى رواية نصر «حتى اقدم عليك».

ص: ٥١١

«و لا يحملنكم شأنهم» أى: بغضهم.

«على قتالهم قبل دعائهم و الاعذار إليهم» «يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط و لا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى»^{١٢٢٢} «و لا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا»^{١٢٢٣}.

٧

الكتاب (١٤) و من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين:

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ - فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى حُجَّةٍ - وَ تَرَكُّكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَءُوكُمْ حُجَّةً أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ - فَإِذَا كَانَتِ الْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ اللَّهِ - فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا وَ لَا تُصِيبُوا مُعُورًا - وَ لَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ - وَ لَا تَهَيِّجُوا النِّسَاءَ بِأَذَى - وَ إِنْ شَتَمَنَ أَعْرَاضَكُمْ وَ سَبَبَنَ أُمَرَاءَكُمْ - فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ الْقُوَى وَ الْأَنْفُسِ وَ الْعُقُولِ - إِنْ كُنَّا لَنُؤَمِّرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَ إِنَّهُنَّ لَمُشْرَكَاتٌ - وَ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ الْمَرْأَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ - بِالْفَهْرِ أَوْ الْهَرَاوَةِ - فَيَعِيرُ بِهَا وَ عَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ قَوْلُ الْمُصَنَّفِ: «و من وصية له عليه السلام لعسكره قبل لقاء العدو بصفين» هكذا فى (المصرية):^{١٢٢٤} و الصواب: «و من وصية له عليه السلام لعسكره بصفين قبل لقاء العدو» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٢٢٥}.

ص: ٥١٢

و كيف كان ففى (الطبرى): أمر على عليه السلام فى انصلاح المحرم من سنة (٣٧) مرثد بن حارث الجشمى فنادى عند غروب الشمس: ألا ان أمير المؤمنين يقول لكم: «انى قد استدمتكم لتراجعوا الحق و تتيبوا إليه، و احتججت عليكم بكتاب الله عز و جل فدعوتكم إليه فلم تناهوا عن طغيان و لم تجيبوا إلى حق، و انى قد نبذت إليكم على سواء ان الله لا يحب الخائنين». ففزع أهل الشام إلى أمرائهم و خرج معاوية و عمرو بن العاص يكتبان الكتاب و بات على عليه السلام ليلته كلها يعبى الناس و يكتب الكتاب و يدور فى الناس يحرضهم.

^{١٢٢٢} (١) المائدة: ٨.

^{١٢٢٣} (٢) المائدة: ٢.

^{١٢٢٤} (٣) الطبعة المصرية: ٥٣٠.

^{١٢٢٥} (٤) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ١٥: ١٠٤، لا نرى أى اختلاف فى المعنى بين العبارة التى أوردها محمد عبيد و العبارة التى أوردها ابن ابى الحديد.

قال أبو مخنف: حدثني عبد الرحمن بن جندب الأزدي عن أبيه أن علياً عليه السلام كان يأمرنا في كل موطن لقينا فيه عدواً فيقول: لا تقتلوهم حتى يبدءوكم، فأنتم بحمد الله عز وجل على حجة، وترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم، فإذا قاتلتموهم فهزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تكشفوا عورة ولا تمثّلوا بقتيل، فإذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترها ولا تدخلوا داراً إلّا باذن ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم، فإنهن ضعاف القوى والأنفس^{١٢٢٦}.

و رواه نصر بن مزاحم مثله و زاد: و العقول و لقد كنّا لنؤمر بالكفّ عنهنّ و انهنّ لمشركات و ان كان الرجل ليتناول المرأة في الجاهلية بالهراوة أو الحديد فيغير بها عقبه من بعده^{١٢٢٧}.

و روى (الكافي) في باب ما يوصى عليه السلام عند القتال عن عبد الرحمن بن جندب عن أبيه أنه عليه السلام كان يأمر في كل موطن لقينا فيه عدونا فيقول: لا

ص: ٥١٣

تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم، فإنكم على حجة و ترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة لكم أخرى. فإذا هزمتوهم فلا تقتلوا مدبراً ولا تجهزوا على جريح ولا تمثّلوا بقتيل^{١٢٢٨}.

و في حديث مالك بن أعين قال: حرّض على عليه السلام الناس بصفين فقال: ان الله تعالى قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم - إلى أن قال - و اذا وصلتكم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترها ولا تدخلوا داراً ولا تأخذوا شيئاً من أموالهم إلّا ما وجدتم في عسكرهم، و لا تهيجوا المرأة بأذى و ان شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم و صلحاءكم، فإنهنّ ضعاف القوى و الأنفس و العقول، و قد كنّا نؤمر بالكفّ عنهنّ و إنهنّ مشركات، و ان كان الرجل ليتناول المرأة فيغير بها و عقبه من بعده^{١٢٢٩}.

قوله عليه السلام «لا تقتلوهم حتى يبدءوكم فإنكم بحمد الله على حجة و ترككم إياهم حتى يبدءوكم حجة أخرى لكم عليهم» و كذلك ابنه الحسين عليه السلام يوصي أصحابه يوم الطف، ففي (الطبري): بعد ذكر إرسال عبيد الله بن زياد للحرّ مع ألف لإدخاله الكوفة ثم إتباعه برسول أن ينزله عليه السلام على غير حصن و لا ماء:

و أخذ الحر الحسين عليه السلام بالنزول فقال عليه السلام: دعنا ننزل في هذه القرية - يعني نينوى - أو هذه - يعني الغاضرية - أو هذه - يعني شقية - فقال: لا و الله ما أستطيع ذلك، هذا رجل قد بعث عينا علىّ. فقال له زهير: يا بن رسول الله ان قتال هؤلاء أهون علينا من قتال من يأتينا من بعدهم، فلمعري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به. فقال الحسين عليه السلام: ما كنت لأبدأهم بالقتال^{١٢٣٠}.

^{١٢٢٦} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٦.

^{١٢٢٧} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٠٣.

^{١٢٢٨} (١) الكافي ٥: ٣٨ ح ٣.

^{١٢٢٩} (٢) رواه ابن أبي الحديد في شرحه عن نصر بن مزاحم. بحار الأنوار ٣٣: ٣٦١.

^{١٢٣٠} (٣) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٣٠٨.

ص: ٥١٤

و فيه - بعد ذكر أمر الحسين عليه السلام في صبيحة العاشر بجمع الحطب و القصب في خلف خيمة النساء و إلقاء النار فيها لئلا يحمل العدو عليهن و مشاهدة شمر ذلك فنادى شمر بأعلى صوته: يا حسين استعجلت النار في الدنيا قبل يوم القيامة فقال عليه السلام له يابن راعية المعزى أنت أولى بها صلياً:-

فقال مسلم بن عوسجة للحسين عليه السلام: ألا أرميه يابن رسول الله بسهم، فإنه قد أمكنني و ليس يسقط مني سهم و الفاسق من أعظم الجبارين. فقال عليه السلام له: لا فإنني أكره أن أبدأهم^{١٢٣١}.

قال الجاحظ: ربما رأيت بعض من يظن بنفسه العقل و التحصيل و الفهم و التميز و هو من العامة و يظن أنه من الخاصة، يزعم ان معاوية كان أبعد غورا من على عليه السلام و أصحّ فكرا و أجود رؤية و أبعد غاية و أدقّ مسلكا، و ليس الأمر كذلك، و سأرمي إليك بجملة تعرف بها موضع غلظه و المكان الذي دخل عليه الخطأ من قبله، كان على عليه السلام لا يستعمل في حروبه إلّا ما وافق الكتاب و السنّة، و كان معاوية يستعمل خلاف الكتاب و السنّة و يستعمل جميع المكائد حلالها و حرامها، و يسير في حروبه بسيرة ملك الهند إذا لا في كسرى و سيرة خاقان اذا لا في رتبيل، و على عليه السلام يقول في حروبه «لا تبدءوهم بالقتال حتى يبدءوكم و لا تتبعوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح و لا تفتحوا بابا مغلقا» هذه سيرته في ذى الكلاع و أبى الأعور السلمي و عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمة، و في جميع الرؤساء كسيرته في الحشو و الاتباع و السفلة، و أصحاب الحروب ان قدروا على البيات بيتوا و ان قدروا على رضخ الجميع بالجندل و هم نيام فعلوا، و لم يؤخروا الحرق إلى وقت الغرق، و ان أمكن الهدم لم يتكلفوا الحصار، و لم يدعوا أن يضعوا المجانيق و العرادات و النقب و الشريب

ص: ٥١٥

و الدبابات و الكمين، و لم يدعوا دسّ السموم و لا التضريب بين الناس بالكذب و طرح الكتب في عساكرهم بالسعايات و توهيم الامور و اياحاش بعض من بعض و قتلهم بكلّ آلة و حيلة كيف وقع القتل و كيف دارت بهم الحال، فمن اقتصر من التدبير على ما في الكتاب و السنّة كان قد منع نفسه الطويل و العريض من التدبير و ما لا يتناهى من المكائد، و الكذب أكثر من الصدق و الحرام أكثر من الحلال.

فعلى عليه السلام كان ملجما بالورع عن جميع القول إلّا ما هو لله رضى، و ممنوع اليدين من كلّ بطش إلّا ما هو لله رضى، و لا يرضى الرضا إلّا فيما يرضاه الله و يحبّه، و لا يرى الرضا إلّا فيما دلّ عليه الكتاب و السنّة دون ما يقول أصحاب الدهاء و النكراء و المكائد و الآراء. فلما أبصرت العوام كثرة غرائب معاوية في الخدع و ما اتفق له و تهيأ على يده و لم يروا ذلك من على عليه السلام ظنّوا بقصر عقولهم و قلّة علومهم أن ذلك من رجحان عند معاوية و نقصان عند على عليه السلام^{١٢٣٢}.

«فإذا كانت الهزيمة» منكم للعدو باذن الله.

^{١٢٣١} (١) تاريخ الامم و الملوك ٣: ٣١٨ (دار الكتب العلمية).
^{١٢٣٢} (١) ذكره ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٠: ٢٢٨ - ٢٢٩.

«فلا تقتلوا مدبرا» من ولى عن الحرب.

«و لا تصيبوا معورا» أى: معيوباً.

«و لا تجهزوا على جريح» قال الأصمعى: أجهزت على الجريح إذا اسرعت قتله و قد تمتت عليه.

هذا، و قد عرفت من نقل المصنف و رواية (الكافى) و الطبرى أنه عليه السلام قال ذلك (إذا كانت الهزيمة فلا تقتلوا مدبرا و لا تجهزوا على جريح) فى صفين، لكن ينافيه ما رواه الكلينى عن شريك قال: لما انهزم الناس يوم الجمل قال

ص: ٥١٦

على عليه السلام: لا تتبعوا مؤلّياً و لا تجهزوا على جريح، و لمّا كان يوم صفين قتل عليه السلام المقبل و المدبر و أجاز على جريح، فقال أبان بن تغلب لعبد الله بن شريك: هذه سيرتان مختلفتان. فقال: ان أهل الجمل قتل طلحة و الزبير و ان معاوية كان قائماً بعينه و كان قائدهم.

و يمكن الجمع بأنّه عليه السلام علّق النهى فى الخبر فى صفين أيضاً بحصول الهزيمة و لم تحصل و ان كانوا أشرفوا على الانهزام، فان كان حصل بقتل معاوية أو فراره كان الحكم فى صفين كالجمل بعدم قتل المدبر و ترك الاجهاز على الجريح. و بالجملة الكلام صحيح فى تعليقه.

و أما فى (صفين نصر) عن الشعبى قال: أسر على عليه السلام يوم صفين أسرى فخلّى سبيلهم، فأتوا معاوية و قد كان عمرو بن العاص قال لمعاوية فى اسرى أسرههم اقتلهم فما شعروا إلّا بأسراهم، فقال معاوية لعمرو: لو أطعناك لوقعنا فى قبيح فأمر بتخليئه من فى يده^{١٢٣٣}.

و كان على عليه السلام إذا أخذ أسيراً من أهل الشام خلّى سبيله إلّا أن يكون قد قتل من أصحابه أحداً فيقتله به، فإذا خلّى سبيله و عاد الثانية قتله.

و كان على عليه السلام لا يجيز على الجرحى و لا على من أدبر بصفين لمكان معاوية فالظاهر كونه تصحيفاً و الأصل يجيز على الجرحى و على من أدبر لما مر، و لما رواه (الكافى) أيضاً عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السلام قال: ليس لأهل العدل أن يتبعوا مدبرا و لا يقتلوا أسيراً و لا يجهزوا على جريح إذا لم يبق من أهل البغى أحد، فإذا كان لهم فئة فان أسيرهم يقتل و مدبرهم يتبع و جريحهم يجهز عليه.

«و لا تهيجوا النساء بأذى و ان شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم» فى

ص: ٥١٧

^{١٢٣٣} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٨.

(الطبري) في روايات سيف أنه عليه السلام قال ذلك يوم الجمل أيضا، فروى أنه عليه السلام لما ورد دار عبد الله بن خلف التي نزلتها عائشة قالت صفيّة امرأة عبد الله بن خلف - وكان زوجها قتل مع عائشة - له عليه السلام: يا قاتل الأحبة يا مفرق الجمع، أيتم الله بنيك منك كما أيتمت ولد عبد الله. فقال عليه السلام: أما لهمت ان أفتح هذا الباب - وأشار إلى باب من الدار - وأقتل من فيه، ثم أفتح هذا - وأشار إلى باب آخر - فأقتل من فيه، و كان أناس من الجرحى قد لجئوا إلى عائشة، فأخبر على عليه السلام بمكانهم عندها. فسكتت صفيّة. فخرج على عليه السلام فقال رجل من الأزد:

و الله لا تفلتنا هذه المرأة، فغضب و قال: صه لا تهتك سترنا و لا تدخلن دارنا و لا تهيجن امرأة بأذى و ان شتمن أعراضكم و سفهن امراءكم و صلحاءكم فانهن ضعاف، و لقد كنا نؤمر بالكف عنهن و انهن لمشركات، و ان الرجل ليكافى المرأة و يتناولها بالضرب فيعير بها عقبه من بعده^{١٢٣٤}.

«فانهن ضعيفات القوى و الأنفس و العقول» في (صفين نصر): لما قتل الأشتر الأجلح ابن منصور من فرسان الشام قالت اخته:

شفانا الله من أهل العراق قد أبادونا
أما يخشون ربهم و لم يرعوا له ديننا

فقال عليه السلام: أما انهن ليس يملكن ما رأيتم من الجزع، أما انهن قد أضروا بنسائهم فتركوهن خزايا من قبل ابن آكله الأكباد، اللهم حملة آثامهم و أوزارهم و أثقالا مع أثقالهم. قالوا: و ماتت حزنا على أخيها^{١٢٣٥}.

«ان» مخففة من المثقلة.

«كنا لنؤمر بالكف عنهن و انهن لمشركات» في (الطبري): مما صنع تعالى لنبيه ان الأوس و الخزرج كانا يتصاولان مع النبي تصاول الفحلين لا تصنع

ص: ٥١٨

احدهما شيئا إلّا صنعت الاخرى مثلها، فلما أصابت الأوس كعب بن الأشرف اليهودي الذي كان عدو النبي صلى الله عليه و آله قالت الخزرج: لا يذهبون بها فضلا علينا أبدا. فتذاكروا للنبي صلى الله عليه و آله أبا رافع بن أبي الحقيق الخيبري الذي كان في العداوة ككعب و استأذنوه في قتله فاذن لهم، فخرج منهم ثمانية فقال صلى الله عليه و آله لهم لا تقتلوا وليدا أو امرأة. فخرجوا حتى قدموا خيبر فأتوا دار ابن أبي الحقيق ليلا فلم يدعوا بيتا في الدار إلّا أغلقوه من خلفهم على أهله حتى قاموا على بابه في عليه له، فاستأذنوا فخرجت إليهم امرأته فقالت: من أنتم؟ قالوا: نفر من العرب نلتمس الميرة. قالت: ذاك صاحبكم فادخلوا عليه فلما دخلوا أغلقوا عليها الباب، فصاحت بهم فجعل الرجل منهم يرفع عليها السيف ثم يذكر نهى النبي صلى الله عليه و آله فيكف يده ثم قتلوه^{١٢٣٦}.

^{١٢٣٤} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٣: ٥٤٣.

^{١٢٣٥} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٨.

^{١٢٣٦} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٢: ١٨٤.

و فى (الأسد)- فى رباح أخى حنظلة-: خرج رباح مع النبىّ صَلَّى الله عليه و آله فى غزوة و كان على مقدّمته خالد بن الوليد، فمر هو و جمع على امرأة مقتولة ممّا أصاب المقدّم، فوقفوا ينظرون إليها و يتعجبون من خلقها، حتى جاء النبىّ صَلَّى الله عليه و آله فقال: ما كانت هذه تقاتل. ثم نظر فى وجوه القوم فقال لرجل: أدرك خالدا و قل له لا يقتلن ذرية و لا عسيفا^{١٢٣٧}.

و فى الخبر: سقطت الجزية عن النساء لعدم جواز قتلهن^{١٢٣٨}.

«وإن كان الرجل ليتناول المرأة فى الجاهلية بالفهر» فى (الصحيح): الفهر الحجر ملء الكفّ يذكر و يؤنث^{١٢٣٩}.

و فى (الجمهرة): الفهر حجر يملأ الكف، و هى مؤنثة يدلّك على ذلك تصغيرهم

ص: ٥١٩

إياها فهيرة^{١٢٤٠}.

«أو الهراوة» فى (الصحيح): الهراوة العصا الضخمة و الجمع الهراوى بفتح الواو.

«فيعبر بها و عقبه من بعده» قال البحتري:

و انى لئيم ان تركت لا سرتى
أو ابد تبقى فى القراطيس و الصحف

١٢٤١.

٨

الخطبة (٢٠٤) و من كلام له عليه السلام و قد سمع قوما من أصحابه يسبون أهل الشام أيام حربهم بصفين:

إِنِّى أكره لكم أن تكونوا سبّايين - و لكنكم لو وصفتُم أعمالهم و ذكرتُم حالهم - كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر - و قلتم مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ - اللَّهُمَّ احقنْ دِمَاءَنَا و دِمَاءَهُمْ - و أصلح ذاتَ بَيْنِنَا و بَيْنَهُمْ و اهدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ - حَتَّى يَعْرِفَ الْحَقُّ مَنْ جَهِلَهُ - و يَرْغَوِىَ عَنِ الْغَىِّ و الْعُدُوَانِ مَنْ لَهَجَ بِهِ قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام و قد سمع» هكذا فى (المصرية) و مثله ابن أبى الحديد و لكن ابن ميثم «و قال عليه السلام و قد رأى»^{١٢٤٢}.

^{١٢٣٧} (٢) اسد الغابة لابن الاثير ٢: ١٦٠.

^{١٢٣٨} (٣) التهذيب للطوسي: ٦: ١٥٦ رواية ١٧١ الباب ٢٢.

^{١٢٣٩} (٤) الصحيح للجوهري ٢: ٧٨٤ مادة (فهر).

^{١٢٤٠} (١) جمرة اللغة لابن دريد ٢: ٧٨٩ مادة (رفه).

^{١٢٤١} (٢) البحتري: ٤١ فى مدح محمد الطوسي و معانيته.

^{١٢٤٢} (٣) الطبعة المصرية: شرح محمد عبده: ٤٦٣ اما ابن أبى الحديد: ١١: ٢١ الرواية (١٩٩) و ابن ميثم: ٤: ١٣ بلفظ:

«قوما من أصحابه يسبون أهل الشام» القوم حجر بن عدى و عمرو بن الحمق.

ص: ٥٢٠

«أيام حربهم بصفين» بل فى الكوفة لما أرادوا الخروج إلى صفين - ففى (طوال الدينورى) - بعد ذكر عقده عليه السلام لواء بالكوفة لربيع بن خثيم على القراء لشعر قزوين و الرى: و بلغ عليًا عليه السلام أن حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهران شتم معاوية و لعن أهل الشام، فأرسل إليهما أن كفا عما بلغنى عنكما، فأتياه فقالا: ألسنا على الحق و هم على الباطل؟ قال: بلى و ربّ الكعبة المسدنة. قالوا:

فلم تمنعنا من شتمهم و لعنهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا شتامين لعانين، و لكن قولوا «اللهم احقن دماءنا و دماءهم، و اصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله و يرعوى عن الغى من لهج به» و لما عزم عليه السلام على الشخوص أمر مناديا فنادى الخروج إلى المعسكر بالنخيلة.

و فى (صفين نصر) - بعد ذكر طلب يزيد الأرحبى منه عليه السلام أمره الناس بالخروج من الكوفة إلى المعسكر - قال عبد الله بن شريك: و خرج حجر بن عدى و عمرو بن الحمق يظهران البراءة و اللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما على عليه السلام أن كفا عما يبلغنى عنكما. فأتياه فقالا: ألسنا محقّين؟ قال: بلى. قالوا:

فلم منعنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعانين شتامين تشتمون و تتبرءون و لكن لو وصفتهم مساوى أعمالهم فقلت من سيرتهم كذا و كذا و من عملهم كذا و كذا كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر، و قلت مكان لعنكم إياهم و براءتكم منهم «اللهم احقن دماءنا و دماءهم و اصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالتهم حتى يعرف الحق من جهله و يرعوى عن الغى و العدوان من لهج به» كان هذا أحبّ إليّ و خيرا لكم. فقالا: نقبل عظمتك و نتأدّب بأدبك^{١٢٤٣}.

و قد نقل الثانى ابن أبى الحديد فى موضع آخر بلا ربط، و غفل عنه هنا^{١٢٤٤}.

ص: ٥٢١

قوله عليه السلام «انى أكره لكم أن تكونوا سبّابين» فى (ذيل الطبرى) مسندا عن أبى جرى قال: انتهيت إلى رجل و الناس حوله يصدرون عن رأيه، ما قال لهم من شىء رضوا به، فقلت فى نفسى ان هذا لرجل - من هذا؟ قالوا: رسول الله. قلت: عليك السلام. قال: «عليك السلام» تحية الميّت و لكن قل: السلام عليك. قلت: السلام عليك، أنت رسول الله؟ قال: نعم أنا رسول الله الذى إذا أصابك ضرّ فدعوته استجاب لك، و إذا أصابك عام سنة فدعوته استجاب لك، و إذا كنت فى قفر فضلت

«سمع» كما المصرية.

^{١٢٤٣} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٢.

^{١٢٤٤} (٢) ذكر ابن ابى الحديد العبارة فى الجزء ٣: ١٨١ فى الرواية ٤٦ و التى تبدأ بـ «اللهم انى أعوذ بك....».

راحتك فدعوته ردّها عليك. قلت: بأبي أنت و أمّي اعهد إليّ عهدا. قال: «لا تسبّين أحدا». فما سببت بعده حرّاً و لا عبدا و لا شاة و لا بعيرا^{١٢٤٥}.

و فى (كامل المبرد): قيل لصخر بن عمرو أخى الخنساء: اهج غطفان - و كانوا قتلوا أخاه معاوية بن عمر - فقال: ما بينى و بينهم أفزع، و لو لم أمسك عن هجائهم إلّا صونا لنفسى عن الخنا لفعلت. ثم قال:

و عاذلة هبّت لبلى تلومنى

ألا لا تلومى كفى اللوم مايا

تقول الا تهجو فوارس هاشم

و مالى اذ أهجوهم ثم ماليا

ابى الشتم انى قد أصابوا كريمتى

و ان ليس اهداء الخنا من شماليا

^{١٢٤٦} و قالوا:

و شرّ عداوة المرء السباب.

ثم ان معاوية و أصحابه و ان كانوا مستحقّين للّعن و للسب إلّا أنّه لما كان مؤدّيا إلى معاملتهم بالمثل لم يكن مريضا، قال تعالى: «وَلَا تُسَبُّوا الَّذِينَ»

ص: ٥٢٢

يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ ...^{١٢٤٧}.

و امّا قنوته عليه السلام بعد صفين على معاوية و جمع آخر فأنما كان بعد اتمام الحجّة و تنكّبهم عن المحجّة، مع أنّه عليه السلام لو لم يفعل ذلك لفعله معاوية و لم يختص به، ففعل ذلك جميع بنى أميّة سوى ابن عبد العزيز و كان ذلك سببا عندهم لبقاء سلطنتهم و لم يكتفوا بذلك فوضعوا أحاديث فى ذمه عليه السلام.

«و لكنكم لو وصفتم أعمالهم و ذكرتم حالهم كان أصوب فى القول و أبلغ فى العذر» لأنّه لا يمكنهم انكار أعمالهم الشنيعة، و كان هو عليه السلام و عترته مع خصومهم كذلك.

ففى (مقاتل أبى الفرج): لما بوىع معاوية خطب فذكر عليّا عليه السلام فنال منه و نال من الحسن عليه السلام فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه، فأخذ الحسن بيده فأجلسه ثم قام فقال: أيّها الذّاكر عليّا أنا الحسن و أبى على و أنت معاوية و أبوك صخر و

^{١٢٤٥} (١) ذيل المذلل للطبري: ٦٥.

^{١٢٤٦} (٢) الكامل للمبرّد ٣: ١٢٢١ - ١٢٢٢.

^{١٢٤٧} (١) الأنعام: ١٠٨.

أُمِّي فاطمة و أمّك هند و جدّي رسول الله و جدّك حرب و جدّتي خديجة و جدّتك قتيلة، فلعن الله أئمننا ذكرا و الأئمننا حسبا و شرنا قداما و أقدمنا كفرا و نفاقا. فقال طوائف من أهل المسجد: آمين^{١٢٤٨}.

و في (الإرشاد): وقف على على بن الحسين عليه السلام رجل من أهل بيته فأسمعه و شتمه فلم يكلمه، فلما انصرف قال لجلسائه: قد سمعتم ما قال هذا الرجل، و انا أحب أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا مني ردّي عليه. فقالوا:

نفعل و لقد كنّا نحب أن تقول له و تقول. فأخذ عليه السلام نعليه و مشى و هو يقول «وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ» فعلموا أنّه لا يقول له شيئا، فخرج حتى أتى منزل الرجل فصرخ به فقالوا: هذا على بن

ص: ٥٢٣

الحسين فخرج متوثبا للشر - و هو لا يشكّ أنّه انما جاء مكافئا له - فقال عليه السلام له:

يا أخى أنّك قد وقفت على أنفا و قلت و قلت، فان كنت قلت ما فيّ فاستغفر الله منه، و ان كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك. فقبل الرجل بين عينيه و قال: بل قلت ما ليس فيك و أنا أحقّ به^{١٢٤٩}.

«و قلتهم مكان سبكم إياهم اللهم احقن» أي: امنع من السفك.

«دماءنا و دماءهم و اصلح ذات بيننا و بينهم و اهدهم من ضلالهم حتى يعرف الحق من جهله» في (صفين نصر): مضى هاشم المرقال في عصابة من القرّاء، فقاتل قتالا شديدا هو و أصحابه حتى رأى بعض ما يسرون به، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

و الدائن اليوم بدين عثمان

أنا أرباب الملوك غسان

ان عليّا قتل ابن عفان

انباأنا أقوامنا بما كان

ثم شدّ فلا ينتنى يضرب بسيفه ثم يلعن و يشتم و يكثر الكلام، فقال له هاشم: ان هذا الكلام بعده الخصام و ان هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله ربك فانّك راجع إلى ربك فساألك عن هذا الموقف و ما أردت به. قال: اقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذكر لي و أنّكم لا تصلّون، و اقاتلكم ان صاحبكم قتل خليفتنا و أنتم و ازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان، أنما قتله أصحاب محمّد و قرّاء الناس حين أحدث احداثا و خالف حكم الكتاب، و أصحاب محمّد هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في أمور المسلمين، و اما قولك «ان صاحبنا لا يصلّي» فهو أوّل من صلّى لله مع رسوله و أفقههم في دين الله و أولى برسوله، و اما من ترى معه فكأنهم قارئ الكتاب لا ينامون الليل تهجدا، فلا يغررك عن دينك هؤلاء الأشقياء المغرورون. فقال الفتى: انى

^{١٢٤٨} (٢) المقاتل لأبي الفرج: ٤٦.
^{١٢٤٩} (١) الإرشاد: ٢٥٧.

ص: ٥٢٤

لأظنك امرأ صالحا هل تجد لي من توبة؟ قال: نعم تب إلى الله يتب عليك فإنه يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات و يحبّ التوابين و يحبّ المتطهرين.

فذهب الفتى بين الناس راجعا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي.

فقال: بل نصحني^{١٢٥٠}.

«و يرعوى» أى: يكفّ.

«عن الغي و العدوان من لهج به» أى: و لع به و حرص. و زاد ابن ميثم كما فى نسخته: «و تبعه».

٩

الخطبة (٦٤) و من كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه فى بعض أيام صفين:

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ - وَ تَجَلَّبُوا السَّكِينَةَ وَ عَضُّوا عَلَى النَّوَاجِدِ - فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَ اكْمَلُوا اللَّامَةَ - وَ قَلَقُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا - وَ الْحِطُّوا الْخَزَرَ وَ اطْعَنُوا الشَّرَرَ - وَ نَافِحُوا بِالطَّبْيِ وَ صَلُّوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا - وَ اعْلَمُوا أَنَّكُمْ بَعَيْنُ اللَّهِ وَ مَعَ ابْنِ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ - فَعَاوِدُوا الْكَرَّ وَ اسْتَحْيُوا مِنَ الْفَرِّ - فَإِنَّهُ عَارٌ فِي الْأَعْقَابِ وَ نَارٌ يَوْمَ الْحِسَابِ - وَ طَيَّبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا - وَ امْشُوا إِلَى الْمَوْتِ مَشْيًا سُجْحًا - وَ عَلَيْكُمْ بِهَذَا السَّوَادِ الْأَعْظَمِ وَ الرِّوَاقِ الْمُطَنَّبِ - فَاضْرِبُوا ثَبَجَهُ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ - وَ قَدْ قَدَّمَ لِلْوَيْبَةِ يَدًا وَ آخَرَ لِلنُّكُوصِ رِجْلًا - فَصَمْدًا صَمْدًا حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ الْحَقِّ - «وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتْرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ»

ص: ٥٢٥

أقول: و رواه ابن قتيبة فى (عيونه ابن قتيبة - عيون الاخبار - ج ١ ص ١٣٣)^{١٢٥١} و المسعودى فى (مروجه المسعودى - مروج الذهب - ج ٢ ص ٣٧٩)^{١٢٥٢} و المصنف فى (خصائصه الشريف الرضى - خصائص الائمة - ص ٧٥ و ٧٦)^{١٢٥٣} و فرات بن ابراهيم فى (تفسيره فرات بن ابراهيم - تفسير فرات - ص ٤٢١)^{١٢٥٤} و الطبرسى فى (بشارته أبو جعفر الطبرى - بشاره المصطفى - ص ١٧٢ و ١٧٣)^{١٢٥٥}.

١٢٥٠ (١) وقعة صفين ٣٥٤.

١٢٥١ (١) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ١٣٣.

١٢٥٢ (٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٧٩.

١٢٥٣ (٣) خصائص الائمة للشريف الرضي: ٧٥ - ٧٦.

١٢٥٤ (٤) تفسير الفرات: ٤٢١.

١٢٥٥ (٥) أبو جعفر الطبري: بشاره المصطفى: ١٧٢ - ١٧٣.

قال الأول: ذكر ابن عباس عليًا عليه السلام فقال: ما رأيت رئيسًا يوزن به لرأيته يوم صفين و كأن عينيه سراجا سليط و هو يحمس أصحابه إلى أن انتهى إلىّ و أنا في كثف فقال: معشر المسلمين استشعروا الخشية، و غضوا الأصوات و تجلببوا السكينة و اكملوا اللام و اخفوا الخود و قفلوا السيوف في أغمادها قبل السلمة و الحظوا الشزر و اطعنوا النتر و نافحوا بالظبي و صلوا السيوف بالخطي و الرماح بالنبل و امشوا إلى الموت مشيا سجحا، و عليكم بهذا السواد الأعظم و الرواق المطنب، فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره، نافج حضيئه مفترش ذراعيه قد قدم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا.

و قال الثاني في (مروجه): و خرج على عليه السلام بنفسه في البدرين و المهاجرين و الأنصار و ربيعة و همدان في اليوم الثامن و هو يوم الأربعاء.

قال ابن عباس: رأيت في هذا اليوم عليًا عليه السلام و عليه عمامة بيضاء و كأن عينيه سراجا سليط و هو يقف على طوائف الناس في مراتبهم يحثهم و يحرضهم حتى انتهى إلىّ و أنا في كثيف من الناس، فقال: يا معشر المسلمين غموا الأصوات و اكملوا الملامة و استشعروا الخشية و ألقوا السيوف في الأجفان قبل السلّة و الحظوا الشزر و اطعنوا الهبر ...

ص: ٥٢٦

و قال الثالث: حكى ان معاوية سأل ابن عباس عن أمير المؤمنين عليه السلام فقال: هيهات عقم النساء أن يأتين بمثله و الله ما رأيت رئيسا مجربًا يوزن به، لقد رأيت به، لقد رأيت في بعض أيام صفين و على رأسه عمامة بيضاء تبرق و قد أرخى طرفيه على صدره و ظهره، و كأن عينيه سراجا و هاجا من سليط، و هو يقف على كتبية حتى انتهى إلىّ و أنا في كثف من القوم و هو يقول: معاشر المسلمين استشعروا الخشية ... و لن يترككم أعمالهم. و زاد و أنشأ يقول:

إذا المشكلات تصدين لى	كشفت غوامضها بالنظر
و ان برقت فى مخيل الظنون	عمياء لا تجليها الفكر
مقنعة بغيوب الأمور	وضعت عليها حسام العبر
معى اصمعى كظبى المرفهات	اثرى به عن بنات السرر
لسان كشقشة الأرحبى	أو كالحسام اليمانى الذكر
و لست بأمعة فى الرجال	السائل هذا و ذا ما الخبر
و لكننى مدره الأصغرین	أقيس بما قد مضى ما غير

ثم غاب عني ثم رأيته قد أقبل و سيفه ينطف دما و هو يقرأ «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»^{١٢٥٦}.

و روى الرابع مسندا عن ضرار بن الأزور: ان رجلا من الخوارج سأل ابن عباس عن علي عليه السلام، فأعرض عنه ثم سأله فقال: و الله لكان أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر و الأسد الخادر و الفرات الزاخر و الربيع الباكر فاشبهه من القمر ضوءه و بهاؤه و من الأسد شجاعته و مضأؤه و من الفرات جوده و سخاؤه و من الربيع خصبه و حباؤه، عقلت النساء أن يأتين بمثله بعد النبي صلى الله عليه و آله، تالله ما سمعت و لا رأيت انسانا مثله، و قد رأيته يوم صفين و عليه

ص: ٥٢٧

عمامة بيضاء، و كأن عينيه سراجان و هو يقف على شزيمة شردمة، يحضهم و يحثهم إلى ان انتهى إلى و أنا في كنف من المسلمين، فقال: معاشر الناس استشعروا الخشية و أميتوا الأصوات و تجلبوا بالسكينة و أكملوا اللامه و اقلوا السيوف في الغمد قبل السلة و الحظوا الشزر و اطعنوا الخزر و نافحوا بالخطي و صلوا السيوف بالخطي و الرماح بالبنان فانكم بعين الله و مع ابن عم نبيكم عاودوا الكرّ و استحيوا من الفر، فانه عار باق في الأعقاب و نار يوم الحساب، فطيبوا عن أنفسكم نفسا و اطووا عن الحياة كشحا و امشوا إلى الموت مشيا، عليكم بهذا السواد الأعظم و الرواق المطنب فاضربوا ثبجه فان الشيطان راكد في كسره نافج حضنيه و مفترش ذراعيه، قد قدم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا، فصبرا حتى ينجلى لكم عمد الحق و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكم.

و أقبل معاوية في الكتيبة الشهباء و هي زهاء عشرة آلاف جيش شاكين في الحديد لا يرى منهم إلّا الحدق تحت اللثام، فقال عليه السلام: ما بالكم تنظرون فما تعجبون، أنما هي جثث ماثلة فيها قلوب طائفة مزخرفة بتمويه الخاسرين و رجل جراد زفت به ريح الصبا، و لفيف سده الشيطان و لحمته الضلالة، و صرخ بهم ناعق البدعة و فيهم خور الباطل و ضخضة المكائر، فلو قد مستها سيوف أهل الحق لتهافتت تهافت الفراش في النار، ألا فسوا بين الركب و عضوا على النواجذ و اضربوا القوانص بالصوارم و اشرعوا الرماح في الجوانح و شدوا فإنني شادهم لا ينصرون.

فحملوا حملة ذى لبد، فأزالوهم عن أماكنهم و دفعوهم عن مراكزهم، و ارتفع الرهيج و خمدت الأصوات، فلا تسمع إلّا صلصلة الحديد و غمغمة الأبطال لا يرى إلّا رأس نادر أو يد طائفة و انا كذلك إذ أقبل أمير المؤمنين عليه السلام

ص: ٥٢٨

من موضع يريد أن ينجلى الغبار و ينفذ العلق عن ذراعيه و سيفه يقطر من الدماء قد انحنى كقوس النازع و هو يتلو «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ»^{١٢٥٧}.

^{١٢٥٦} (١) التوبة: ١٢.
^{١٢٥٧} (١) الحجرات: ٩.

و روى الخامس مسندا عن عكرمة عن ابن عباس قال: عقم النساء أن يأتين بمثل أمير المؤمنين، و ما كشفت النساء ذيولهن عن مثله، لا و الله ما رأيت فارسا مجربا يوزن به، لرأيته يوما و نحن معه بصفين و على رأسه عمامة سوداء و كأن عينيه سراجا سليلط يتوقدان من تحتها يقف على شردمة يحضهم حتى انتهى إلى نفر أنا فيهم، و طلعت خيل لمعاوية تدعى بالكتيبة الشهباء عشرة آلاف دارع على عشرة آلاف أشهب، فاقشعر الناس لها لما رأوها و انحاز بعضهم إلى بعض، فقال عليه السلام: فيم النخع و النخع يا أهل العراق، هل هي إلّا أشخاص ماثلة فيها قلوب طائفة، لو مسّها قلوب أهل الحق لرأيتموها كجراد بقية سفته الريح في يوم عاصف، ألا فاستشعروا الخشية و تجلببوا السكينة و ادفعوا الصبر و خفضوا الأصوات و قلقلوا الأسياف في الأغمد قبل السلة، و انظروا الشزر و اطعنوا الوجر و كافحوا بالظبي و صلوا السيوف بالخطي و النبال بالرماح و عاودوا الكر و استحيوا من الفر، فأنه عار في الأعقاب و نار يوم الحساب، و طيبوا عن أنفسكم، نفسا و امشوا إلى الموت مشيا سجحا، فإنكم بعين الله و مع أخى رسول الله، و عليكم بهذا السراق الأذل و الرواق المظلم فاضربوا ثبجه، فان الشيطان راقد في كسره نافش حضنيه مفترش ذراعيه قد قدّم للوثبة يدا و آخر للنكوص رجلا، فصمدا صمدا حتى ينجلي لكم عمود الحق و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكمها

ص: ٥٢٩

أنا شاد فشدوا بسم الله الرحمن الرحيم حم لا ينصرون.

ثم حمل عليه السلام عليهم و تبعهم خويلة لم تبلغ المائة فارس، فأجالهم فيها جولان الرحي المشرحة بشفالها، فارتفعت عجاجة منعنى النظر، ثم انجلت فأثبت النظر فلم نر إلّا رأسا نادرا و يدا طائحة، فما كان بأسرع أن ولّوا مدبرين كأنهم حمر مستنفرة فرّت من قسورة، فإذا أمير المؤمنين عليه السلام قد أقبل و سيفه ينطف و وجهه كشقة القمر و هو يقول: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ»^{١٢٥٨}.

و قال ابن أبي الحديد هذا الكلام خطب عليه السلام به في اليوم الذى كانت عشيتة ليلة الهرير في كثير من الروايات، و في رواية نصر أنه عليه السلام خطب به في أول أيام الحرب^{١٢٥٩}.

قلت: لم يذكر واحدة من روايات قال تضمنت كون الخطبة في قرب ليلة الهرير و أما ما نسبته إلى (صفين نصر) من كونها في أول يوم من الحرب فلم نقف عليه فيه بل المفهوم مما نقله نفسه عنه و ان لم نقف عليه فيه أيضا كونها ليلة الثامن، فقال: قال نصر: فأما اليوم السابع فكان القتال فيه شديدا - إلى أن قال - قال نصر ان عليا عليه السلام خطب في ليلة هذا اليوم فقال: معاشر المسلمين استشعروا الخشية و تجلببوا السكينة و عضوا على النواجذ ... و كيف كان فالروايات الخمس التى نقلناها لم تتضمن احداها تاريخ الكلام سوى رواية المسعودى فإنها تضمنت كون الكلام يوم الثامن فهو المتعين.

قول المصنف: «و من كلام له عليه السلام كان يقوله لأصحابه في بعض أيام صفين» قوله «يقوله» ينافر قوله «في بعض» و كان المناسب ان يقول «قاله» أو

^{١٢٥٨} (١) التوبة: ١٢.
^{١٢٥٩} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧٥.

ص: ٥٣٠

يحذف قوله «**كان يقوله**» و لو لا وجوده في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) لقلنا بزيادته، ففي (الخطبة): «و من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين»^{١٢٦٠}.

قوله عليه السلام «**معاشر المسلمين استشعروا الخشية**» قالوا: أى اجعلوا خشية الله تعالى و تقواه بمنزلة شعار لكم، و الشعار من الثياب ما يلصق بالجسد، و الدثار ما فوق الشعار.

«و تجلببوا السكينة» قالوا: أى اجعلوا السكون و الوقار جلبابا لكم، و الجلباب ثوب يشمل جميع البدن.

«و عضوا على النواجذ» قالوا: للإنسان أربعة نواجذ، و هى أقصى الأضراس.

«فأنه أنبى للسيوف» قالوا: أنه من نبا السيف إذا لم يقطع، و المراد أنه إذا عض الإنسان على نواجذه تصلبت الأعصاب و العضلات المتصلة بالدماغ، فكان تأثير السيف فيها أقل.

قال ابن أبي الحديد قال ذلك الراوندى^{١٢٦١}، و هذا كلام ليس على حقيقته، بل هو كناية عن الأمر بتسكين القلب و ترك اضطرابه، و ذلك أشد إبعادا لسيف العدو عن هاماتكم^{١٢٦٢}.

قلت: بل على حقيقته، و يشهد له تصريح الأشر به، ففي (صفين نصر):

كان الأشر يحرض أصحابه و يقول: فدتكم نفسى، شدوا شدة المخرج الراجى الفرج فإذا نالتكم الرماح فالتوا فيها، و إذا عضتكم السيوف فليعض الرجل على نواجذه فإنه أشد لشئون الرأس^{١٢٦٣}.

ص: ٥٣١

«و أكملوا اللأمة» بالهمز، أى: الدرع لتحول بين البدن و ضرب العدو و طعنه و سهمه، قال تعالى في داود: «وَعَلَّمَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ»^{١٢٦٤}.

و فى (العيون): كان على النبى صلى الله عليه و آله يوم احد درعان^{١٢٦٥}.

و اشترى يزيد بن حاتم أدرا و قال: انى لم أشتّر أدرا أنما اشتريت أعمارا.

^{١٢٦٠} (١) شرح نهج البلاغة ٥: ١٦٨ و ابن ميثم ٢: ١٧٨ أما النسخة الخطية فكما قال العلامة التنستري: ٤٢.

^{١٢٦١} (٢) منهاج البلاغة للقطب الراوندى ١: ٢٨٧ لا وجود للعبارة المذكورة.

^{١٢٦٢} (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٥: ١٦٩.

^{١٢٦٣} (٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٣.

^{١٢٦٤} (١) الأنبياء: ٨٠.

^{١٢٦٥} (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ١٢٨.

«و قلقلوا السيوف فى أغمادها قبل سلها» لثلا يطول سلها وقت إرادة ضرب العدو.

«و الحظوا الخزر» قال ابن أبى الحديد بالتحريك، قال «إذن تخازرت و ما بى من خزر» فان جاء مسكنا و الا فتسكينه جائز للسجعة الثانية «و اطعنوا الشزر»^{١٢٦٦}.

قلت: بل بالسكون، قال الفيروز آبادى: الخزر بسكون الزاى النظر بلحظ العين، و البيت الذى ذكر الخزر فيه اسم المصدر و هنا مصدر^{١٢٦٧}.

هذا، و قال عمرو بن العاص: ما رأيت معاوية متكئا قط واضعا إحدى رجله على الأخرى كاسرا عينه يقول لرجل تكلم إلّا رحمته.

«و اطعنوا» قال ابن أبى الحديد: بضم العين يقال طعن بالرمح يطعن بالضم و طعن فى النسب يطعن بالفتح^{١٢٦٨}.

قلت: بل يجوز فى يطعن الضم و الفتح مطلقا، و انما الفرق بين الطعن

ص: ٥٣٢

بالرمح و الطعن فى النسب بالمصدر، ففى (الجمهرة): طعن بالرمح يطعن و يطعن طعنا، و طعنت فى الرجل طعنانا لا غير إذا ذكرته بقبیح، قال أبو زييد الطائى:

و ابى ظاهر الشناءة إلا طعنانا و قول ما لا يقال

قال الأصمعى: الطعن بالرمح و الطعن باللسان هذا كلام العرب^{١٢٦٩}.

و منه يظهر ما فى (الصحاح)^{١٢٧٠} و (القاموس)^{١٢٧١} أيضا طعن فيه طعنا و طعنانا.

«الشزر» و فى (الصحاح): الشزر ما طعنت عن يمينك و شمالك^{١٢٧٢}.

فى (الطبرى): خرج رجل من عك الشام يسأل المبارزة، فخرج إليه قيس ابن فهدان الكنانى البدنى من أهل العراق، فحمل على العكى فضربه و احتمله أصحابه، فقال قيس:

^{١٢٦٦} (٣) شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٦٩.
^{١٢٦٧} (٤) القاموس المحيط، للفيروز آبادى: ٤٩١ مادة (الخزر).
^{١٢٦٨} (٥) شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٧٠.
^{١٢٦٩} (١) جمهرة اللغة لابن دريد ٢: ٩١٧.
^{١٢٧٠} (٢) الصحاح ٤: ٢١٥٧ مادة (طعن).
^{١٢٧١} (٣) قاموس المحيط: ١٥٦٥ مادة (طعن).
^{١٢٧٢} (٤) الصحاح ٢: ٦٩٧ مادة (شزر).

إذا التقت الخيلان نطعنها شزرا

لقد علمت عك بصفين اننا

فنوردها بيضا و نصدرها حمرا

و نحمل رايات الطعان بحقها

^{١٢٧٣} هذا، و قد عرفت ان فى رواية (المروج) «الهبر» و فى رواية (البشارة):

«الوجر» و الهبرة القطعة من اللحم، و الوجر الطعن فى الصدر.

«و نافحوا» فى (الصحاح): نفحه بالسيف تناوله من بعيد.

«بالظبي» جمع ظبة كالظبات طرف السيف، قال الشاعر:

ص: ٥٣٣

حد الظبات و صلناها بأيدينا

إذا الكماء تنحوا أن ينالهم

^{١٢٧٤} «و صلوا السيوف بالخطي» جمع الخطوة بالضم ما بين القدمين.

قال ابن أبى الحديد روى ان رجلا من الأزد رفع إلى المهلب سيفاً له، فقال له: يا عم كيف ترى سيفى هذا؟ فقال: أنه لجيد لو لا أنه قصير. قال: يا عم اطوله بخطوتي. فقال: و الله يابن أخى ان المشى إلى الصين أو آذربيجان على أنياب الأفاعى أسهل من تلك الخطوة. ثم نقل أبياتا فى وصل السيوف بالخطي^{١٢٧٥}.

قلت: و فى (صفين نصر): كانت طلائع أهل الشام و أهل العراق يلتقون و يتناشدون و يفخر بعضهم على بعض على أمان، فالتقوا يوماً و فيهم النجاشى فتذكروا رجراة على عليه السلام- كان معه أربعة آلاف مجحف من همدان مع سعيد بن قيس رجراة، و كان عليهم البيض و السلاح و الدروع- و خضريّة معاوية- كانت مع عبيد الله بن عمر أربعة آلاف عليهم الخضر- فقال فتى من جذام ممن كان فى طليعة معاوية:

و لين الكلام لهم سيئه

ألا قل لفجار أهل العراق

نجتكم بجأواء خضريه

متى ما تجيئوا برجراة

طوال الرماح يمانيه

فوارسها كأسود الضراب

^{١٢٧٣} (٥) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٢١.

^{١٢٧٤} (١) الصحاح ١: ٤١٢ (نفج).

^{١٢٧٥} (٢) شرح ابن أبى الحديد ٥: ١٧١.

قصار السيوف بأيديهم
يطولها الخطو و النيه
يقول ابن هند إذا أقبلت
جزى الله خيرا جذاميه

فقال القوم للنجاشي: أنت شاعر أهل العراق و فارسهم، فأجب الرجل فتنحى ساعة ثم أقبل يهدر و يقول:

ص: ٥٣٤

معاوى ان تأتنا مزبدا
بخضريه تلق رجراجة
أستنها من دماء الرجال
إذا جالت الخيل مجاجه
فوارسها كأسود الضراب
إلى الله فى القتل محتاجه
و ليست لدى الموت و قافه
و ليس لهم غير جدّ اللقاء
خطاهم مقدم أسيافهم
و عندك من وقعهم مصدق
إلى طول أسيافهم حاجه
و أذرعهم غير اخداجه
فشنت عليهم ببيض السيوف
وقد أخرجت أمس اخراجه
بها فقع لجاجه

فقال أهل الشام له: يا أخى بنى الحارث اروناها فإنها جيدة فأعادها عليهم حتى رووها^{١٢٧٦}.

«و اعلموا أنّكم بعين الله و مع ابن عم رسول الله صلى الله عليه و آله» فى (صفين نصر): قال قيس بن سعد بن عبادة لأصحابه فى خطبته فى صفين: أنتم مع هذا اللواء الذى كان يقاتل عن يمينه جبرئيل و عن يساره ميكائيل، و القوم مع لواء أبى جهل و الأحزاب^{١٢٧٧}.

و فى (العقد): فى وفود ام سنان المذحجية أنّها قالت فى صفين:

يا آل مذحج لا مقام فشمروا
ان العدو لآل أحمد يقصد

^{١٢٧٦} (١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٤٥٤.
^{١٢٧٧} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٦.

هذا على كالهلال تحفه

وسط السماء من الكواكب أسعد

خير الخلائق وابن عم محمد

ان يهدكم بالنور منه تهتدوا

ما زال مذ شهد الحروب مظفرا

و النصر فوق لوائه ما يفقد

١٢٧٨

ص: ٥٣٥

«فعاودوا الكر واستحيوا من الفر» في (العقد) في وفود ام الخير بنت حريش على معاوية، التفت معاوية إلى جلسائه فقال: أيكم يحفظ كلامها يوم صفين لما قتل عمار؟ فقال رجل: أنا أحفظ بعض كلامها. قال: هات. قال: كأني بها بين بردين زئيرين كثيفي النسيج، و هي على جمل أرمك و بيدها سوط منتشر الضفيرة، و هي كالفحل يهدر في شقشقته تقول: أيها الناس اتقوا ربكم - إلى أن قال - فأين تريدون، أفرارا عن أمير المؤمنين أم رغبة عن الاسلام، هلموا إلى الامام العادل و الوصى التقى و الصديق الأكبر، أنها إحن بدرية و أحقاد جاهلية، فإلى أين تريدون عن ابن عم رسول الله و صهره و أبى سبطيه الذى خلق من طينته و تفرع من نبعته و جعله باب دينه و أبان ببعضه المنافقين، و ها هو ذا مفلق الهام و مكسر الأصنام صلى و الناس مشركون و أطاع و الناس كارهون، فلم يزل فى ذلك حتى قتل مبارزيه و أفنى أهل أحد و هزم الأحزاب و قتل الله به أهل خيبر و فرق به جمع أهوائهم، فيا لها من وقائع زرعت فى قلوب نفاقا و ردة و شقاقا و زادت المؤمنين ايماناً^{١٢٧٩}.

«فإنه عار فى الأعقاب» فالناس يعيرون بفعال آبائهم و امهاتهم» ففى (مقاتل الطالبين): أرسل معاوية إلى ابنة الأشعث، انى مزوجك بيزيد ابني على أن تسمى الحسن بن على، و بعث إليها بمائة ألف درهم، فسوَّعها المال و لم يزوجه منها فخلف عليها رجل من آل طلحة فأولدها، فكان إذا وقع بينهم و بين بطون قريش كلام عيروهم و قالوا: يا بنى مسممة الأزواج^{١٢٨٠}.

و فى (الطبرى): قال هشام بن عمرو التغلبى للمنصور: انصرفت إلى منزلى فلقيتنى اختى فرأيت من جمالها و عقلها و دينها ما رضيتها للخليفة

ص: ٥٣٦

فجئت لأعرضها عليه، فأطرق المنصور و جعل ينكت الأرض بخيزرانه فى يده و قال: اخرج يأتك أمرى. فلما ولى قال: يا ربيع لو لا بيت قاله جرير فى بنى تغلب لتزوجت أخته، و هو قول جرير:

فالزنج أكرم منهم أخوالا

لا تطلبن خوولة فى تغلب

^{١٢٧٨} (٣) العقد الفريد ٢: ١٠٩.

^{١٢٧٩} (١) بن عبد ربه: العقد الفريد ٢: ١١٦.

^{١٢٨٠} (٢) أبو الفرج الاصفهاني: مقاتل الطالبين: ٤٦.

فأخاف أن تلد لي ولدا فيغير بهذا البيت^{١٢٨١}.

و في (كامل المبرد): لما رأى أبو بلال مرداس - و كان لا يرى الخروج - جد ابن زياد في طلب الشراء عزم على الخروج، فقال لأصحابه: أنه و الله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين، تجرى علينا أحكامهم مجانيين للعدل مفارقين للفصل و الله ان الصبر على هذا لعظيم و ان تجريد السيف و اخافة السبيل لعظيم، و لكننا ننتبذ عنهم و لا نجرّد سيفاً و لا نقاتل إلّا من قاتلنا.

ثم مضى حتى نزل آسك - بين رامهرمز و ارجان - فجهّز ابن زياد اسلم بن زرعة في ألفين و وجّهه إليه و قد تمام أصحاب مرداس أربعين رجلاً، فلما صار إليهم أسلم صاح به أبو بلال: أنا لا نريد قتالا و لا نحتجن فيثا، فما الذي تريد؟ قال: اريد أن أردكم إلى ابن زياد. قال مرداس: اذن يقتلنا. قال: و ان. ثم حملوا على أسلم حملة رجل واحد، فانهزم هو و أصحابه من غير قتال، فلما ورد أسلم على ابن زياد غضب عليه غضبا شديدا و قال: ويلك تمضى في ألفين فتنهزم لحمة أربعين^{١٢٨٢}.

و كان أسلم يقول: لأن يذمّني ابن زياد حيّا أحبّ إليّ من أن يمدحني ميّتا.

و كان إذا خرج إلى السوق أو مرّ بصبيان صاحوا به: أبو بلال و راک،

ص: ٥٣٧

و ربما صاحوا به: يا معبد خذه. كان معبد أحد أصحاب أبي بلال كاد أن يأخذه لما انهزم مرّدا فشكا ذلك إلى ابن زياد فأمر الشرط أن يكفّوا الناس عنه. ففي ذلك يقول عيسى بن فاتك من الشراء:

و يهزمهم بآسك أربعونا

أ ألفا مؤمن فيما زعمتم

و لكن الخوارج مؤمنونا

كذبتهم ليس كما زعمتم

على الفئة الكثيرة ينصرونا

هم الفئة القليلة غير شك

^{١٢٨٣} «و نار يوم الحساب» قال ابن أبي الحديد و الجهاد مع الإمام كالجهاد مع النبيّ صَلَّى الله عليه و آله^{١٢٨٤}، و قال تعالى في الفرار عن الجهاد مع النبي «وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَ مَأْوَاهُ جَهَنَّمُ»^{١٢٨٥}.

^{١٢٨١} (١) تاريخ الطبري ٦: ٢٩٠.

^{١٢٨٢} (٢) أبو العباس المبرد ٣: ٩٩١.

^{١٢٨٣} (١) أبو العباس المبرد: الكامل ٣: ٩٩٥.

^{١٢٨٤} (٢) شرح ابن أبي الحديد ٥: ١٧٤.

^{١٢٨٥} (٣) الأنفال: ١٦.

قلت: و قد كان النبي صلى الله عليه و آله و آله مأمورا بجهاد الكفار و المنافقين فى قوله تعالى له «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ»^{١٢٨٦} و تصدّى للجهاد مع الكفار بنفسه، و فوّض جهاد المنافقين إلى أمير المؤمنين عليه السلام لكونه كنفسه.

«و طيبوا عن أنفسكم نفسا» يعنى: طيبوا نفسا فى قتل نفوسكم فى سبيل الله لأنه يبدل بحياء طيبة، قال تعالى «و لا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ»^{١٢٨٧}.

و فى (الطبرى): لما خطب الحسين عليه السلام أصحابه بذى حسم بعد ورود الحر قام زهير بن القين و قال: و الله لو كانت الدنيا لنا باقية و كنّا فيها مخلصين

ص: ٥٣٨

الا ان فراقها فى نصرک و مواساتک لآثرنا الخروج معك^{١٢٨٨}.

«و امشوا إلى الموت مشيا سجيحا» بتقديم الجيم على الحاء، أى: سهلا.

و فى (صفين نصر): قال عتبة بن جويرية يوم صفين: ألا ان مرعى الدنيا قد أصبح شجرها هشيمًا و أصبح زرعها حصيدا و جديدها سملا و حلوها مرّ المذاق، ألا و انى انبتكم نبأ امرئ صادق. انى سئمت الدنيا و عزفت نفسى عنها و قد كنت أتمنى الشهادة و أتعرض لها فى كل حين فأبى الله إلا أن يبلغنى فى هذا اليوم، ألا و انى متعرض ساعتي هذه لها و قد طمعت ان لا احرمها، فما تنتظرون عباد الله من جهاد أعداء الله، أخوف الموت القادم عليكم الذاهب بأنفسكم لا محالة أو من ضربة كف أو جبين بالسيف، أ تستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عز و جل أو مرافقة النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين فى دار القرار؟ ما هذا بالرأى السديد، يا إخوتاه انى قد بعث هذه الدار بالتي امامها، و هذا وجهى إليه لا يبرح الله وجوهكم و لا يقطع الله أرحامكم.

فتبعه أخواه عبيد الله و عوف و قالوا: لا نطلب رزق الدنيا بعدك، قَبِّحَ الله العيش بعدك، اللهم انا نحتسب أنفسنا عندك. فاستقدموا فقاتلوا حتى قتلوا^{١٢٨٩}.

و فى خطبة الأشر فى صفين: ان هؤلاء القوم و الله لن يقاتلوكم إلا عن دينكم ليطفئوا السنّة و يحيوا البدعة، و يدخلوكم فى أمر قد أخرجكم الله منه بحسن البصيرة، فطيبوا عباد الله نفسا بدمائكم دون دينكم ...^{١٢٩٠}.

«و عليكم بهذا السواد الأعظم» و كان الأشر أيضا يحرض و يقول: عليكم

^{١٢٨٦} (٤) التوبة: ٧٣.

^{١٢٨٧} (٥) آل عمران: ١٦٩.

^{١٢٨٨} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٤: ٣٠٥.

^{١٢٨٩} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦٣.

^{١٢٩٠} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٠.

بهذا السواد الأعظم، فان الله عز و جل لو قد فضّه تبعه من بجانبه كما يتبع مؤخر السيل مقدّمه^{١٢٩١}.

«و الرواق المطنب» فى (صفين نصر): نصب لمعاوية منبر، فقعده عليه فى قبّة ضربها ألقى عليها الثياب و الأرائك و أحاط به أهل يمن و قال: لا يقربن أحد هذا المنبر لا تعرفونه إلا قتلتموه كائنا من كان، و كان على رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستره من الشمس^{١٢٩٢}.

و لقد قصد رواق معاوية جمع من أصحابه عليه السلام كما أمرهم لكن لم يكن طيه مقدرا، فممن قصده أبو شداد قيس بن المكشوح، ففى (صفين نصر):

قالت بجيلة له: خذ رايتنا. فقال: غيرى خير لكم منى. قالوا: لا نريد غيرك. قال:

فو الله لئن أعطيتمونيها لا أنتهى بكم دون صاحب الترس المذهب. فقالوا:

اصنع ما شئت. فأخذها ثم زحف بها و هم حوله يضربون الناس حتى انتهى إلى صاحب الترس فاقتتلوا هنا لك قتالا شديدا و شدّ بسيفه نحو صاحب الترس، فعرض له رومى من دونه لمعاوية ف ضرب قدم أبى شدّاد فقطعها، و ضرب أبو شداد ذلك الرومى فقتله، و أسرع إلى أبى شداد الأسنة فقتل.

فأخذ الراية بعده عبد الله بن قلع الأحمسي و قال:

لا يبعد الله أبا شداد

حيث أصاب دعوة المنادى

و شدّ بالسيف على الأعادى

نعم الفتى كان له الطراد

و فى طعان الخيل و الجلال

ثم قاتل حتى قتل، فأخذها بعده أخوه عبد الرحمن بن قلع، فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس الأحمسي، فلم تزل بيده حتى تحاجز الناس.

و منهم عكبر بن جدير الأسدى - و كان فارس أهل الكوفة الذى لا ينازع - فلما نادى عوف بن مجزأة المرادى - الذى كان فارس أهل الشام لا ينازع - هل من مبارز؟ خرج إليه عكبر فطعن عوفا فصرعه و معاوية على التل فى اناس من قريش و

^{١٢٩١} (١) المصدر نفسه.
^{١٢٩٢} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٨.

غيرهم، فوجّه عكبر فرسه فملا فروجه ركضا يضربه بالسوط مسرعا نحو التل، فنظر إليه معاوية فقال: ان هذا الرجل مغلوب على عقله أو مستأمن فاسأله. فناداه رجل فلم يجبه حتى انتهى إلى معاوية و جعل يطعن في أعراض الخيل و رجا أن يفردوا له معاوية، فقتل رجلا و قام القوم دون معاوية بالسيوف و الرماح، فلما لم يصل إلى معاوية نادى:

أولى لك يابن هند أنا الغلام الأسدى

فرجع إلى على فقال عليه السلام: ما ذا دعاك يا عكبر إلى ما صنعت؟ قال: أردت غرة ابن هند- و انكسر أهل الشام لقتل المرادى- و هدر معاوية دم عكبر فقال عكبر: يد الله فوق يد معاوية^{١٢٩٣}.

و منهم عبد الله بن بديل الخزاعى، ففى (صفين نصر): قال الشعبى: كان على ابن بديل سيفان و درعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدما و هو يقول:

لم يبق إلّا الصبر و التوكل و أخذك الترس و سيفاً مصقل

ثم التمشى فى الرعيل الأول مشى الجمال فى حياض المنهل

و الله يقضى ما يشا و يفعل

و لم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية، فأزاله عن موقفه و جعل ينادى: يا آل ثارات عثمان- يعنى أخا له كان قتل- فظن معاوية و أصحابه أنه يعنى عثمان بن عفان- حتى أزال معاوية عن موقفه، فأقبل أصحابه على ابن بديل يرضخونه بالصخر حتى أثخنوه و قتل، و أقبل إليه

ص: ٥٤١

معاوية و معه عبد الله بن عامر- و كان لابن بديل أخا و صديقا فألقى ابن عامر عمامته على وجهه و ترخّم عليه، فقال له معاوية: اكشف عن وجهه. فقال له ابن عامر: و الله لا يمثل به و فى الروح. فقال له معاوية: اكشف عن وجهه قد وهبته لك، فكشف فلما رآه معاوية قال: هذا كبش القوم و ربّ الكعبة، و ما مثله إلّا كما قال الشاعر:

أخو الحرب ان عضّت به عضّها و ان شمّرت عن ساقها الحرب شمّرا

و يحمى إذا ما الموت كان لقاؤه لدى الشتر يحمى الأنف ان يتأخرا

كليث هزبر كان يحمى ذماره رمته المنايا قصدها فتفطرا

^{١٢٩٣} (١) نصر بن مزاحم: وقعة صفين ٢٥٨.

لو قدرت نساء خزاعة على أن يقاتلنني لفعلن فضلا عن رجالها^{١٢٩٤}.

و منهم أخوان من الأنصار، ففى (صفين نصر): حمل غلامان من الأنصار أخوان حتى انتهيا إلى سراق معاوية فقتلا عنده^{١٢٩٥}.

و منهم رجل آخر، ففیه قال رجل من أصحاب على عليه السلام: أما و الله لأحملن على معاوية حتى أقتله، فركب فرسا ثم ضربه حتى قام على سناكه ثم دفعه فلم ينهه شيء عن الوقوف على رأس معاوية، فهرب معاوية و دخل خباء، فنزل الرجل عن فرسه و دخل عليه، فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر، فخرج الرجل فى أثره فاستصرخ معاوية بالناس، فأحاطوا به و حالوا بينهما، فقال معاوية: و يحكم ان السيف لم يؤذن لها فى هذا و لو لا ذلك لم يصل إليكم فعليكم بالحجارة، فرضخوه حتى همد. فعاد معاوية إلى مجلسه^{١٢٩٦}.

و منهم سبعة آلاف من ربيعة التى كان عليه السلام يمدحها و يقول فيهم

ص: ٥٤٢

«ربيعة السامعة المطيعة» ألا أنهم لم يظفروا لغدر أميرهم خالد بن المعمر، أطمعه معاوية و خيب الله رجاءه. ففى (صفين نصر): تباع سبعة آلاف من ربيعة و تحالفت بالأيمان العظيمة على ألا ينظر رجل منهم خلفه حتى يردوا سراق معاوية، فأقبلوا نحوه فلما نظر إليهم معاوية قال:

كتائب منها كالجبال تجالد

إذا قلت قد ولت ربيعة أقبلت

و قال لعمره: ما ترى؟ قال: ان تخلى سراقك اليوم. فقام معاوية و خلى لهم سراقه و رحله، و خرج فارا عنه ببعض مضارب أهل الشام فى أخريات الناس، فانتهدت ربيعة إلى سراقه و رحله و بعث معاوية إلى خالد بن المعمر أنك قد ظفرت و لك إمرة خراسان ان لم تتم، فقطع خالد القتال و لم يتمه و قال لربيعة قد برت أيمانكم فحسبكم، فلما كان عام الجماعة أمره معاوية على خراسان فمات قبل أن يبلغها^{١٢٩٧}.

«فاضربوا ثبجه» بالفتح أى: وسطه.

«فان الشيطان» و المراد به معاوية.

«كامن» أى: مخنف.

«فى كسره» بكسره أى أسفل شقة البيت التى تلى الأرض من حيث يكسر جانباه من عن يمينك و يسارك.

^{١٢٩٤} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥.

^{١٢٩٥} (٢) المصدر نفسه: ٤٢٥ (طبعة القاهرة).

^{١٢٩٦} (٣) المصدر نفسه: ٢٧٠.

^{١٢٩٧} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٦.

«قد قدم للوثبة» أى: المساورة إلى قدام.

«يدا و آخر للنكوص» أى: الرجوع إلى العقب.

«رجلا» قد عرفت ان من يقصد رواقه يهرب منه فى خباء إلى خباء و يعمل حيلة لدفعه.

و برز يوما فى قبال سعيد بن قيس ثم فر منه و ركض فرسه،

ص: ٥٤٣

فقال سعيد:

يا لهف نفسى فاتنى معاوية فوق طمر كالعقاب هاوية

و قال أيمن بن خريم- و كان أنسك رجل من أهل الشام و أشعره- و كان فى ناحية معتزلا:

و ان سعيدا إذ برزت لرمحه لفارس همدان الذى يشعب الصدعا

ملىء بضرب الدارين بسيفه إذا الخيل أبدت من سناكبها تقعا

رجعت فلم تظفر بشيء أردته سوى فرس أعت و أبت بها طلعا

«فصمدا صمدا» بالتسكين أى: قصدا قصدا، و اما بالتحريك فهو: السيد الذى يقصد إليه فى الحوائج.

«حتى ينجلى عمود الحق و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكم» فى (الصحيح): «و لن يترككم أعمالكم» أى: لن ينتقصكم فى أعمالكم كما تقول «دخلت البيت» و أنت تريد دخلت فى البيت^{١٢٩٨}.

و قوله عليه السلام «و أنتم الأعلون و الله معكم و لن يترككم أعمالكم» لفظ القرآن، قال تعالى: «فَلَا تَهِنُوا وَ تَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَ أَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَ اللَّهُ مَعَكُمْ وَ لَنْ يَتْرُكَكُمْ أَعْمَالُكُمْ»^{١٢٩٩}.

فى (صفين نصر): ركب على عليه السلام بغلة النبى صلى الله عليه و آله الشهباء، ثم تعصّب بعمامة النبى السوداء، ثم نادى: أيها الناس من يشرى نفسه لله بربح، هذا يوم له ما بعده، ان عدوكم قد قرح كما قرحتم.

^{١٢٩٨} (١) الصحيح للجوهري ٢: ٨٤٣.
^{١٢٩٩} (٢) محمّد: ٣٥.

فانتدب له ما بين العشرة آلاف إلى اثني عشر ألفا وضعوا سيوفهم على عواتقهم. و تقدّمهم على عليه السلام منقطعاً على بغلة
النبي و هو يقول:

ص: ٥٤٤

دَبُّوا ديبب النمل لا تفوتوا
و أصبحوا بحربكم و بيتوا
حتى تنالوا الثأر أو تموتوا
أو لا فإنّي طالما عصيت
قد قلتم لو جئتنا فجيت
ليس لكم ما شئتم و شيت
بل ما يريد المحيى المميت

فتبعه عدى بن حاتم بلوائه و هو يقول:

أ بعد عمار و بعد هاشم
و ابن بديل فارس الملاحم
نرجو البقاء مثل حلم الحالم
و قد عضضنا أمس بالأباهم
فالיום لا نقرع سن نادم
ليس امرؤ من يومه بسالم

و تقدّم الأشتر و هو يقول:

حرب بأسباب الردى تأجج
يهلك فيها البطل المدجج
يكفيك همدانها و مذحج
قوم إذا ما أحمشوها أنفجوا
روحوا إلى الله و لا تعرجوا
دين قويم و سبيل منهج

و حمل الناس حملة واحدة، فلم يبق لأهل الشام صف إلّا انتقض و اهدموا ما أتوا عليه حتى أفضى الأمر إلى مضرب معاوية، و
على عليه السلام يضربهم بسيفه و هو يقول:

أضربهم و لا أرى معاوية
الأخزر العين العظيم الحاوية
هوت به فى النار ام هاوية

فدعا معاوية بفرسه لينجو عليه، فلما وضع رجله في الركاب تمثل بأبيات عمرو بن الأظناية:

أبت لى عفتى و أبى بلائى
و أخذى الحمد بالثمن الريح
و اعزأى على المكروه نفسى
و قولى كلما جشأت و جاشت
و ضربى هامة البطل المشيح
مكانك تحمدى أو تستريحى

ص: ٥٤٥

فتنى رجله من الركاب و نزل و استصرخ بعك و الأشعرين، فجالدوا عنه ... و انتهى إلى مكيدة عمرو فى رفع المصاحف^{١٣٠٠}.

١٠

الخطبة (٢٣٩) و من كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد:

وَاللّٰهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ وَ مُورِثُكُمْ أَمْرَهُ- وَ مُمְهِلُكُمْ فِى مِضْمَارٍ مَمْدُودٍ لِّتَنَازَعُوا سَبْقَهُ- فَشُدُّوا عُقَدَ الْمَآزِرِ وَ اطْوُوا فُضُولَ الْخَوَاصِرِ- لَا تَجْتَمِعْ عَزِيمَةٌ وَ وَلِيمَةٌ- مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ- وَ أَمْحَى الظُّلُمَ لِتَذَاكِيرِ الْهِمَمِ وَ صَلَّى اللّٰهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الْأُمِّى، وَ عَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ الدُّجَى وَ الْعُرُوَّةِ الْوُثْقَى، وَ سَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

أقول: هذا العنوان فى نسخنا و فى (ابن ميثم) آخر الخطب (٢٣٦)^{١٣٠١} و لكن ابن أبى الحديد نقله بعد عنوان «قد أحيى عقله» (٢١٥)^{١٣٠٢}.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام يحث أصحابه على الجهاد» هكذا فى (المصرية)^{١٣٠٣} و فيه سقط، ففى (ابن ميثم): (يحث فيه)^{١٣٠٤}.

قوله عليه السلام «و الله مستأديكم» أى: طالب أدائكم.

«شكره» استأدى شكر عباده فى آيات كثيرة «و أشكروا لى و لا تكفروا»^{١٣٠٥}، «و أشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون»^{١٣٠٦}، «أن أشكروا لى»

^{١٣٠٠} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٠٣.

^{١٣٠١} (٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٤: ٣٣٤.

^{١٣٠٢} (٣) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٤٢.

^{١٣٠٣} (٤) الطبعة المصرية: ٥١٠ هكذا الاصل ص ١٨٧.

^{١٣٠٤} (٥) فى ابن ميثم: ٤: ٣٣٤ ذكره فى خطبة: ٢٤٠ و ليس ٢٣٦.

^{١٣٠٥} (٦) البقرة: ١٥٢.

^{١٣٠٦} (٧) البقرة: ١٧٢.

ص: ٥٤٦

«وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ»^{١٣٠٧}، «وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ وَ مَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ»^{١٣٠٨} و عن الصادق عليه السلام: أو حى تعالى إلى موسى عليه السلام ان اشكر لى حق شكرى. قال: كيف و ليس شكر أشكرك به إلا و أنت أنعمت به على؟ قال: الآن شكرتني حين قلت ان ذلك منى^{١٣٠٩}.

«و مورثكم أمره» «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لِيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لِيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا»^{١٣١٠}.

«و يمهلكم فى مضمار» فى (القاموس): تضمير الفرس أن تعلقه حتى يسمن ثم ترده إلى القوت و ذلك أربعين يوما، و هذه المدة تسمى المضمار، و الموضع الذى يضم فيه الخيل أيضا مضمار^{١٣١١}.

«محدود» هكذا فى (المصرية)^{١٣١٢} و الصواب: «ممدود» كما فى (ابن ميثم و الخطيئة)^{١٣١٣}.

«للتنازعا سبقه» أى: سبق المضمار «فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا»^{١٣١٤}، «فَاسْتَبَقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ»

ص: ٥٤٧

«جَمِيعًا»^{١٣١٥}، «سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَ جَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَ رُسُلِهِ»^{١٣١٦}.

«فشدوا عقد المآزر».

قوم إذا ما حاربوا شدوا مآزرهم دون النساء و لو باتت بأطهار

و فى السير: لما بلغ المهلب خلع ابن الأشعث للحجاج لما أرسله إلى رتبيل فى أهل العراق و رجوعهم إلى حربه، كتب إليه ان أهل العراق قد أقبلوا إليك و هم مثل السيل ليس يردهم شىء حتى ينتهى إلى قراره، و ان لأهل العراق شدة فى أول مخرجهم و صباية إلى أبنائهم و نسائهم، فاتركهم حتى يسقطوا إلى أهاليهم و يشموا أولادهم ثم واقعهم فإنك منصور. فلما قرأ كتابه سبه

^{١٣٠٧} (١) لقمان: ١٤.
^{١٣٠٨} (٢) لقمان: ١٢.
^{١٣٠٩} (٣) الكافي للكليني ٢: ٩٨ رواية ٢٧.
^{١٣١٠} (٤) النور: ٥٥.
^{١٣١١} (٥) الفيروز آبادي القاموس المحيط: ٥٥١.
^{١٣١٢} (٦) الطبعة المصرية: ٥١٠.
^{١٣١٣} (٧) ابن ميثم ٤: ٣٣٤ بلفظ (محدود) اما النسخة الخطية: ٢٢٨ بلفظ (محدود).
^{١٣١٤} (٨) البقرة: ١٤٨.
^{١٣١٥} (١) المائدة: ٤٨.
^{١٣١٦} (٢) الحديد: ٢١.

و قال: ما الى نظر بل لابن عمه- يعنى ابن الأشعث حيث ان كلاً منهما كان يمينيا- ثم سار الحجاج من البصرة ليلقى ابن الأشعث، فنزل تستر و قدم بين يديه مقدمة إلى دجيل، فلقوا عنده خيلا لابن الأشعث فانهزم أصحاب الحجاج و قتل جمع كثير منهم، فرجع إلى البصرة فتبعه ابن الأشعث فقتل منهم و أصاب بعض أثقالهم، فترك الحجاج البصرة لأهل العراق و أقبل حتى نزل الزاوية، و لما رجع نظر فى كتاب المهلب فقال: لله درّه أى صاحب حرب هو^{١٣١٧}.

هذا و فى (الأغاني) عن حمّاد الراوية دخلت يوما على الوليد- و كان آخر يوم لقيته- فاستنشدنى فأنشدته كلّ ضرب من شعر الجاهلية و الاسلام فما هسّ لشيء منه حتى أخذت فى السخف، فأنشدته لعماد بن كناد:

اشتهى منك منك مكانا بجنب ذا فأجىء فيه فيه بأير كمثل ذا

ص: ٥٤٨

ليت أيرى و حرّك يوما جميعا تجابذا فأخذ ذا بشعر ذا و أخذ ذا بقعر ذا

فضحك حتى استلقى و شرب حتى سكر، فعلمت ان أمره قد أدبر، ثم أدخلت على أبى مسلم فاستنشدنى فأنشدته قول الأفوه إلى قوله:

تهدى الأمور بأهل الرشد ما صلحت و ان تولّت فبالأشرار تنقاد

فقال: انا ذاك الذى تنقاد به الناس، فأيقنت حينئذ أن أمره مقبل^{١٣١٨} و فيه: لما ظهرت المسودة بخراسان كتب نصر بن سيار إلى الوليد يستمدّه، فتشاغل عنه فكتب نصر إليه:

أرى خلل الرماد و ميض جمر و أحر بأن يكون له ضرام

فان النار بالعودين تذكى و ان الحرب مبدؤها الكلام

فقلت من التعجب ليت شعرى أ أيقاظ اميئة أم نيام

فكتب إليه الوليد: قد أقطعتك خراسان فاعمل لنفسك أو دع، فأنى مشغول عنك بابين سريخ و معبد و الغريص^{١٣١٩}.

و فيه قال أبو سفيان فى غزوة سويق بعد بدر يحرض قريشا:

^{١٣١٧} (٣) الكامل فى التاريخ لبن الأثير ٤: ٤٦٤-٤٦٥.

^{١٣١٨} (١) الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ٧: ٥٦-٥٧.

^{١٣١٩} (٢) الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ٧: ٥٦.

ان يك يوم القلب كان لهم
فان ما بعده لكم دول
آليت لا أقرب النساء ولا
يمس رأسي وجلدي الغسل
حتى تبيدوا قبائل الأوس
والخزرج ان الفؤاد مشتعل

١٣٢٠ و في (الجزري): و قد بلغ من حزم عضد الدولة أنه تدلّه بفتاة، فلما خشي على ملكه من تدلّيه بها أمر بتغريقها.

و لبعضهم:

ص: ٥٤٩

و من كان بالبيض الكواعب مغرما
فما زلت بالبيض القواطع مغرما
و من تيمت سمر الحسان فؤاده
فما زلت بالسمر العوالي متيما

١٣٢١ «و اطووا فضول الخواصر» جمع الخصر، أى وسط الإنسان، و طى فضول الخواصر كناية عن عدم اهتمامهم بطعامهم و عدم كونهم عبيد بطونهم.

و في (الكامل): لما ولّى المعتز يعقوب الصفار و على بن شبل كرمان ليغلب أحدهما الآخر، أقبل يعقوب نفسه و طوق بن المغلس من قبل على بن شبل إليها و لم يقاتلا، و ارتحل يعقوب بعد شهرين و أظهر الارتحال إلى سجستان، فقعد طوق للأكل و الشرب و الملاهى و إذا هو بيعقوب قد طوى مرحلتين فى يوم و رجع، ففر أصحاب طوق و أسر طوق، فنزع يعقوب خفّه فساقط منه كسر خبز يابسة، فقال: يا طوق هذا خفى لم أنتزعه منذ شهرين من رجلى و خبزي فيه آكل منه و أنت جالس فى الشراب^{١٣٢٢}.

«و لا» هكذا فى (المصرية)^{١٣٢٣} و الصواب: «لا» كما فى (ابن ميثم) لأنه مستأنفة كالمثل لا عطف^{١٣٢٤}.

«تجتمع عزيمة» ما صممت على فعله.

«و وليمة» فى (الجمهرة): الوليمة: طعام العرس، و الوضيعة: طعام المأتم^{١٣٢٥}.

١٣٢٠ (٣) الأغاني لأبى الفرج الأصفهاني ٦: ٣٥٨.

١٣٢١ (١) ابن الاثير الكامل في التاريخ لم نعثر عليه.

١٣٢٢ (٢) الكامل ٧: ١٩١.

١٣٢٣ (٣) الطبعة المصرية: ٥١٠.

١٣٢٤ (٤) ابن ميثم ٤: ٣٣٤ بلفظ «لا».

١٣٢٥ (٥) ابن دريد ضهرة اللغة ٢: ٩٨٧.

فى (الكامل): مات يعقوب الصفار بجنديسابور من قولنج - و كان

ص: ٥٥٠

المعتمد قد أرسل إليه رسولا يستميله و يقلّده أعمال فارس - فجعل عنده سيفاً و رغيفاً من الخبز الخشكار و بصلاً، فقال لرسوله: قل له انى عليل، فان متّ استرحت أنا و أنت و ان عوفيت فليس بينى و بينك إلّا هذا السيف، اما آخذ ثارى و اما أرجع إلى هذا الخبز و البصل^{١٣٢٦}.

«ما أنقض النوم لعزائم اليوم» كرّره المصنف فى (٣ - ٤٤٠). و كيف كان فهو كالمثل لحال كثير من الناس يمنعهم الكسل عن كثير من مقاصدهم، و من أمثالهم «أحزم لو أعزم».

و قال الشاعر:

لست بليلى و لكنى نهر
لا أدلج الليل و لكن ابتكر

قال سيبويه معنى «نهر» نهارىّ فى مقابل الليلى^{١٣٢٧}.

«و أمحى الظلم» جمع الظلمة.

«لتذاكير الهمم» هو فى معنى الأول لبيان حال ناس ليسوا بذوى جدّ فى الامور، قال الشاعر:

فلا تقربن أمر الصريمة بامرىء
إذا رام أمراً عوّقه عواذله
و قل للفؤاد ان نزابك نزوة
من الروح أفرغ أكثر الروح باطله

و قريب منه و ان كان لفظه بالعكس قولهم «كلام الليل يمحوه النهار».

«و صلى الله على سيّدنا محمد النبىّ الامّى» زادت (الخطيئة) قبل الكلام:

«و الحمد لله كثيرا»^{١٣٢٨}.

«و على آله مصاييح الدجى» أى: سرج الظلم.

^{١٣٢٦} (١) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٧: ٣٢٥.

^{١٣٢٧} (٢) كتاب سيبويه ٣: ٣٨٤.

^{١٣٢٨} (٣) النسخة الخطيئة، لا وجود للعبارة: ٢٢٩.

«و العروة الوثقى» لأن ولايتهم شرط قبول الايمان بالله الذى قال «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»^{١٣٢٩}.

قال الرضا عليه السلام لأهل نيسابور- بعد روايته لهم عن آبائه عليهم السلام عن النبى صلى الله عليه وآله عن الله تعالى كون «لا إله إلا الله» حصنه الذى من دخل فيه أمن من عذابه: بشروطها و أنا من شروطها^{١٣٣٠}.

«و سلم تسليمًا كثيرًا» ليس قوله «و صلى الله» إلى هنا فى (ابن ميثم) و لعلّه ترك نقله لعدم تعلّق غرض به^{١٣٣١}، لكن فيه بعد شرح العنوان: «و هذا آخر الخطب و الأوامر و يتلوها المختار من الكتب و الرسائل إن شاء الله تعالى بعونه و عصمته و توفيقه و هدايته» فان لم يكن من إنشائه فكذا كان كلام المصنّف، و قد عرفت ان ابن أبى الحديد نقله فى الوسط فلا مجال لأن يكون فيه شىء غير العنوان^{١٣٣٢}.

١١

الخطبة (١٢٢) و من كلام له عليه السلام فى حث أصحابه على القتال:

فَقَدِّمُوا الدَّارِعَ وَ أَخْرُوا الْحَاسِرَ- وَ غَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ- فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلْسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ- وَ اتَّوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ فَإِنَّهُ أَمُورٌ لِلْأَسِنَّةِ- وَ غَضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَاشِ وَ أَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ- وَ أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفِشْلِ- وَ رَايْتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَ لَا تُخْلُوهَا- وَ لَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ- وَ الْمَانِعِينَ الدَّمَارَ مِنْكُمْ- فَإِنَّ الصَّابِرِينَ

عَلَى نُزُولِ الْحَقَاقِ- هُمْ الَّذِينَ يَحْفُونَ بِرَايَاتِهِمْ- وَ يَكْتَنِفُونَهَا حِفَافَتِهَا وَ وَرَاءَهَا وَ أَمَامَهَا- لَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيَسْلِمُوهَا- وَ لَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفَرِّدُوهَا أَجْزَاءَ أَمْرٍ قَرْنُهُ وَ آسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ- وَ لَمْ يَكِلْ قَرْنُهُ إِلَى أَخِيهِ- فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قَرْنُهُ وَ قَرْنُ أَخِيهِ- وَ أَيْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ- لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ- وَ أَنْتُمْ لَهَا مِيمُ الْعَرَبِ وَ السَّنَامُ الْأَعْظَمُ- إِنْ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةٌ لِلَّهِ وَ الدُّلُّ اللَّازِمُ وَ الْعَارُ الْبَاقِي- وَ إِنْ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ- وَ لَا مَحْجُوزٌ بَيْنَهُ وَ بَيْنَ يَوْمِهِ- الرَّائِخُ إِلَى اللَّهِ كَالظَّمَانِ يَرُدُّ الْمَاءَ- الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي- الْيَوْمُ تُبْلَى الْأَخْبَارُ- وَ اللَّهُ لَأَنَا أَشَوْقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ- اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ- وَ شَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ وَ أَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ- دُونَ طَعْنِ دِرَاكِ يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ- وَ ضَرْبُ يَفْلِقُ الْهَامَ وَ يُطَيِّحُ الْعِظَامَ- وَ يُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَ الْأَقْدَامَ- وَ حَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتَبِعُهَا الْمَنَاسِرُ- وَ يُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَابُ- وَ حَتَّى يُجَرَّ بِلَادِهِمْ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ- وَ حَتَّى تَدْعَقَ الْخُبُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ- وَ بَاعْتَانِ مَسَارِيهِمْ وَ مَسَارِحِهِمْ أَقُولُ-

^{١٣٢٩} (١) البقرة: ٢٥٦.

^{١٣٣٠} (٢) المجلسي بحار الأنوار ٣: ٥ الرواية ١٤ الباب ١.

^{١٣٣١} (٣) ابن ميثم لم ترد العبارة انظر ٤: ٣٣٥.

^{١٣٣٢} (٤) شرح ابن ابي الحديد ذكر بعده (٢٧) خطبة أو كلام للامام أمير المؤمنين عليه السلام.

الدعق الدعق أى تدق الخيول بحوافرها أرضهم- و نواحر أرضهم متقابلاتها- و يقال منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل أقول: العنوان جمع بين روايات، فصدره إلى قوله «**لا تسلموا من سيف الآخرة**» رواية مع زيادة و تقيصة، ففي (الطبرى الطبرى- تاريخ الطبرى- ج ٤ ص ١١ و ١٦): قال أبو مخنف: حدّثني عبد الرحمن بن أبى عمرة الأنصارى عن أبيه و مولى له ان عليا عليه السلام حرّض الناس يوم صفين فقال: ان الله عز و جل قد دلّكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم،

ص: ٥٥٣

تشفى بكم على الخير و الإيمان بالله عز و جل و برسوله و الجهاد فى سبيله، و جعل ثوابه مغفرة الذنب و مساكن طيبة فى جنّات عدن، ثم أخبركم أنّه يحبّ الذين يقاتلون فى سبيله صفّا كأنّهم بنیان مرصوص، فسووا صفوفكم كالبنیان المرصوص و قدّموا الدارع و أخروا الحاسر، و عضّوا على الأضراس فأنّ أنبى للسيوف عن الهام، و التوا فى أطراف الرماح فأنّ أصون للأسنة، و غضوا الأبصار فأنّ أربط للجأش و اسكن للقلوب، و أميتوا الأصوات فأنّ أطرّد للفشل و أولى بالوقار، راياتكم فلا تميلوها و لا تجعلوها إلّا بأيدى شجعانكم، فان المانع للذمار و الصابر عند نزول الحقائق هم أهل الحفاظ الذين يحفون براياتهم و يكتفونها يضربون حفافها خلفها و أمامها و لا يضيعونها. أجزأ أمرء قد قرنه و آسى أخاه بنفسه و لم يكل قرنه إلى أخيه فيكسب بذلك لائمة و يأتى به دناءة، و انى لا يكون هذا هكذا و هذا يقاتل اثنين و هذا ممسك بيده يدخل قرنه على أخيه هاربا منه أو قائما ينظر إليه، من يفعل هذا يمقته الله عز و جل، فلا تعرضوا لمقت الله سبحانه فأنما مردّكم إلى الله، قال الله عز من قائل لقوم «**لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا**»^{١٣٣٣} و ايم الله لئن سلمتم من سيف العاجلة لا تسلمون من سيف الآخرة، استعينوا بالصدق و الصبر، فان بعد الصبر ينزل الله النصر^{١٣٣٤} و رواه نصر فى (صفينه نصر بن مزاحم- وقعة صفين- ص ٢٣٥) عن عمر عن عبد الرحيم بن عبد الرحمن عن أبيه مثله^{١٣٣٥}.

و رواه (الكافى الكليني- الكافى- باب ما يوصى عليه السلام عند القتال ج ٥ ص ٣٩ ح ٤) فى باب ما يوصى عليه السلام عند القتال عن مالك بن أعين

ص: ٥٥٤

مثله مع أدنى اختلاف، زائدا بين قوله «هم أهل الحفاظ» و قوله «**الذين يحفون براياتهم**»: «و لا تمثلوا بقتيل»^{١٣٣٦} و مثله فى (الإرشاد الشيخ المفيد- الإرشاد- فصل فى كلامه عليه السلام ص ١٤١) فى (فصل فى كلامه عليه السلام فى هذا المعنى) بدون زيادة^{١٣٣٧}.

و اما قوله «**فإن ردّوا الحق فافضض جماعتهم و شتّت كلمتهم و أسلهم بخطاياهم**» فجزء رواية اخرى، ففي (الطبرى) عن زيد بن وهب: أن عليّا عليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام فيها الوليد بن عقبة و هم يشتمونه، فخير بذلك فوقف فيمن يليهم

^{١٣٣٣} (١) تاريخ الامم و الملوك للطبرى ٤: ١٦.

^{١٣٣٤} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ١١.

^{١٣٣٥} (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٣٥.

^{١٣٣٦} (١) الكافى للكليني ٥: ٣٩ ح ٤.

^{١٣٣٧} (٢) الإرشاد للمفيد: ١٤١.

من أصحابه و قال: «انهذوا إليهم و عليكم السكينة و الوقار- وقار الإسلام- و سيماء الصالحين، فو الله لأقرب قوم من الجهل قائدهم و مؤدبهم معاوية و ابن النابغة و أبو الأعور السلمي و ابن أبي معيط شارب الخمر المجلود حدًا في الاسلام، و هم أولى يقومون فينقصونني و يشتمونني و أنا إذا ذاك أدعوهم إلى الاسلام و هم يدعونني إلى عبادة الأصنام، الحمد لله، قديما عاداني الفاسقون فبعدهم الله، ألم تعجبوا أن هذا لهو الخطب الجليل، ان فساقا كانوا غير مرضيين و على الاسلام و أهله متخوفين خدعوا شطر هذه الامة و أشربوا قلوبهم حبّ الفتنة و استمالوا أهواءهم بالإفك و البهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله عز و جل. اللهم فافضض خدمتهم و شتت كلمتهم و أسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذلّ من و البيت و لا يعزّ من عاديت^{١٣٣٨}.

و رواه (صفين نصر)^{١٣٣٩}، و كذا رواه (الإرشاد)^{١٣٤٠}.

و أمّا قوله «إنهم لن يزولوا عن مواقفهم- إلى- و ينذر السواعد و الأقدام»

ص: ٥٥٥

فجزء رواية أخرى رواها (الكافي)^{١٣٤١} و (الإرشاد)^{١٣٤٢} و- (المروج)^{١٣٤٣} و (الطبري)^{١٣٤٤}، ففي الأول: و مرّ عليه السلام براهة لأهل الشام لا يزولون، فقال: إنهم لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك يخرج منه النسيم و ضرب يفلق الهام و يطيح العظام و تسقط منه المعاصم و الأكف، و حتى تصدع جباههم بعمد الحديد و تنشر حواجبهم على الصدور و الأذقان، أين أهل الصبر و طلباب الأجر.

و مثله (الإرشاد)، و كذا (المروج) و (الطبري)، و فيهما مر عليه السلام بغسان لا يزولون.

و أمّا قوله «إنّ في الفرار موجدّة الله- إلى- و لا محجوز بينه و بين يومه» فذيل العنوان ١٠٣ «و قد رأيت جولتكم...».

و أمّا قوله «و حتى يرموا بالمناسر- إلى- و مسارحهم» فرواية أخرى رواها (صفين نصر)^{١٣٤٥} و (كتاب سليم)^{١٣٤٦} و (إرشاد المفيد)^{١٣٤٧}، و في الأخير: إنّ هؤلاء القوم لم يكونوا لينبيوا إلى الحق و لا ليجيبوا إلى كلمة السواء حتى يرموا بالمناسر تتبعها العساكر، و حتى يرحموا بالكتائب تقفوها الجلائب، و حتى يجر ببلادهم الخميس يتلوه الخميس، و حتى تدعق الخيول في نواحي أرضهم و بأعنان مسارحهم و مسارحهم و حتى تشن الغارات عليهم في كلّ فج

ص: ٥٥٦

^{١٣٣٨} (٣) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٣١.
^{١٣٣٩} (٤) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩١.
^{١٣٤٠} (٥) الإرشاد للمفيد: ١٤٢.
^{١٣٤١} (١) الكافي للكليني ٥: ٤٠.
^{١٣٤٢} (٢) الإرشاد للمفيد: ٢٦٧، مؤسسة أهل البيت.
^{١٣٤٣} (٣) المروج للمسعودي ٢: ٣٨٨.
^{١٣٤٤} (٤) تاريخ الامم و الملوك للطبري ٤: ٣٢.
^{١٣٤٥} (٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٠.
^{١٣٤٦} (٦) كتاب سليم بن قيس ٢٢٠ مع فارق عما ذكره العلامة.
^{١٣٤٧} (٧) الإرشاد للمفيد: ٢٦٧.

و تخفق عليهم الرايات و يلقاهم قوم صبر لا يزيدهم هلاك من هلك من قتلاهم و موتاهم فى سبيل الله إلّا جدّا فى طاعة الله و حرصا على لقاء الله.

و أما قوله «الرائح إلى الله - إلى - إلى ديارهم» فلم أقف على سنده و ليس فى تلك الروايات.

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام فى حث» هكذا فى (المصرية)^{١٣٤٨} و (ابن أبى الحديد)^{١٣٤٩} و لكن فى (ابن ميثم) و النسخة الخطيّة «حض»^{١٣٥٠}.

«أصحابه على القتال» قد عرفت من أسانيده أن ذاك الحثّ كان فى صفين.

«فقدّموا الدراع» هكذا فى (المصرية)^{١٣٥١}، و الصواب: «الدارع» أى: لابس الدرع كما فى غيرها.

«و أخروا الحاسر» أى: الذى لا درع عليه و لا مغفر، و وجه تقديم الدارع و تأخير الحاسر أن سورة حملة الخصم تصل المتقدّم.

«و عضوا على الأضراس فإنّه أنبا للسيوف عن الهام» هو نظير قوله عليه السلام فى الأول «عضّ على ناجذك» و فى التاسع «و عضوا على النواجذ فإنّه أنبا للسيوف عن الهام» و لا تنافى، فإنّ النواجذ آخر الأضراس، و فى (الصحيح):

الأسنان كلّها إناث إلّا الأضراس و الأنياب.

و كان الأشتر يقول فى صفين: إذا عضّكم السيوف فليعضّ الرجل على ناجذه فإنّه أشدّ لشتون الرأس^{١٣٥٢}.

ص: ٥٥٧

«و التّوا» من لويت الحبل قتلته فى أطراف الرمام.

«فإنّه أمور» أى: أكثر تحرّكا و اضطرابا.

«لأسنّة» أى: أسنّة الخصم كالسيوف فى قوله قبله «أنبا للسيوف عن الهام». و يوضّحه قول الأشتر فى أول الأمر لما غلب الخصم على الماء: فإذا نالتكم الرماح فالتّوا فيها.

(١) الطبعة المصرية: ٢٩٠ النسخة الخطيّة ١٠٤.

(٢) ابن أبى الحديد ٨: ٣ رواية (١٢٤).

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٤.

(٤) الطبعة المصرية المصححة ورد لفظ الدارع: ٢٩٠.

(٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٤.

و قال ابن ميثم أمرهم عليه السلام بالالتواء عند طعنهم الخصم، بأن يميل صدره و يده، فان ذلك أنفذ. و هو كما ترى، و إنما المراد أن يلتوتوا لثلا تؤثر طعنة الخصم^{١٣٥٣}.

«و غَضُوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ» أى: أكثر شدًا.

«لِلجَاشِ» أى: القلب، و الأصل فى معناه: الاضطراب، سَمِيَ جَاشًا لاضطرابه كما سَمِيَ قَلْبًا لثقله كثيرا.

«و أَسْكَنَ لِلْقَلْبِ» من تزلزله.

«و أَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ» أى: أَدْفَعُ.

«لِلْفُشْلِ» أى: الخوف.

فى (عيون ابن قتيبة): قال عتبة يوم بدر لأصحابه: ألا ترون أصحاب محمد جثيا على الركب كأنهم خرس يتلمظون تلمظ الحيات^{١٣٥٤} و فى (العقد): كان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تكلموا الناس إلّا رمزا و لا تكلموهم إلّا شرزا لتمتلى صدورهم من هيبتكم^{١٣٥٥}.

«و رايتمكم فلا تميلوها» بل اجعلوها مستقيمة.

ص: ٥٥٨

«و لا تخلوها» لأنّها كالقائمة للمحاربين.

«و لا تجعلوها إلّا بأيدي شجعانكم» فليس كلّ الناس أهلا لحمل الراية بل الشجاع منهم.

«و المانعين الذمار منكم» فى (الصحيح): فلان حامى الذمار، أى إذا ذمر و غضب حمى، و يقال: الذمار ما وراء الرجل مما يحق عليه أن يحميه، لأنّهم قالوا «حامى الذمار» كما قالوا «حامى الحقيقة»، و سَمِيَ ذَمَارًا لأنّه يجب على أهله التذمّر له، و تذامر القوم حثّ بعضهم بعضا فى الحرب^{١٣٥٦}، و سميت حقيقة لأنّه يحق على أهلها الدفع عنها، قال: «نحمى الحقيقة عند كلّ مصاع».

فى (صفين نصر) قال أبو زبيد الطائى فيه عليه السلام: إنّ عليا سار بالتركّم - إلى أن قال - حامى الذمار و هو لما يكدم.

^{١٣٥٣} (١) شرح ابن ميثم ٣: ١٢٤.

^{١٣٥٤} (٢) عيون الاخبار لابن قتيبة ١: ١٠٨.

^{١٣٥٥} (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ٤٨٢.

^{١٣٥٦} (١) الصحيح ٢: ٦٦٥.

و فيه دعا الأشتر الحارث بن همام النخعي ثم الصهباني فأعطاه لواءه ثم قال: يا حارث لو لا أعلم أنّك تصبر عند الموت لأخذت لوائى منك و لم أجبك بكرامتى. قال: و الله يا مالک لأسرّنک اليوم أو لأموتن فاتبعنى، فتقدّم و هو يقول:

يا أشتر الخير و يا خير النخع
و صاحب النصر إذا عمّ الفزع
و كاشف الأمر إذا الأمر وقع
ما أنت فى الحرب العوان بالجدع
قد جزع القوم و عمّوا بالجرع
و جرّعوا الغيظ و غصّوا بالجرع

إلى أن قال: فقال الأشتر: ادن منى يا حارث. فدنا منه فقبّل رأسه^{١٣٥٧}.

فى (تنبيه البكرى): قال عمر للحطيئة: كيف كنتم فى حربكم؟ قال: كنّا ألف حازم. قال: و كيف ذلك؟ قال: كان منّا قيس بن زهير و كان حازما لا

ص: ٥٥٩

نعصيه فكأنّا ألف حازم، و كنّا نأتمّ بشعر عروءة و نقدم بإقدام عنتره^{١٣٥٨}.

«فان الصابرين على نزول الحقائق» أى: الشدائد، قال أبو حبة الأنصارى:

ان يصدقوك يخبروك بأننا
نحمى الحقيقة عند كل مصاع

^{١٣٥٩} «هم الذين يحفون» أى: يحيطون.

«براياتهم» فى (الطبرى): و اثب عائذ بن قيس الحرزمى فى صفين على عدى بن حاتم فى الراية- و كانت حرمز أكثر من بنى عدى رهط حاتم- فوثب عبد الله بن خليفة الطائى البولانى على حرمز و قال: على عدى تتوثبون؟ هل فيكم مثل عدى أو فى آبائكم مثل أبيه؟ أليس عدى بحامى القرية و مانع الماء يوم روية؟ أليس بابن ذى المرباع و ابن جواد العرب؟ أليس بابن المنهب ماله و مانع جاره؟ أليس من لم يغدر و لم يفجر و لم يجهل و لم ييخل و لم يمنن و لم يجبن؟ هاتوا فى آبائكم مثل أبيه أو هاتوا فيكم مثله، أو ليس أفضلكم فى الاسلام؟ أو ليس أو افدكم إلى النبى صلى الله عليه و آله؟ أليس برأسكم يوم النخيلة و يوم القادسية و يوم المدائن و يوم جلولاء الواقعة و يوم نهاوند و يوم تستر؟

^{١٣٥٧} (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٩.

^{١٣٥٨} (١) التنبيه للبكرى: ١١٣.

^{١٣٥٩} (٢) التنبيه على أوهام القالى: ١١٣.

فمالككم و له؟ و الله ما من قومكم أحد يطلب مثل الذى تطلبون. فقال له على عليه السلام: حسبك يا ابن خليفة، هلم أيها القوم إلى و على بجماعة طى.

فأتوه جميعا فقال عليه السلام لهم: من كان رأسكم فى هذه المواطن؟ قالوا: عدى.

فقال ابن خليفة له عليه السلام سلهم أليسوا راضين مسلمين لعدى الرئاسة؟ ففعل فقالوا: نعم. فقال لهم: عدى أحقكم بالراية. فسلموها له فضجت بنو حرمز، فقال لهم على عليه السلام: انى أراه رأسكم قبل اليوم، و لا أرى قومه كلهم إلا مسلمين

ص: ٥٦٠

له غيركم. فأخذها عدى ١٣٦٠.

و فى (صفين نصر): أخذ مسروق بن الهيثم راية بنى نهد العراق فقتل، ثم أخذها صخر بن سمى فارتث، ثم أخذها على بن عمير فقاتل حتى ارتث، ثم أخذها عبد الله بن كعب فقتل، ثم أخذها سلمة بن خديم فارتث و صرع، ثم أخذها عبد الله بن عمرو بن كبشة فارتث، ثم أخذها أبو مسيح بن عمرو فقتل، ثم أخذها عبد الله بن النوال فقتل، ثم أخذها مولاه مخارق فقتل حتى صارت إلى عبد الرحمن بن مخنف الأزدي ١٣٦١.

و فى (الطبرى): صبرت همدان فى ميمنة على عليه السلام حتى أصيب منهم ثمانون و مائة رجل، و قتل منهم أحد عشر رئيسا، كلما قتل منهم رجل أخذ الراية آخر، فكان الأول كريب بن شريح ثم مرثد بن شريح ثم هبيرة بن شريح ثم يريم بن شريح ثم سمير بن شريح، فقتل هؤلاء الإخوة جميعا. ثم أخذ الراية عمير بن بشير، ثم الحارث بن بشير فقتلا، ثم أخذ الراية وهب بن كريب فأراد أن يستقتل فقال له رجل من قومه: انصرف بهذه الراية فقد قتل أشراف قومك حولها فلا تقتل نفسك و لا من بقى من قومك. فانصرفوا و هم يقولون:

ليت لنا عدتنا من العرب يحالفوننا على الموت ثم نستقدم نحن و هم فلا ننصرف حتى نقتل أو نظفر.

فمروا بالأشتر و هم يقولون هذا القول، فقال لهم الأشتر: إلى أنا أحالفكم و أعاهدكم على ألا نرجع أبدا حتى نظفر أو نهلك. فأتوه فوقفوا معه، ففى هذا قال كعب بن جعيل شاعر الشام: «و همدان زرق تبتغى من تحالف». و زحف الأشتر نحو الميمنة و ثاب إليه ناس تراجعوا من أهل الصبر و الحياء و الوفاء،

ص: ٥٦١

١٣٦٠ (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥.
١٣٦١ (٢) صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٦١.

فأخذ لا يصمد لكتيبة إلّا كشفها إذ مر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر، فقال: من هذا؟ فقيل: زياد، استلحم عبد الله بن بديل وأصحابه في الميمنة، فتقدّم فرّج لأهل الميمنة رايته وقاتل حتى صرع، ثم لم يمكث إلّا كلا شيء حتى مر بيزيد ابن قيس الأرحبي محمولا نحو العسكر، فقال: من هذا؟ قالوا:

يزيد، لما صرع زياد دفع لأهل الميمنة رايته فقاتل حتى صرع. فقال الأشر:

هذا والله الصبر الجميل والفعل الكريم، ألا يستحي الرجل أن ينصرف لا يقتل ولا يقتل أو يشفى به على القتل^{١٣٦٢}.

وفيه أيضا: قالت بجيلة لأبي شداد قيس بن المكشوح: خذ رايتنا. قال:

غيري خير لكم مني. قالوا: ما نريد غيرك. قال: والله لئن أعطيتموها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب - أي الذي كان على رأس معاوية - قالوا:

اصنع ما شئت. فأخذها ثم زحف حتى انتهى بهم إلى صاحب الترس - وأشرعت إليه الأسنة فقتل - فأخذ الراية عبد الله بن قلع الأحمسي وهو يقول:

حيث أجاب دعوة المنادى

لا يبعد الله أبا شداد

و شد بالسيف على الأعادي

فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عبد الرحمن بن قلع فقاتل حتى قتل، ثم أخذها عفيف بن إياس فلم تزل في يده حتى تحاجز الناس^{١٣٦٣}.

و في (الكامل الجزري): لما وصل على عليه السلام إلى ربيعة نادى بصوت عال - كغير المكثرت لما فيه الناس - لمن هذه الرايات؟ قالوا: رايات ربيعة. قال عليه السلام:

بل رايات عصم الله أهلها فصرهم وثبت أقدامهم. وقال للحضين بن المنذر: يا فتى ألتدني رايتك هذه ذراعا. قال: بلى والله و عشرة أذرع. فأدناها.

ص: ٥٦٢

قال: حسبك مكانك^{١٣٦٤}.

^{١٣٦٢} (١) تاريخ الطبري ٤: ١٤.
^{١٣٦٣} (٢) تاريخ الأمم والملوك للطبري ٣: ٩، دار الكتب العلمية.
^{١٣٦٤} (١) الكامل لابن الأثير ٣: ٢٩٩.

و فى (صفين نصر): انتهى على عليه السلام إلى رايات ربيعة فقال: لمن هذه؟

فقليل: رايات ربيعة. فقال: بل هى رايات الله. و أقبل الحُضَيْن بن المنذر- و هو يومئذ غلام- يزحف برأيه- و كانت حمراء- فأعجب عليًا عليه السلام زحفه و ثباته فقال:

لمن راية سوداء يخفق ظلّها	إذا قيل قدمها حُضَيْن تقدما
و يقدمها فى الموت حتى يزيها	حياض الموت تقطر الموت و الدما
أذقنا ابن حرب طعننا و ضرابنا	بأسيافنا حتى تولى و احجما
جزى الله قوما صابروا فى لقاءهم	لدى الموت قوما ما أعف و أكرما
و أطيب أخبارا و أكرم شيمه	إذا كان أصوات الرجال تغمغما
ربيعة أعنى أنّهم أهل نجده	و بأس إذا لاقوا خميسا عرمرما

١٣٦٥ «و يكتنفوها» أى: يحيطوها.

«حفافيها» بدل بعض من (ها) أى جانبها، قال طرفة:

كان جناحي مضر حى تكنفا حفافيه شكا فى العسيب بمسرد

١٣٦٦ «و وراءها و أمامها» عطفان على (حفافيها).

«لا يتأخرون عنها فيسلموها و لا يتقدمون عليها فيفردوها» فى (صفين نصر): دفع على عليه السلام الراية إلى هاشم المر قال - و كان عليه درعان - فقال عليه السلام كهيئ المازح: أبا هاشم أما تخشى من نفسك أن تكون أعور جباناً. قال:

ستعلم يا أمير المؤمنين و الله لألفن بين جماجم القوم لف رجل ينوى الآخرة.

ص: ٥٦٣

فأخذ رمحا فهزّه فانكسر، ثم أخذ آخر فوجده حاسيا فألقاه، ثم دعا برمح لين فشدّ به لواه، ثم قال لأصحابه: شدّوا شساع نعالكم و شدّوا أزرکم، فإذا رأيتمونى قد هزّزت الراية ثلاثا فاعلموا ان أحدا منكم لا يسبقنى بها.

١٣٦٥ (٢) صفين، لنصر بن مزاحم: ٢٨٨.
١٣٦٦ (٣) لسان العرب ٣: ٢٣٥.

إلى أن قال: و جعل عمّار يتناول هاشما بالرمح و يقول: أقدم يا أعور، لا خير فى أعور لا يأتى الفزع. فجعل عمرو بن العاص يقول: انى لأرى لصاحب الراية السوداء عملاً لئن دام على هذا لتفنين العرب اليوم- إلى أن قال- و لم يزل عمّار بهاشم ينخسه حتى شبّ القتال و زحف هاشم بالراية يرقل بها إرقالا و زحف الناس بعضهم إلى بعض، و التقى الزحفان فاقتتلوا قتالا لم يسمع بمنله- إلى أن قال- فلما أصبح أهل الشام لم يجدوا حول لوائهم إلّا ألف رجل، فاقتلعوه و ركزوه من وراء موضعه الأول و أحاطوا به، و وجد أهل العراق لواءهم مركوزا و ليس حوله إلّا ربيعة، و على عليه السلام بينهم، و هم يحيطون به و هو لا يعلم من هم و يظنّهم غيرهم، فلما صلّى على عليه السلام الفجر أبصر وجوها ليس بوجوه أصحابه بالأمس، فقال: من القوم؟ قالوا: ربيعة و قد بتّ فيهم تلك الليلة. فقال: فخر طويل لك يا ربيعة^{١٣٦٧}.

و فى (صفين نصر): أقبل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و معه لواء معاوية الأعظم، و من بعده عمرو بن العاص فى خيل، و قال له: اقحم يابن سيف الله فأنه الظفر. فأقبل الناس على الأشر فقالوا: يوم من أيامك الأول و قد بلغ لواء معاوية حيث ترى. فأخذ الأشر لوائه ثم حمل و هو يقول:

انى أنا الأشر معروف الشتر
انى أنا الأفعى العراقى الذكر
لست من الحى ربيعة و مضر
لكننى من مذحج الغر الغرر

فضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم و رجعت خيل عمرو.

ص: ٥٦٤

«أجزأ امرؤ قرنه» بالكسر: من جاء لحربه، قال أبو محلم السعدى:

أ لست أردّ القرن يركب روعه
و فيه سنان ذو عراقيب يابس

^{١٣٦٨} و قال عمرو بن معديكرب:

يسامى القرن ان
يسامى القرن ان
قرن تيمه فيعتضده
فيأخذه فيرديه
فيخفضه فيقتصده
فيدنو فيحطمه
فيحمضه فيزدرده

^{١٣٦٧} (١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٢٦.
^{١٣٦٨} (١) صفين، لنصر بن مزاحم: ٣٩٥.

١٣٦٩ «و آسى» و فى (ابن ميثم): «آسى».

«أخاه بنفسه» أى: و اساه و عاضده.

«و لم يكل قرنه إلى أخيه» ان لم يؤاسيه.

«فيجتمع عليه قرنه» أى: قرن نفسه.

«و قرن أخيه» و ذلك خلاف الانصاف و المروة^{١٣٧٠}.

«و ايم الله لئن فررت من سيف العاجلة لا تسلموا من سيف الآخرة» و هو أشد بمراتب.

«و أنتم» هكذا فى (المصرية)^{١٣٧١} و الصواب: «أنتم» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيئة).

«لهميم العرب»^{١٣٧٢} فى (الصحاح): الهموم: الجواد من الناس و الخيل، قال:

ص: ٥٦٥

لا تحسبن بياضا فى منقصة
ان اللهايميم فى أقربها بلق

١٣٧٣ قلت: و هم الجوهرى، و انما قال ابن دريد: فرس لهم و لهيم و لهموم إذا كان جوادا غزير الجرى. و معنى جواد غزير الجرى جيد أصيل كثير العدو لا جود الإنسان كما توهم^{١٣٧٤}، و حينئذ فقله عليه السلام «لهايميم العرب» استعاره من ذاك الفرس و إلا فالجود لا يناسب الحرب، و حينئذ فالمراد أنكم مقدّمون فى الحروب كالأفراس اللهايميم لا ما قاله ابن أبى الحديد: أنهم السادات الأجواد^{١٣٧٥}.

«و السنام الأعظم» هو أيضا استعاره من سنام الإبل لأنه أعلى أعضائه.

«إن فى الفرار موجدة الله» فقد قال تعالى «وَمَنْ يُؤْلِهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِتْنَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ»^{١٣٧٦}.

١٣٦٩ (٢) ذكر أبو الفرج بعض الأبيات ١٥: ٢٠٩ - ٢١٠.

١٣٧٠ (٣) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٢٣.

١٣٧١ (٤) الطبعة المصرية: ٢٩٠.

١٣٧٢ (٥) فى نسخة ابن أبى الحديد الواو موجودة انظر ٨: ٥، من شرح نهج البلاغة، النسخة الخطية: ١٠٥.

١٣٧٣ (١) الصحاح ٤: ٢٠٣٧ مادة (لهم).

١٣٧٤ (٢) جمهرة اللغة لابن دريد: ٩٨٧، مادة (لهم).

١٣٧٥ (٣) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٨: ٧.

١٣٧٦ (٤) الأنفال: ١٦.

«و الذل اللّازم و العار الباقي» حض الأشر الناس بصفين فقال: ان الفرار من الزحف فيه سلب العزّ و ذلّ المحيا و الممات و عار الدنيا و الآخرة.

و قال قيس بن سعد بن عبادة:

ليس فرارى فى الوغى بعادة
ان الفرار للفتى قلادة

١٣٧٧ و فى (صفين نصر): فى التقاء جعدة بن هبيرة ابن أخت أمير المؤمنين عليه السلام و عتبة بن أبى سفيان أخى معاوية: باشر جعدة القتال بنفسه و جزع عتبة فأسلم خيله و أسرع هاربا إلى معاوية، فقال له: هزمك جعدة و فضحك فضيحة لا تغسل رأسك منها أبدا^{١٣٧٨}.

ص: ٥٦٦

و فيه- فى خبر- فغاداهم على عليه السلام القتال، فانهزمت صفوف أهل الشام من بين يديه ذلك اليوم حتى فرّ عتبة بن أبى سفيان عشرين فرسخا عن موضع المعركة، فقال النجاشى فيه:

لقد أمعنت يا عتب الفرار
و أورثك الوغى خزيا و عارا

فلا يحمد خصاك سوى طمر
إذا أجريته انهمر انهمارا

١٣٧٩ قلت: لا غرو أن يفرّ عتبة عشرين فرسخا من صفين، فقد اقتدى بابن عمه عثمان ففرّ فى غزوة احد و غاب ثلاثة أيام حتى قال النبى صلى الله عليه و آله له: لقد ذهبت فيها عريضة طويلة. و مع كون كعب بن جعيل من شيعة معاوية و شاعره هجا عتبة بالفرار تحريضا له، فأجابه عتبة:

سميت كعبا بشر العظام
و كان أبوك سمي الجعل

و ان مكانك من وائل
مكان القراد من است الجمل

١٣٨٠ هذا، و روى محمد بن إسحاق غزوة موتة و قال- بعد ذكر هلاك جعفر و زيد ابن رواحة و أخذ خالد بن الوليد الراية و انكشف خالد بالناس حتى عيّرُوا بالفرار و تشأم الناس به. و روى عن أبى سعيد الخدرى قال: أقبل خالد بالناس منهزمين، فلما سمع أهل المدينة بهم تلقوهم بالجرف، فجعلوا يحثّون فى وجوههم التراب و يقولون: يا فرار^{١٣٨١}.

^{١٣٧٧} (٥) شرح ابن ابى الحديد ١٤: ١٩٠.

^{١٣٧٨} (٦) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٣.

^{١٣٧٩} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٠٩، طبع القاهرة.

و قال الواقدي: قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: ما لقي جيش بعثوا مبعثا ما لقي أصحاب موتة من أهل المدينة من الشر، حتى أن الرجل ينصرف إلى بيته و أهله فيدقّ عليهم فيأبون أن يفتحوا له، يقولون: ألا تقدمت مع أصحابك

ص: ٥٦٧

فقتلت. و جلس الكبراء منهم في بيوتهم استحياء من الناس، حتى أرسل النبي صلى الله عليه و آله رجلا يقول لهم: أنتم الكرار في سبيل الله فخرجوا^{١٣٨٢}.

قلت: لا بد أن النبي صلى الله عليه و آله أراد بما قال: أنكم تكرّون إلى الجهاد الذي هو سبيل الله. و إلّا فالنبي لا يقول للفرار: أنتم الكرار. و كيف كان فمن المضحك أنّهم قالوا أن النبي صلى الله عليه و آله لقّب ذاك اليوم خالد بن الوليد سيف الله، فكيف يحثي أهل المدينة التراب في وجهه و وجه أصحابه و يقولون له و لهم: يا فرار ثم يلقبه النبي سيف الله، فلو كان لقب سيف اللات كان أقرب إلى الواقع.

«و إنَّ الفارَّ لغير مزيد في عمره و لا محجوز بينه و بين يومه» قال حصين بن الحمام:

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد
لنفسى حياةً مثل أن أتقدّما

و أنشد جرير قصيدة في مدح الحجاج إلى أن بلغ إلى هذا البيت:

قل للجبان إذا تأخّر سرجه
هل أنت من شرك المنية ناج

قال له الحجاج: يابن اللخناء جرأت على الناس. قال: أيها الأمير ما ألفت لها بالا إلّا وقتى هذا. و قال عنتره:

بكرت تخوفنى الحتوف فإننى
أصبحت عن غرض الحتوف بمعزل

فأجبتها أن المنية منهل
لا بد أن أسقى بكأس المنهل

فاقتنى حياة لا أبا لك و اعلمى
أنى امرؤ سأموت أن لم أقتل

^{١٣٨٣} و الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ»^{١٣٨٤}.

^{١٣٨٠} (٢) وقعة صفين: ٤١٣ - طبع القاهرة.

^{١٣٨١} (٣) المغازي للواقدي ٢: ٧٦٤ - ٧٦٥.

^{١٣٨٢} (١) ذكره الواقدي في المغازي ٢: ٧٦٥، مسندا إلى أبي بكر بن عبد الله بن عتبة.

^{١٣٨٣} (٢) الشعر و الشعراء: ١٥١ - دار الكتب العلمية.

^{١٣٨٤} (٣) الأحزاب: ١٦.

ص: ٥٦٨

«الرائح» هكذا في (المصرية)^{١٣٨٥} و الصواب: «من رائح» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«إلى الله كالظمان» أي: فيكون كالظمان.

«يرد الماء» و لا شيء فوقه لأن به يحيا.

«الجنة تحت أطراف العوالي» جمع العالية، و المراد بها السنان و ان كان الأصل فيها الأعلى منه، و هو ما دخل في السنان إلى ثلثه^{١٣٨٦}.

و قال ابن أبي الحديد كلامه عليه السلام من قول النبي صلى الله عليه و آله «الجنة تحت ظلال السيوف» و سمعه بعض الأنصار منه صلى الله عليه و آله يوم احد و في يده تمرات يلوكها، فقال: بخ بخ ليس بيني و بين الجنة إلّا هذه التميرات فقذفها و حمل حتى قتل^{١٣٨٧}.

فإن أراد أنه نظير قول النبي صلى الله عليه و آله فصحيح، و إن أراد أن المراد بالعوالي السيوف فلا.

و نظير قوله عليه السلام قول عمّار «الجنة تحت ظلال السيوف و الموت في أطراف الأسل» ففي (الطبري): جاء عمّار إلى هاشم المر قال صاحب رأية على عليه السلام و هاشم يقول:

أعور يبغي أهله محلاً

قد عالج الحياة حتى ملأ

لا بد أن يفلّ أو يفلّ

و عمار يقول: يا هاشم الجنة تحت ظلال السيوف و الموت في أطراف الأسل و قد فتحت أبواب السماء و تزينت الحور العين - «اليوم ألقى الأحبة محمداً و حزيه». فلم يرجعاً عن القتال حتى قتل^{١٣٨٨}.

ص: ٥٦٩

«اليوم تبلى الأخبار» أي: تمتحن أحوال الناس. و الظاهر أنه عليه السلام قال ذلك قرب وقوع التحكيم كما يشهد له السياق.

^{١٣٨٥} (١) الطبعة المصرية: ٢٩١.
^{١٣٨٦} (٢) ابن أبي الحديد: ليس فيه «رائح» بل اكتفى بـ «من» انظر ٨: ٥.
^{١٣٨٧} (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٦.
^{١٣٨٨} (٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٨.

و في (صفين نصر): أن علياً عليه السلام أرسل إلى الناس أن يحملوا، فحمل الناس على راياتهم كل قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف و عمد الحديد لا يسمع إلا صوت الحديد، و مرّت الصلوات كلّها و لم يصلّوا إلّا تكبيرا عند مواقيت الصلوات حتى تفانوا و رق الناس. فخرج رجل بين الناس لا يعلم من هو فقال: أخرج فيكم المحلقون؟ قالوا: لا. قال: أما إنهم سيخرجون ألستهم أحلى من العسل و قلوبهم أمرّ من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل و لم يعلم من هو^{١٣٨٩}.

«و الله لأنا أشوق إلى لقائهم منهم إلى ديارهم» ليس هذا الكلام في (ابن ميثم)^{١٣٩٠} و إنما هو في (المصرية و ابن أبي الحديد و الخطيئة)^{١٣٩١}.

و في (الطبري): قال أبو عبد الرحمن السلمي: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفين فكنا قد و كّلنا بفرسه رجلين يحفظانه و يمنعانه من أن يحمل، فكان إذا حانت منهما غفلة يحمل فلا يرجع حتى يخضب سيفه، و أنّه حمل ذات يوم فلم يرجع حتى انثنى سيفه فألقاه إليهم و قال: لو لا أنّه انثنى ما رجعت^{١٣٩٢} ...

«اللهم فان» و في (ابن ميثم): «إن».

«ردوا الحق فافضض جماعتهم و شتت كلمتهم» في (الطبري): قال عمار يومئذ: أين من يبتغي رضوان الله عنه و لا يثوب إلى مال و لا ولد؟ فأنته عصابة، فقال لهم: اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبيعون دم ابن عفان و يزعمون

ص: ٥٧٠

أنّه قتل مظلوما، و الله ما طلبتهم بدمه و لكن القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبوها و استمروها و علموا أن الحق إذا لزمهم حال بينهم و بين ما يتمرغون فيه من دنياهم، و لم تكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها طاعة الناس و الولاية عليهم، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا قتل إمامنا مظلوما ليكونوا بذلك جبابرة ملوكا، و تلك مكيدة بلغوا بها ما ترون. و لو لا هي ما تبعهم من الناس رجلا، اللهم ان تنصرنا فظالما نصرنا و ان تجعل لهم الأمر فادّخر لهم بما أحدثوا في عبادك العذاب الأليم. ثم مضى حتى دنا من عمرو بن العاص فقال له: تبا لك بعت دينك بمصر تبا لك تبا، طالما بغيت الإسلام عوجا. و قال لعبيد الله بن عمر: بعت دينك من عدو الإسلام و ابن عدوّه. قال: لا و لكن أطلب بدم عثمان.

قال له: أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله عز و جل، و أنّك إن لم تقتل اليوم تمت غدا، فانظر إذا اعطى الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك^{١٣٩٣}.

«و أبسلهم» بفتح الهمزة، أي: أسلمهم للهلكة.

^{١٣٨٩} (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٣ طبع القاهرة.
^{١٣٩٠} (٢) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٣: ١٢٣.
^{١٣٩١} (٣) الطبعة المصرية: ٢٩١، و ابن أبي الحديد ٨: ٥، غير موجودة في الخطيئة: ١٠٥.
^{١٣٩٢} (٤) تاريخ الطبري ٣: ٩٩، دار الكتب العلمية.
^{١٣٩٣} (١) تاريخ الطبري ٤: ٢٨.

«بخطاياهم» هذا، و كان عوف بن الأحوص حمل عن غنى لبنى قشير دم ابني السحيقة فقالوا: لا نرضى بك، فرهنهم بنيه طلبا للصلح و قال:

و إيسالى بنى بغير جرم
بغوناه و لا بدم مراق

١٣٩٤ «إنهم» قد عرفت أن المراد بهم غسان.

«لن يزولوا عن مواقفهم دون طعن دراك» أى: متتابع يتلو بعضه بعضا و يدرك الآخر الأول.

«يخرج منه» أى: من محل الطعن.

ص: ٥٧١

«النسيم» أى: الهواء.

«و ضرب يفلق» أى: يشقق.

«الهام» أى: الرأس.

«و يطيح» أى: يهلك و يسقط.

«العظام و يندر» بالضم أى: يسقط.

«السواعد» أى: الأعضاد.

«و الأقدام و حتى يرموا بالمناسر» جمع المنسر بالكسر و جوز الفتح، و فى (الجمهرة): المنسر ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل.

«و يرموا» أى: يرموا.

«بالكتائب» أى: الجيوش.

«تقفوها» أى: تتبعها.

«الحلائب» فى (الجمهرة): حلائب الرجل: أنصاره من بنى عمه خاصة، هكذا يقول الأصمعى، فإذا كانوا من غير بنى عمه فليسوا بحلائب، قال ابن حلزة يشكرى:

و نحن عداة العين لما دعوتنا
منعناك اذ ثابت عليك الحلائب

١٣٩٥ «و حتى يجز ببلادهم الخميس» أى: الجيش.

«يتلوه الخميس» سَمَّى الجيش خميساً لأنَّهم خمس فرق: القلب و الميمنة و الميسرة و المقدِّمة و الساق.

«و حتى تدعق» قال ابن أبى الحديد: يجوز أن يفسر الدعق بغير الدق الذى قال الرضى، أى الهيج و التنفير ١٣٩٦.

ص: ٥٧٢

قلت: لا مناسبة للهيج و التنفير، فيتعيَّن المعنى الذى قال المصنف أو ما هو بمعناه، ففى (الجمهرة): الدعق الوطوء الشديد، قال بعضهم فى كلام له:

حوب حوب إنَّه يوم دعق و شوب
لا لعا لبنى الصوب

١٣٩٧ و قال الجوهري: خيل مداعيق تدوس القوم فى الغارات ١٣٩٨.

«الخيول فى نواحر أرضهم» قد عرفت أنَّ (نصر بن مزاحم) و (الإرشاد) و (سليما) زوَّده «فبى نواحي أرضهم» و هو الصحيح و توَّهم المصنف فقراً «فى نواحر» بالراء لتشابهها خطأ، و أيضاً المناسب و طثوا الخيل نواحي أرضهم لا مقابلها.

«و أعنان» أى: أطراف.

«مساربههم» فى (الجمهرة): المسرب المرعى و الجمع المسارب، و خل سرب فلان أى: وجهته. و كان الرجل فى الجاهلية يقول لامرأته: اذهبي فلا أندع سربك، فتطلق بهذه الكلمة.

«و مسارحهم» جمع المسرح، و فى (الجمهرة): سرحت الماشية إذا غدوت بها إلى المرعى، و ربما قيل: «سرحت الماشية» فيجعل الفعل لها، و قالوا: المال سارح و مراح. لا يقال إلَّا كذلك قال الأعشى:

١٣٩٥ (١) الجمهرة ١: ٢٨٤.
١٣٩٦ (٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ٨: ٩.
١٣٩٧ (١) الجمهرة لابن دريد ٢: ٦٦٠ مادة (دعق).
١٣٩٨ (٢) الجوهري ٣: ١٤٧٤ مادة (دعق الجمهرة).

١٣٩٩ و فى (صفين نصر): لما أراد عبد الله بن بديل الشخوص إلى صفين التفت إلى الناس و قال: كيف يبائع معاوية عليًا عليه السلام و قد قتل أخاه حنظلة و خاله

ص: ٥٧٣

الوليد و جدّه عتبة فى موقف واحد، و الله ما أظن أن يفعلوا و لن يستقيموا دون أن تقصد فيهم المران و تقطع على هامهم السيوف و تنثر حواجبهم بعمد الحديد و تكون أمور جمّة بين الفريقين^{١٤٠٠}.

«قال الشريف أقول» هكذا فى (المصرية)^{١٤٠١}، و كلّه لم يكن كلام المصنف و انما «قال الشريف» كلام الشراح.

«الدعق»: الدع، أى تدقّ الخيول بحوافرها أرضهم» قد عرفت تحقيقه.

و وهم ابن أبى الحديد فى معناه^{١٤٠٢}.

«و نواحر أرضهم متقابلاتها» قد عرفت و هم المصنف فى قراءة «نواحر» بالراء و أنّه «نواحي»، و لو فرضت صحته فقد عرفت عدم مناسبة معناه. و يمكن أن يفسّر بأن المراد فى عروق أرضهم. ففى (الجمهرة):

النواحر عروق تقطع من نحر الدابة كالفصد، الواحد ناحر، و قالوا ناخرة و نواحر.

«يقال منازل بنى فلان تتناحر أى تتقابل» و الأصل فيه نحر البعير، كأن كلّاً منهما تنحر الاخرى، ففى (الجمهرة): كانت دار بنى فلان تنحر الطريق أى تقابله^{١٤٠٣}.

هذا و قال الجوهري: النخيرة آخر يوم من الشهر، قال الكميت يصف فعل الأمطار بالديار:

من الأهلّة و النواحر

و الغيث بالمتالفات

١٣٩٩ (٣) ١: ٥١٢.

١٤٠٠ (١) صفين، لنصر بن مواحم: ١٠٢.

١٤٠١ (٢) الطبعة المصرية المصححة: لا وجود لهذه العبارة، انظر: ٢٩١.

١٤٠٢ (٣) انظر ابن ابى الحديد ٨: ٩.

١٤٠٣ (٤) الجمهرة ١: ٥٢٥ مادة (نحر).

١٤٠٤ (٥) الصحاح للجوهري ٢: ٨٢٤ مادة (نحر).

ص: ٥٧٤

و قال أبو الغوث: النخيرة آخر ليلة من الشهر مع يومها، لأنها تنحر الشهر الذى بعدها، أى تصير فى نحره أو تصيب نحره، فهى ناحرة و الجمع النواحر، و احتج بقول ابن أحمر الباهلى:

ثم استمر عليها و اكف همع فى ليلة نحرث شعبان أو رجباً

١٤٠٥ و قال ابن دريد: أقبل فلان فى نحر الجيش، أى فى أوله، و الليلة تنحر شهر كذا و كذا أى هى أوله. ثم ذكر البيت الأخير، فترى الأول جعله الآخر بلا خلاف لكن تردّد فى أنّه آخر يوم فقط أو مع ليلة، و الثانى جعله أول ليلة بلا خلاف ثم قال: و النخيرة و المنحورة واحد، و قال: قيل فى قوله تعالى «فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» ١٤٠٦ أى استقبل نحر النهار أى أوله، و قيل يعنى ضع يدك على نحر ١٤٠٧.

و الصواب قول ابن دريد لأخذه عن الخليل و لكثرة أوهام الجوهري و لأن (الأساس) وافقه فقال: قال الكميت:

و الغيث بالمتالفات من الأهلّة فى النواحر

١٤٠٨ إذا وقع الغيث فى أوّل الشهر كان غزيراً ...

و منه يظهر ان الجوهري صحّف البيت الأول و أنّه كان بلفظ «فى النواحر» لا «و النواحر». و بالجملة هو أيضا لم يشير إلى خلاف فى كونه بمعنى الأول.

ص: ٥٧٥

١٢

من غريب كلامه رقم (٧) و فى حديثه عليه السلام أنه شيع جيشا يغزيه فقال:

اغْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ و معناه اصدفوا عن ذكر النساء و شغل القلب بهن- و امتنعوا من المقاربة لهن- لأن ذلك يفت فى عضد الحمية- و يقدح فى معاهد العزيمة و يكسر عن العدو- و يلفت عن الإبعاد فى الغزو- فكل من امتنع من شىء فقد أعزب

١٤٠٥ (١) الجمهرة لابن دريد ١: ٥٢٥.

١٤٠٦ (٢) الكوثر: ٢.

١٤٠٧ (٣) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٥٢٥.

١٤٠٨ (٤) أساس البلاغة: ٤٤٩.

عنه - و العاذب و العذوب الممتنع من الأكل و الشرب أقول: قال في النهاية - النهاية - ج ٣ ص ١٩٥ مادة (عذب): و في حديث على عليه السلام أنّه شيع سرية فقال: اعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم، فإنّ ذلكم يكسرکم عن الغزو^{١٤٠٩}.

قوله عليه السلام «اعذبوا عن النساء ما استطعتم» في (كامل المبرّد): كتب صاحب اليمن إلى عبد الملك - في وقت محاربة ابن الأشعث معه - إني قد وجهت إليك تجارية اشتريتها بمال عظيم و لم ير مثلها قط، فلما دخل بها عليه رأى وجهها جميلا و خلقا نبيلاً فألقى إليها قضيباً كان في يده فنكست لتأخذه فرأى منها جسماً بهراً، فلما همّ بها أعلمه الإذن أنّ رسول الحجاج بالباب، فأذن له و نحى الجارية فأعطاه كتاباً من عبد الرحمن فيه سطور أربعة يقول فيها:

سائل مجاور جرم هل جنيت لها	حرباً يزيل بين الجيرة الخلط
و هل سموت بجرار له لجب	جم الصواهل بين الجم و الفرط
و هل تركت نساء الحى ضاحية	في ساحة الدار يستوقدن بالغبط

و تحتها بيت آخر على غير الروى و هو:

ص: ٥٧٦

قتل الملوك و صار تحت لوائه	شجر العرى و عراعر الأقوام
----------------------------	---------------------------

فكتب جوابه - و جعل في طيّه جواباً لابن الأشعث:

ما بال من أسعى لأجير عظمه	حفاظاً و ينوى من سفاهته كسرى
أظن خطوط الدهر بينى و بينهم	ستحملهم منى على مركب و عر
و إني و إياهم كمن نبّه القطا	و لو لم تنبه باتت الطير لا تسرى
أناء و حلما و انتظارا بهم غدا	فما أنا بالوانى و لا الضرع الغمر

ثم بات يقلّب كفّ الجارية و يقول: ما أخذت فائدة أحبّ إلىّ منك، فتقول:

فما بالك و ما يمنعك؟ فقال: يمنعنى قول الأخطل و إن خرجت منه كنت الأم العرب فإنّه قال:

^{١٤٠٩} (١) النهاية ٣: ١٩٥ مادة (عذب).

دون النساء و لو باتت بأطهار

قوم إذا حاربوا شدوا مآزرهم

١٤١٠ فما إليك سبيل أو يحكم الله بيني و بين ابن الأشعث، فلم يقربها حتى قتل عبد الرحمن ١٤١١.

قول المصنّف: «و معناه اصدفوا عن ذكر النساء» أى: اعرضوا عن ذكرهن «و شغل القلب بهن» و لا تكونوا كما قال الشاعر:

و قد نهلت منّا المثقفة السمر

ذكرتك و الخطى يخطر بيننا

«و امتنعوا من المقاربة لهن» و كان المهلب لما خرج ابن الأشعث على الحجاج فى أهل العراق كتب إلى الحجاج أن أهل العراق أقبلوا إليك و هم مثل السيل المنحدر من عل ليس شىء يرده حتى ينتهى إلى قراره، و إن لأهل العراق شره فى أول مخرجهم و صباية إلى ابنائهم و نسائهم فليس شىء يردّهم حتى يسقطوا إلى أهلهم و يشمّوا أولادهم، ثم واقعهم عندها فتغلب

ص: ٥٧٧

عليهم. فلم يقبل ذلك فاستقبلهم إلى تستر فهزموه بها، فتركهم حتى دخلوا الكوفة على نسائهم ثم حاربهم فهزم ١٤١٢.

«فإن ذلك يفت» أى يضعف و يوهن.

«فى عضد الحمية و يقدح» من «قدح الدود فى الأسنان و الشجر قدحا» و هو تأكل يقع فيه، و القادحة: الدودة.

«فى معاهد العزيمة» فيحلها.

«و يكسر عن العدو» بالفتح فالسكون فى الحرب، و قد عرفت أن الجزرى جعل كلامه عليه السلام تعليلا للإعذاب بلفظ «فإن ذلكم يكسركم عن الغزو» ١٤١٣.

«و يلفظ» أى: يصرف.

«عن الإبعاد فى الغزو» و لما بلغ ابن الزبير قتل أخيه مصعب، قال: قدم أيره و آخر خيرته، و تشاغل بنكاح فلانة و فلانة و ترك جلبه أهل الشام حتى غشيته فى داره.

«و كل من امتنع من شىء فقد أعذب عنه» اعترض ابن أبى الحديد على المصنّف ١٤١٤ لما رأى أن الجوهرى قال «أعذبتنه عن الأمر إذا منعه عنه، يقال أعذب نفسك عن كذا أى اظلفها» - بأن قوله «و كل من امتنع من شىء فقد أعذب عنه» غير صحيح

١٤١٠ (١) ديوان الأخطل: ١٤٤.

١٤١١ (٢) الكامل ١: ٢٣٥ - ٢٣٦.

١٤١٢ (١) الكامل فى التاريخ لابن الاثير ٤: ٤٦٤ - ٤٦٥، و قد مر ذلك فى صفحة ١٨٨.

١٤١٣ (٢) النهاية لابن الاثير ٣: ١٩٥، مادة (عذب).

و ان الصواب ان يقال «و كل من منعه من شيء فقد أعذب عنه» و ان كلامه عليه السلام بلفظ «اعذبوا» بكسر الهمزة لا «اعذبوا» بفتحها، و استدل بأن الممتنع من الأكل و الشرب يقال له العاذب و العذوب لا المعذب.

إلّا أن اعتراضه ساقط، كما ان اقتصار الجوهرى على ان «اعذب»

ص: ٥٧٨

بمعنى منع خطأ، فقد قال الفيروز آبادي: العذب المنع كالإعذاب و الكف و الترك كالإعذاب. و قال الجزري: اعذب، لازم و متعد. بل اقتصر ابن دريد على أن (أعذب) بمعنى (امتنع) فقال: أعذب عن الشيء إذا امتنع عنه، و فى الحديث «فأعذبوا عن النساء» أى امتنعوا عن ذكرهن^{١٤١٥}.

و الظاهر أن المصنف استند إليه حيث نقل العنوان مثله و جعله من أعذب و كون معنى «اعذب» امتنع.

و مثله الزمخشري، ففى (الأساس) فى حديث على عليه السلام لسرية «اعذبوا عن النساء» اعذب عن الشيء و استعذب عنه إذا امتنع، لكن إن صح نقل الجزري لكلامه عليه السلام بلفظ «اعذبوا عن ذكر النساء أنفسكم» يكون «اعذبوا» بمعنى امنعوا^{١٤١٦}.

«و العاذب و العذوب الممتنع من الأكل و الشرب» و فى (الجمهرة): بات لرجل عاذبا و عذوبا إذا كان ممتنعا عن النوم جائعا، و قول عبيد بن الأبرص الأسدي:

كانّها شيخة رقوب

باتت على ارم عذوبا

^{١٤١٧} أى جائعة ممتنعة من المأكّل و المشرب، و فى (الصاح): العذوب من الدوابّ و غيرها القائم الذى لا يأكل و لا يشرب، و كذلك العاذب. و فى (القاموس): العذب ترك الأكل من شدة العطش، و هو عاذب و عذوب، و العاذب و العذوب الذى ليس بينه و بين السماء ستر^{١٤١٨}.

ص: ٥٧٩

١٣

^{١٤١٤} (٣) ذكر انه ليس بجيد، شرح نهج البلاغة ١٩: ١١٤ ح ٢٦٤.

^{١٤١٥} (١) القاموس المحيط للفيروز آبادي: ١٤٤.

^{١٤١٦} (٢) أساس البلاغة للزمخشري: ٢٩٥ مادة (عذب).

^{١٤١٧} (٣) الجمهرة لابن دريد ١: ٣٠٤.

^{١٤١٨} (٤) راجع المصدرين السابقين الصاح ١: ١٨٧، و القاموس: ١٤٤.

الكتاب (٤١) و من كتاب له عليه السلام إلى كميل بن زياد النخعي و هو عامله على هيت ينكر عليه تركه دفع من يجتاز به من جيش العدو طالبا للغارة:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وَلَّى وَ تَكْلُفُهُ مَا كُفِيَ - لَعَجْزُ حَاضِرٍ وَ رَأْيٌ مُتَبَرٍّ - وَ إِنَّ تَعَاطِيكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ؟ قَرْقِيسِيَا؟ - وَ تَعْطِيلُكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ - لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَ لَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا - لَرَأَى شَعَاعٌ - فَقَدْ صِرْتَ جَسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ - مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ - غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ وَ لَا مَهِيبِ الْجَانِبِ - وَ لَا سَادُّ ثُغْرَةٍ وَ لَا كَاسِرٍ لِعَدُوٍّ شَوْكَةً - وَ لَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ وَ لَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ قَوْلِ الْمُصَنَّفِ: «إِلَى كَمِيلِ بْنِ زِيَادِ النَّخَعِيِّ» فِي (ذِيلِ الطَّبْرِيِّ): هُوَ كَمِيلُ بْنُ زِيَادِ بْنِ نَهْيَكِ بْنِ هَيْثَمِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ صَهْبَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّخَعِ.

و روى أنه جاء كميل إلى الحجاج يأخذ عطاءه فقال له: أنت الذي فعلت بعثمان - و كلمه بشيء - فقال له كميل: لا تكثر على اللوم و لا تهل على الكتيب و ما ذاك رجل لطمنى فاصبرنى فعفوت عنه، فأيتنا كان المسيء؟ فأمر بضرب عنقه^{١٤١٩}.

و فى (الإرشاد): روى جرير عن المغيرة قال: لما ولّى الحجاج طلب كميلا فهرب منه فحرم قومه عطاءهم، فلما رأى كميل ذلك قال: أنا شيخ كبير و قد نفذ عمرى و لا ينبغي أن أحرم قومى عطاءهم، فخرج فدفع بيده إلى الحجاج، فلما رآه قال: لقد كنت أحب أن أجد عليك سبيلا. فقال له: لا تصرف

ص: ٥٨٠

على أنيابك و لا تهدم علىّ، فو الله ما بقى من عمرى إلّا كمثلى كواسل الغبار فاقض ما أنت قاض فإن الموعد الله و بعد القتل الحساب، و لقد أخبرنى أمير المؤمنين عليه السلام أنك قاتلى. فقال له الحجاج: الحجّة عليك إذن. فقال له كميل: إذا كان القضاء إليك. قال: بلى كنت فيمن قتل عثمان اضربوا عنقه. فضربت. و هذا خبر رواه و نقله العامة عن ثقاتهم^{١٤٢٠}.

«و هو عامله على هيت» فى (المعجم): هيت بلدة على الفرات من نواحي بغداد فوق الأنبار ذات نخيل كثير و خيرات واسعة^{١٤٢١}.

«ينكر عليه دفع من يجتاز به» أى: يمر عليه.

«من جيش العدو طالبا» حال من كميل.

«الغارة» فى (الطبرى): وجه معاوية فى سنة (٣٩) سفيان بن عوف فى ستة آلاف رجل و أمره أن يأتى هيت فيقطعها و أن يغير عليها ثم يمضى حتى يأتى الأنبار و المدائن فيوقع بأهلها، فسار حتى أتى هيت فلم يجد بها أحدا ...^{١٤٢٢}.

^{١٤١٩} (١) ذيل الطبرى: ١٤٧ مؤسسة الاعلمي.

^{١٤٢٠} (١) الإرشاد للمفيد: ١٧٢.

^{١٤٢١} (٢) معجم البلدان ٥: ٤٢١.

^{١٤٢٢} (٣) تاريخ الطبرى ٤: ١٠٣.

قوله عليه السلام «**فإنّ تضییع المرء ما ولیّ**» فكان عليه السلام ولّاه هیتا فضیعه.

«و تكفله ما كفى» من إرادة الاستيلاء على بلد آخر لم يكلف به.

«لعجز حاضر و رأى متبر» أى: هالك مهلك.

و نظیر فعل کمیل أنّ خالد بن عبد الله بن أسيد و لّاه عبد الملك الكوفة فعزل مهلبا عن حرب الخوارج و ولّاه الجبایة و ولیّ أخاه عبد العزيز حربهم، فانهزم فكتب إليه عبد الملك: إننى كنت قد حدّدت لك حدّا فى أمر المهلب فلما ملكت أمرک نبذت طاعتی و استبددت برأیک فولّیت المهلب الجبایة و ولّیت

ص: ٥٨١

أخاک حرب الأزارفة، فقبح الله هذا رأيا أ تبعث غلاما غرّا لم یجربّ الحروب و تترك سيّدا شجاعا مدبرا حازما قد مارس الحروب تشغله بجبايتک، أما لو كافأتک على قدر ذنبک لأتاک من نكیرى ما لا بقیة لك معه، و لكن تذكّرت رحمک فلفتنتی عنک فجعلت عقوبتک عزلک^{١٤٢٣}.

«و إنّ تعاطیک» أى: تناولک.

«الغارّة على أهل قرقيسيا» فى (المعجم): قرقيسيا بلد على نهر خابور قرب رحبة مالک بن طوق على سئة فراسخ، و عندها مصبّ الخابور فى الفرات، فهى مثلث بين الخابور و الفرات. قال حمزة: هو معرب کرکيسيا من کرکيس اسم لإرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلبة^{١٤٢٤}.

«و تعطيلک مسالحک» جمع الأسلحة، و فى (الصحاح): الأسلحة قوم ذوو سلاح، و الأسلحة كالنغر و المرقب، و فى الحديث «كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العريب»^{١٤٢٥}.

«التى ولّيناك ليس بها من يمنعها و لا یردّ الجيش عنها لرأى شعاع» بالفتح أى: متفرّق.

فى (فتوح البلاذرى): أقام يزيد بن المهلب بخراسان شتوة ثم غزا جرجان و كان عليها حائط من آجر قد تحصنوا به من الترك و أحد طرفيه فى البحر ثم غلبت الترك عليه و سمّوا ملکهم الصول، فقال يزيد: قبح الله قتيبة ترك هؤلاء و هم فى بيضة العرب و أراد غزو الصين^{١٤٢٦}.

و فى (الطبرى): ولّى المنصور رجلا من العرب حضر موت، فكتب إليه

^{١٤٢٣} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٤: ١٧٨.

^{١٤٢٤} (٢) معجم البلدان ٤: ٣٢٨.

^{١٤٢٥} (٣) الصحاح ١: ٣٧٦ مادة (سلح).

^{١٤٢٦} (٤) الفتوح للبلاذري: ٤٦٩-٤٧٠.

ص: ٥٨٢

والى البريد أنه يكثر الخروج فى طلب الصيد بيزاء و كلاب قد أعدّها، فعزله و كتب إليه: ثكلتك أمك و عدمتك عشيرتك ما هذه العدة التى أعددتها للنكايّة فى الوحش، أنما استكفيناك أمور المسلمين و لم نستكفك أمور الوحش، سلم ما كنت تلى من عملنا إلى فلان بن فلان و الحق بأهلك ملوما مدحورا^{١٤٢٧}.

«فقد صرت جسرا لمن أراد الغارة من أعدائك على أوليائك» أى كما أنّ الجسر وسيلة لعبور اليم كذلك تعطيل الأسلحة وسيلة لعبور العدو إلى البلاد و نيله المراد. و قال ابن أبى الحديد: أى كما أنّ الجسر لا يمنع من يعبر به فكذلك أنت و هو كما ترى^{١٤٢٨}. و نظير تشبيهه عليه السلام قول ذى الرمة:

فلا وصل إلّا أن تقارب بيننا قلائص يجسرن الفلاة بنا جسرا

«غير شديد المنكب و لا مهيب الجانب» كنايةتان عن الضعف، كما أنّ شدة المنكب و شدة العضد كنايةتان عن القوة.

«و لا سادّ» من سداد الثغر بالكسر، قال العرجى:

أضاعونى و أى فتى أضاعوا ليوم كريهه و سداد ثغر

^{١٤٢٩} «ثغرة» المراد به هنا موضع المخافة فى فروج البلدان و مما يتصل ببلاد العدو، و يأتى الثغر لمقدم الأسنان.

«و لا كاسر لعدو» هكذا فى (المصرية)^{١٤٣٠} أخذا من ابن أبى الحديد و ليس «لعدو» فى (ابن ميثم).

«شوكة»^{١٤٣١} الأصل فيه شوك الشجر.

ص: ٥٨٣

«و لا مغن عن أهل مصر و لا مجز» أى: كاف.

«عن أميره» قال بعضهم:

^{١٤٢٧} (١) تاريخ الطبري ٦: ٣١٣.
^{١٤٢٨} (٢) شرح نهج البلغة لابن ابى الحديد ١٧: ١٠٥.
^{١٤٢٩} (٣) ديوان المعاني ١: ٨١.
^{١٤٣٠} (٤) الطبعة المصرية المصححة «كاسر شوكة» بخلاف ابن ابى الحديد انظر المصرية: ٦٣٢ و ابن أبى الحديد ١٧: ١٤٩.
^{١٤٣١} (٥) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ٥: ٢٠٠.

و ليس فتى الفتیان من راح و اغتدى

لشرب صبح أو لشرب غبوق

و لكن فتى الفتیان من راح و اغتدى

لضرّ عدو أو لنفع صديق

۱۴

الكتاب (۳۳) و من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس و هو عامله على مكة:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ كَتَبَ إِلَيَّ يُعَلِّمُنِي - أَنَّهُ وَجَّهَ إِلَى الْمُؤَسِّمِ أَنَسٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ؟ - الْعُمَى الْقُلُوبِ الصُّمِّ الْأَسْمَاعِ الْكُمُهِ الْأَبْصَارِ - الَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ - وَيُطِيعُونَ الْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ - وَيَحْتَلِبُونَ الدُّنْيَا دَرَّهَا بِالْدِّينِ - وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِأَجْلِ الْأَبْرَارِ الْمُتَّقِينَ - وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ - وَ لَا يُجْزَى جَزَاءُ الشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ - فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ الْحَازِمِ الصَّلِيبِ - وَ النَّاصِحِ اللَّبِيبِ - وَ التَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ الْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ - وَ إِيَّاكَ وَ مَا يُعْتَدِرُ مِنْهُ - وَ لَا تَكُنْ عِنْدَ النَّعْمَاءِ بَطِراً - وَ لَا عِنْدَ الْبِئْسَاءِ فَشِلاً - وَ السَّلَامُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «و من كتاب له عليه السلام إلى قثم بن العباس» قال ابن أبي الحديد: روى (الاستيعاب) عن عبد الله بن جعفر قال: كنت أنا و عبيد الله و قثم نلعب، فمرّ بنا النبيّ صَلَّى الله عليه و آله راكبا فقال: ارفعوا إلىّ هذا الفتى - يعني قثم - فرفع إليه فأردفه خلفه ثم جعلني بين يديه و دعا لنا فاستشهد قثم بسمرقند^{١٤٣٢}.

قلت: انما في (الاستيعاب): «استشهد...» - إنشاء منه لا جزء الخبر كلام عبد الله بن جعفر كما يفهم من ابن أبي الحديد، قال ابن أبي الحديد: قال أبو

ص: ٥٨٤

عمر: كان قثم يشبه النبيّ صَلَّى الله عليه و آله، و فيه يقول داود بن مسلم:

عتقت من حل و من رحله

يا ناق إن أدنينتي من قثم

إنك إن أدنيت منه غدا

حالفني اليسر و مات العدم

في كفه بحر و في وجهه

بدر و في العرنين منه شمم

أصمّ عن قيل الخنا سمعه

و ما عن الخير به من صمم

لم يدر مالا و بلى قد درى

فعافها و اعتاض منها نعم

^{١٤٣٢} (١) الاستيعاب ٢: ٥٥١ ترجمة قثم بن العباس- طبع حيدر آباد، كذلك نظر ابن ابي الحديد ١٦: ١٤٠.

١٤٣٣ قلت: و نقل أيضا عن الزبير بن بكار أنَّ الشعر الذى أوله:

هذا الذى تعرف البطحاء وطأته
و البيت يعرفه و الحل و الحرم

أيضا قيل فى قثم. و قال هو بل هو شعر آخر فى عروضه و قافيته.

و الأمر كما ذكر أبو عمر، فإن تلك الأبيات إنما هى فى على بن الحسين عليهما السلام كما رواه جمع من أهل السير.

«و هو عامله على مكّة» قال ابن أبى الحديد: قال أبو عمر: قال خليفة:

استعمل على عليه السلام قثما على مكّة بعد أبى قتادة، و كان عليها حتى قتل على.

و قال الزبير: استعمله على المدينة^{١٤٣٤}.

قلت: لم ينقل الطبرى خلافا فى كون قثم عامله عليه السلام على مكّة فى سنة (٣٨ - ٣٩) و إنما نقل الخلاف فى من حج سنة (٣٩) ^{١٤٣٥}.

قوله عليه السلام «أما بعد فإن عيني» ذكر أهل اللغة للعين معانى كثيرة، و المراد بها هنا الجاسوس.

«بالمغرب» أى: الشام.

ص: ٥٨٥

«كتب إلى يعلمنى أنه وجّه إلى الموسم» أى: مجمع الحاج.

«اناس من أهل الشام» فى (الطبرى): قال أبو زيد: يقال ان عليّا عليه السلام وجّه فى سنة (٣٩) ابن عباس ليشهد الموسم، و بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى. و زعم المدائنى ان ذلك باطل و ان الذى نازعه يزيد بن شجرة هو قثم حتى اصطلحا على شيبه بن عثمان، و مثله أبو معشر^{١٤٣٦}.

و قال الواقدي: بعث على عليه السلام على الموسم فى سنة (٣٩) عبيد الله بن عباس و بعث معاوية يزيد بن شجرة الرهاوى ليقيم للناس الحج، فلما اجتمعا بمكة تنازعا فاصطلحا على شيبه^{١٤٣٧}.

^{١٤٣٣} (١) نهج ١٦: ١٤١.

^{١٤٣٤} (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٤٠.

^{١٤٣٥} (٣) تاريخ الطبري ٤: ٢١٨.

^{١٤٣٦} (١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٤.

^{١٤٣٧} (٢) الكامل لابن الاثير ٣: ٣٧٧.

و قال ابن أبي الحديد كان معاوية بعث إلى مكة دعاء في السر يدعون إلى طاعته و يشبطون العرب عن نصرته عليه السلام و يوقعون في أنفسهم أنه إما قاتل عثمان أو خاذله و الخلافة لا تصلح فيمن قتله أو خذله، و ينشرون عندهم محاسن معاوية بزعمهم، و في قوله عليه السلام «و يحتلبون الدنيا درها بالدين» دلالة على ما قلنا أنهم كانوا دعاء يظهرهم سمت الدين و ناموس العبادة، و فيه إبطال قول من ظن أن المراد بذلك السرايا التي كان معاوية يبعثها فتغير على عماله عليه السلام^{١٤٣٨}.

قلت: بل المراد ما نقلناه عن الطبري عن أبي زيد و المدائني و أبي معشر و الواقدي من بعث معاوية في سنة (٣٩) يزيد بن شجرة الرهاوي في جمع وقت الموسم لإقامة الحج، إلا أن الأول قال أنه عليه السلام بعث في قبال ابن شجرة عبد الله بن عباس و الأخير عبيد الله بن عباس و الأوسطان قتما نفسه، و هو

ص: ٥٨٦

الأوسط بشهادة العنوان. و أما استشهاد ابن أبي الحديد لاجتهاده بقوله عليه السلام «و يحتلبون...» فأعم فيكفي في صدق الكلام بعث معاوية ابن شجرة لإقامة الحج و جزؤه الصلاة. هذا، و في (كامل المبرد): خرجت طائفة من الخوارج بعد قتل على عليه السلام لهم بالنهروان ثم النخيلة نحو مكة، فوجه معاوية من يقيم للناس حجهم فناوشه هؤلاء الخوارج، فبلغ ذلك معاوية فوجه بسر بن أرطاة فتوافقوا و تراضوا بعد الحرب بأن يصلي بالناس رجل من بني شيبه لثلاث يفوت الناس الحج، فلما انقضى الحج قالت الخوارج إن عليا و معاوية أفسدا الأمر^{١٤٣٩}.

و الأصل في الجميع واحد، و لا تنافي فمكة لا ريب أنها كانت بيده عليه السلام و عاملها من قبله، و لما بعث معاوية من يقيم للناس حجهم و كان جمع من الخوارج شهدوا الموسم للحج لا بد أنهم يناوشون من جاء من قبل معاوية مع عامله عليه السلام و إن لم يكن لهم عقيدة به عليه السلام أيضا.

«العمى القلوب» قال تعالى «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»^{١٤٤٠}.

و في (معارف ابن قتيبة): كان ابن عباس و أبوه و جدّه مكافيف، و لذلك قال له معاوية: أنتم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم. فقال له ابن عباس:

و أنتم يا بني امية تصابون في بصائركم^{١٤٤١}.

«الصم الأسماع» و صم الأسماع أشد من صم الآذان كعمى القلوب و الأعين.

ص: ٥٨٧

^{١٤٣٨} (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨.

^{١٤٣٩} (١) الكامل، للمبرّد ٣: ٩٢٥ - ٩٢٦.

^{١٤٤٠} (٢) الحج: ٤٦.

^{١٤٤١} (٣) معارف ابن قتيبة: ٥٨٩.

«الكمه» جمع الأكمه الذى يولد أعمى.

«الأبصار» أراد عليه السلام عدم استعداد بصائرهم للحق كالأكمه، قال تعالى «لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ»^{١٤٤٢}.

«الذين يلتمسون» هكذا فى (المصرية)^{١٤٤٣} و الصواب: «يلبسون» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)^{١٤٤٤}.

«الحق بالباطل» و الأصل فيه قوله تعالى «وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَ تَكْتُمُوا الْحَقَّ وَ أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»^{١٤٤٥}.

«و يطيعون المخلوق فى معصية الخالق» فى (المروج): سأل معاوية صعصعة عن قبائل مضر و ربيعة، فأجابه ثم سكت معاوية فقال له صعصعة: سل و إلّا أخبرتك بما تحيد عنه. قال معاوية: و ما ذاك؟

قال صعصعة: أهل الشام. قال، فأخبرنى عنهم. فقال صعصعة: هم أطوع الناس للمخلوق و أعصاهم للخالق، عصاء الجبار و خلفه الأشرار، فعليهم الدمار و لهم سوء الدار^{١٤٤٦}.

«و يحتلبون الدنيا درّها بالدين» فى (صفين نصر): أنّه عليه السلام لما أراد المسير إلى الشام استشار أصحابه، فقام هاشم المرقال و قال: إنا بالقوم خبير، هم لك و لأشياعك أعداء، و هم لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، و هم مقاتلوكم لا ييقون جهدا مشاحة على الدنيا و ضنا بما فى أيديهم منها، و ليس

ص: ٥٨٨

لهم إربة غيرها الا ما يخدعون به الجهال من الطلب بدم عثمان، كذبوا ليسوا بدمه يثأرون، و لكن الدنيا يطلبون، و أين معاوية و الدين^{١٤٤٧}.

و فى (مقاتل أبى الفرج): قال سعيد بن سويد: صلى بنا معاوية بالنخيلة الجمعة ثم خطب فقال: إني و الله ما قاتلتكم لتصلوا و لا لتصوموا و لا لتحجّوا و لا لتزكّوا إنكم لتفعلون ذلك، إنّما قاتلتكم لأتأمّر عليكم و قد أعطانى الله ذلك و أنتم كارهون. قال شريك فى حديثه هذا هو التهلك^{١٤٤٨}.

^{١٤٤٢} (١) الإعراف: ١٧٩.

^{١٤٤٣} (٢) الطبعة المصرية: ٥٧٣، شرح محمد عيده.

^{١٤٤٤} (٣) شرح نهج البلغة لابن أبى الحديد ١٦: ١٣٨، و ذكر رواية يلتمسون أيضا.

^{١٤٤٥} (٤) البقرة: ٤٢.

^{١٤٤٦} (٥) مروج الذهب ٣: ٤١.

^{١٤٤٧} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٣ طبع القاهرة.

^{١٤٤٨} (٢) مقاتل الطالبين لأبى الفرج الأصفهاني: ٤٥.

«و يشترون عاجلها بآجل الأبرار و المتقين» هكذا في (المصرية)^{١٤٤٩} و الصواب ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): «المتقين»^{١٤٥٠} في (صفين نصر) بعد ذكر قصّة معاهدة عمرو بن العاص مع معاوية في مساعدته له عليه السلام على أن يعطيه مصر فقبل منه و أعطاه مصر، فغضب مروان و قال: ما بالي لا أشتري كما اشترى عمرو^{١٤٥١}.

و في (الاستيعاب): أعطى معاوية في و فد تميم عليه الحتات المجاشعي و جارية بن قدامة و الأحنف بن قيس و أعطاهما أكثر، فقال له الحتات: لم فضّلتها على- و كانا شيعيين و كان أمويًا- قال: اشتريت منهما دينهما. قال:

فاشتر مني ديني^{١٤٥٢}.

«و لن يفوز بالخير إلّا عامله و لا يجزى جزاء الشرّ إلّا فاعله» «فَمَنْ يَعْمَلْ»

ص: ٥٨٩

«مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ»^{١٤٥٣}.

«فأقم على ما في يديك قيام الحازم الصليب و الناصح اللبيب و التابع» هكذا في (المصرية)^{١٤٥٤} و الصواب: «التابع» كما في (ابن أبي الحديد: و ابن ميثم).

«لسلطانه و المطيع لإمامه»^{١٤٥٥} قد عرفت أنّه نازع يزيد بن شجرة الذي بعثه معاوية حتى اصطالحا على شيبة، و الظاهر أنّه لم يكن قادرا على إخراجهم لضعف جنده.

«و إياك و ما يعتذر منه» قال ابن أبي الحديد يقال: ما شيء أشدّ على الإنسان من حمل المروءة، و المروءة ألا يعمل الإنسان في غيبة صاحبه ما يعتذر منه عند حضوره^{١٤٥٦}.

و في (العقد): قال أبو عبيدة: ما اعتذر أحد من الفرارين بأحسن مما اعتذر به الحارث بن هشام حيث يقول:

و الله يعلم ما تركت قتالهم حتى رموا مهري بأشقر مزبد

فصدفت عنهم و الأحبة فيهم طمعا لهم بعقاب يوم مرصد

^{١٤٤٩} (٣) الطبعة المصرية: ٥٧٣.

^{١٤٥٠} (٤) ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨، و ابن ميثم ٥: ٧٢، الرواية ٣٣.

^{١٤٥١} (٥) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٢.

^{١٤٥٢} (٦) الاستيعاب لابن عبد البر ١: ١٥٤، ترجمة حنات بن يزيد بن علقمة.

^{١٤٥٣} (١) الزلزلة: ٧-٨.

^{١٤٥٤} (٢) الطبعة المصرية: ٥٧٣.

^{١٤٥٥} (٣) ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٨، و ابن ميثم شرح نهج البلاغة ٥: ٧٢.

^{١٤٥٦} (٤) ابن أبي الحديد ١٦: ١٣٩.

و هذا الذى سمعه صاحب رتبيل فقال: يا معشر العرب حسنتم كل شيء فحش حتى الفرار^{١٤٥٧}.

«و لا تكن عند النعماء بطرا و لا عند البأساء فشلا» قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

فلست بمفراح إذا الدهر سرنى
و لا جازع من صرفه المتقلب

ص: ٥٩٠

و لا أتمنى الشرّ و الشرّ تاركى
و لكن متى أحمل على الشر أركب

^{١٤٥٨} قلت: الأصل فى قوله عليه السلام قوله تعالى «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ»^{١٤٥٩}.

١٥

الكتاب (٤) و من كتاب له عليه السلام إلى بعض أمراء جيشه:

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَلِكَ الَّذِى نُحِبُّ- وَ إِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشَّقَاقِ وَ الْعِصْيَانِ- فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ- وَ اسْتَغْنِ بِمَنْ انْقَادَ مَعَكَ عَنْ تَقَاعَسِ عَنْكَ- فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ مَعِيهِ خَيْرٌ مِنْ مَشْهَدِهِ- وَ قُعودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهوضِهِ أقول: قال ابن ميثم روى أن الأمير الذى كتب إليه عليه السلام هو عثمان بن حنيف عامله على البصرة، و ذلك حين انتهت أصحاب الجمل إليها و عزموا على الحرب، فكتب عثمان إليه عليه السلام يخبره بحالهم، فكتب عليه السلام إليه هذا الكتاب^{١٤٦٠}.

قلت: لم يأت لما قال بمستند، فان رأى رواية و إن كان قاله حدسا فهو كما ترى، فابن حنيف لم يكن من أمراء جيشه حتى يقول المصنف «إلى بعض أمراء جيشه» بل عامله على البصرة، و لم ينقل أنه عليه السلام كتب إليه بحريهم قبل وصوله عليه السلام، و إنما ورد مضمونه فى كتابه إلى قيس بن سعد مع عثمانى

ص: ٥٩١

مصر، ففى (الطبرى): أن قيسا كتب من مصر إليه عليه السلام: إن قبله رجلا معتزلين سألوه أن يكف عنهم و أنه رأى ألا يتعجل حريهم و أن يتألفهم، فكتب عليه السلام إليه:

^{١٤٥٧} (٥) العقد الفريد لابن عبد ربه ١: ١٤٠.

^{١٤٥٨} (١) ابن ابى الحديد ١٦: ١٣٩.

^{١٤٥٩} (٢) المعارج: ١٩-٢٣.

^{١٤٦٠} (٣) شرح ابن ميثم ٥: ٣٤٩ الرواية (٤).

سر إلى القوم الذين ذكرت، فإن دخلوا فيما دخل فيه المسلمون و إلا فناجزهم ...^{١٤٦١}.

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي - تذكرة الخواص - ص ١٦٦ سبط ابن الجوزي): فصل: و من كتاب كتبه إلى بعض امراء جيشه في قوم كانوا قد شردوا عن الطاعة و فارقوا الجماعة، رواه الشعبي عن ابن عباس: سلام عليك أما بعد، فإن عادت هذه الشردمة إلى الطاعة فذلك الذي أوتره، و إن تمادى بهم العصيان إلى الشقاق فانهض بمن أطاعك إلى من عصاك و استعن بمن انقاد معك على من تقاعس عنك، فإن المتكاه مغيبه خير من حضوره و عدمه خير من وجوده و قعوده أغنى من نهوضه^{١٤٦٢}.

«فإن عادوا إلى ظل الطاعة فذاك الذي نحب» فإن الأنبياء و الأوصياء عليهم السلام إنما يحبون هداية الخلق لنجاتهم، و قوله عليه السلام «ظل الطاعة» استعاره لطيفة، فطاعة الوالي كالظل توجب الراحة، و مخالفته كالحرور توجب المشقة.

«و إن توافت الامور» أي: تنامت.

«بالقوم إلى الشقاق» و الأصل في الشقاق نزول الخصم في شق غير شقك.

«و العصيان فانهض» أي: انهض من (ينهض) بالفتح.

«بمن أطاعك إلى من عصاك و استعن بمن انقاد معك ممن تقاعس» أي: تأخر.

«عنك فإن المتكاه مغيبه خير من مشهده» قال تعالى في المنافقين الذين

ص: ٥٩٢

كانوا متكاهين عن الخروج مع النبي صلى الله عليه و آله إلى الجهاد «لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَ لَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ»^{١٤٦٣}.

«و قعوده أغنى من نهوضه» أي: قيامه، و أكثر انهزام العساكر في الأغلب من شهود المتكاهين.

١٦

الحكمة (٨٦) و قال عليه السلام:

رَأَى الشَّيْخُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ جِلْدِ الْغُلَامِ وَ رَوَى مِنْ مَشْهَدِ الْغُلَامِ.

أقول: و رواه الجاحظ في (بيان الجاحظ - البيان و التبیین - ج ٢ ص ١٤): «رأى الشيخ أحب إلي من جلد الشاب»^{١٤٦٤}.

^{١٤٦١} (١) تاريخ الطبري ٣: ٥٥٤.

^{١٤٦٢} (٢) التذكرة لسبط ابن الجوزي: ١٦٦.

^{١٤٦٣} (١) التوبة: ٤٧.

و فى (العقد الفريد - العقد الفريد - ج ٤ ص ٢٠٦): وقع على عليه السلام فى كتاب جاءه من الحسن بن على عليهما السلام: رأى الشيخ خير من جلد الغلام^{١٤٦٥}.

«رأى الشيخ أحبَّ إلىَّ من جلد» بفتحين، أى الشدة و الضرب بالسيف.

«الغلام» فإن رأى الشيخ فى الظفر يمكن أن يكون أشدَّ تأثيرا من قوة ألف غلام.

و فى (الطبرى): حضر مع هوازن فى غزوة حنين دريد بن الصمة و كان شيخا كبيرا ليس فيه شىء إلا معرفته بالحرب و لرأيه - إلى أن قال - فلما نزلوا بأوطاس قال لمالك بن عوف رئيس القوم: إنك قد أصبحت رئيس قومك و إنَّ

ص: ٥٩٣

هذا يوم له ما بعده، مالى أسمع رغاء البعير و نهاق الحمير و يعار الشاء و بكاء الصغير. قال: سقت مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم. قال: لم؟ قال:

ليقاتل كلَّ رجل عن أهله و ماله. قال: هل يردُّ المنهزم شىء، إنَّها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه و رمحه و إن كانت عليك فضحت فى أهلك و مالك، ارفعهم إلى متمنع بلادهم و عليا قومهم ثم القى الشبان على متون الخيل فإن كانت لك لحق بك من وراءك، و إن كانت عليك كفاك ذلك و قد أحرزت أهلك و مالك. قال: لا أفعل إنك قد كبرت و كبر علمك و قال لقومه: لتطيعننى أو لأتكنن على هذا السيف حتى يخرج من ظهري.

و كره أن يكون لدريد فيها ذكر و رأى. فقال دريد: هذا يوم لم أشهده و لم يفتنى ... و كان صواب رأى ما قال دريد^{١٤٦٦}.

و فى (الكامل) للمبرد: قال المهلب ما يسرنى أن فى عسكرى ألف شجاع بدل بيهس بن صهيب، فيقال له: أيها الأمير بيهس ليس بشجاع. فيقول: أجل و لكنَّه سديد رأى محكم العقل، و ذو رأى حذر سؤول، فأنا آمن أن يغتفل، فلو كان مكانه ألف شجاع قلت إنهم يتشأمون حتى يحتاطون^{١٤٦٧}.

و كان المهلب شيخا ذا رأى متين، فلو لا تدابيريه فى حرب الخوارج لخرى البصرة و قتلوا رجالها و سبوا نساءها و لما أرجفوا بأن المهلب قتل يوم سلى و سلبرى و هم أهل البصرة بالنقلة إلى البادية ثم ورد كتابه بظفره فأقام الناس و تراجع من ذهب منهم قال الأحنف: البصرة بصره المهلب، بل لو لاه لغلوا على جميع العراق الكوفة و غيرها، و لذا قال الحجاج لأهل الكوفة بعد ظفر المهلب بالخوارج: أنتم عبيد المهلب.

ص: ٥٩٤

^{١٤٦٤} (٢) البيان و التبيين ٢: ١٤.
^{١٤٦٥} (٣) العقد الفريد ٤: ٢٠٦، و فى بعض النسخ «مشهد» بدل «جلد» كذا فى نسخة التحقيق.
^{١٤٦٦} (١) تاريخ الطبرى ٢: ٣٤٤.
^{١٤٦٧} (٢) الكامل، للمبرد ٣: ١١٣١.

و كانت الخوارج تسمّيه الساحر، لأنّهم كانوا يدبّرون أمرا فيجدونه سبقهم إلى نقضه، و تمثّل كل من قطرى رئيس الخوارج و الحجاج فى شأن المهلب بأبيات لقيط الأيادى:

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره

يكون متبعا طورا و متبعا

حتى استمرت على شزر سريره

مستحكم الرأى لا قحما و لا ضرا

و من آرائه فى التدبير على الخوارج: أنّ رجلا حدادا من الأزارقة كان يعمل نصالا مسمومة فيرمى بها أصحاب المهلب، فرفع ذلك إليه فقال: أنا أكفيكموه، فوجّه رجلا من أصحابه بكتاب و ألف درهم إلى عسكر قطرى فقال: الق هذا الكتاب فى عسكره و احذر على نفسك ففعل، و كان فى الكتاب «أما بعد، فإنّ نصالك قد وصلت إلىّ و قد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها و زدنا من هذه النصال» فوقع الكتاب و الدراهم إلى قطرى فدعا بالرجل فقال:

ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري. قال: فهذه الدراهم؟ قال: ما أعلم. فأمر به فقتل، فجاءه عبد ربه الصغير مولى بنى قيس بن ثعلبة فقال له: أقتلت رجلا على غير ثقة و لا تبين. فقال له: ما حال هذه الدراهم؟ فقال: يجوز أن يكون أمرها كذبا و يجوز أن يكون حقا. فقال له قطرى: قتل رجل فى صلاح الناس غير منكر، و للامام أن يحكم بما رآه صالحا، و ليس للرعية أن تعترض عليه. فتنكر له عبد ربه و جماعة و لم يفارقوه.

فبلغ ذلك المهلب فدرسّ إليه رجلا نصرانيا فقال له: إذا رأيت قطريا فاسجد له، فإذا نهاك فقل سجدت لك. ففعل فقال له قطرى: إنّما السجود لله.

فقال له: ما سجدت إلّا لك. فقال له رجل من الخوارج: «إِنَّكُمْ وَ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ»^{١٤٦٨} فقال قطرى: إنّ هؤلاء النصارى قد

ص: ٥٩٥

عبدوا عيسى ابن مريم فما ضرّ ذلك عيسى شيئا. فقام رجل من الخوارج إلى النصراني، فقتله، فأنكر ذلك عليه قطرى و قال: أقتلت ذميا؟ فاختلفت الكلمة، فبلغ ذلك المهلب. فوجّه إليهم رجلا يسألهم عن شيء تقدم به إليه، فأتاهاهم الرجل فقال: رأيتم رجلين خرجا مهاجرين إليكم فمات أحدهما فى الطريق و بلغكم الآخر فامتحنتموه فلم يجز المحنة. فقال بعضهم: أمّا الميت فمؤمن من أهل الجنة و أمّا الآخر الذى لم يجز المحنة فكافر حتى يجيزها. و قال قوم آخرون: بل هما كافران حتى يجيزا المحنة، فكثر الاختلاف، فخرج قطرى إلى حدود اصطخر فأقام شهرا و القوم فى اختلافهم^{١٤٦٩}.

^{١٤٦٨} (١) الأنبياء: ٩٨.
^{١٤٦٩} (١) ذكر وقعة المهلب ابن ابي الحديد فى شرح نهج البلاغة ٤: ١٩٥ - ١٩٧.

و من أمثالهم «زاحم يعود أودع» و العود المسن من الإبل و الشاء، قال الكرمانى فى (أمثاله)^{١٤٧٠}: أى لا تستعن إلّا بأهل السن التجربة فى الامور.

و قال الشاعر:

حنى الشيب ظهري فاستمرت عزيزتى و لو لا انحناء القوس لم ينفذ السهم

^{١٤٧١} و قال ابن المعتز:

و ما ينتقص من شباب الرجال يزد فى نهاها و ألبابها

^{١٤٧٢} و قال البحتري فى خضر بن أحمد:

و مصيب مفصل الرأى ان حارب كانت آراؤه من جنوده

^{١٤٧٣} و قال المتنبي كما فى (ابن أبى الحديد):

ص: ٥٩٦

الرأى قبل شجاعة الشجعان هو أول و هى المحلّ الثانى

فإذا هما اجتماعا لنفس مرّة بلغت من العلياء كلّ مكان

و لربما طعن الفتى أقرانه بالرأى قبل تطاعن الأقران

لو لا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان

^{١٤٧٤} قول المصنّف: «و روى» هكذا فى (المصرية)^{١٤٧٥} و ابن ميثم) و لكن فى (ابن أبى الحديد)^{١٤٧٦} «و يروى».

^{١٤٧٠} (٢) الأمثال للميداني ١: ٣٣٣.

^{١٤٧١} (٣) نهج ٢٠: ١٩١.

^{١٤٧٢} (٤) ديوان ابن المعتز: ٣١.

^{١٤٧٣} (٥) البحتري ٢: ١٦٧.

^{١٤٧٤} (١) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٨: ٢٣٧، و ٢٠: ٤٣.

^{١٤٧٥} (٢) الطبعة المصرية: ٦٧٥ رواية ٨٦، ابن ميثم شرح نهج البلاغة ٥: ٢٨٤ حكمة ٧٨.

^{١٤٧٦} (٣) شرح نهج البلاغة لابن ابى الحديد ١٨: ٢٣٧ رواية ٧٣.

«من مشهد الغلام» قد عرفت أنَّ الجاحظ رواه «من جلد الشاب».

و كيف كان فنظير قوله عليه السلام هذا قوله «وصول مقل خير من جاف مكثر».

هذا، و كما أنَّ رأى الشيخ خير من جلد الشاب، قالوا: قضاء الحوائج عند الشبان أسرع منها عند الشيوخ.

و فى (عيون ابن قتيبة): قال عثمان بن عطا: قضاء الحوائج عند الشباب أسهل منها عند الشيوخ، ثم قرأ شاهدا قول يوسف لإخوته «لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ»^{١٤٧٧} و قول يعقوب لهم «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^{١٤٧٨ ١٤٧٩}.

قال البحتري فى محمد بن يوسف:

علم الروم أنَّ غزوك ما كان عقابا لهم و لكن فناء

ص: ٥٩٧

بسبأ سقاهاهم البين صرفا	و يقتل نسوا لديه السبأ
يوم فرقت من كتائب آرائك	جندا لا يأخذون عطاء
بين حزب يفلق الهام انصافا	و طعن يفرج الغماء
و بود العدو لو تضعف الجيش	عليهم و تصرف الآراء

١٤٨٠

ص: ٥٩٩

الفصل التاسع و الاربعون فى ذم أهل الشام و مدح أهل الكوفة

ص: ٦٠١

ذكر فى (١١) من فصل أخباره عليه السلام بالغيوب ذم البصرة و أهلها، و كذلك فى ١٢- منه و فى (١٤) منه مدح الكوفة و أهلها و فى (١٢) من فصل عثمان مدح أهلها.

^{١٤٧٧} (٤) يوسف: ٩٢.

^{١٤٧٨} (٥) يوسف: ٩٨.

^{١٤٧٩} (٦) عيون الأخبار ٣: ١٣٤.

^{١٤٨٠} (١) ديوان البحتري ٢: ٣٠١.

الخطبة (٢٣٦) و من خطبة له عليه السلام في شأن الحكمين و ذم أهل الشام:

جُفَاءَ طَغَامٍ عَبِيدٍ أَقْرَامٍ- جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ وَ تُلْقَطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ- مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَ يُؤَدَّبَ- وَ يُعَلَّمَ وَ يُدَرَّبَ وَ يُؤَلَّى عَلَيْهِ- وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ- لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ- وَ لَا مِنْ «الَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَ الْإِيمَانَ»- أَلَا وَ إِنَّ الْقَوْمَ اخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا يُحِبُّونَ- وَ إِنَّكُمْ اخْتَرْتُمْ لَأَنْفُسَكُمْ- أَقْرَبَ الْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ- وَ إِنَّمَا عَهْدُكُمْ؟ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ؟ بِالْأَمْسِ يَقُولُ- إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطَّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَ شَيَّمُوا سُيُوفَكُمْ- فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ- وَ إِنْ كَانَ

ص: ٦٠٢

كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ التُّهْمَةُ- فَادْفَعُوا فِي صَدْرِي عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ؟-؟ بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؟- وَ خُذُوا مَهْلَ الْأَيَّامِ وَ حُوطُوا قَوَاصِي الْأَسْلَامِ- أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى وَ إِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى أَقُولُ: روى صدره ابن قتيبة في (خلفائه ابن قتيبة- الخلفاء- ص ١٥٤) (١٤٨١) و الكليني في (رسائله ١ / ٢ الكليني- الرسائل- ١٤٨٢) و الثقفى الثقفى- كتاب الثقفى- في كتابه، ففي الأول: إِنَّ حَجْرَ بْنَ عَدَى وَ عَمْرُو بْنَ الْحَمِقِ وَ غَيْرَهُمَا قَامُوا إِلَى عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ١٤٨٣ و قالوا: بَيْنَ لَنَا قَوْلُكَ فِي أَبِي بَكْرٍ وَ عَمْرٍ وَ عَثْمَانَ. فَقَالَ عَلَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَوْ قَدْ تَفَرَّغْتُمْ لِهَذَا وَ هَذِهِ مِصْرٌ قَدْ افْتَتَحَتْ وَ شِيعَتِي فِيهَا قَدْ قَتَلَتْ، إِنِّي مُخْرَجٌ إِلَيْكُمْ كِتَابًا أَنْبَأَكُمْ فِيهِ مَا سَأَلْتُمُونِي عَنْهُ- إِلَى أَنْ قَالَ فِي كِتَابِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذِكْرِ الثَّلَاثَةِ وَ طَلْحَةَ وَ الزُّبَيْرِ- ثُمَّ نَظَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ فِي أَهْلِ الشَّامِ فَإِذَا هُمْ أَعْرَابٌ وَ أَحْزَابٌ، وَ أَهْلُ طَمْعٍ جَفَاءَ تَجَمَّعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ مِمَّنْ كَانَ يَنْبَغِي أَنْ يُؤَدَّبَ وَ يُؤَلَّى عَلَيْهِ وَ يُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ، لَيْسُوا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ لَا الْأَنْصَارِ وَ التَّابِعِينَ بِإِحْسَانٍ.

و في الثاني: نظرت إلى أهل الشام فإذا هم بقية الأحزاب و ذئاب طمع ممن ينبغي له أن يؤدب و يحمل على السنة، ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين بإحسان، فدعوتهم إلى الطاعة و الجماعة فأبوا إلّا فراقى و شقاقى، ثم نهضوا في وجه المسلمين ينضحونهم بالنبل و يشجرونهم بالرماح ...

و في الثالث: ثم إنني نظرت في أمر أهل الشام فإذا أعراب أحزاب و أهل طمع جفاء طغاء، يجتمعون من كل أوب ممن كان ينبغي أن يؤدب و يؤلى عليه و يؤخذ على يديه، ليسوا من المهاجرين و لا الأنصار و لا التابعين بإحسان،

ص: ٦٠٣

فسرت إليهم ...

١٤٨١ (١) الخلفاء لابن قتيبة: ١٥٤.
١٤٨٢ (٢) لا وجود لكتاب رسائل الأئمة للكليني، و قد نقل العلامة الكليني رسائل للأئمة سندا لهذا الكتاب عن طريق السيد ابن طائوس في كتاب كشف المحجة ١ / ١ السيد ابن طائوس- كشف المحجة-: راجع ٥٠: ١٥٥ في بحار الأنوار ٢- بحار الأنوار- ج ٥٠ ص ١٥٥.
١٤٨٣ (٣) كتاب الثقفى.

قول المصنّف: «و من خطبة له عليه السلام» حكم بكون الكلام من خطبته عليه السلام الأخير، و أما الأولان و ان ذكرا تفصيلا بأنهم سألوه عن الثلاثة فكتب لهم كتابا منه ما مر، إلّا أنّ في الثاني أنّ عبيد الله بن أبي رافع خطب بكتابه عليه السلام. و بالجملة هو من خطبة له عليه السلام إلّا أنّه كتبها ليقراها على الناس بعض أصحابه لمقام ذمه للمتقدّمين.

«في شأن الحكمين و ذمّ أهل الشام» ليس في تلك الخطبة ما نقله من قوله «ألا...» في الحكمين، فلا بدّ أنّه نقله من موضع آخر و جمعه مع ذاك الكلام بالمناسبة.

و في (اشتقاق أبي بكر الأنباري): قال أهل الأثر: سميت الشام شاما لأنّ قوما من كنعان بن حام خرجوا عند التفريق فتشاموا إليها أي أخذوا ذات الشمال.

قوله عليه السلام «جفاء» أي: أهل الجفاء.

«طغام» أي: أوغاد و رذال.

«عبيد أقزام» أي: سفلة، قال الشاعر:

حصنوا أمّهم من عبدهم تلك أفعال القزام الوكعة

^{١٤٨٤} «جمعوا من كلّ أوب» أي: ناحية. لما استولى يزيد بن المهلب على البصرة في خلعه يزيد بن عبد الملك و جاءه مسلمة بن عبد الملك و العباس بن الوليد في جنود أهل الشام لحربه قال: أتيكم في برابرة و صقالبة و جرامقة و أقباط و أنباط و أخلاط، أقبل إليكم الفلاحون و الأوباش كأشلاء اللحم و في (لطائف الثعالبى): إنّ أهل الشام مخصّصون من جميع البلدان

ص: ٦٠٤

طاعة السلطان، و يقال: إنّ «الطّائنين» من خصائص الشام- يعنى الطاعة و الطاعون- و لم تزل الشام كثير الطواعين حتى صارت تواريخ، و منها كانت تمتدّ إلى العراق و غيرها^{١٤٨٥}.

«و تلتقطوا» أي: أخذوا، و في (الصحيح): تلتقط فلان التمر أي التقطه من ههنا و ههنا، و الألقاط من الناس: القليل المتفرقون^{١٤٨٦}.

«من كل شوب» أي: خلط، قال الشاعر:

من معشر كحلت باللؤم أعينهم قفر الأكف لثام غير صياب

^{١٤٨٤} (١) لسان العرب ١٥: ٣٨٥.

^{١٤٨٥} (١) لا وجود له في الظرائف و اللطائف و لا في مخطوطة اللطائف للثعالي.

^{١٤٨٦} (٢) الصحاح ٢: ١١٥٧-١١٥٨ مادة (لقط).

[و قال آخر:]

إن ينتسب ينسب إلى عرق و رب
أهل خزومات و شحاح و صخب

^{١٤٨٧} و قال آخر:

أبيت أهوى في شياطين ترن
مختلف نجراهم حن و جن

هذا، و في (المعجم): طلب المنصور رجلا يجعلهم بوّابين له، فقليل له: لا يضبطهم إلّا قوم لثام الأصول أنذال النفوس صلاب الوجوه و لا تجدهم إلّا في رقيق اليمامة. فاشترى له مائتا غلام^{١٤٨٨}.

في (تفسير القمي): قيل لأمير المؤمنين عليه السلام معاوية في مائة ألف من أهل الشام. فقال عليه السلام: لا تقولوا من أهل الشام و لكن قولوا من الشؤم، هم من أبناء مصر لعنوا على لسان داود عليه السلام فجعل منهم القردة و الخنازير^{١٤٨٩}.

و في (صفين نصر): حرّض على عليه السلام الناس لقتال أهل الشام فقال:

ص: ٦٠٥

سيروا إلى أعداء السنن و القرآن، سيروا إلى بقية الأحزاب و قتلّة المهاجرين و الأنصار. فقام أربد الفزاري فقال: أ تريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم كلا. فقام الأشر و قال: من لهذا؟ فهرب فلحق في مكان من السوق تباع فيه البراذين، فوطّوه بأرجلهم و ضربوه بأيديهم و نعالهم حتى قتل. فقال على عليه السلام: قتيل عمية، لا يدرى من قتله، ديته من بيت المال. فقال علاقة التيمي:

أعوذ بربي أن تكون منيتي
كما مات في سوق البراذين أربد

تعاوره همدان خفق نعالهم
إذا رفعت عنه يد وضعت يد

^{١٤٩٠} و في (صفين نصر): لما كتبت صحيفة الصلح في التحكيم بين على عليه السلام و معاوية و أهل الشام، قيل لعلى عليه السلام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية و لا لأصحابه أنّهم مؤمنون و لا مسلمون و لكن يكتب معاوية ما شاء^{١٤٩١}.

^{١٤٨٧} (٣) لسان العرب ١١: ٢٥٢.

^{١٤٨٨} (٤) لا وجود له في المعجم.

^{١٤٨٩} (٥) تفسير القمي ٢: ٢٦٨.

^{١٤٩٠} (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٩٤.

و فى (الاستيعاب): قام عبد الله بن بديل يوم صفين فقال: ألا إن معاوية ادعى ما ليس له و نازع الأمر أهله و جادل بالباطل ليدحض به الحق و صال عليكم بالأحزاب و الأعراب و زين لهم الضلالة و زرع فى قلوبهم حب الفتنة و لبس عليهم الأمر، و أنتم و الله على الحق على نور من ربكم، فقاتلوا الطغاة الجفأة، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم و يشف صدور قوم مؤمنين، قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله و قد قاتلتموهم مع رسول الله صلى الله عليه و آله، فو الله ما هم فى هذه بأزكى و لا أتقى و لا أبر^{١٤٩٢}.

ص: ٦٠٦

و فى (مروج المسعودي): دخل صعصة على معاوية فقال له معاوية:

يا بن صوحان إنك لذو معرفة بالعرب و بحالها. فسأله عن أهل البصرة و أهل الكوفة و أهل الحجاز، ثم أمسك معاوية فقال له صعصة: سل يا معاوية و إلّا أخبرتك بما تحيد عنه. قال: و ما ذاك يا بن صوحان؟ قال: أهل الشام. قال:

فأخبرني عنهم. قال: أطوع الناس لمخلوق و أعصاهم للخالق، عصاة الجبار و خلفاء الأشرار، فعليهم الدمار و لهم سوء الدار. فقال معاوية: يا بن صوحان إنك لحامل مديتك منذ أزمان، و لكن حلم ابن أبى سفيان يردّ عنك. فقال صعصة: بل أمر الله و قدره، إن أمر الله كان قدرا مقدورا^{١٤٩٣}.

و فى (الطبرى): لما خلع يزيد بن المهلب يزيد بن عبد الملك و خرج بالبصرة مرّ الحسن البصرى على الناس و قد اصطفوا و نصبوا الرايات و الرماح ينتظرون خروج ابن المهلب و يقولون إنه يدعوننا إلى سنة العمرين.

فقال الحسن: إنما كان ابن المهلب بالأمس يضرب أعناق هؤلاء الذين ترون ثم يسرح بها إلى بنى مروان يريد رضاهم، فلما غضب غضبة نصب قصباً ثم وضع عليها خرقة و قال: إنى خالفتهم فخالفوههم، فقال له ناس من أصحابه:

و الله لكأنك راض عن أهل الشام. فقال: أنا راض عن أهل الشام قبيحهم الله و برحهم، أليس هم الذين أحلّوا حرم الرسول، يقتلون أهله ثلاثة أيام و ثلاث ليال، قد أباحوهم لأنباطهم و أقباطهم، يحملون الحرائر ذوات الدين، لا ينتهون عن انتهاك حرمة، ثم خرجوا إلى بيت الله الحرام فهدموا الكعبة و أوقدوا النيران بين أحجارها و أستارها، عليهم لعنة الله و سوء الدار^{١٤٩٤}.

«مَنْ يَنْبَغِي أَنْ يَفْقَهُ» فى (رحلة ابن بطوطة): نزلت فى خارج مدينة

ص: ٦٠٧

^{١٤٩١} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٩.

^{١٤٩٢} (٣) الاستيعاب، لابن عبد البر ١: ٣٥١ فى ترجمة عبد الله بن بديل.

^{١٤٩٣} (١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٤٣.

^{١٤٩٤} (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٨٠، نسخة دار الكتب العلمية.

(صور) من بلاد الشام على قرية معمورة على بعض المياه أريد الوضوء، فأتى بعض أهل تلك القرية فبدأ يغسل رجله ثم غسل وجهه، فأخذت عليه في فعله فقال: إنّ البناء انما ابتدأه من الأساس^{١٤٩٥}.

«و يؤدّب و يعلم و يدرب» أى: يعود.

«و يؤلّى عليه و يؤخذ على يديه» فى (المروج): دخل رجل من أهل الكوفة فى منصرفهم عن صفين على بعير له إلى دمشق، فتعلّق به رجل منهم فقال:

هذه ناقتى أخذت منى بصفين. فارتفع أمرهما إلى معاوية، فأقام الدمشقى خمسين رجلاً بينة يشهدون أنّها ناقتة، فقضى معاوية على الكوفى وأمره بتسليم البعير إليه. فقال الكوفى: إنّ جمل و ليس بناقة. فقال معاوية: هذا حكم قد مضى. و دسّ إلى الكوفى بعد تفرّقهم فأحضره و سأله عن ثمن بعيره، فدفع إليه ضعفه و برّه و أحسن إليه و قال له: أبلغ عليّ أنّى أقابله بمائة ألف ما فيهم من يفرّق بين الناقة و الجمل.

و لقد بلغ من طاعتهم له أنّه صلّى بهم عند مسيرهم إلى صفين الجمعة فى يوم الأربعاء، و أعاروه رؤوسهم عند القتال و حملوه بها، و ركنوا إلى قول عمرو بن العاص أنّ عليّاً هو الذى قتل عمّار بن ياسر حين أخرجه لنصرته ثم ارتقى بهم الأمر فى طاعته إلى أن جعلوا لعن على عليه السلام سنّة ينشأ عليها الصغير و يهلك الكبير^{١٤٩٦}.

و ذكر بعض الأخباريين أنّه قال لرجل من زعماء أهل الشام و أهل الرأى و العقل منهم: من أبو تراب هذا الذى يلعنه الإمام على المنبر؟ قال: أراه لصاً

ص: ٦٠٨

من لصوص الفتن^{١٤٩٧}.

و فيه: و قد كان عبد الله بن على حين خرج فى طلب مروان إلى الشام وجّه إلى السفاح أشياخا من أهل الشام من أرباب النعم و الرئاسة، فحلفوا للسفاح أنّهم ما علموا للنبيّ صلّى الله عليه و آله قرابة و لا أهل بيت يرثونه غير بنى امية حتى و ليّتم الخلافة^{١٤٩٨}.

و فيه: لما أرسل عبد الملك الحجاج لقتال ابن الزبير بمكة أقام بالطائف شهورا ثم زحف إلى مكة فحاصر ابن الزبير بها و كتب إلى عبد الملك أنّى قد ظفرت بأبى قبيس، فلما ورد كتابه على عبد الملك كبر عبد الملك فكبر من فى داره و اتصل التكبير بمن فى جامع دمشق فكبروا و اتصل ذلك بأهل الأسواق، ثم سألوا عن الخبر فقبل لهم: إنّ الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة و

^{١٤٩٥} (١) رحلة ابن بطوطة: ٣٥.
^{١٤٩٦} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣١.
^{١٤٩٧} (١) مروج الذهب ٣: ٤١-٤٢، دار المعرفة.
^{١٤٩٨} (٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٣٣.

ظفر بأبي قبيس. فقالوا: لا نرضى حتى يحمل أبا قبيس الترابي الملعون إلينا مكبلاً على رأسه برنس على جمل يمر بنا في الأسواق^{١٤٩٩}.

و في (الطبرى) - بعد ذكر قتل عمّار في صفين - قال أبو عبد الرحمن السلمي: فلما كان الليل قلت: لأدخلن إلى أهل الشام حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منا و كنّا إذا توادعنا من القتال تحدّثوا إلينا و تحدّثنا إليهم، فركبت فرسى ثم دخلت فإذا أنا بأربعة معاوية و أبو الأعور السلمي و عمرو بن العاص و ابنه عبد الله بن عمرو - و هو خير الأربعة - يتسايرون، فأدخلت فرسى بينهم مخافة أن يفوتني ما يقول أحد الشقين. فقال عبد الله لأبيه: يا أبة قتلتهم هذا الرجل في يومكم هذا و قد قال فيه النبيّ صلى الله عليه و آله ما قال. قال: و ما قال؟

ص: ٦٠٩

قال: ألم تكن معنا و نحن بنى المسجد و الناس ينقلون حجرا حجرا و لبنه لبنه و عمّار ينقل حجرين حجرين و لبنتين لبنتين فغشى عليه فاتاه النبيّ صلى الله عليه و آله يمسح التراب عن وجهه و يقول: و يحك يابن سمية. الناس ينقلون حجرا حجرا و لبنه لبنه و أنت تنقل حجرين حجرين و لبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، و أنت و يحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية، فدفع عمرو بن العاص صدر فرسه ثم جذب معاوية إليه فقال: يا معاوية أما تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: و ما يقول؟

فأخبره الخبر فقال معاوية: أنّك شيخ أخرج و لا تزال تحدّث الحديث و أنت تدحض في قولك، أو نحن قتلنا عمّارا، أنّما قتل عمّارا من جاء به. قال أبو عبد الرحمن السلمي: فما أدري من كان أعجب هو أو هم^{١٥٠٠}.

و في (المروج): قال المستكفي العباسي: ذكروا أنّ الحجاج كان قد اجتبي قوما من أهل العراق وجد عندهم من الكفاية ما لم يجد عند مختصّيه من أهل الشام فشقّ ذلك عليهم و تكلموا فيه، فبلغ إليه كلامهم فركب في جماعة من الفريقين و أو غل بهم في الصحراء، فلاح لهم من بعد قطار إبل، فدعا برجل من أهل الشام فقال له: أمض فاعرف ما هذه الأشباح و استقص أمرها. فلم يلبث أن جاء و أخبره أنّها إبل، فقال: أمحملة هي أم غير محملة؟

قال: لا أدري و لكن أعود و أتعرف ذلك - و قد كان الحجاج أتبعه برجل من أهل العراق و أمره بمثل ما كان أمر الشامي - فلما رجع العراقي أقبل عليه الحجاج - و أهل الشام يسمعون - فقال: ما هي؟ قال: إبل. قال: و كم عددها؟ قال: ثلاثون.

قال: و ما تحمل؟ قال: زيتا. قال: و من أين صدرت؟ قال: من موضع كذا. قال:

و من ربّها؟ قال: فلان. فالتفت إلى أهل الشام فقال:

ص: ٦١٠

^{١٤٩٩} (٣) مروج الذهب ٣: ١٢٠، دار المعرفة.
^{١٥٠٠} (١) تاريخ الامم ٤: ٣٨.

الأم على عمرو و لو مات أو نأى

لقلّ الذى يغنى غناءك يا عمرو

١٥٠١ و فى (عيون ابن قتيبة): مات رجل من جند أهل الشام، فحضر الحجاج جنازته - و كان عظيم القدر فصلّى و جلس على قبره - و قال: لينزل قبره بعض إخوانه، فنزل نفر منهم فقال أحدهم - و هو يسوّى عليه - أرحمك الله أبا فلان إن كان ما علمتكم لتجيد الغناء و تسرع إلى ربّ الكأس، و لقد وقعت موقع سوء لا تخرج منه إلى الدكة. فما تمالك الحجاج أن ضحك فأكثر - و كان لا يكتر الضحك فى جد و لا هزل - ثم قال له: لا أم لك هذا موضع هذا؟ قال: أصلح الله الأمير فرسى:

حبّيس لو سمعه يتغنى

يا لبيني أوقدى النارا

لانتشر الأمير على سعنه - و كان الميت يلعب سعنه و كان من أوحش خلق الله صورة - فقال الحجاج: إنّ الله، أخرجوه عن القبر. ثم قال: ما أبين حجّة أهل العراق فى جهلكم يا أهل الشام، و لم يبق أحد حضر القبر إلّا استفرغ ضحكا^{١٥٠٢}.

هذا، و وصف أبو أحمد العسكري رجلا لثيما فقال: حقير فقير نذل رذل غثّ رثّ لثيم زنيم، أشحّ من كلب و أذلّ من نقد و أجهل من بغل، سريع إلى الشرّ بطيء عن الخير، مغلول عن الحمد مكتوف عن البذل، جواد بستم الأعراض سخي بضرب الأبشار، لجوج حقوق خرق نزق عسر نكد شكس شرس دعى زنيم، يعتزى إلى أنباط سقاط أهل لؤم أعراق و دقة أخلاق، و ينتمى إلى أخبت البقاع ترابا و أمرها شرابا و أكمدھا ثيابا، فهو كما قال تعالى «وَالَّذِي خَبَثَ»

ص: ٦١١

«لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِيدًا»^{١٥٠٣} ثم كما قال الشاعر:

نبطى آباؤه لم يلدّه

ذو صلاح و لم يلد ذا صلاح

معشرا شبّھوا القروء و لكن

خالفوها فى خفّة الأرواح

و فى (العقد): دخل عدى بن أرطاة الشامى على شريح القاضى، فقال له:

أين أنت؟ قال: بينك و بين الجدار. قال: إنّى رجل من أهل الشام. قال: نائى المحل سحيق الدار. قال: قد تزوجت عندكم. قال: بالرفاء و البنين. قال: ولد لى غلام. قال: ليهنك الفارس. قال: و أردت أن أرحلها. قال: الرجل أحقّ بأهله. قال:

١٥٠١ (١) مروج الذهب للمسعودي ٤: ٢٦٣.

١٥٠٢ (٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ٥.

١٥٠٣ (١) الأعراف: ٥٨.

و شرطت لها دارها. قال: الشرط أملك. قال: فاحكم الآن بيننا. قال: قد فعلت.

قال: على من قضيت؟ قال: على ابن أمك. قال: بشهادة من؟ قال: بشهادة ابن اخت خالتك - يريد إقراره^{١٥٠٤}.

و فى (خلفاء القتيبي): بعث يزيد عبد الله بن مسعدة الفزارى إلى المدينة، فخطب الناس و قال: أهل الشام جند الله الأعظم و خير الخلق. فقام الحارث بن مالك و قال: لعمر الله لنحن خير من أهل الشام، ما نقتم من أهل المدينة إلّا لأنّهم قتلوا أباك و هو يسرق لقاح النبىّ صلى الله عليه و آله، أنسيت طعنة أبى قتادة است أبيك بالرمح فخرج منه جعموص مثل هذا - و أشار إلى ساعده - ثم جلس^{١٥٠٥}.

«ليسوا من المهاجرين و الأنصار و لا من الذين» هكذا فى (المصرية) و الصواب: «و لا الذين» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم).

«تبوؤا الدار و الإيمان» هكذا فى (المصرية) أخذنا من ابن أبى الحديد حيث جعل «و الإيمان» بين قوسين كما هو دأبه فيما يأخذه منه، لكن الظاهر زيادته

ص: ٦١٢

حيث قال ابن ميثم فى نسخة الرضى «تبوؤا الدار» فقط و فى سائر النسخ «و الإيمان»، و لا معنى لكلامه فإنّ النهج للرضى فلا معنى لجعل نسخه من خطه هكذا و فى نسخة غيره من خطه بطريق آخر، لكن ما لم تتحقق نسخ يكون المتبع ما فى نسخة (ابن ميثم) التى بخط المصنف.

و فى (صفين نصر): برز عوف بن مجزأة المرادى فارس أهل الشام يوم صفين و قال:

بالشام أمن ليس فيه خوف

بالشام أمن ليس فيه خوف

بالشام جود ليس فيه سوف

فخرج إليه عكبر الأسدى فارس أهل الكوفة و قال:

بها إمام طاهر مطهر

الشام محل و العراق ممطر

و الشام فيها أعور و معور

^{١٥٠٤} (٢) العقد الفريد ٣: ١٠.
^{١٥٠٥} (٣) لم نعثر عليه فى تاريخ الخلفاء لابن قتيبة.

١٥٠٦ «ألا و إن القوم اختاروا لأنفسهم أقرب القوم مما يحبون، و إنكم اخترتم لأنفسكم أقرب القوم مما تكرهون» في (صفين نصر): لما أراد الناس عليا عليه السلام على أن يضح حكيمين قال لهم: إن معاوية لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه و نظره من عمرو بن العاص، و إنه لا يصلح للقرشي إلّا مثله، فعليكم بعبد الله بن عباس فارموه، فإن عمرا لا يعقد عقدة إلّا حلّها عبد الله و لا يحلّ عقدة إلّا عقدها و لا يبرم أمرا إلّا نقضه و لا ينقض أمرا إلّا أبرمه. فقال الأشعث: لا و الله لا يحكم فينا مضرين حتى تقوم الساعة، و لكن اجعله رجلا من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا من مضر. فقال على عليه السلام: إنني أخاف أن يخدع يمينكم، فان عمرا ليس من الله في شيء حتى إذا كان له في أمر هواه. فقال الأشعث: و الله لأن يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن أحب إلينا من

ص: ٦١٣

أن يكون ما نحبّ في حكمهما و هما مضرين. فقال عليه السلام: قد أبيتم إلّا أبا موسى؟ قالوا: نعم، قال: فاصنعوا ما أردتم. فبعثوا إلى أبي موسى و قد اعتزل بعرض من الشام... ١٥٠٧.

و في (خلفاء ابن قتيبة): قال الأحنف لعلّى عليه السلام: إن أبا موسى رجل يمانى و قومه مع معاوية - إلى أن قال - فقال عليه السلام: إن الأشعث و القراء أتوني بأبي موسى فقالوا: ابعت هذا فقد رضيناه و لا نريد سواه و الله بالغ أمره... ١٥٠٨.

و منه يظهر أن جميع أفعالهم كان بمقتضى أغراضهم لا الديانة.

«و إنما عهدكم بعبد الله بن قيس» قال ابن أبي الحديد: قال ابن عبد البر: لما قتل عثمان عزل على عليه السلام أبا موسى عن الكوفة، فلم يزل واجدا لذلك على على عليه السلام و حتى جاء منه ما قال حذيفة فيه، فقد روى لحذيفة فيه كلاما كرهت ذكره ١٥٠٩.

قال ابن أبي الحديد الكلام الذى أشار إليه ابن عبد البر أن أبا موسى ذكر عند حذيفة بالدين فقال حذيفة: أما أنتم فتقولون ذلك، و أمّا أنا فأشهد أنه عدوّ لله و لرسوله و حرب لهما في الحياة الدنيا و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم اللعنة و لهم سوء الدار. و كان حذيفة عارفا بالمنافقين أسرّ إليه النبىّ صلى الله عليه و آله أمرهم و أعلمه أسماءهم ١٥١٠.

و قال: و روى ان عمّارا سئل عن أبي موسى فقال: لقد سمعت فيه من حذيفة قولا عظيما، سمعته يقول صاحب البرنس الأسود - ثم كلح كلوحا

ص: ٦١٤

١٥٠٦ (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٠.

١٥٠٧ (١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٠.

١٥٠٨ (٢) خلفاء ابن قتيبة: ١٣١.

١٥٠٩ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤.

١٥١٠ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٤.

علمت منه أنه كان ليلة العقبة بين ذلك الرهط^{١٥١١}.

و قال: و روى عن سويد بن غفلة قال: كنت مع أبي موسى على شاطئ الفرات في خلافة عثمان، فروى لي خبرا عن النبي صلى الله عليه و آله قال سمعته يقول: إن بني إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتى بعثوا حكيمين ضالين ضلّا و أضلّا من اتبعهما و لا ينفك أمر امتي حتى يبعثوا حكيمين يضلّان و يضلّان من تبعهما. فقلت له: احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما، فخلع قميصه و قال:

أبرأ إلى الله من ذلك كما أبرأ من قميصي هذا^{١٥١٢}.

قال: و قال أبو محمد بن متويه من المعتزلة في كتابه (الكفاية): أما أبو موسى فإنه عظم جرمه بما فعله و أدّى ذلك إلى الضرر الذي لم يخف حاله، و كان على عليه السلام يقنت عليه و على غيره فيقول: «اللهم العن معاوية أولا و عمرا ثانيا و أبا أعور السلمي ثالثا و أبا موسى الأشعري رابعا»^{١٥١٣}.

قلت: صدق إن فعل أبي موسى أدّى إلى الضرر الذي لم يخف حاله، إلّا ان فعل أبي موسى أيضا كان من فعل أركان سقيفتهم و كان النبي صلى الله عليه و آله أيضا قنت عليهم في تخلفهم عن جيش اسامة.

و في (مسترشد محمد بن جرير بن رستم الطبري الإمامي) - مخاطبا للعامة -: و من علمائكم أبو موسى الأشعري و قد شهد عليه حذيفة بن اليمان أنه منافق رواه جرير بن عبد الحميد العيني^{١٥١٤}.

و في (المروج): كان أبو موسى الأشعري يحدث قبل وقعة صفين و يقول: إن الفتن لم تزل في بني إسرائيل ترفعهم و تخفضهم حتى بعثوا

ص: ٦١٥

حكيمين - إلى أن قال - فقال له سويد بن غفلة: إياك إن أدركت ذلك الزمان أن تكون أحد الحكمين قال: أنا؟ قال: نعم أنت. فكان يخلع قميصه و يقول: لا جعل الله لي اذن في السماء مصعدا و لا في الأرض مقعدا. فلقبه سويد بعد ذلك فقال:

يا أبا موسى أتذكر مقاتلك؟ قال: سل ربك العافية^{١٥١٥}.

و في (أمالى المفيد) مسندا عن سلمان قال: قال النبي صلى الله عليه و آله: تفترق امتي ثلاث فرق، فرقة على الحق لا ينقص الباطل منه شيئا يحبوني و يحبون أهل بيتي، مثلهم كمثل الذهب الجيد كلما أدخلته النار فأوقدت عليه لم يزد إلا جودة - إلى

^{١٥١١} (١) المصدر نفسه ١٣: ٣١٥.

^{١٥١٢} (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣١٥.

^{١٥١٣} (٣) المصدر نفسه.

^{١٥١٤} (٤) المسترشد: ١١.

^{١٥١٥} (١) مروج الذهب، للمسعودي ٢: ٣٩٢.

أن قال- و فرقة مدهدة على ملّة السامري لا يقولون لا مساس لكنهم يقولون لا قتال، إمامهم عبد الله بن قيس الأشعري^{١٥١٦} «بالأمس» و المراد أيام الجمل.

«يقول إنها فتنة» و قد كان عليه السلام في ذاك الوقت أخبره بعمله في هذا الوقت و هو حكمه الباطل عليه عليه السلام.

ففي (مروج المسعودي): كاتب على عليه السلام لما أراد البصرة من الريزة أبا موسى الأشعري ليستنفر الناس، فثبطهم أبو موسى و قال: إنما هي فتنة.

فمنى ذلك إلى على عليه السلام، فوّلّى على الكوفة قرضة بن كعب الأنصاري و كتب إلى أبي موسى: اعتزل عملنا يابن الحائك، فما هذا أول يومنا منك و إن لك فيها لهنات و هنيات^{١٥١٧}.

«فقطعوا أوتاركم» جمع الوتر بفتحيتين واحد أوتار القوس.

«و شيموا سيوفكم» و المراد بشيموا هنا الأغمداد و إن قيل إنه من الأضداد.

ص: ٤١٦

و في (خلفاء ابن قتيبة): لما بعث على عليه السلام في مسيره إلى الجمل عمّاراً و محمد بن أبي بكر إلى أهل الكوفة ليستنفروهم قال أبو موسى للناس: ان هذه الفتنة النائم فيها خير من اليقظان و القاعد خير من القائم و القائم فيها خير من الساعي و الساعي فيها خير من الراكب، فاغمدوا سيوفكم- ... فقام عمار و قال: أيها الناس إن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين و ما صدق فيما قال و ما رضى الله عن عباده بما قال، قال عز و جل «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا يَبْنِيهِمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا»^{١٥١٨} و قال تعالى «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ»^{١٥١٩} فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا في بيوتهم و يخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين و اسمعوا من حججهم و انظروا من أولى بالنصرة فاتبعوه، فان أصلح الله أمرهم رجعتهم مأجورين و قد قضيتهم حق الله، و ان بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفتنة الباغية فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله و افترض عليكم^{١٥٢٠}.

«فإن كان صادقا» في كون حروبه عليه السلام فتنة.

«فقد أخطأ بمسيره غير مستكره» في دخوله فيما زعمه فتنة.

^{١٥١٦} (٢) أمالي المفيد: ٣٠.

^{١٥١٧} (٣) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٨.

^{١٥١٨} (١) الحجرات: ٩.

^{١٥١٩} (٢) الانفال: ٣٩.

^{١٥٢٠} (٣) خلفاء ابن قتيبة ١: ٦٨.

«وإن كان كذبا فقد لزمته التهمة» فكيف يجعل حكما.

و نظير كلامه عليه السلام في كون أبي موسى أتى بالتضاد في فعله مع قوله

ص: ٦١٧

و خطبه في عمله، كلام ابنه الحسن عليه السلام. ففي (خلفاء ابن قتيبة) - بعد نقل أن أبا موسى قال: اخلع عليا و انصب عبد الله بن عمر - قال الحسن عليه السلام: و قد كان من خطأ أبي موسى أن جعلها لعبد الله بن عمر فأخطأ في ثلاث خصال خالف أبو موسى عمر إذ لم يرضه لها و لم يره أهلا لها و كان أبوه أعلم به من غيره و لا أدخله في الشورى إلّا على أن لا شيء له شرطا مشروطا من عمر على أهل الشورى - إلى أن قال - و لم يستأمر الرجل في نفسه و لا علم ما عنده من ردّ أو قبول^{١٥٢١}.

«فادفعوا في صدر عمرو بن العاص بعبد الله بن العباس» في (صفين نصر):

قال أيمن بن خزيمة الأسدي - و كان شاميا معتزلا لمعاوية و كان هواه أن يكون الأمر لأهل العراق - مخاطبا لأهل الشام:

لو كان للقوم رأي يعظمون به

بعد الخطا رموكم بآبن عباس

لله درّ أبيه أيما رجل

ما مثله لفصال الخطب في الناس

لكن رموكم بشيخ من ذوى يمن

لم يدر ما ضرب اخماس لأسداس

ان يخل عمرو به يقذفه في لجج

يهوى به النجم تيسا بين أتياس

فلما بلغ أهل العراق قول أيمن طارت أهواؤهم إلى عبد الله بن عباس و أبت القرّاء إلّا أبا موسى.

«أ لا ترون إلى بلادكم تغرى» فكان معاوية في تلك الأيام بعث جيشا إلى مصر و جيشا إلى البصرة و جيوشا إلى الحجاز و إلى بلاد آخر^{١٥٢٢}.

«و إلى صفاتكم» في (الصحاح): الصفا و الصفاء صخرة ملساء، يقال في المثل: ما تندى صفاته.

ص: ٦١٨

«ترمى» و المراد قصد معاوية لمهجمات ما بيده عليه السلام كمصر ففتحها و قتل محمد بن أبي بكر، فرمى الصفا كناية عن قصده لو هي ما اشتد منه، فالصفات صخرة صلبة، و لذا قيل ما تندى صفاته أى من غايّة صليبيه و يقال:

^{١٥٢١} (١) خلفاء ابن قتيبة ١: ١٣١.

^{١٥٢٢} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٢.

أصلب من الصفا. و عن صعصعة: ما قارعت صفاً أشد على من صفاً بنى زراراً^{١٥٢٣}.

٢

الكتاب (٢) و من كتاب له عليه السلام إليهم بعد فتح البصرة:

وَجَزَاكُمُ اللَّهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ - أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ - وَ الشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ - فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَ دُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ أَقُول: هذا كتاب كتبه عليه السلام إلى أهل الكوفة إلى قرضة بن كعب منهم خصوصاً و إلى باقيهم عموماً مع عمر بن سلمة الأرحبي - كما رواه المفيد في (جملة الشيخ المفيد - وقعة الجمل - ص ٢١٥ و ٢١٦) - عن عمر بن سعد الذي يروى عنه نصر بن مزاحم عن يزيد بن الصلت عن عامر الأسدي، و قد اختصره الرضى رحمه الله و تمامه هذا:

«سلام عليكم، إني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، أما بعد فإننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا المفرقين لجماعتنا الباغين علينا من امتنا، فحاججناهم إلى الله فنصرنا الله عليهم و قتل طلحة و الزبير، و قد تقدمت إليهما بالندى و أشهدت عليهما صلحاء الأمة و مكنتهما في البيعة، فما أطاعا المرشدين و لا أجابا الناصحين و لا ذأ أهل البغي بعائشة، فقتل حولها جم لا يحصى عددهم إلا الله، ثم ضرب الله وجه بقيتهم فأدبروا، فما كانت ناقة الحجر

ص: ٦١٩

بأشأم منها على أهل ذلك المصر مع ما جاءت به من الحوب الكبير في معصيتها لرّبها و نبّيها من الحرب، و اغترار من اغتر بها و ما صنعت من التفرقة بين المؤمنين و سفك دماء المسلمين لا بينة و لا معذرة و لا حجة لها، فلما هزمهم الله أمرت ألا يقتل مدبر و لا يجهز على جريح و لا يهتك ستر و لا يدخل دار إلا بإذن أهلها، و قد آمنت الناس و استشهد منا رجال صالحون ضاعف الله لهم الحسنات و رفع درجاتهم و أثابهم ثواب الصابرين و جزاكم الله من أهل مصر - إلى آخر ما في المتن - و زاد بعده: فنعم الاخوان و الأعوان على الحق أنتم»^{١٥٢٤}.

و له عليه السلام كتاب آخر إلى أهل الكوفة بعد فتح البصرة، ففي (الإرشاد):

كتب عليه السلام بالفتح إلى أهل الكوفة - إلى أن قال - أما بعد، فإن الله حكم عدل لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، و إذا أراد الله بقوم سوء فلا مردّ له و ما لهم دونه من وال، أخبركم عنّا و عنّ سرنا إليه من جموع أهل البصرة و من تأشب إليهم من قريش و غيرهم مع طلحة و الزبير و نكتهم صفقة أيما نهم، فنهضت من المدينة حين انتهى إلى خبر من سار إليها و جماعتهم و ما فعلوا بعاملي عثمان بن حنيف حتى قدمت ذى قار، فبعثت الحسن بن علي و عمار بن ياسر و قيس بن سعد، فاستنفرتكم لحق الله و حقّ رسوله و حقّي، فأقبل إلى إخوانكم سراعا حتى قدموا عليّ، فسرت بهم حتى نزلت ظهر البصرة، فأعذرت بالدعاء و قمت بالحجة و أقلت العثرة و الزلة من أهل الردة من قريش و غيرهم و استتبتهم من نكتهم بيعتي و أخذت عهد الله

^{١٥٢٣} (١) الصحاح ٤: ٢٤٠١ مادة (صفا).

^{١٥٢٤} (١) وقعة الجمل، للمفيد: ٢١٥ - ٢١٦.

عليهم، فأبوا إلّا قتالي و قتال من معي و التماذي في الغي فناهضتهم بالجهاد فقتل الله من قتل منهم ناكثا و ولى من ولى إلى مصرهم،

ص: ٦٢٠

و قتل طلحة و الزبير على نكتهما و شقاقهما، و كانت المرأة عليهم أشأم من ناقة الحجر، فخذلوا و أدبروا و تقطعت بهم الأسباب، فلما رأوا ما حلّ بهم سألوني العفو عنهم، فقبلت منهم و غمدت السيف عنهم و أجريت الحق و السنة فيهم»^{١٥٢٥}.

و قد مدح عليه السلام أهل الكوفة أيضا لما وردوا عليه بذي قار عند توجهه إلى البصرة، ففي (الإرشاد): روى عبد الحميد بن عمران العجلي عن سلمة بن كهيل قال: لما التقى أهل الكوفة عليا عليه السلام بذي قار رحبوا به ثم قالوا: الحمد لله الذي خصنا بجوارك و أكرمنا بنصرتك. فقام عليه السلام فيهم خطيبا فحمد الله و أثنى عليه و قال: يا أهل الكوفة إنكم من أكرم المسلمين و أقصدهم تقويما و أعدلهم سنة و أفضلهم سهما في الإسلام و أجودهم في العرب مركبا و نسابا، أنتم أشدّ العرب ودا للنبى و أهل بيته، و إنّما جئتم ثقة - بعد الله - بكم للذي بذلتم من أنفسكم عند نقض طلحة و الزبير و خلعهما طاعتي و إقبالهما بعائشة للفتنة و إخراجهما إياها من بيتها حتى أقدامها البصرة، فاستفزوا طغامها و غوغاءها، مع أنّه قد بلغني أنّ أهل الفضل منهم و خيارهم في الدين قد اعتزلوا و كرهوا ما صنع طلحة و الزبير. فقال أهل الكوفة: نحن أنصارك و أعوانك على عدوك و لو دعوتنا إلى أضعافهم من الناس احتسبنا في ذلك الخير و رجوانه - فدعا على عليه السلام لهم و أثنى عليهم^{١٥٢٦}.

و مدحهم عليه السلام لما ورد عليهم بعد فتح البصرة، ففي (صفين نصر): لما قدم على عليه السلام من البصرة إلى الكوفة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من رجب سنة (٣٦) استقبله أهل الكوفة - و فيهم قراؤهم و أشرافهم - فدعوا له

ص: ٦٢١

بالبركة و قالوا: يا أمير المؤمنين أين تنزل، أتزل القصر؟ فقال: لا و لكنني أنزل الرحبة، فنزلها و أقبل حتى دخل المسجد الأعظم فصلى فيه ركعتين ثم صعد المنبر فحمد الله و أثنى عليه و صلى على رسوله و قال: أمّا بعد يا أهل الكوفة فإنّ لكم في الإسلام فضلا ما لم تبدلوا و تغيروا، دعوتكم إلى الحق فأجبتم و بدأتم بالمنكر فغيّرتم، ألا إنّ فضلكم فيما بينكم و بين الله، فأما في الأحكام و القسم فأنتم أسوء من أجابكم و دخل فيما دخلتم فيه، ألا إنّ أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى - إلى أن قال - الحمد لله الذي نصر وليّه و خذل عدوّه و أعزّ الصادق المحقّ و أذلّ الناكث المبطل، عليكم بتقوى الله و طاعة من أطاع الله من أهل بيت نبيكم الذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا الله فيه من المنتحلين المدّعين المقابليين لنا يتفضلون بفضلنا و يجاحدوننا أمرنا و ينازعونا حقنا و يدافعونا عنه فقد ذاقوا و بال ما اجترحوا فسوف يلقون غيا، ألا إنّّه قد قعد عن نصرتي رجال أنا عليهم زار فاهجروهم و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا ليعرف بذلك حزب الله عند الفرقة.

^{١٥٢٥} (١) الإرشاد للمفيد: ١٣٧.

^{١٥٢٦} (٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ١٣٣.

فقام إليه مالك بن حبيب اليربوعي صاحب شرطته عليه السلام فقال: و الله إني لأرى الهجر و سماع المكروه لهم قليلا، و الله لئن أمرتنا لنقتلنهم، فقال على عليه السلام: سبحان الله يا مال، جزت المدى و عدوت الحد و أغرقت في النزع.

فقال لبعض الغشم: أبلغ في أمور تنوبك من مهادنة الأعادي. فقال على عليه السلام:

ليس هكذا قضى الله يا مال، فقال تعالى «النَّفْسَ بِالنَّفْسِ»^{١٥٢٧} فما بال الغشم و قال تعالى «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ»^{١٥٢٨} و الإسراف في القتل أن تقتل غير قاتلك، فقد نهى الله

ص: ٦٢٢

عنه و ذلك هو الغشم^{١٥٢٩}.

و مدحهم عليه السلام حين أراد العود إلى قتال معاوية قبل النهروان بالنخيلة.

قال الطبري: جمع إليه رؤوس أهل الكوفة فحمد الله و أثنى عليه ثم قال: يا أهل الكوفة أنتم إخواني و أنصاري و أعواني على الحق و صحابتي على جهاد عدوي المحلين، بكم أضرب المدبر و أرجو تمام طاعة المقبل، و قد بعثت إلى أهل البصرة فاستنفرتهم إليكم فلم يأتني منهم إلّا ثلاثة آلاف و مائتا رجل، فأعينوني بمناصحة جلية خلية من الغش - إلى أن قال - و كان جميع أهل الكوفة خمسة و ستين ألفا و من أهل البصرة ثلاثة آلاف و مائتي رجل، و كان جميع من معه ثمانية و ستين ألفا و مائتي رجل^{١٥٣٠}.

و كان اشتياق أهل الكوفة إلى قدومه عليه السلام عليهم كما وصفه خفاف الطائي لمعاوية، قال نصر بن مزاحم: قال خفاف لمعاوية: قدم على الكوفة فحمل إليه الصبي و دنت إليه العجوز و خرجت إليه العروس فرحاً به و شوقاً إليه^{١٥٣١}.

و روى الواحدى - كما فى (جمل المفيد) - عن كليب فى خبر و روده عليه السلام بذى قار يستعلم حاله، قال: فلم أبرح عن العسكر حتى قدم على على عليه السلام أهل الكوفة، فجعلوا يقولون: نرى إخواننا من أهل البصرة يقاتلوننا. و جعلوا يضحكون و يعجبون و يقولون و الله لو التقينا لتعاطينا الحق، كأنهم يرون أنهم لا يقتلون^{١٥٣٢}.

و فى (لطائف الثعالبى): كان الحجاج يقول: الكوفة جارية جميلة لا مال

ص: ٦٢٣

١٥٢٧ (١) المائدة: ٤٥.
١٥٢٨ (٢) الإسراء: ٣٣.
١٥٢٩ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣.
١٥٣٠ (٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٨.
١٥٣١ (٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٦٤.
١٥٣٢ (٤) الجمل للمفيد فى خبر مطول: ١٥٦ - ١٥٧.

لها فهي تخطب لجمالها، و البصرة عجز شوهاء موسرة فهي تخطب لمالها.

و كان زياد يقول: مثل الكوفة كمثل اللهاء يأتيها الماء ببرده و عذوبته، و مثل البصرة كالمثانة يأتيها الماء و قد تغير و فسد^{١٥٣٣}.

ص: ٦٦٥

فهرست المطالب

العنوان رقم الصفحة

الفصل الحادى و الأربعون - فى ما قاله عليه السلام فى القرآن ... ١

العنوان ١ الخطبة ١: «و خلف فيكم ما خلفت الأنبياء فى أممها إذ لم يتركوهم ...» ٣

العنوان ٢ من الخطبة ١٢٩: «و كتاب الله بين أظهركم، ناطق لا يعيا لسانه ...» ٢٠

العنوان ٣ من الخطبة ١٢٩: «و اعلّموا أنّه ليس من شيء إلّا و يكاد صاحبه ...» ٢٢

العنوان ٤ من الخطبة ١٤٨: «إنّ الله تعالى خصّكم بالإسلام و استخلصكم له ...» ٣٣

العنوان ٥ من الخطبة ١٧١: «و اعلّموا أنّ هذا القرآن هو النّاصح الذى لا يغشّ ...» ٣٦

العنوان ٦ من الخطبة ١٧١: «و أنّ الله سبحانه لم يعظ أحدا بمثل هذا القرآن ...» ٤٥

العنوان ٧ من الخطبة ١٧٨: «فالقرآن أمر زاجر، و صامت ناطق ...» ٤٧

العنوان ٨ من الخطبة ١٥١: «و عليكم بكتاب الله فأنّه الحبل المتين ...» ٥٠

العنوان ٩ من الخطبة ١٩٣: «ثمّ أنزل عليه الكتاب نورا لا تطفأ مصابيحُه ...» ٥٣

العنوان ١٠ الحكمة ٣١٣: «و فى القرآن نبأ ما قبلكم، و خبر ما بعدكم ...» ٦٧

العنوان ١١ من الخطبة ١٥٣: «فجاءهم بتصديق الذى بين يديه ...» ٧١

العنوان ١٢ من الخطبة ١٤٣: «فبعث الله محمّدا صلّى الله عليه و آله، بالحقّ ليخرج عباده ...» ٧٦

^{١٥٣٣} (١) لم نعثر عليه فى لطائف الثعلبى، و لكن وجدنا فى مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٥٩ ما يشبه هذا المعنى.

العنوان ١٣ من الخطبة ١٤٩: «إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ اللَّهِ فِي الذِّكْرِ الْكَرِيمِ الَّتِي عَلَيْهَا...» ٨٩

الفصل الثَّانِي والأربعون - فِي مَا بَيَّنَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَالْمَعَامَلَاتِ وَالْخَيْرِ وَالشَّرِّ ٩٥

العنوان ١ من الخطبة ١٠٦: «أَنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللَّهِ...» ٩٧

ص: ٦٦٦

العنوان ٢ من الخطبة ١: «وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ...» ١١٠

العنوان ٣ من الخطبة ١٨٧: «وَكَلَّمَا كَانَتْ الْبُلُوبُ الْإِخْتِبَارَ أَعْظَمَ...» ١١٩

العنوان ٤ الحكمه ١٣٦: «الصَّلَاةُ قَرِيبَانِ كُلِّ تَقَىٍّ، وَ الْحَجُّ جِهَادٌ كُلِّ ضَعِيفٍ...» ١٣٩

العنوان ٥ الحكمه ٧: «الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مَنْجِحٌ، وَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ...» ١٤٢

العنوان ٦ من غريب كلامه ٦: «أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدِّينُ الظُّنُونُ...» ١٤٣

العنوان ٧ الحكمه ١٤٥: «كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظُّمَأُ...» ١٤٦

العنوان ٨ الحكمه ١٤٦: «سَوِّسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ وَ حَصَّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ...» ١٤٧

العنوان ٩ الحكمه ١٣٧: «اسْتَغْنَوْا الرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ...» ١٤٨

العنوان ١٠ الحكمه ٢٥٨: «إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجَرُوا بِاللَّهِ بِالصَّدَقَةِ...» ١٤٩

العنوان ١١ الحكمه ١٣٨: «مَنْ أَيْقَنَ بِالْخَلْفِ جَادَ بِالْعَطِيَّةِ...» ١٥٠

العنوان ١٢ الحكمه ٣٠٤: «أَنَّ الْمَسْكِينِ رَسُولَ اللَّهِ فَمَنْ مَنَعَهُ مَنَعَ اللَّهَ...» ١٥٢

العنوان ١٣ الحكمه ٣٢٨: «إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ...» ١٥٢

العنوان ١٤ الحكمه ٢٩٩: «مَا أَهْمَنِي ذَنْبٌ أَهَمَّتْ بَعْدَهُ حَتَّى أَصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ...» ١٥٣

العنوان ١٥ من الخطبة ١٩٤: «تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلَاةِ، وَ حَافِظُوا عَلَيْهَا،...» ١٥٤

العنوان ١٦ من الخطبة ٥٢: «أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِئَ الشَّمْسُ...» ١٦٨

العنوان ١٧ الحكمة ٢٥٢: «فرض الله الايمان تطهيرا من الشُّرك ...» ١٧٢

العنوان ١٨ الحكمة ٣٧٣: «... أَيْهَا الْمُؤْمِنُونَ مَنْ رَأَى عَدَوَانَا يَعْمَلْ بِهِ ...» ١٨٥

- الحكمة ٣٧٤: «فمنهم المنكر للمنكر بيده و لسانه و قلبه ...» ١٨٥

- الحكمة ٣٧٥: «أَوَّلُ مَا تَغْلِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ...» ١٨٦

العنوان ١٩ من الخطبة ١٥١: «وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ، وَ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ ...» ٢٠٢

العنوان ٢٠ الحكمة ١١٠: «لَا يَقِيمُ أَمْرَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يَصْنَعُ ...» ٢٠٢

العنوان ٢١ الحكمة ١٧٤: «مَنْ أَحَدَّ سَنَانَ الْغَضَبِ لِلَّهِ قَوَى عَلَى قَتْلِ أَشَدَّاءَ ...» ٢٠٤

العنوان ٢٢ الحكمة ٢٤٩: «أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا اكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ ...» ٢٠٩

العنوان ٢٣ الحكمة ٣٦٨: «أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ...» ٢٠٩

العنوان ٢٤ الحكمة ٢٧٨: «قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ ...» ٢١٠

- الحكمة ٤٤٤: «قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ» ٢١٠

العنوان ٢٥ الحكمة ٣١٢: «أَنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالَاً وَ إِدْبَاراً، فَإِذَا أُقْبِلَتْ فَاحْمِلُوهَا ...» ٢١١

ص: ٦٦٧

العنوان ٢٦ الحكمة ٣٩: «لَا قَرِيبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضُرَّتْ بِالْفَرَائِضِ ...» ٢١٢

- الحكمة ٢٧٩: «إِذَا أَضُرَّتْ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا ...» ٢١٢

العنوان ٢٧ الحكمة ٣٢: «فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ وَ فَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ ...» ٢١٣

العنوان ٢٨ الحكمة ٩٤: «لَيْسَ الْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَ وَلَدُكَ ...» ٢١٤

العنوان ٢٩ الحكمة ٣٨٧: «مَا خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ ...» ٢١٦

العنوان ٣٠ الحكمة ٤٢٢: «افْعَلُوا الْخَيْرَ، وَ لَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً ...» ٢١٧

العنوان ٣١ الحكمة ٤٤٧: «من أتجر بغير فقه فقد ارتطم فى الربا...» ٢٢٠

الفصل الثالث و الأربعون - فى مكارم الأخلاق ٢٢٣

العنوان ١ الحكمة ٤٤٦: «... ذلك أحمد سبلها...» ٢٢٥

العنوان ٢ الحكمة ١٠: «إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا...» ٢٣٤

العنوان ٣ الحكمة ١٩: «أقبلوا ذوى المروءات عثراتهم...» ٢٣٨

العنوان ٤ الحكمة ٢٣: «من كفّارات الذّنوب إغاثة الملهوف...» ٢٤٢

العنوان ٥ الحكمة ١٠١: «لا يستقيم قضاء الحوائج إلّا بثلاث...» ٢٤٤

العنوان ٦ الحكمة ٢٢٢: «من أشرف أفعال الكريم غفلته عمّا يعلم...» ٢٤٩

العنوان ٧ الحكمة ٢٣٢: «من يعط باليد القصيرة يعط باليد الطويلة...» ٢٥٢

العنوان ٨ الحكمة ٢٥٧: «يا كميل مر أهلك أن يروحوا فى كسب المكارم...» ٢٥٤

العنوان ٩ الحكمة ٢٧: «أفضل الزّهد إخفاء الزّهد...» ٢٦٦

العنوان ١٠ الحكمة ٣٣: «كن سمحا و لا تكن مبذرا...» ٢٦٧

العنوان ١١ الحكمة ٤٢٥: «إنّ لله عبادا اختصّهم الله بالنعم لمنافع العباد...» ٢٦٨

العنوان ١٢ من الخطبة ١٦١: «ليتأسّ صغيركم بكبيركم،...» ٢٧٢

العنوان ١٣ الحكمة ٥٥: «الصّبر صبران: صبر على ما تكره، و صبر عمّا تحبّ...» ٢٧٦

العنوان ١٤ الحكمة ٥٧ و ٤٧٥: «القناعة مال لا ينفد...» ٢٧٨

العنوان ١٥ الحكمة ١٢٣: «طوبى لمن ذلّ فى نفسه، و طاب كسبه...» ٢٧٩

العنوان ١٦ الحكمة ١٤٠: «ما عال من أقتصد...» ٢٨٢

العنوان ١٧ الحكمة ١٥٣: «لا يعدم الصّبور الظّفر و إن طال به الزّمان...» ٢٨٢

العنوان ١٨ الحكمة ٢٠٦: «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره...» ٢٨٣

ص: ٦٦٨

العنوان ١٩ الحكمة ٤١٨: «الحلم عشيرة...» ٢٨٣

العنوان ٢٠ الحكمة ٢٢٤: «بكثرة الصمت تكون الهيبة...» ٢٨٤

العنوان ٢١ الحكمة ٢٠٧: «وإن لم تكن حليما فتحلم،...» ٢٨٨

العنوان ٢٢ الحكمة ٢٢٣: «من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه» ٢٨٨

العنوان ٢٣ الحكمة ٢٢٩: «كفى بالقناعة ملكا، و بحسن الخلق نعيما...» ٢٨٩

العنوان ٢٤ الحكمة ٣٩٦: «المنية ولا الدنية، و التقلل ولا التوسل...» ٢٩٠

العنوان ٢٥ الحكمة ٤١٠: «التقى رئيس الأخلاق...» ٢٩٤

العنوان ٢٦ الحكمة ٤٦٠: «الحلم و الأناة توأمان ينتجهما علو الهمة...» ٢٩٤

العنوان ٢٧ من الخطبة ٢٣٦: «و الله مستأديكم شكره، و مورثكم أمره...» ٢٩٦

الفصل الرابع و الأربعون - فى ذمائم الصفات ٣٠١

العنوان ١ الحكمة ٢: «أزرى بنفسه من استشعر الطمع...» ٣٠٣

العنوان ٢ الكتاب ٧٩: «أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم منعوا...» ٣٠٦

العنوان ٣ الحكمة ٣: «البخل عار، و الجبن منقصة...» ٣٠٧

العنوان ٤ الحكمة ١٤٩: «هلك امرؤ لم يعرف قدره...» ٣١٧

العنوان ٥ الحكمة ٣٦٣: «من الخرق المعاجلة قبل الإمكان...» ٣١٩

العنوان ٦ الحكمة ٣٧٨: «البخيل جامع لمساوى العيوب و هو زمام يقاد به...» ٣٢١

العنوان ٧ الحكمة ٤٥٤: «ما لابن آدم و الفخر، أوله نطفة...» ٣٢٢

العنوان ٨ الحكمة ٤٦١: «الغيبه جهد العاجز...» ٣٢٧

العنوان ٩ من الخطبة ١٣٨: «وإنما ينبغي لأهل العصمة و المصنوع اليهم...» ٣٢٧

العنوان ١٠ الحكمة ٢١٢: «عجب المرء بنفسه أحد حسّاد عقله...» ٣٣٤

العنوان ١١ الحكمة ١٦٧: «الإعجاب يمنع من الازدياد...» ٣٣٦

العنوان ١٢ الحكمة ٢٢٥: «العجب لغفلة الحساد عن سلامة الأجساد...» ٣٣٧

العنوان ١٣ الحكمة ٢٥٦: «صحّة الجسد من قلّة الحسد...» ٣٣٩

العنوان ١٤ الحكمة ٤٦: «سيئة تسوءك خير من حسنة تعجبك...» ٣٤٠

العنوان ١٥ الحكمة ٦٠: «اللسان سبع أن خلّى عنه عقر...» ٣٤٣

العنوان ١٦ الحكمة ١٧٩: «اللجاجة تسلّ الرأى...» ٣٤٩

ص: ٦٦٩

العنوان ١٧ الحكمة ١٨١: «ثمرة التّفريط النّدامة، و ثمرة الحزم...» ٣٥٠

العنوان ١٨ الحكمة ١٨٢ و ٤٧١: «لا خير فى الصّمت عن الحكم...» ٣٥١

العنوان ١٩ الحكمة ١٨٦: «للظّالم البادى غدا بكفّه غصّة...» ٣٥٢

العنوان ٢٠ الحكمة ٢١٥: «الخلاف يهدم الرأى...» ٣٥٣

العنوان ٢١ الحكمة ٢٤٣: «إذا أزدحم الجواب خفى الصّواب...» ٣٥٤

العنوان ٢٢ الحكمة ٢٤١: «بتّس الزّاد إلى المعاد العدوان على العباد...» ٣٥٤

العنوان ٢٣ الحكمة ٢٤١: «يوم المظلوم على الظّالم أشدّ من الظّالم على المظلوم» ٣٥٥

– الحكمة ٣٤١: «يوم العدل على الظّلم أشدّ من يوم الجور على المظلوم...» ٣٥٥

العنوان ٢٤ الحكمة ٢٧٥: «إنّ الطّمع مورد غير مصدر و ضامن غير و فى...» ٣٥٧

العنوان ٢٥ الحكمة ٢٨٥: «بينكم و بين الموعظة حجاب من الغرّة...» ٣٥٩

العنوان ٢٦ الحكمة ٣٤٧: «الثناء بأكثر من الاستحقاق ملق...» ٣٦٠

العنوان ٢٧ الحكمة ٣٦١: «أشدّ الذنوب ما استهان به صاحبه...» ٣٦١

- الحكمة ٤٧٧: «أشدّ الذنوب ما استخفّ به صاحبه» ٣٦١ ...

العنوان ٢٨ الحكمة ٣٦٢: «من صنّ بعرضه فليدع المراء...» ٣٦٢

العنوان ٢٩ الحكمة ٨٤: «و اعلموا انّ يسير الرياء شرك...» ٣٦٢

العنوان ٣٠ الحكمة ١٨٠: «الطمع رقّ مؤبّد» ٣٦٩

العنوان ٣١ الحكمة ٢٢٦: «الطامع فى وثاق الذلّ» ٣٧٠

العنوان ٣٢ الحكمة ٢١٩: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع» ٣٧٠

العنوان ٣٣ الحكمة ٢٥٥: «الحدّة ضرب من الجنون لأنّ صاحبها يندم...» ٣٧١

الفصل الخامس و الأربعون- فى آداب المعاشرة ٣٧٣

العنوان ١ الحكمة ٩: «خالطوا الناس مخالطة ان تتمّ معها...» ٣٧٥

العنوان ٢ الحكمة ٣٦٠: «لا تظنّ بكلمة خرجت من أحد سوءا...» ٣٨٦

العنوان ٣ الحكمة ٣٥: «من أسرع إلى الناس بما يكرهون قالوا فيه...» ٣٨٧

العنوان ٤ الحكمة ١٥٨: «عاتب أخاك بالإحسان إليه و اردده شرّه...» ٣٨٩

العنوان ٥ الحكمة ١٧٧: «أزجر المسىء بثواب المحسن...» ٣٩٢

العنوان ٦ الحكمة ١٧٨: «أحصد الشرّ من صدر غيرك بقلعه من صدرك...» ٣٩٤

ص: ٦٧٠

العنوان ٧ الحكمة ٣١٤: «ردّوا الحجر من حيث جاء فإنّ الشرّ لا يدفعه...» ٣٩٥

العنوان ٨ الحكمة ١٥٩: «من وضع نفسه مواضع التَّهمَة فلا يؤمنّ من أساء...» ٤٠١

العنوان ٩ الحكمة ٤٠١: «مقاربة النَّاس في أخلاقهم أمن من غوائلهم...» ٤٠٢

العنوان ١٠ الحكمة ٣٦٢: «من ضنَّ بعرضه، فليدع المراء...» ٤٠٧

الفصل السادس و الأربعون - في الأصدقاء ٤٠٩

العنوان ١ الحكمة ١١: «أعجز النَّاس من عجز عن اكتساب الاخوان...» ٤١١

العنوان ٢ الحكمة ٢٣٩: «من أطاع التَّواني ضيَّع الحقوق...» ٤١٣

العنوان ٣ الحكمة ٣٨: «يا بنيّ احفظ عنيّ أربعا و أربعا لا يضرّك ما عملت...» ٤١٤

العنوان ٤ الحكمة ٦٥: «فقد الأحبة غربة...» ٤٢٢

العنوان ٥ الحكمة ١٣٤: «لا يكون الصّديق صديقا حتى يحفظ أخاه في ثلاث...» ٤٢٣

العنوان ٦ الحكمة ٢١٨: «حسد الصّديق من سقم المودّة» ٤٣٠

العنوان ٧ الحكمة ٢٦٨: «أحب حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما...» ٤٣١

العنوان ٨ الحكمة ٢٩٥: «أصدقاؤك ثلاثة، فأصدقاؤك صديقك...» ٤٣٣

العنوان ٩ الحكمة ٣٠٨: «مودّة الآباء قرابة بين الأبناء» ٤٣٤

العنوان ١٠ الحكمة ٤١٥: «زهّدك في راغب فيك نقصان حظ...» ٤٣٦

العنوان ١١ الحكمة ٤٧٩: «شرّ الاخوان من تكلف له...» ٤٣٧

العنوان ١٢ الحكمة ٤٨: «إذا احتشم المؤمن أخاه فقد فارقه...» ٤٤٠

العنوان ١٣ الحكمة ٤٣٤: «أخبر تقله» ٤٤٢

العنوان ١٤ الحكمة ٣٩٣: «لا تصحب المائق فإنّه يزّين لك فعله...» ٤٥١

الفصل السّابع و الأربعون - في التّعازي و التّهاني ٤٥٣

العنوان ١ الحكمة ٢٩١: «يا أشعث إن تحزن على ابنك فقد استحقت منك...» ٤٥٥

العنوان ٢ الحكمة ٤١٣: «من صبر صبر الأحرار و إلّا سلا سلّو الاغماز...» ٤٦١

العنوان ٣ الحكمة ٤٤٨: «من عظم صغار المصائب ابتلاه الله بكبارها» ٤٦٤

العنوان ٤ الحكمة ١٨٩: «من لم ينجبه الصبر أهلكه الجزع» ٤٦٤

العنوان ٥ الحكمة ٣٥٧: «... إن هذا الأمر ليس لكم بدأ و لا إليكم انتهى...» ٤٦٦

العنوان ٦ الحكمة ٣٥٤: «... لا تقل ذلك و لكن قل: شكرت الواهب...» ٤٧٠

ص: ٦٧١

الفصل الثامن و الأربعون - في آداب الحرب ٤٧٥

العنوان ١ من الخطبة ١١: «تزول الجبال و لا تزل، عضّ على ناجذك...» ٤٧٧

العنوان ٢ الحكمة ٢٣٣: «... لا تدعون إلى مبارزة، و إن دعيت إليها فأجب،...» ٤٨٥

العنوان ٣ الحكمة ١٢١: «... و أى امرئ منكم أحسنّ من نفسه رباطة...» ٤٩١

العنوان ٤ من الكتاب ١٦: «... لا تشتدّن عليكم فرّة بعدها كرّة...» ٤٩٥

العنوان ٥ من الكتاب ١١: «... فإذا نزلتم بعدو أو نزل بكم فليكن معسكركم...» ٥٠٠

العنوان ٦ من الكتاب ١٢: «... اتق الله الذى لا بدّ لك من لقائه...» ٥٠٦

العنوان ٧ من الكتاب ١٤: «... لا تقاتلوهم حتّى يبدءوكم...» ٥١١

العنوان ٨ من الخطبة ٢٠٤: «... إنى أكره لكم أن تكونوا سبّابين...» ٥١٩

العنوان ٩ من الخطبة ٦٤: «... معاشر المسلمين استشعروا الخشية و...» ٥٢٤

العنوان ١٠ من الخطبة ٢٣٩: «... و الله مستأديكم شكره، مورثكم أمره...» ٥٤٥

العنوان ١١ من الخطبة ١٢٢: «... فقدّموا الدّارع و أخروا الحاسر...» ٥٥١

العنوان ١٣ من الكتاب ٦١: «أما بعد، فإنّ تضييع المرء ما ولىّ و تكلفه ...» ٥٧٩

العنوان ١٤ من الكتاب ٣٣: «أما بعد فإنّ عينيّ بالمغرب كتب إليّ يعلمني ...» ٥٨٣

العنوان ١٥ من الكتاب ٤: «فإنّ عادوا إليّ ظلّ الطّاعة فذلك الذي نحبّ ...» ٥٩٠

العنوان ١٦ الحكمة ٨٦: «رأى الشيخ أحبّ إليّ من جلد الغلام» ٥٩٢

الفصل التاسع و الأربعون - من ذمّ أهل الشّام و مدح أهل الكوفة ... ٥٩٩

العنوان ١ من الخطبة ٢٣٦: «... جفأة طغام عبيد أقزام ...» ٦٠١

العنوان ٢ من الكتاب ٢: «و جزاكم الله من أهل مصر عن أهل بيت ...» ٦١٨^{١٥٣٤}

^{١٥٣٤} شوشتری، محمد تقی، بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة، ١٤ جلد، دار امير كبير - تهران - ايران، چاپ: ١، ١٣٧٦ ه.ش.